# كتاب

# لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية

## لشرح

# الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية

تأليف

العالم الطويل الباع الواسع الاطلاع صاحب البرهان الجلي
الشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثري الحنبلي
رحمه الله تعالى

# الجزء الثاني

أخذت تعليقات هذا الكتاب من التعليقات التي علق بها على النسخة المخطوطة
مفتي الديار النجدية الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين المتوفى عام ١٢٨٢ الهجرية
والشيخ سليمان بن سحمان وغيرهما من أهل العلم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع في بعض السمعيات

# البـــاب الرابع

## (( فى ذكر بعض السمعيات من ذكر البرزخ والقبور وأشرطة الساعة والحشر والنشور ))

المراد بها ما طريق العلم به النصوص الشرعية

اعلم ان المراد بالسمعيات ما كان طريق العلم به السـمع الوارد فى الكتاب أو السنة والآثار مما ليس للعقل فيه مجال ، ويقابله ما يثبت بالعقل وان وافق (١) النقل،فما كان طريق العلم به العقل يسمى العقليات والنظريات ولهذا يقال لعلماء هذا الشأن النظار ، وقد اشار الى ذكر المقصود من ذلك بقوله :

(( وكل ما صح من الأخبار      أو جاء فى التنزيل والآثار
(( من فتنة البرزخ والقبور      وما أتى فى ذا من الأمور ))

(( وكل ما )) أى حكم من الاحكام أو خبر عن خير الأنام صـلى الله عليه وسلم ولهذا قال (( صح من الاخبار )) أى ثبت من الاخبـار النبوية وقدمه لمزيد الاهتمام به ولئلا يظن ظان ان مالم يثبت فى التنزيل ليس عليه مزيد تعويل (( أو جاء فى التنزيل )) أى القرآن المنزل على النبى المرسل صلى الله عليه وسلم (( و )) كل ما صح فى (( الآثار )) السلفية عن الصحابة الكرام مما ليس للعقل فيه مرام فانه يشعر بأنهم انما تلقوه عن النبى صلى الله عليه وسلم (( من فتنة )) الفتنة الامتحان والاختبار قال فى القـاموس الفتنة بالكسر الخبرة والفتانان الدرهم والدينار ومنكر ونكير والفتـان الشيطان لانه يفتن الناس عن الدين وفتان من أبنية المبـالغة من الفتنة وفى حديث الكسوف : وانكم تفتنون في القبور : يريد مسألة منكر ونكير وقد كثرت الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم باستعاذته من فتنة القبـر

تفسير الفتنة

وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات وغير ذلك ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « فبى تفتنون وعنى تسألون » اى تمتحنون بى في قبوركم ويعرف (١) ايمانكم بنبوتى «البرزخ» قال فى القاموس البرزخ الحاجز بين الشيئين ومن وقت الموت الى القيامة من مات دخله • وفى النهاية البرزخ ما بين كل شيئين من حاجز ومنه حديث عبدالله وسئل عن الرجل يجد الوسوسة فقال تلك برازخ الايمان – يريد ما بين أوله وآخره فأولها الايمان بالله ورسوله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، وقيل اراد ما بين اليقين والشك• والبرازخ جمع برزخ وفى الآية الكريمة ( بينهما برزخ لا يبغيان ) أى حاجز يمنعهما من ان يختلط احدهما بالآخر ووجه تسمية ما هنا برزخا لكونه يحجز بين الدنيا والآخرة « و » فتنة « القبور » جمع قبر وهو من عطف الخاص على العام لأن احوال البرزخ تشتمل على ذلك فالقبور جمع قبر جمع كثرة وجمعه أقبر فى القلة ويقال لمدفن الموتى مقبر قال الشاعر :

معنى البرزخ

القبر واول من سنه

لكل أناس مقبر فى فنائهم  فهم ينقصون والقبور تزيد

والمقبرة موضع دفن الموتى وتضم باؤها وتفتح • قال القرطبى اختلف فى أول من سن القبر فقيل الغراب لما قتل قابيل هابيل وقيل ان قابيل كان يعلم الدفن ولكن ترك أخاه استخفافا به فبعث الله الغراب ليبحث فى الارض يعنى التراب على هابيل ليدفنه – كذا في التذكرة فقال عند ذلك ( يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فاصبح من النادمين) حيث رأى كرامة الله لهابيل بأن قيض الله الغراب حتى واراه ولم يكن ذلك ندم توبة • وقيل كان ندمه على عدم معرفة الدفن ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما لو كان ندمه على قتله لكان ندمه توبة • وقيل انه لما قتله قعد يبكى على رأسه فأقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ففعل قابيل بأخيه كذلك فكان ندمه لعدم هدايته ان يفعل كما فعل الغراب فصار الدفن سنة فى بنى آدم • وفى التنزيل (ثم أماته فأقبره) أى جعل له قبرا يوارى فيه اكراما له ولم يجعل مما يلقى على وجه الارض

---

(١) مخ « ويعرف »

تأكله الطير والعوافي . وقوله « وما » اى وفي الذى او الاشياء أى والهول الذى « أتى » عن الصادق المصدوق « في ذا » اسم اشارة يرجع الى ما تقدم من فتنة البرزخ والقبور « من الامور » المهولة العجيبة والاشياء الصعبة الغريبة فانه حق لا يرد .

**أمور ما بعد الموت الأمر الأول سؤال منكر ونكير وبيان ذلك**

( منها ) سؤال الملكين منكر ونكير فالايمان بذلك واجب شرعا لثبوته عن النبى صلى الله عليه وسلم في عدة اخبار يبلغ مجموعها مبلغ التواتر وقد استنبط ذلك واستدل عليه بقوله تعالى ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ) وأخرج الشيخان من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ) نزلت في عذاب القبر - زاد مسلم « يقال له من ربك فيقول ربى الله ونبيى محمد » فذلك قوله ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ) وفي رواية للبخارى « اذا اقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله » الآية . وفى الطبرانى عن البراء ايضا مرفوعا « يقال للكافر من ربك فيقول لا أدرى فهو تلك الساعة أصم أعمى أبكم فيضرب بمرزبة (١) لو ضرب بها جبل لصار ترابا » الحديث . وعند أبى داود « يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربى الله ، فيقولان له ما دينك فيقول دينى الاسلام ، فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت ، فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة وألبسوه من الجنة ، ويفسح له فيه مد بصره » وقال في الكافر فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى - الى ان

---

(١) - جاء فى هامش الاصل ما نصه : فى النهاية ما نصه فى حديث أبى جهل فاذا رجل أسود يضربه بمرزبة فيغيب فى الارض . المرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة التى للحداد ومنه حديث الملك وبيده مرزبة ويقال لها أيضا الارزبة بالهمز والتشديد . انتهى . وفى القاموس والارزبة والمرزبة مشددتان أو الاولى فقط عصية من حديد . انتهى .

قال فينادى مناد من السماء ان كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه . وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل - لمحمد صلى الله عليه وسلم - فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبدالله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك من النار وقد أبدلك الله مقعدا من الجنة ، قال فيراهما جميعا - يعنى المقعدين - قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره - واما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه من غير الثقلين . زاد أبو داود ان المؤمن يقال له ما كنت تعبد ؟ فان هداه الله تعالى قال كنت أعبد الله ، فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول هو عبدالله ورسوله ، قال فما يسئل عن شيء غير هذا . وزاد ايضا فيقول دعونى حتى أبشر اهلى فيقال له اسكن ، وذكر الكافر انه يسئل عما كان يعبد ثم عن هذا الرجل . وفي الصحيحين أيضا عن أسماء بنت الصديق رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم كسفت الشمس « ولقد أوحى الى انكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبا (١) من فتنة الدجال يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل ؟ فاما المؤمن أو الموقن فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا ، فيقال له نم صالحا فقد علمنا ان كنت لموقنا ، واما المنافق والمرتاب فيقول لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته » وأخرجه الامام أحمد بلفظ « ولقد رأيتكم تفتنون في قبوركم يسئل الرجل ما كنت تقول وما كنت تعبد » نحو ما سبق . وقد روى أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أخرجه الترمذى وابن حبان في صحيحه وأخرجه ايضا الامام احمد وابن ماجه وأخرجه الطبرانى أيضا وفيه « أتاه » منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصى

---

(١) فى الاصلين « قريب » .

البقر - أى قرونها - وأصواتهما مثل الرعد القاصف » وروى أيضا من حديث جابر بن عبد الله رضى اللهعنهماأخرجه الامام أحمد ومن حديث أبى سعيد رضى الله عنه أخرجه الامام احمد أيضا ومن حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخرجه أبو بكر الخلال في كتاب السنة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له « كيف أنت يا عمر اذا كنت من الارض في أربعة أذرع في ذراعين وأريت منكرا ونكيرا » قلت يا رسول الله وما منكر ونكير ؟ قال « فتانا القبر يبحثان الارض بأنيابهما ويطآن في أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف ومعهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه » قلت يا رسول الله وأنا على حالى هذه ؟ قال نعم ، فقلت اذا أكفيكهما • وفي رواية « فامتحناك فان التويت ضرباك بها ضربة صرت رمادا » وأخرجه الاسماعيلى من وجه آخر ، وروىأيضا من حديث عبدالله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أخرجه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه وفيه قال عمر أترد علينا عقولنا يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « نعم كهيأتكم اليوم » فقال عمر رضى الله عنه بفيه الحجر • ومن حديث ابى موسى رضى الله عنه رواه الامام أحمد وغير هؤلاء وروى عن مجاهد ان الموتى يفتنون في قبورهم سبعا فكانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام • وقد ذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة في علوم الآخرة ما لعله يشفى ويكفى •

( تنبيهات )

تنبيهات الأول الجمع بين روايتى ملك وملكين

( الأول ) جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد قال القرطبى لا تعارض في ذلك بالنسبة الى الاشخاص فرب شخص يأتيه اثنان معا فيسألانه معا عند انصراف الناس ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقترف من الآثام وآخر يأتيه قبل انصراف الناس عنه تخفيفا عليه لحصول أنسه بهم وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح • قال ويحتمل أن يأتى اثنان ويكون السائل أحدهما وان اشتركا في الاتيان فتحمل رواية الواحد على هذا •

وصوبه الحافظ السيوطى في شرح الصدور فان ذكر الملكين هو الموجود في غالب الاحاديث • وقد ذكر بعض العلماء ان الملائكة الذين ينزلون على الميت في قبره أربعة منكر ونكير وناكور ورومان وقد أشار الجلال السيوطى الى هذا في ارجوزته التثبيت في التبييت بقوله :

وقد أتى في مرسل مضعف ان السؤال من ثلاثة لفى

أو أربع أولئك الاثنان وألحقوا ناكور مع رومان

وقد أشار الى أن الخبر به علتان الضعف والارسال •

**الثانى تسمية الملكين بمنكر ونكير**

## ( الثانى )

الملكان اسمهما منكر ونكير نص على ذلك الامام أحمد رضى الله عنه قال الحكيم الترمذى وانما سميا فتانى القبر لأن في سؤالهما انتهارا وفي خلقهما صعوبة قال وسميا منكرا ونكيرا لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين اليهما جعلهما الله تعالى تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره وهتكا لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث• قال الجلال السيوطى وهذا يدل على أن الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به في القاموس • قلت وكذا في نهاية ابن الاثير قال ومنكر ونكير اسما الملكين مفعل وفعيل • وذكر ابن يونس من الشافعية ان اسم ملكى المؤمن مبشر وبشير قلت وهذا يحتاج الى دليل مأثور وانى به فان الاحاديث ليس فيها سوى منكر ونكير وقد أشار الى ذلك السيوطى في أرجوزته بقوله :

وضبط منكر بفتح الكاف فلست أدرى فيه من خلاف

وذكر ابن يونس من صحبنا ان اللذين يأتيان المؤمنا

اسمهما البشير والمبشر ولم أقف في ذا على ما يؤثر

وقال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح قال كثير من المعتزلة لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وانما المنكر ما يبدو من تلجلجه اذا سئل والنكير تقريع الملكين له ، قال الامام أحمد رضى الله عنه نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير • وروجع في منكر ونكير فقال هكذا هو • يعنى انهما منكر ونكير •

( الثـــالث )

**الثالث اختلفت الـروايات فى كيفية السؤال**

قال القرطبى اختلفت الاحاديث في كيفية السؤال ، والجواب عن ذلك انه يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يسئل عن بعض اعتقاداته ومنهم من يسئل عن كلها ، ويحتمل أن يكون الاقتصار على بعضها من بعض الرواة وأتى به غيره تاما • وصوبه السيوطى لاتفاق أكثر الاحاديث عليه، نعم يؤخذ منها ـ خصوصا من رواية ابى داود عن أنس المارة : فما يسئل عن شيء بعدها وعند ابن مردويه : فما يسئل عن شيء غيرها ـ انه لا يسئل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة وصرح به في رواية البيهقى من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) قال الشهادة يسئلون عنها في قبورهم بعد موتهم ، قيل لعكرمة ما هو ؟ قال يسئلون عن الايمان بمحمد وأمر التوحيد • وقد ذكر الجلال السيوطى انه ورد في رواية عن أنس رضى الله عنه ان الميت يسئل في المجلس الواحد ثلاث مرات ، وباقى الروايات ساكتة عن ذلك فتحمل على ذلك أو يختلف الحال بالنسبة الى الاشخاص • وعن طاوس ان الموتى يسئلون سبعة أيام • قلت وتقدم عن مجاهد أن الموتى يفتنون في قبورهم سبعا وانهم كانوا يستحبون ان يطعم عنهم تلك الايام ـ رواه الامام أحمد في الزهد وكذا أبو نعيم في الحلية باسناد صحيح الا انه مرسل ، وروى من وجه متصل أيضا وحكمه الرفع لأنه ليس للرأى فيه مجال •• وقد روى كل ذلك الامام الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وذكر عن مجاهد أيضا أن الارواح تمكث في قبورها سبعة أيام • وقد روى عن عبيد بن عمير فيما أخرجه عنه ابن جريج ان المؤمن يفتن سبعة أيام والمنافق يفتن أربعين يوما •

( الرابـــع )

**الـرابع من لم يـدفن ينـاله السؤال ونحوه**

من لـم يدفن من مصلوب ونحوه يناله نصيبه من فتنة السؤال وضغطة القبر قال الامام المحقق في كتاب الروح : مما ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أم لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو حرق حتى صار رمادا أو نسف في الهواء أو غرق في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب ما يصل من المقبور •

الخامس قيل يختص السؤال بغير الكافر الصريح وبهذه الامة

## ( الخامس )

قال ابن عبد البر لا يكون السؤال الا لمؤمن أو منافق كان منسوبا الى دين الاسلام بظاهر الشهادة بخلاف الكافر • كذا قال وخالفه في ذلك الجمهور، وقال الامام المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في الروح : القرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول بل السؤال للكافر والمسلم قال الله تعالى ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ) وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما انها نزلت في عذاب القبر كما تقدم فان في الاحاديث الكافر والفاجر واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعا ومنه قوله تعالى ( كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ) • ونحو هذا في كتاب العاقبة للحافظ عبد الحق الاشبيلي وصوبه القرطبي في التذكرة ، وانتصر الجلال السيوطي لابن عبد البر وفيما قاله نظر • ومثل هذا ما اختاره المحقق ابن القيم والحافظ عبد الحق الاشبيلي وغيرهما من ان سؤال القبر ليس بخاص بهذه الامة بل غيرها تساويها في ذلك وجزم به أيضا القرطبي في التذكرة ، وقال الحكيم الترمذي انه خاص بهذه الامة ، وتوقف ابن عبد البر وانتصر السيوطي في هذا للحكيم الترمذي ، قال الامام المحقق ابن القيم في الروح بعد ذكره الاقوال الثلاثة : والظاهر والله أعلم ان كل نبي مع أمته كذلك — يعني يسئل عنه كنبينا صلى الله عليه وسلم مع أمته — وانهم يعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم واقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال واقامة الحجة • واستدل الحكيم الترمذى على عدم السؤال أن الامم قبل هذه الامة كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب ، قال فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة أمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل فى دين الاسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الايمان في قلبه ، فمن هنا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الايمان وكانوا بين المؤمنين في ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتانى القبر ليستخرج أمرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب • وفيما قاله مقال من عدة أوجه نبهت على بعضها في البحور الزاخرة منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان

المعروف عند أهل العلم انه بعد نزول التوراة لم يهلك تعالى مكذبى الامم بعذاب سماوى يعمهم كما أهلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار كما أمر بني اسرائيل على لسان موسى بقتال الجبابرة ، وقال يوشع للكفار مشهور وكذا داود وسليمان وغيرهم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين •

السادس قيل ان السؤال يكون بالسريانية ولا دليل عليه

( السادس )

ذكر الحافظ جلال الدين السيوطى انه وقع فى فتاوى شيخه علم الدين البلقينى ان الميت يجيب السؤال باللغة السريانية ، قال ولم أقف لذلك على مستند انتهى • قال في التذكرة ان قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الاماكن المتباعدة في الوقت الواحد ؟ فالجواب ان عظم خلقهما يقتضى ذلك فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل من المخاطبين انه المخاطب دون من سواه ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى • وقال السيوطى ويحتمل تعدد الملائكة لذلك كما في الحفظة ونحوهم • وقاله الحليمى من الشافعية ولا يخفى ما في هذا (١) وبالله التوفيق •

تتمة بعض الناس لا تنالهم فتنة القبر

( تتمة ) ورد في صحيح الاخبار أن بعض الناس من الموتى لا تنالهم فتنة القبر ولا يأتيهم الفتانان وذلك على ثلاثة أنحاء ـ مضاف الى عمل ومضاف الى حال ابتلاء نزل بالميت ومضاف الى زمان كالشهداء ومن لقى العدو فصبر حتى يقتل أو يغلب والمرابطين في سبيل الله ، والمراد ان من مات مرابطا لم يفتن في قبره • وروى أن سورة تبارك من قرأها كل ليلة عصم من فتنة القبر ، ومن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كفى فتنة القبر • وأخرج أبو نعيم في

---

(١) بهامش مط ما لفظه :
قوله ولا يخفى ما فيه أى فى كلام الحليمى وبعده الجلال من النظر لأن هذه أمور لا تثبت الا بصحيح السنة والتنزيل وليس فى ذلك للاحتمال مجال وكنت سئلت عن ذلك فنقلت ما نقله الجلال عن الحليمى فى ذلك في الجواب وتعقيبه من غير وقوف على ما هنا فالحمد لله ا هـ ع ب ا هـ من هامش الاصل •

الحلية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ قل هو الله أحـــد في مرضه الذى مات فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط الى الجنة » وممن لا يسئل الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام • وأما الجن فالادلة تعممهم ويسئلون لانهـم مكلفون في الجملة كما نص عليه علماؤنا وغيرهم وبالله التوفيق •

**الأمـر الثـانى عـذاب القبر وذكره في القرآن**

( ومنها ) اى الامور التي يجب الايمان بها وانهـا حق لا ترد عـــذاب القبر قال الحافظ جلال الدين السيوطى في كتابه « شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور » قد ذكر الله عذاب القبر في القرآن في عدة أماكن كمـــا بينه في الاكليل في اسرار التنزيل • انتهى • قال الحـــافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور في قوله تعالى ( فلولا اذا بلغت الحلقوم ـ الى قوله ـ ان هذا لهو الحق اليقين ) عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال تلا رســول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات قال « اذا كان عند الموت قيـل لـــه هـذا فان كان من أصحاب اليمين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان كـان من أصحاب الشمال كره لقاء الله وكره الله لقاءه » وأخرج الامـــام أحمد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فأكب القوم يبكون قال « ما يبكيكم » قالوا انـــا نكره الموت قال « ليس ذلك ولكنه اذا حضر فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله والله للقائه أحب ، وأما ان كان من المكذبين فنزل من حميم وتصليه جحيم ، فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله للقائه اكره » • وقال الامام المحقق ابن القيم فى كتاب الروح فول السائل ما الحكمة في أن عذاب القبر لم يذكر في القرآن صريحا مع شـدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذره الناس ويتقى ؟ فاجاب عن ذلـــك بوجهين مجمل ومفصل أما المجمل فان الله تعالى أنزل على رسوله وحيين فأوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة قال تعالى ( وأنزل عليك الكتاب والحكمة ) وقال تعالى ( هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم ـ الى قوله ـ ويعلمهم الكتاب والحكمة ) وقال تعالى ( واذكرن ما يتلى في بيوتكن ) الآية والحكمة هى السنة باتفاق السلف ، وما أخبر بـه

الرسول عن الله فهو فى وجوب تصديقه والايمان به كما أخبر به الرب على لسان رسوله ، فهذا أصل متفق عليه بين أهل الاسلام لا ينكره الا من ليس منهم ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم « انى أوتيت الكتاب ومثله معه » قال المحقق وأما الجواب المفصل فهو ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور فى القرآن في مواضع ( منها ) قوله تعالى ( ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت ) الآية وهذا خطاب لهم عند الموت قطعا وقد اخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذك يجزون عذاب الهون ، بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ، ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم اليوم تجزون عذاب الهون ، وقوله تعالى ( فوقاه الله سيئات ما مكروا — الى قوله — يعرضون عليها غدوا وعشيا ) الآية فذكر عذاب الدارين صريحا لا يحتمل غيره • ومنها قوله تعالى ( فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون * يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) انتهى كلامه • وأخرج البخارى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو « اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر » وأخرج الترمذى عن على رضى الله عنه انه قال ما زلنا فى شك من عذاب القبر حتى نزلت (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) •وقال ابن مسعود اذا مات الكافر أجلس فى قبره فيقال له من ربك وما دينك فيقول لا أدرى فيضيق عليه قبره — ثم قرأ ابن مسعود ( فان له معيشة ضنكا ) قال المعيشة الضنك هى عذاب القبر • وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما فى قوله تعالى (عذابا دون ذلك) قال عذاب القبر • وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر) (قال عذاب القبر ) • وكذلك قال قتادة والربيع ابن أنس في قوله تعالى (سنعذبهم مرتين) أحدهما في الدنيا والاخرى عذاب القبر • قال الحافظ ابن رجب وقد تواترت الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى عذاب القبر ففى الصحيحين عن ام المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما انها قالت سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر قال « نعم عذاب القبر حق » • وفى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يعلمهم

هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن « اللهم انى اعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال » • وأخرج مسلم ايضا وابن ابى شيبة عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه اذ حادت به فكادت أن تلقيه واذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال « من يعرف اصحاب هذه الأقبر ؟ » فقال رجل انا فقال «متى مات هؤلاء » فقال ماتوا فى الاشراك فقال النبى صلى الله عليه وسلم «ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فلولا ان لاتدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه » ثم اقبل علينا بوجهه فقال « تعوذوا بالله من عذاب القبر » الحديث • وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اهل القبور يعذبون فى قبورهم عذابا تسمعه البهائم • وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه رواه الامام احمد وأبو يعلى والآجرى ، وعن ابى هريرة رضى الله عنه رواه أبو يعلى والآجرى (وابن منده - ١) وعن أنس رضى الله عنه رواه مسلم ، وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه رواه الشيخان ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أخرجاه ، وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه رواه ابن ماجه • وفيه أيضا عن ابن عمر وعبد الرحمن بن حسنة وأبى امامة وميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلى ابن سيابة ويعلى ابن مدة وأم بشير وابن مسعود وغيرهم رضى الله عنهم اجمعين •

**الأمر الثالث ضغطه القبر**

( الامر الثالث - ٢) ما ورد فى ضغطة القبر وظلمته لكل واحد - أخرج الامام احمد فى المسند والحكيم الترمذى فى نوادر الاصول والبيهقى فى كتاب عذاب القبر عن حذيفة رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فلما انتهينا الى القبر قعد على شفيره فجعل يردد بصره فيه ثم قال « يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله » قال فى النهاية القبر •

---

(٢) من مخ ، والامر الاول هو سؤال الملكين ، والامر الثانى هو عذاب

(١) من مخ •

الحمائل هنا عروق الانثيين قال ويحتمل أن يكون يراد هنا موضع حمائل السيف أي عواتقه وأضلاعه وصدره • وأخرج الامام أحمد والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان القبر ضغطة لو كان أحد منها ناجيا نجا منها سعد بن معاذ » رضى الله عنه • وأخرج الامام أحمد والترمذى ( والطبرانى - ١ ) والبيهقى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما دفن سعد بن معاذ رضى الله عنه سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبح الناس معه طويلا ثم كبر وكبر الناس ثم قالوا يا رسول الله لم سبحت ؟ قال « لقد تضايق عن هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه » • وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره قال « لو نجا من ضمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضم ضمة ثم أرخى عنه » رواه سعيد بن منصور والحكيم الترمذى والطبرانى والبيهقى • وأخرج النسائى والبيهقى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هذا الذى تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه » يعنى سعد بن معاذ • قال الحسن البصرى تحرك له العرش فرحا بروحه • أخرجه البيهقى في الدلائل • وأخرج الحكيم الترمذى والبيهقى من طريق ابن اسحاق حدثني ابن أمية أو ابن عبد الله انه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا ؟ فقالوا ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك قال « كان يقصر في بعض الطهور من البول » • والاحاديث في هذا كثيرة مشهورة ، قال ابن ابى مليكة ما أجير من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذى منديل من مناديله في الجنة خير من الدنيا وما فيها • وقال مجاهد أشد حديث سمعناه عن النبى صلى الله عليه وسلم « ما عفى أحد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت أسد » فقيل يا رسول الله ولا القاسم ابنك ؟ قال « ولا ابراهيم » وكان أصغرهما • قال أبو القاسم السعدى في كتاب الروح له لا ينجو من ضغطة

---

(١) من مخ •

القبر صالح ولا طالح•والمراد غير من استثناه النبي صلى الله عليه وسلم وهو فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب رضى الله عنه وذلك لانها ضمت المصطفى ولما ماتت سكب عليها الماء الذى به الكافور وألبسها قميصه واضطجع في قبرها وقال « الحمد لله الذى يحيى ويميت وهو حي لا يموت اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها » وكانت وفاتها في المدينة ودفنت شمال قبة عثمان في موضع يقال له الحمام وعليها قبة صغيرة كما في زبدة الاعمال مختصر تاريخ الازرقى • قال أبو القاسم السعدى والفرق بين المسلم والكافر في ضمة القبر دوامها للكافر وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله الى قبره ثم يعود الانفساح له فيه ، قال والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت • قال الحكيم الترمذى سبب هذه الضغطة انه ما من أحد الا وقد ألم بخطيئة ما وان كان صالحا فجعلت هذه الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة ولذلك ضغط سعد ابن معاذ رضى الله عنه • قال وأما الانبياء فلا نعلم ان لهم في القبور ضمة ولا سؤالا لعصمتهم - أى لأن السؤال عن الانبياء وماجاءوا به فكيف يسألون عن أنفسهم ؟ وقد ذكر الامام الحافظ ابن الجوزى في مناقب سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه انه رآه المروزى رحمه الله بعد موته في منامه فقال له ما فعل الله بك ؟ فذكر ان الملكين سألاه وقالا له من ربك ؟ فقال سبحان الله أو مثلي يسئل عن ربه ؟ فقالا لا تؤاخذنا بذا أمرنا ثم انصرفا • فكيف بأنبياء الله وهم المخبرون عنه الدالون عليه المجتهدون في انقاذ عباده من عقابه وغضبه الى مرضاته باذنه • قال محمد التميمي . ضمة القبر انما أصلها أن الارض أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة فلما ردوا اليها وهم أولادها ضمتهم ضمة الوالدة اذا غاب عنها ولدها ثم قدم فمن كان مطيعا ضمته برأفة ورفق ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا لربها عليه • وقد أخرج البيهقى وابن منده والديلمى وابن النجار عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يارسول الله انك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعنى شيء ، قال « يا عائشة ان أصوات منكر ونكير في سماع المؤمنين كالاثمد في العين ، وان ضغطة القبر على المؤمن كالام الشفيقة يشكو اليها ابنها الصداع فتغمز

**سبب الضغطة وهل تنال الانبياء ؟**

رأسه غمزا رفيقا ولكن يا عائشة ويل للشاكين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة »

( فـــــوائد )

**فوائد الاولى أول عدل الآخـــرة تساوى القبور**

( الأولى ) ذكر الديلمى في الفردوس عن على رضى الله عنه رفعـه « أول عدل الآخرة القبور فلا يعرف شريف من وضيع » وقـــد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله أرحم ما يكون لعبده اذا دخل قبره وتفرق عنه الناس وأهله • وأخرج الديلمى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرحم ما يكون الله بالعبد اذا وضع في حفرته ». وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى عاصم الحبطى يرفعه « ان أول ما يتحف به المؤمن في قبره يقال له أبشر فقد غفر لمن تبع جنازتك» • وأخرجه البزار وعبد(١) في مسنديهما والبيهقى في الشعب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول ما يجازى به المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من تبعه » • وفي الباب عن جابر بن عبد الله أخرجه ابن أبى الدنيا ، وسلمان الفارسى أخرجه أبو الشيخ في الثواب، وأبى هريرة أخرجه الحاكم في التاريخ والبيهقى في الشعب والديلمى ، وأنس أخرجه الحكيم الترمذى •

**الثانيـــة تدفع عقـوبة السيئة باحـــد عشرة أسباب**

( الثانية ) قال بعضهم من فعل سيئة فان عقوبتها تدفع عنه باحـــد عشرة أسباب ان يتوب فيتاب عليه ، أو يستغفر فيغفر له ، أو يعمل حسنات فتمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات ، أو يبتلى فى الدنيا بمصائب فيكفر عنه ، أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فيكفر عنه ، أو يبتلى في عرصات القيامة بأهـوال تكفر عنه ، أو تدركه شفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ،أو رحمة ربه تبارك وتعالى • وتقدم في التوبة طرف صالح من هذا وبالله التوفيق •

**الثالثـــة بيان سبب عـــذاب القبر مجمـــلا ومفصلا**

( الثالثة ) الأسباب التى يعذب بها أصـــحاب القبور على قسمين مجمل ومفصل ، أما المجمل فانهم يعـــذبون على جهلهم بالله واضاعتهم لأمره وارتكابهم معاصيه فلا يعذب الله روحا عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه أبدا فان عذاب القبر بل وعذاب الآخرة اثر غضب

---

(١) هو عبد بن حميد ، ووقع فى الاصلين « عبيد » •

الله وسخطه على عبده فمن أغضب الله وأسخطه في هـــذه الدار بارتكاب مناهيه ولم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب • وأما المفصل فقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجلين الذين رآهما يعـــذبان فى قبورهما أن أحدهما كان يمشى بالنميمة بين الناس والآخر كان لا يستتر من البول ، والحديث فى الصحيحين وغيرهما ولفظه مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال « انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهمـــا فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنمية » ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين ثم غرز على كل قبر منهما واحدة ، قالوا لم فعلت هذا يا رسول الله ؟ قال لعله يخفف عنهما مالم تيبسا • قال الحافظ ابن رجب في كتابه أهوال القبور وقد روي هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى من وجوه متعددة من حديث أبى بكر وعائشة وأبى هريرة وأنس وابن عمر وأبى أمامة وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين • قال المحقق ابن القيم في الروح فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وان كان صادقا وفيه تنبيه على أن الموقع بينهم العـــداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا كما ان في ترك الاستبراء من البـــول تنبيها على ان من ترك الصلاة التى الاستبراء من البول بعض شروطها أشد عذابا • وفي حديث شعبة «أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس» فهذا مغتاب وذاك نمام • وفي صحيح البخارى في تعذيب من يكذب الكذبة فتبـــلغ الآفاق ، وفي حديث ابن مسعود في الذى ضرب في قبره سوطا امتلأ القبر عليه نارا لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومر على مظلوم فلم ينصره ، وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار ، وتعذيب الزناة والزوانى ، وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبى صلى الله عليه وسلم في البرزخ ، وحديث أبى هريرة وفيه رضخ رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ، والذين يأكلون الزقوم والضريع لتركهم الزكاة ، والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم ، والذين تقرض شفاههـــم بمقاريض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب •

ومن الذين يعذبون في قبورهم وأخبر عنهم النبى صلى الله عليه وسلم الجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون واللمازون والطعانون على السلف والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم وأعوان الظلمة الذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ونحو هؤلاء ممن يشتغل بذنوب الناس عن ذنبه وبعيوبهم عن عيبه فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغرها وكبرها ، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب فنسأل الله تعالى العافية والرحمة والعفو والغفران وبالله الاعانة والعون •

**الرابعة اسباب النجاة منه مجملة ومفصلة**

( الرابعة ) الاسباب المنجية من عذاب القبر على قسمين أيضا مجمل ومفصل ، أما المجمل فهو بحسب تلك الاسباب التى تقتضى العذاب ومن أنفعها ان يجلس عند ما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحا بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعود الى الذنب اذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وان استيقظ مستقبلا للعمل مسرورا بتأخير الاجل ، وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما اذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التى وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم فمن أراد الله به خيرا وفقه لذلك ولا قوة الا بالله • وأما المفصل فمنها ما رواه مسلم في صحيحه من حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» • وفي سنن الترمذى من حديث فضالة بن عبيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل ميت يختم على عمله الا الذى مات مرابطا في سبيل الله فانه يجرى عليه عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر » قال الترمذى حديث حسن صحيح • وتقدم ذكر الشهداء ، والذى يقرأ تبارك الملك فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر

وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائى على قبر أنا لا أحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » قال الترمذى حديث حسن غريب • قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح روينا في مسند عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل بلى قال اقرأ ( تبارك الذى بيده الملك ) احفظها وعلمها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له الى ربها أن ينجيه من عذاب القبر ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت انها في قلب كل انسان من أمتى ». قال أبو عمر بن عبد البر وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ان سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له ـ تبارك الذى بيده الملك »

**تنبيهات، الأول انكار الملاحدة عذاب القبر وأحواله**

## ( تنبيهـات )

الأول أنكرت الملاحدة والزنادقة عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وانكروا جلوس الميت فى قبره ، قالوا وقد وضعوا على صدر الميت زيبقا فكشفوا عنه فوجدوه بحاله ولم يجدوا فيه ملائكة يضربون الموتى بمطارق الحديد ولا وجدوا حيات ولا عقارب ولا نيرانا وأجنبوا وأجلبوا من مثل هذه الوساوس والترهات ، وقال اخوانهم من أهل البدع والضلال كل حديث يخالف مقتضى العقول نقطع بتخطئة ناقله ، قالوا ونحن نرى المصلوب على الخشبة المدة الطويلة لا يسئل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارا ، قالوا ومن افترسته السباع ونهشته الطير وتفرقت أجزاؤه في حواصل الطيور وأجواف السباع وبطون الحيتان ومدارج الرياح كيف يسئل ؟ وكيف يصير القبر على مثل هذا روضة أو حفرة ؟ وكيف يتسع قبره أو يضيق ؟ وأكثروا من هذا الهذيان•

**الرد عليهم بوجوه ٠هو ممكن أخبرت به الرسل فوجب الايمان به**

وأجاب عن ذلك أئمة الحق من علماء السنة وأمناء الامة بما يقمع المفترين ويقلع عن الشاكين ، منهم الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح فانه أجاب عن ذلك بعدة أجوبة ( منها ) ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تخبر بما تحيله العقول بل أخبارهم قسمان أحدهما ما يشهد العقل والفطرة السليمة به والثانى ما لا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التى أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر والثواب والعقاب فلا يكون خبرهم محالا فى العقول أصلا ، والحاصل ان الانبياء لا تأتى بمحالات العقول بل بمحاراتها فكل خبر يظن ان العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين اما خطأ فى النقل أو فساد في العقل فتكون شبهة خيالية ظن صاحبها انها أمر عقلى صريح والحال انه خيال وهمى غير صحيح قال تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذىأنزل اليك من ربك هو الحق) وأما الذين في قلوبهم زيغ فلا يزدادون الا رجسا على رجسهم (ومنها) ان يضم الى خبر الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير ولا يحمل كلامه على ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وعما قصده من الهدى والبيان وباهمال ذلك حصل ما حصل من الضلال والعدول عن نهج الصواب ( ومنها ) ان الله سبحانه جعل الدور ثلاثة ، دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها ، وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الابدان، والارواح تبع لها ، ولهذا جعل أحكام الشريعة مرتبة على ما يظهر من حركات الانسان والجوارح وان اضمرت النفوس خلافه ، فالعقوبات الدنيوية تقع على البدن الظاهر وتتألم الروح بالتبعية ، وجعل أحكام البرزخ على الارواح ، والابدان تبع لها ، فكما تبعت الارواح الابدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها ولذتها وكانت هى المباشرة لاسباب النعيم والعذاب فكذلك تبعت الابدان الارواح في نعيمها وعذابها وكان العذاب والنعيم على الروح ولها بالاصالة والبدن تابع للروح في ذلك عكس دار الدنيا ، فاذا كان يوم حشر الاجساد وقيام الناس من قبورهم لدار القرار والمعاد صار الحكم من النعيم والعذاب وغيرهما على الارواح والاجساد باديا ظاهرا أصلا وما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر

**يجب أن لا تحمل النصوص ما لا تحتمله**

**أحوال البرزخ والآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا**

**جعل الله أمر الآخرة غيبا ، والحكمة فى ذلك**

ونعيمه من هذا القبيل فاذا ظهر المذوق السليم طابق العقل المستقيم (ومنها) ان الله تعالى جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبها عن ادراك العقول في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز الذين آمنوا بالغيب من غيرهم، فأول ذلك الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعه وربما كلمهم ورد أجوبة لهم وتكون معهم الاكفان والحنوط اما من الجنة واما من النار • ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم السلام تارة بلفظه وتارة باشارة وتارة بقلبه اذا لم يتمكن من النطق والاشارة وقد سمع بعض المحتضرين يقول أهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه• ومن ذلك حكايات كثيرة وقد شاهدنا من ذلك مالم يخطر بالبال ولا يتصوره الخيال ( ومنها )

**نار القبر مخالفة لنار الدنيا**

ان النار التى في القبر ليست من نار الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وانما هى من نار الآخرة فهى وان كانت أشد من نار الدنيا الا أن شدتها على من هى له وعليه دون من مسها من أهل الدنيا بل ربما دفن الرجلان في قبر واحد فيكون أحدهما في روضة ونعيم والآخر في حفرة وعذاب اليم وقدرة الرب أعظم وأعجب من ذلك ولكن الكافرون لا يشعرون ( ومنها ) أن الله

**يحدث الله فى الدنيا ما هو أعجب**

سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك فهذا جبريل عليه السلام كان ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم ويتمثل له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى جانب النبى صلى الله عليه وسلم لا يراه وكذلك غيره من الانبياء ، وكانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم، والله سبحانه وتعالى حجب ابن آدم عن كثير مما يحدث في الارض وهو بينهم فهذا جبريل كان يدارس النبى صلى الله عليه وسلم القرآن والحاضرون لا يسمعونه • وكيف يستنكر من عرف الله وأقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار خلقه وأسماعهم حكمة منه ورحمة بهم لانهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها والعبد أضعف بصرا وسمعا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر وكثير ممن أشهده الله ذلك ضعف وغشى عليه ولم ينتفع بالعيش زمنا ، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات • وسر المسئلة أن

توسعة القبر وضيقه واضاءته وخضرته وناره ليس من جنس المعهــود في هذا العالم والله سبحانه انما أشهد عباده هذه الدار وما كان فيها ومنها واما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الاقــرار به والايمان سببا لسعادتهم ولو كشف عنه الغطاء لكان مشاهدا عيانا وفاتته نتيجة الايمان بالغيب وما يترتب على ذلك من الثواب • قلت وحاصل ذلك ان ما أخبر به الصادق المصدوق وجب الايمان به وقد تواتر عنه ذلك كما قدمنا ولم تحله العقول وحيث كان ممكنا فمعارضة صحيح الاخبار الحاد ، وهو كما انــه مقتضى السنة الصحيحة متفق عليه بين أهل الســـنة قال المروذى قال أبو عبد الله الامام أحمد رضى الله عنه عذاب القبر حق لا ينكره الاضـــال مضل • وقال حنبل قلت لأبى عبد الله في عذاب القبر فقال هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها ، كلما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم اسناد جيد أقررنا به ، اذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره ، قال الله تعالى ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).

**عذاب القبر حق**

قلت وعذاب القبر حق ؟ قال : حق يعذبون فى القبور • قال وسمعت أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير (وان العبد يسأل في قبره فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة في القبر •وقال أحمد بن القاسم قلت يا أبا عبدالله نقر بمنكر ونكير ـ ١ ) وما يروى في عذاب القبر ؟ فقال سبحان الله نعم نقر بذلك ، قلت هذه اللفظة نقول : منكر ونكير هكذا أو نقول ملكين ؟ قال : منكر ونكير • قلت يقولون ليس في حــديث منكر ونكير ؟ قال هو هكذا ـ يعنى انهما منكر ونكير • قال الامام ابن القيم في كتابه الروح واما أئمة أهل البدع والضلال فقال أبو الهـــذيل وبشر المريسى : من خرج عن سنة الايمان فانه يعذب بين النفختين ، قالا والمسئلة في القبر انما تقع في ذلك الوقت • قال ابن القيم واثبت الجبائى وابنـــه والبلخى عذاب القبر لكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم وبالله التوفيق •

---

(١) من كتاب الروح ـ مخطوط ـ

**التنبيه الثانى عذاب القبر على النفس والبدن وقيل غير ذلك**

( التنبيه الثانى )

الحق عند أهل السنة ان عذاب القبر على النفس والبدن قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون على الروح منفردة عن البدن ، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟ فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام . قال شيخ الاسلام وفي المسئلة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث ، أحدها قول من يقول ان النعيم والعذاب لا يكون الا على الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب . قال وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الابدان ، وهؤلاء كفار باجماع المسلمين ، ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وانما يكون عند القيام من القبور ، وهؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ، ويقولون ان الارواح هى المنعمة والمعذبة في البرزخ فاذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معا ، قال وهذا قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن ميسرة(١) ، قال وهذا ليس من الاقوال الشاذة بل هو مضاف الى قول من يقر بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الابدان والارواح ، ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال ، على الروح فقط، عليها وعلى البدن بواسطتها ، على البدن فقط ، وقد(٢) يضم الى ذلك القول الثانى وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هى الحياة - ويجعل الشاذ(٣) قول منكر عذاب الابدان مطلقا وقول من ينكر عذاب البرزخ(٤) مطلقا ؟ فاذا جعلت الاقوال الشاذة ثلاثة ( فالقول الثانى ) الشاذ قول من يقول ان الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وانما الروح هى الحياة ، وهذا

---

(١) فى الأصلين « مرة » والتصويب من كتاب الروح - مخطوط - وكذا ما يأتى .

(٢) فى الأصلين « وهل » .

(٣) فى الاصلين « الفساد » .

(٤) فى الاصلين « الروح » .

يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والاشعرية كالقاضى أبى بكر الباقلانى وغيره وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن ، وهو قول باطل، وقد خالفه أصحابه أبو المعالى الجوينى وغيره ، بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الامة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وانها منعمة أو معذبة • قال والفلاسفة الالهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الابدان وهؤلاء يقرون بمعاد الابدان لكن ينكرون معاد الارواح ونعيمها وعذابها بدون الابدان ، وكلا القولين خطأ وضلال نعم قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الاسلام وان وافقهم عليه من يعتقد أنه يتمسك بدين الاسلام بل يظن انه من أهل المعرفة والتصوف و (التحقيق في - ١) الكلام • (القول الثالث) من الشواذ قول من يقول أن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل ( لا - ١ ) يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك بعض المعتزلة وغيرهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الروح لا تبقى بعد فراق البدن وان البدن لا ينعم ولا يعذب ، فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ الا أنهم خير من الفلاسفة لانهم مقرون بالقيامة الكبرى • انتهى • فاذا علمت هذه الاقوال وعرفت بطلانها فاعلم أن مذهب سلف الامة وأئمتها أن الانسان اذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وانها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا من قبورهم الى رب المعاد ، قال ابن القيم : والذين قالوا ان عذاب القبر يجرى على الميت من غير رد الارواح الى الاجساد وان الميت يجوز أن يألم ويحس بالالام ويعلم بلا روح هم جماعة من الكرامية ومن وافقهم ، وقال جماعة من المعتزلة ان الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها ، قالوا وسبيل المعذبين من الموتى سبيل السكران والمغمى عليه لو ضربوهم لم يجدوا الآلام فاذا عاد اليهم العقل أحسوا بألم الضرب ، وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأسا مثل ( ضرار - ١ ) بن عمرو ويحيى

(١) من كتاب الروح •

ابن كامل وهو قول المريسى فهذه أقوال أهل الحيرة والضلال وقد علمت مذهب سلف الامة وأعيان الائمة والله أعلم •

**التنبيه الثالث عذاب القبر لا يختص بمن يقبر**

( الثـــالث )

تقدم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر ، وفي صحيح البخارى من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه في ذكر منام النبى صلى الله عليه وسلم الطويل ورؤيته المعذبين كيف يعذبون فانه نص في عذاب البرزخ ،ورؤيا الانبياء وحي مطابق لما في نفس الامر وبالله التوفيق •

**التنبيه الرابع قول ابن حزم لا يحيا الميت فى قبره**

( الرابع )

زعم أبو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل له أن من ظن الميت يحيا في قبره قبل يوم القيامة فقد أخطأ قال لأن الآيات تمنع من ذلك يعنى قوله تعالى ( ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ) وقوله تعالى ( كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيينكم ) قال ولو كان الميت يحيا في قبره لكان الله تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا ، قال وهذا باطل وخلاف القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبى من الانبياء والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم والذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها من خصه نص ، وكذلك قوله تعالى ( الله يتوفي الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ) قال فصح بنص القرآن ان أرواح سائر من ذكرنا لا ترجع الى أجسادهم الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة ،وذكر من مثل هذا تخيلات وهى !يات محكمات حملها على غير محاملها ، ثم قال : ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان أرواح الموتى ترد الى أجسادهم عند المسألة ولو صح ذلك لقلنا به ، قال وانما تفرد بهذه الزيادة من رد الارواح الى الاجساد في القبور المنهال ابن عمرو وليس بالقوى تركه شعبة[1] وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبى -وهو أحد الأئمة-:

---

(١) فى الاصلين « سعيد » •

ما جازت للمنهال بن عمرو قط شهادة في الاسلام ـ على ما قد نقل وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك ، قال وهذا الذى قلناه هو الذى صح أيضا عن الصحابة ، وذكر آثارا يزعم انها تدل على ما قال • قال الامام المحقق ابن القيم : ان أراد ابن حزم بقوله من ظن أن الميت يحيا في قبره الحياة المعهودة في الدنيا التى تقوم فيها الروح بالبدن وتصرفه وتدبره ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص وان أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا ليسئل ويمتحن في قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله « فتعاد روحه في جسده » في حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد فقال « أعوذ بالله من عذاب القبر » ثلاث مرات ثم قال « ان العبد المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها ـ الحديث ـ وفيه : فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول ديني الاسلام ، فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولان له وما علمك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ـ الحديث ـ وكذلك في حق الكافر وفيه : فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه ـ الحديث ـ رواه الامام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه أوله ورواه أبو عوانة الاسفرائني •

**تعقد ابن القيم**

للـروح خمس تعلقات بالبدن

قال ابن القيم ان قوله « ثم تعاد روحه في جسده » لا يدل على حيـــاة مستقرة وانما يدل على اعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة بدنها وان بلى وتمزق ، وسر ذلك ان الروح لها بالبدن خمســة أنواع من التعلق متغايرة الاحكام (أحدها) تعلقها به في بطن الأم جنينا (الثانى) تعلقها به بعد خروجه الى وجه الارض (الثالث) تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه (الرابع) تعلقها به في البرزخ فانهـــا وان فارقته وتجردت عنه فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها اليه التفات البتة ، وقد ذكرنا من الاحاديث ما يدل على ردها اليه ، وكذلك ثبت انهـا ترد اليه عند سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة (الخامس) تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو أكمل تعلقاتها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا • وقول ابن حزم في المنهال ما قال تحامل منه بارد فالمنهال ابن عمرو أحد الثقات العدول ، قال الامام يحيى بن معين : المنهال ثقة • وقال العجلي : كوفي ثقة • وأعظم ما قيل فيه انه سمع من بيته صوت غناء ، وهذا لا يوجب القدح في روايته • وتضعيف ابن حزم له غير معتبر فانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله «فتعاد روحه في جسده» وقد استدرك عليه زعمه تفرده بها الامام المحقق ابن القيم وبين انه لم ينفرد بها بل رواها غيره ، وقد روى ما هو أبلغ منها ونظيرها كقوله « فترد اليه روحه » وقوله «فيستوى جالسا» وقوله «فيجلسانه» وقوله «فيجلس في قبره» وكلها أحاديث صحاح لا مغمز فيها والاحاديث الصحيحة صريحة بخلاف ما زعم ابن حزم وأطال ابن القيم في ذلك بما يشفى ويكفى وبالله التوفيق •

(( فصل ))

فصل فى الكلام فى الروح والخلاف فى حقيقتها

في ذكر الروح والكلام عليها وقد أشار الى قطـــرة من بحر لجي من متعلقاتها فقال :

(( وإن أرواح الورى لم تعـدم مع كونهـا مخلوقة فاستفهم ))

(( و )) مما ينبغى العلم به (( ان أرواح )) بنى آدم جمع روح ، قـــد اختلف في حقيقتها وهل هى النفس أو غيرها ؟ وهل هى جزء من البـدن

أو عرض من أعراضه أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرد ؟ قد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف واضطربت فيها أقوالهم وكثر فيها خطاؤهم ، ومن الناس من أمسك عن الكلام والخوض فيها لقوله تعالى ( ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ) الآية وهدى الله أتباع الرسول وسلف الامة وأهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم • قال الامام ابن القيم بعد ما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم وذكر عدة مذاهب وزيفها ثم قال : والصحيح ان الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نورانى علوى خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ويسرى فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى هذا الجسم اللطيف متشابكا بهذه الاعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والارادة، واذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح • قال وهذا القول هو الصواب في المسئلة وهو الذى لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة • وذكر له مائة دليل وخمسة عشر دليلا وأجاد وأفاد وزيف كلام ابن سينا وابن حزم وأمثالهما ونحوهما •

## ( فائدة )

ذكر بعض المتكلمين ان محل الروح القلب واستدل له بحديث ابن عساكر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « أما النفس ففى القلب والقلب بالنياط والنياط يسقى العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق » وهذا حديث مرسل وقال الحافظ ابن حجر في الاصابة : فيه غريب كثير وأسانيده ضعيفة جدا والله أعلم • وأما اختلاف الناس في الروح وهل هى النفس أو غيرها ؟ فمن الناس من قال هما اسمان لمسمى واحد، وهذا قول الجمهور ، وقيل بل هما متغايران ، قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح : النفس

**معانى النفس**

تطلق على أمور ( أحدها ) الروح قال الجوهرى النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراش :

نجا سالما والنفس منه بشـــدقه     ولم ينج الاجفن سيف ومئزر

أى بجفن سيف ومئزر والنفس الدم يقول سالت نفسه ، وفى الحديث « مالانفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه » ، والنفس الجســـد قال الشاعر :

نبئت ان بنى تميم ادخـــلوا     أبياتهم تامور نفس المنـــذر

والنامور الدم ، والنفس العين يقال أصابت فلانا نفس أى عين • قال ابن القيم : ليس كما قال فالنفس ها هنا الروح ونسبة الاصابة الى العين توســع لانها تكون بواسطة النظر والذى أصابه انما هو نفس العائن • وتطلق النفس على الذات كقوله تعالى ( فسلموا على أنفسكم ـ ولا تقتلوا أنفسكم ـ يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ـ كل نفس بما كسبت رهينـــة ) وتطلق النفس على الروح وحدها كقوله تعالى ( يا أيتها النفس المطمئنة ـ وأخرجوا أنفسكم ـ ونهى النفس عن الهوى ) وقوله ( ان النفس لامارة بالسوء ـ ولا اقسم بالنفس اللوامة ) ، وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس ، وتطلق الروح على القرآن كقوله تعالى ( وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ) ، وعلى الوحي كقوله تعالى ( يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ) وقال ( وينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا انه لا اله الا أنا فاتقون ) وانما سمى ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة فان الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة • وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن وكذلك سميت الريح ريحا لما يحصل بها من الحياة وهى من ذوات الواو ولهذا تجمع على أرواح قال الشاعر :

**معانى الروح**

اذا هبت الارواح من نحو أرضكم     وجدت لمسراها على كبـــدى بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة ، فسميت النفس روحا لحصـــول الحياة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها واما من تنفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا ، ومنه النفس

بالتحريك ، فان العبد كلما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث عادت اليه أي رجعت له • قال الامام ابن القيم فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمى الدم نفسا لان خروجه الذى يكون مع الموت يلازم خروج النفس وأن الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس فلهذا المعنى قال السموأل :

**الفرق بين النفس والروح بالصفات لا بالذات**

تسيل على حد الظبات نفوسنا        وليست على غير الظبات تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع بكثرة وسرعة يقال أفاض اذا دفع باختياره وارادته وفاض اذا دفع قهرا وقسرا فالله سبحانه هو الذى يفيضها عند الموت فتفيض هى • وقالت فرقة من أهل الحديث والفقه والتصوف:الروح غير النفس ، قال مقاتل بن سليمان للانسان حياة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التى يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التى خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه ينقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه الروح (؟) أسرع من طرفة عين فاذا أراد الله تعالى أن يميته فى المنام أمسك تلك النفس التى خرجت • وقال أيضا : اذا نام خرجت نفسه وصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت فاخبرت الروح وتخبر الروح القلب فيصبح ويعلم انه قد رأى كيت و كيت • وقال أبو عبد الله ابن منده من علمائنا : ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس فالنفس طينية نارية والروح نورية روحانية • وزعم بعضهم أن الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وأن الخلق بها ابتلى •• وقال طائفة من أهل الاثر أن الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح ، والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو أعدى لابن آدم منها ، فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها ، والروح تدعو الى الآخرة وتؤثرها ، وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان مع النفس والهوى ، وجعل الملك مع العقل والروح والله سبحانه وتعالى يمدهما بالهامه وتوفيقه • وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها عن

الخلق • وقال بعضهم الارواح نور من نور الله وحياة من حيـــاة الله • وقالت طائفة للمؤمن ثلاث أرواح وللكافر والمنافق روح واحدة • وقال بعضهم للانبياء والصديقين خمس أرواح • وقال بعضهم الارواح روحانيـة خلقت من الملكون فان صفت رجعت الى الملكوت • ذكر هذا كله الامام ابن القيم في كتابه الروح ثم قال قلت الروح التى تتوفي وتفيض روح واحدة وهى النفس وأما ما يؤيد الله به أولياءه من الروح فهى روح أخرى غير هذه الروح كما قال تعالى ( أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ) وكذا التى أيد بها عيسى بن مريم عليه السلام في قوله تعالى ( اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس ) وكذلك الروح التى يلقيها على من يشاء من عباده هى غير الروح التى في البدن ، وأما القوى التى في البدن وان أطلق عليها أرواحا[1] كما يقال الروح الباصرة والروح السامعة والروح الشامة فهى قوى مودعة في الابدان تموت بموت الابدان وهى غير الروح التى لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى ، قال وتطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله تعالى والانابة اليـــه ومحبته وانبعاث الهمة الى طلبـــه وارادته ونسبة هذا الى الروح كنسـبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهى الروح التى يؤيد بها أهل ولايته ، ولهذا يقال فلان فيه روح وفلان ما فيه روح ، وللمحبة روح ، وللانابة روح ، وللتوكل والصدق روح ، والناس متفاوتون في هذه الارواح أعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضـــيا بهيميا والله المستعان (( الورى )) محله جر بالاضافة الى الارواح أى أرواح الورى، قال في القاموس : والورى كفتى الخلق • والمراد بنو آدم ومثلهم الجن فيما يظن لان التكليف والمعاد والحساب يشملهم (( لم تعدم )) بمـــوت الابدان التى كانت فيها ولا تموت هى ولا تفنى ، وزعمت طائفة انها تموت وتذوق الموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت ، قالوا : ودات الادلة على انه لا يبقى الا الله

---

(١) قوله وان أطلق عليها أرواحا الخ الذى فى كتاب الروح « فانهـــا تسمى أيضا أرواحا » الخ ولا يخلو كثير نقله من مثل هـــذا التصرف ولا نتعرض له ا هـ مصححه

تعالى وحده كما قال تعالى ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ) وقال تعالى ( كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ) قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى والدليل على عدمها عدم قدمها ولهذا قال الصواب عدم عدمها (( مع كونها )) أى الارواح (( مخلوقة )) لله تعالى ومحدثة ومربوبة أوجدها بعد أن لم تكن ((فاستفهم)) أى اطلب علم ذلك من مظانه واستكشفه من مكامنه، يقال فهم كفرح فهما ويحرك وهى أفصح وفهامة وفهامية علم الشيء وعرفه بالقلب وهو فهم ككتف سريع الفهم واستفهمنى طلب منى فهم المطلوب فأفهمته وفهمته ، فالفهم قوة من شأنها ان تعد النفس لاكتساب الآراء، والذكاء جودة تلك القوة، والذهن قيل يرادف الفهم وقدمه في القاموس فقال: الذهن بالكسر الفهم والعقل وحفظ القلب والفطنة • وقال غيره الذهن هو نفس القوة والفهم استعمالها • وانما حث على طلب الفهم في ذلك وامعان التدقيق لادراك تلك المدارك لاختلاف مقالات الناس في هذا المقام ولانه مزلة أقدام ومظنة أوهام • وحاصل ذلك انه ذكر مسألتين عظيمتين الاولى أن الروح مخلوقة ومحدثة والثانية ان العدم لا يدركها والفناء لا يلحقها، ولنذكر أدلة كل مسئلة وحكمها وما فيها من الخطأ والصواب على حدتها، ولنقدم أولا ما أخره في النظم نظرا للواقع فنقول :

**الفهم والذكاء والذهن**

**مسألتان الأولى الروح مخلوقة باجماع الرسل**

اعلم رحمك الله ان هذه المسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف من بنى آدم وهدى الله اتباع رسله فيها للحق المبين والصواب المستبين فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على ان روح الانسان محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما يعلم بالاضطرار من دينهم ان العالم حادث وان معاد الابدان واقع وان الله تعالى وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون المفضلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وانها مخلوقة حتى نبغت نابغة ممن تصرفهم في الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير مخلوقة واحتج لذلك انها من أمر الله وأمر الله غير مخلوق وبأن الله أضافها اليه كما أضاف اليه علمه وكتابه

وقدرته وسمعه وبصره ويده • وتوقف آخرون فقالوا لا نقول مخلوقةولا غير مخلوقة •

**كلام ابن منده في خلق الروح**

وقد سئل عن ذلك حافظ اصبهان أبو عبد الله ابن منده من أعيان علمائنا فقال : أما بعد فأن سائلا يسأل عن الروح التي جعلها الله سبحانه قوام أنفس الخلق وأبدانهم وذكر أقواما تكلموا في الروح وزعموا أنها غير مخلوقة وخص بعضهم منها أرواح القدس وانها من ذات الله، قال وأنا أذكر أقاويل متقدميهم وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والاثر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم وأوضح به خطأ المتكلم في الروح بغير علم وان كلامهم يوافق قول جهم بن صفوان وأصحابه • فذكر أن الناس اختلفوا في معرفة الارواح ومحلها من النفس فقال بعضهم الارواح كلها مخلوقة ، قال وهذا مذهب أهل الجماعة والاثر واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم «الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» رواه الامام أحمد ومسلم وأبو داود من حديث ابى هريرة رضى الله عنه، ورواه البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها ، ورواه الطبرانى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، وروى أيضا من حديث سلمان الفارسى وعبدالله بن عباس وأمير المؤمنين على بن أبي طالب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عنبسة رضى الله عنهم أجمعين ، والجنود المجندة لا تكون الا مخلوقة • وقال بعضهم الارواح من أمر الله أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق

**أقوال المخالفين**

واحتجت بقوله تعالى ( قل الروح من أمر ربى ) وقال بعضهم الارواح نور من الله تعالى وحياة من حياته واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره ــ وتمام الحديث ــ فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل » رواه الامام أحمد والترمذى والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما • وقال محمد بن نصر المروزى فى كتابه تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ابن آدم ماتأولته النصارى في روح عيسى وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله تعالى وتقدست اسماؤه فصار في المؤمن فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعا لان عيسى عندهم

روح الله فصار في مريم فهو غير مخلوق عندهم • وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح آدم عليه السلام مثل ذلك انه غير مخلوق وتأولوا قوله ( ونفخت فيه من روحي ) وقوله ( ثم سواه ونفخ فيه من روحه ) فزعموا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال ان النور من الرب غير مخلوق ، قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ثم هو في كل نبي ووصي الى ان صار في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم في ابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما ثم في كل وصي وامام فبه يعلم الامام كل شيء لا يحتاج ان يتعلم من أحد • قال ولا خلاف بين المسلمين ان الارواح في آدم وبنيه عيسى ومن سواه من بني آدم كلها مخلوقة لله خلقها وأنشأها وكونها وأخبر عنها ثم أضافها الى نفسه كما أضاف اليه سائر خلقه قال تعالى ( وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه )

**كلام شيخ الاسلام**

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : روح الآدمي مخلوقة مبتدعة باتفاق الامة وأئمتها وسائر أهل السنة ، وقد حكى اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك أبو محمد ابن قتيبة • وقال الامام أبو اسحق ابن شاقلا من أئمة علمائنا وهذا - يعني كون الروح مخلوقة - مما لا يشك فيه من وفق للصواب ان الروح من الاشياء المخلوقة •

**كلام ابن القيم**

قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح ، قد تكلم في هذه المسئلة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم انها غير مخلوقة وصنف الحافظ أبو عبد الله ابن منده في ذلك كتابا كبيرا وقبله الامام محمد ابن نصر المروزي وغيره والشيخ أبو سعيد الخراز وأبو يعقوب النهرجوري والقاضي أبو يعلى وقد نص على ذلك الائمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى بن مريم عليه السلام فكيف بروح غيره كما ذكره

**رد الأمام احمد على الزنادقة والجهمية**

الامام أحمد رضي الله عنه في ما كتبه في محبسه في الرد على الزنادقة والجهمية - قال : ثم ان الجهمي ادعى أمرا فقال انا أجد آية في كتاب الله مما يدل على ان القرآن مخلوق قول الله تعالى ( انما المسيح عيسى بن مريم

رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ) وعيسى مخلوق • قلنا له‌ان الله منعك الفهم للقرآن ان عيسى تجرى عليه ألفاظ لا تجرى على القرآن لانا نسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهى ويجرى عليه الخطاب والوعدوالوعيد ثم هومن‌ذرية نوح ومن‌ذرية ابراهيم فلا يحل لنا ان نقول في القرآن ما نقول في عيسى - الى ان قال - والكلمة التى ألقاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكن من الله قولا وليس كن مخـــلوقا ، وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى ، وذلك‌ان‌الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا أن كلمته مخلوقة ، وقـالت النصارى عيسى روح الله وكلمته فالكلمة من ذاته كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب ، قلنا نحن ان عيسى بالكلمة كان وليس هو الكلمة وانما الكلمة قول الله وقوله‌تعالى (وروح‌منه) يقول من أمره كان الروح فيه كقوله ( وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ) يقول من أمره ، وتفسير روح الله انمامعناها بكلمةالله كما يقال عبد الله وسماء الله وأرض الله • فقد صرح بأن روح المسيـح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد أضاف الله اليه روح الذى أرسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم‌يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق فقال تعالى ( فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت أنى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا * قال أنما أنا رسول ربك ) فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله •

**الاضافة الى الله نوعان**

ومما ينبغى ان يعلم ان المضاف الى الله سبحانه نوعان صـــفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر وهذه اضافة صـــفة الى الموصوف بها فالعلم والقدرة الخ صفات له تعالى غير مخلوقة وكذا وجهه ويده ونحو ذلك من الصفات الخبرية والذاتية وكذا الفعلية مـن التكوين والمحبة والرضا ونحوها ، في مذهب السلف كما مر ( والثانى ) اضافة أعيان منفصلة كبيت الله وناقة الله وعبد الله ورسول الله وكذلك روح الله فهذه اضافة مخلوق الى خالقه ومصنوع الى صانعه لكنهـــا تقتضى تخصيصا أو تشريفا يتميز به المضاف اليه عن غيره كبيت الله وان كانت كل البيوت لله

ملكا له وكذلك ناقةالله والنوق كلها ملكه وخلقه ولكن هذه اضـــافة الى الهيته تقتضى محبته لها وتكريمه وتشريفه بخلاف الاضافة العامةالى ربوبيته حيث تقتضى خلقه وايجاده فالاضافة العامة تقتضى الخلق والايجاد والخاصة تقتضى الاختيار ( والله يخلق ما يشاء ويختار ) فاضافة الروح اليه تعـالى من هذه الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب اضافة الصفات. فتأمل هذا الموضع فانه نفيس ويخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس كما أوضحه وبرهن عليه وبينه الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح وقال ان الروح توصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا من شأن المحدث المربوب وأطال في الاحتجاج ودفع مقالات أهل البدع واللجـــاج وثمرة ذلك كون الروح مخلوقة بالاجماع والله تعالى الموفق •

المسألة الثانية

**المسألة الثانيـة فى عدم فنـــاء الروح**

مما ذكر في أصل العقيدة بقاء الارواح وانه لا يلحقها عدم ولا فناء ولا اضمحلال لانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان وقد دلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الإرواح وعذابها بعد مفارقتها لابدانها الى أن يرجعها الله تعالى اليها ولو ماتت الارواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال الله تعالى ( ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهـــم من خلفهم ) مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم وقد ذاقت الموت، قال المحقق ابن القيم : الصواب ان موت النفوس هو مفارقتها لاجسادها وخروجها منها فأن اريد بموتها هذا القدر فهى ذائقة الموت وان أريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فانها لا تموت بهذا الاعتبار بل هى باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب ، وقد نظم أحمد بن الحسين الكندى هذا الاختلاف في قوله :

تنازع النـــاس حتى لا اتفاق لهم   الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء ســـــالمة   وقيـــل تشرك جسم المرء في العطب

**هل تموت عند النـــفخ فـى الصور ؟**

الشجب بالشين المعجمة والجيم فموحدة محركا الحزن والعنت يصيب من مرض أو قتال كما في القاموس • فان قيل فبعد النفخ في الصور هل تبقى الارواح حية كما هى أو تموت ثم تحيا ؟ فالجواب قد قال الله تعالى (ونفخ

**من المستثنى من الصعق**

في الصور فصعق من السموات ومن في الارض الا من شاءالله ) فقد استثنى الله تعالى بعض من في السموات ومن في الارض من هذا الصعق فقيل هم الشهداء ، وهذا قول أبى هريرة وابن عباس رضى الله عنهم وسعيد بن جبير رحمه الله وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ، وهو قول مقاتل وغيره ، وقيل هم الذين في الجنة من الحورالعين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها ، قال الامام أبو اسحاق ابن شاقلا من أصحابنا ، وقد نص امامنا الامام أحمد رضى الله عنه على ان الحور العين والولدان لا يموتون عند النفخ في الصور ، وقد أخبرنا سبحانه ان أهل الجنة ( لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ) وهذا نص على انهم لا يموتون غير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتان ، وأما قول أهل النار ( ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ) فتفسر هذه الآية الآية التى في سورة البقرة وهى قوله تعالى ( كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك اماتة ارواحهم قبل يوم القيامة والا كانت ثلاث موتات .

وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها ففى الحديث الصحيح « ان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا ادرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة يوم الطور» فهذا صعق في موقف القيامة اذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الارض بنوره فحينئذ يصعق الخلائق كلهم قال تعالى ( فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ) ولو كان هذا الصعق موتا لكانت موتة أخرى . قال الامام المحقق ابن القيم في كتاب الروح : وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء فقال ابو عبد الله القرطبى : ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة غشى تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عند نفخ الصور ، قال وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو : ظاهر حديث النبى صلى الله عليه وسلم يدل على ان هذه الصعقة انما هى بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضى ان ذلك الاستثناء انما هو بعد نفخة الصعق ، ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل

ان يكون موسى عليه السلام ممن لم يمت من الانبياء • وهذا باطل • وقال القاضى عياض يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السموات والارض قال فتنسق الاحاديث والآثار • ورد عليه أبو العباس القرطبى فقال يرد هذا قوله في الحديث الصحيح انه حين يخرج من قبره يلقى موسى آخذا بقائمة العرش ، قال وهذا انما هو عند نفخة الفزع • قال أبو عبد الله القرطبى قال شيخنا أحمد بن عمرو الذى يزيح هذا الاشكال ان شاء الله تعالى ان الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد موتهم وقتلهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وهذه صفة الاحياء في الدنيا ، واذا كان هذا في الشهداء كان الانبياء بذلك أحق وأولى ، مع انه قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الارض لا تأكل أجساد الانبياء وانه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصا بموسى عليه وعليهم السلام ، وقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم انه ما من مسلم يسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الانبياء انما هو راجع الى أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فأنهم أحياء موجودون ولا نراهم ، واذا تقرر أنهم أحياء فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات والارض الا من شاء الله فاذا صعق غير الانبياء موت ، وأما صعق الانبياء فالاظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيى ومن غشى عليه أفاق ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته « فأكون أول من يفيق » فنبينا صلى الله عليه وسلم أول من يخرج من قبره قبل جميع الناس الا موسى فانه حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته أو بقى على الحالة التى كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقا لانه حوسب بصعقة يوم الطور ، وهذه فضيلة عظيمة لموسى عليه السلام ، ولا يلزم من فضيلة واحدة فضيلة موسى عليه السلام على نبينا مطلقا لأن الشيء الجزئى لا يوجب أمرا كليا • انتهى • قال أبو عبد الله القرطبى ان حمل الحديث على صعقة الخلق يوم القيامة فلا

اشكال وان حمل على صعقة الموت عند النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيامة مرادا به أوائله فالمعنى اذا نفخ في الصور نفخة البعث كنت أول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلي أم جوزى بصعقة الطور • قال المحقق ابن القيم وحمل الحديث على هذا لا يصح لانه صلى الله عليه وسلم تردد هل أفاق موسى قبله أو لم يصعق• بل جوزي بصعقة الطور ، فالمعنى لا أدرى أصعق أم لم يصعق ، وقد قال في الحديث فأكون أول من يفيق ، وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم يصعق فيمن يصعق ، ولو كان المراد به الصعقة الاولى وهى صعقة الموت لكان قد جزم بموته وتردد هل مات موسى أو لم يمت ، وهذا باطل لوجوه كثيرة ، فعلم انها صعقة فزع لا صعقة موت ، وحينئذ فلا تدل الآية على أن الارواح تموت عند النفخة الاولى ، نعم تدل على موت الخلائق عند النفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقه حينئذ وأما من ذاق الموت أو لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية على انه يموت موتة ثانية واللهأعلم (١)•

( تتمـــــة )

( مسائل مما نحن بصدده من أمر الروح )

**تتمة فى مسائل**

**الأولى الأرواح خلقت قبل أم الاجساد ؟**

**دلائل تقدم الأرواح**

(الاولى) اختلف في خلق الارواح هل كان قبل الاجساد أو تأخرعنها ؟ فللناس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام ابن تيميةوتلميذه المحقق ابن القيم وغيرهما وممن ذهب الى تقدم خلق الارواح علىالاجساد محمدبن نصر المروزى وأبو محمد ابن حزم بل حكاه ابن حزم اجماعا ، واحتج من قال بذلك بحجج منها قوله تعالى ( ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ) وثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الآية الكريمة ان خلقنا مقدم على أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ومن المعلوم قطعا ان أبداننا حادثة بعد ذلك فعلم انها الارواح ، قالوا ويدل عليه قوله

**آية ( واذا أخذ ربك)وتفسيرها**

تعالى ( واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ) وهذا الاستنطاق والاشهاد انما كان

(١) راجع كتاب الروح فان فيه كلاما فى الاحاديث وان رواية « أم كان ممن استثنى الله » خطأ • والصواب رواية « أم جوزى بصعقة يوم الطور »•

لأرواحنا اذ لم تكن الابدان حينئذ موجودة ، ففى موطأ الامام مالك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية ( واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ) فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل عنها فقال « خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون » فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنةفيدخل به الجنة ، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال اهل النار فيدخله به النار » قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم • وروى الحاكم من حديث أبى هريرة مرفوعا « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة أمثال الذر ثم جعل بين‌عينى كل انسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يارب ؟ فقال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلا منهم اعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا ؟ فقال : هذا ابنك داود يكون في آخر الامم ، قال كم جعلت له من العمر ؟ قال ستين سنة ، قال يا رب زده من عمرى أربعين‌سنة ، فقال الله اذا يكتب فيختم فلا يبدل ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال : أو لم يبق‌من‌عمرى أربعون سنة ؟ فقال : أو لم تجعلها لابنك داود ؟ قال فجحد فجحدت ذريته ، ونسى فنسيت ذريته ، وخطىء فخطئت ذريته » قال الحاكم : هذا على شرط مسلم• ورواه الترمذى وقال : هذا حديث حسن صحيح • ورواه الامام أحمد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول من‌جحد آدم‌عليه السلام » وزاد ابن سعد : ثم أكمل الله لآدم ألف سنة ولداود مائة سنة • وفي صحيح الحاكم أيضا عن أبى بن كعب‌رضى الله عنه في قوله تعالى ( واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ) الآية قال جمعهم له يومئذ جميعا ما هو كائن الى‌يوم القيامة فجعلهم أرواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على

أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين • قال : فانى أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بى شيئا فانى أرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى وانزل عليكم كتبى • فقالوا انا نشهد انك ربنا وآلهنا لا رب لنا غيرك • ورفع لهم أبوهم آدم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك ، فقال انى احب أن أشكر ، ورأى فيهم الانبياء مثل السرج وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله تعالى ) واذ أخذنا من النبيين ميثاق ومنك ومن نوح ) وهو قوله ( فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ) وهو قوله ( هذا نذير من النذر الاولى ) وقوله ( وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ) قال وكان روح عيسى من تلك الارواح التى أخذ عليها الميثاق فأرسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها • وهذا اسناد صحيح • وأخرجه اسحاق بن راهويه ، ورواه محمد بن نصر المروزى من حديث عبد الله بن سلام ، وقد روى ذلك من وجوه متعددة عن جماعة من الصحابة متعددة وفيه انه أخرجهم مثل الذر ومثل اللؤلؤ بياضا • وروى اسحاق ثنا روح بن عبادة ثنا موسى بن عبيدة الربذى قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول فى هذه الآية اقروا له بالايمان والمعرفة الارواح قبل أن تخلق أجسادها • قال وثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن عطاء في هذه الآية قال أخرجوا من صلب آدم حين اخذ الميثاق ثم ردوا في صلبه • وأخرج عن الضحاك قال ان الله اخرج من ظهر آدم يوم خلقه ما يكون الى يوم القيامة فأخرجهم مثل الذر فقال ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، ثم قبض قبضة بيمينه فقال : هؤلاء في الجنة ، وقبض أخرى وقال : هؤلاء في النار • واحتجوا أيضا بما أخرجه الامام ( ابو ) عبد الله ابن منده من حديث عمرو بن عبسة رضى الله عنه مرفوعا ان الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفى عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

دلائـــل تأخر الأرواح

وقال الآخرون بل خلقت الاجساد قبل الارواح واحتجوا بحجج منها قوله تعالى ( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ) وهذا خطاب للانسان الذى هو روح وبدن فدل ان جملته مخلوقة بعد خلق الابوين واصرح منه قوله ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ) وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانسانى بعد حلق اصله • وأيضا فخلق أبى البشر وأصلهم كـــان هكذا فان الله أرسل جبريل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صـــارت طينا ثم صوره ثم نفخ فيه الروح بعد أن صوره فلما دخلت الروح فيه صار لحما ودما حيا ناطقا ففى تفسير ابى مالك وأبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك السماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع فى صدره وقال ما أعطانى الله هذا الا لمزية لى ، وفي لفظ الالمزية لى على الملائكة • فلما وقع ذلك الكبر في نفسه اطلع الله على ذلك منه فقال الله تعالى لملائكته انى جاعل فى الارض خليفة ـ وذكر الاثر الى ان قال : فبعث جبريل الى الارض ليأتيه بطين منها فقالت الارض انى أعوذ بالله منك ان تقبض منى ، فرجع ولم يأخذ وقال : رب انها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعادها ، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم انفذ أمره ، فأخذ من وجه الارض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد ، فأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به قبل الرب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذى يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة ( انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ) فخلقه الله بيده لكيلا يتكـــبر ابليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدى ولم أتكبر أنا عنه ، فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم فزعا منه ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصـــوت

الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول ( من صلصال كالفخار ) ويقول لامر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه، فلما بلغ الحين الذى يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه الروح فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك، فلما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل أن يبلغ الروح رجليه فنهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى ( خلق الانسان من عجل ) ـ وذكر باقى الحديث • فالقرآن والحديث والآثار تدل على انه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ، ولا تعجبوا من خلق النار فى حديث ابن زيد « ان الله لما خلق النار ذعرت منها الملائكة ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولاى شىء خلقتها ؟ قال لمن عصانى من خلقى ولم يكن لله خلق يومئذ الا الملائكة والارض ليس فيها خلق انما خلق آدم بعد » ـ الحديث • فلو كانت الارواح مخلوقة يومئذ لما تعجبت الملائكة من خلق النار وقالت لأى شىء خلقتها وهى ترى أرواح بنى آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث • ولأن النبى صلى الله عليه وسلم اخبر في الحديث الصحيح الذى في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود رضى الله عنه « ان خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح » فالملك وحده يرسل اليه فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها في بدنه ، وانما أرسل اليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا انه تعالى أرسل اليه الروح التى كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك ففرق بين ان يرسل اليه ملك ينفخ فيه الروح وبين ان يرسل اليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك ، وتامل ما دل عليه النص قال ابن القيم في كتابه الروح

واختار أن خلق الجسد مقدم على خلق الروح وزيف كلام ابـــن حزم وغيره بما يطول ذكره ، وحاصل ما ذكر أن الذى استدلوا به من أخذالله الميثاق على ذرية آدم والعهد والاشهاد لا يدل على تقدم خلق الارواح قبل الاجساد خلقا مستقرا وانما غايتها ان تدل على اخراج صورهم وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم الى اصلهم ان صح الخبر بذلك ، والذى صح انما هو القدر السابق وتقسيمهم الى شقي وسعيد ، واما استدلال أبى محمد ابن حزم بقوله تعالى ( ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنـا للملائكة اسجدوا لآدم ) فلائق هذا الاستدلال بظاهريته لترتب الامر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا • والخطاب للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متأخر عن خلق آدم عليه السلام ، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهمـــا ( ولقد خلقناكم ) يعني ادم ( ثم صورناكم ) في ظهر آدم • وانما قال خلقناكم بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما يقال ضربناكم وانما ضربت سيدهم • قال وأما حديث خلق الارواح قبل الاجساد بألفى عام فلا يصح اسناده فان فيه عتبة بن السكن قال الدارقطنى متروك ، وفيه ايضا ارطاة بن المنـــذر بعض أحاديثه غلط • والحاصل ان الذى ذهب اليه ابن القيم تبعا لشيخه وجموع ان خلق الاجساد مقدم على خلق الارواح • وذهب محمد بن نصر المروزى وأبو محمد ابن حزم والامام اسحاق بن راهويه الى تقـدم خلـق الارواح وبالله التوفيق •

**فائدتـان الأولى ميثاق عالم الذر أخذ بعرفة**

## ( فائـــدتان )

( الاولى ) روى الامام أحمد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « أخذ الله عز وجل الميثاق من ظهـــر آدم بنعمان – يعنى عرفة – فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنشرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » قال الحافظ ابن الجوزى في كتابة مثير الغرام الساكن الى اشرف الاماكن : هذا الحديث يدل على أن ذلك المكان أول وطن والنفس أبدا تنازع الى الوطن الاول •

**الثانية ايداع الميثـاق الحجر الاسود**

( الثانية ) ذكر الامام ابو الفرج ابن الجوزى في الكتاب المذكور أن الله

عز وجل لما اخذ الميثاق كتب كتابا على الذرية فألقمه هذا الحجر - يعنى الحجر الاسود - فهو يشهد للمؤمن بالوفاء وعلى الكافر بالجحود • قال وهذا مروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقال العلماء ولهذه العلة يقول لامسه : ايمانا بك ووفاء بعهدك • انتهى •

المسألة الثانية أين مستقر الارواح فى البرزخ ؟

( المسألة الثانية )

من مسائل متعلقات الروح أين مستقر الارواح ما بين الموت الى يوم القيامة ؟ هل في السماء، أم في الارض ؟ وهل هى فى الجنة والنار ام لا ؟ وهل تودع في أجساد أم تكون مجردة ؟ فهذه من المسائل العظام قد تكلم فيها الناس واختلفوا في ذلك وهى انما تتلقى من السمع فقط ، ومع ذلك فقد اختلفت فيها أقوال العلماء ، وتباينت فى محالها آراء الفضلا ، فقال قوم : أرواح المؤمنين عند الله فى الجنة شهداء كانوا أو غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالقبول والرحمة لهم ، وهذا مذهب ابى هريرة وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهم ومن نحا نحوهم • وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها • وقالت طائفة الارواح على أفنية قبورها • وقال الامام مالك بلغنى ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت • وقال الامام احمد في رواية ابنه عبد الله أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين فى الجنة • وقال ابو عبد الله ابن منده قالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله عز وجل - ولم يزيدوا على ذلك ، قال وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت • وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لأنفس المؤمنين مجتمع ؟ فقال ان الارض التى يقول الله ( ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون ) قال هى الارض التى تجتمع اليها أرواح المؤمنين حين يكون البعث ، وقالوا هى الارض التى يورثها الله المؤمنين في الدنيا ، وقال كعب : أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة ، وأرواح الكفار في سجين في الارض السابعة تحت خد [1] ابليس وقالت طائفة أرواح المؤمنين

(١) مثله فى كتاب الروح ووقع فى مخ « حذاء » •

ببئرزمزم وأرواح الكفار ببئر برهوت • وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت • وهذا مثل قول الامام مالك بل هو مستند له • وقالت طائفة ارواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله • وقال ابن حزم ومن وافقه مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها • بناء على مذهبه الذى اختاره وهو أن الارواح مخلوقة قبل الاجساد ، وتقدم ما فيه • قال الامام المحقق ابن القيم : جمهور الناس على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا ما فهموه من نصوص لا تدل على ذلك ، والحاصل ان مدار حججهم على أخبار غير صحيحة أو نصوص صحيحة ولكن دلالتها على ما زعموه غير صريحة ، وقوله مستقرها بعد مفارقة أبدانها في البرزخ الذى كانت فيه قبل خلق أجسادها مبنى على ما ذكر من اعتقاده وان أرواح السعداء عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الاشقياء عن يساره ، وزعمه ان ذلك عند منقطع العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه أقوال أهل الاسلام ، والاحاديث الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة ، وأدلة القرآن تدل على ذلك ، وقد وافق ابن حزم الجمهور على أن أرواح الشهداء في الجنة ، ومعلوم ان الصديقين أفضل منهم فكيف تكون روح أبى بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وأبى الدرداء وحذيفة بن اليمان وأشباههم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا العالم الادنى تحت السماء الدنيا وتكون أرواح شهداء زماننا فوق العناصر وفوق السموات • وأما زعم أبى محمد ابن حزم ان الامام اسحاق بن راهويه ذكر ما قاله وذهب اليه بعينه وقال وعلى هذا جميع أهل الاسلام — باطل ، فان اسحاق لم يقل ان مستقر الارواح عند انقطاع العناصر وانما قال محمد بن نصر المروزى في كتابه الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى ( واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ) الآية فذكر الآثار التى ذكرها السلف من استخراج ذرية آدم من صلبه ثم اخذ الميثاق عليهم وردهم في صلبه وأنه أخرجهم مثل الذر وانه قسمهم اذ ذاك الى شقى وسعيد وكتب آجالهم

وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر ، ثم قال اسحاق أجمع أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم الآية ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل • هذا نص كلامه وهو كما ترى لا يدل على ان مستقر الارواح ماذكر ابن حزم حيث منقطع العناصر بوجه من الوجوه بل ولا يدل على ان الارواح كانت قبل الاجساد بل انما يدل على انه سبحانه أخرجها حينئذ فخاطبها ثم ردها الى صلب آدم • وهذا وان كان قد قاله جماعة من السلف والخلف كما مر فالذى صححه ابن القيم والجمهور خلافه • ولو سلم ان خلق الارواح قبل الاجساد لم يكن فيه دليل على ان مستقر الارواح حيث منقطع العناصر ولا ان ذلك الموضع كان مستقرها أولا •

وقالت طائفة مستقر الارواح بعد مفارقة أبدانها العدم المحض ، وهذا ايضا باطل لا يلتفت اليه فان صاحب هذا القول يزعم ان الروح عرض من أعراض البدن وهو الحياة وبه قال ابن الباقلانى ومن وافقه وكذا قال أبو الهذيل العلاف المعتزلى النفس عرض من الاعراض ولم يعنيه انه الحياة كما عينه ابن الباقلانى بل قال الروح عرض كسائر أعراض الجسم ، وهؤلاء عندهم ان الجسم اذا مات عدمت روحه فلا تعذب ولا تنعم وانما يعذب وينعم الجسد اذا شاء الله تعذيبه وتنعيمه رد اليه الحياة في وقت يريد تنعيمه وتعذيبه والا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة • وقال بعض أرباب هذا القول ترد الحياة الى عجب الذنب ، قال الامام ابن القيم وهذا قول يرده الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأدلة العقول والفطر ، قال وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره والله أعلم •

**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر**

وقالت طائفة أخرى مستقر الارواح بعد الموت أبدان أخر غير هذه الابدان فهذا فيه حق وباطل فحقه ما أخبر به الصادق المصدوق عن أرواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تأوى الى قناديل معلقة بالعرش هى لها كالاوكار للطائر ، وقد صرح بذلك في قوله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » يحتمل أن يكون هذا الطائر مركبا للروح كالبدن لها ويكون ذلك

لبعض المؤمنين والشهداء ، ويحتمل أن تكون الروح صورة طائر وهـذا اختيار ابن حزم وابن عبد البر ، قال ابن حزم معنى ذلك ان نسمة المؤمن طائر يعلق يعنى انها تطير في الجنة لا انها تمسخ في صورة الطير ، قال ابن حزم وأما الزيادة التى فيها انها في حواصل طير خضر فانها صـفة تلـك القناديل التى تأويها ، قال والحديثان معا حديث واحد ، قال المحقق ابـن القيم وهذا الذى قاله في غاية الفساد لفظا ومعنى فان حديث « نسمةالمؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » غير حديث أرواح الشهداء في حواصل طـير خضر ، والذى ذكره محتمل في الاول وأما الثانى فلا يحتمله بوجه فانه صلى الله عليه وسلم أخبر أن أرواحهم في حواصل طير ، وفي لفظ آخر : في أجواف طير خضر ، وفي لفظ بيض ، وان تلـك الطير تسرح في الجنة فتأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها ثم تأوى الى قناديل تحت العرش هى لها كالاوكار للطائر ، وقوله ان حواصل تلك الطير هى صفة تلك القناديل التى تأوى اليها خطأ قطعا بل تلك القناديل مأوى لتلك الطير ، فهنا ثلاثـة أمور وشرح بها الحديث أرواح وطير هى في أجوافها وقناديل مأوى لتلك الطير والقناديل مستقرة تحت العرش لا تسرح والطـير تسرح وتذهـب وتجيء والارواح في أجوافها • فان قيل يحتمل ان تجعل نفسها في صورة طير لا انها تركب في بدن طير كما قال تعالى ( في أى صورة ما شاء ركبك) ويدل عليه قوله في اللفظ الآخر أرواحهم كطير خضر كما رواه ابن أبى شيبة قال أبو عمر بن عبد البر : الاشبه عندى والله أعلم ان يكون القول قول من قال كطير أو صورة طير لمطابقته لحديث نسمة المؤمن • وقد أجاب المحقق بان هذا الحديث قد روى بهذين اللفظين والذى في صحيح مسلم من حديث الاعمش عن مسروق « أرواحهم في جوف طير خضر » وقـد رواه ابن عباس وكعب بن مالك فلم يختلف حديثهما في انها في أجـواف طير خضر • قـال المحقق ولا محذور في هذا ولا يبطل قاعدة من قواعد الشرح ولا يخالف نصا من كتاب الله ولا سنة عن رسول الله بل هذا من تمام اكرام الله للشهداء ان أعاضهم من أبدانهم التى مزقوها لله تعالى أبدانا أخر خيرا منها تكون مركبا لارواحهم ليحصل بها كمال تنعيمهم فاذا كان يوم

**لامحذور فى هذا وليس من التناسخ الباطل**

القيامة رد أرواحهم الى تلك الابدان التى كانت فيها في الدنيا. فان قيل هذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح في أبدان غير أبدانها التى كانت فيها، فالجواب هذا معنى دلت عليه السنة الصحيحة الصريحة حق يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المسمى له تناسخا كنظائره مما دل عليه النقل ولم يحله العقل من صفات الله تعالى وحقائق أسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيبا وتجسيما، قال سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه لا نزيل عن الله عز وجل صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين. فان هذا شأن أهل البدع يلقبون أهل السنة وأقوالهم بالالقاب التى ينفرون عنها الجهال ويسمونها حشوا وتركيبا وتجسيما، ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزا وجهة ليتوصلوا بذلك الى نفى استوائه وعلوه على خلقه، وكما تسمى الرافضة موالاة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصبا، وأمثال ذلك، والمقصود أن ( تسمية ـ ١ ) ما دلت عليه السنة الصريحة من جعل أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تناسخا لا يبطل هذا المعنى.

**بطلان التناسخ**

وأما ما اشتمل عليه من الباطل فالتناسخ الباطل الذى يقوله أعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعاد ويزعمون ان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التى كانت تناسبها وتشاكلها فاذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى أبدان تلك الحيوانات فتنعم فيها وتعذب ثم تفارقها وتحل في أبدان أخر تناسب أعمالها وأخلاقها وهلم جرا، فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك، فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفق عليه الرسل والانبياء من أولهم الى آخرهم وهو كفر بالله وباليوم الآخر، فهذه الطائفة تقول ان مستقر الارواح بعد مفارقة أبدانها الاصلية أبدان الحيوانات التى تناسبها وهو أبطل قول وأخبثه.

**وقول من يزعم ان الارواح تعدم**

ويليه قول من يزعم ان الارواح تعدم جملة بالموت ولا يبقى هناك روح تنعم ولا تعذب بل النعيم يقع على أجزاء الجسد أو على جزء منه أما عجب

---

(١) من كتاب الروح

الذنب أو غيره فيخلق الله فيه الالم واللذة أما بواسطة رد الحياة كما قاله بعض أرباب هذا القول او بدون رد الحياة كما قاله آخرون منهم فهـؤلاء عندهم لا عذاب في البرزخ الا على الاجساد • ويقابله من يقول ان الروح لا تعاد الى الجسد بوجه ولا تتصل به والعذاب والنعيم على الروح فقط • والصحيح خلاف هؤلاء وهؤلاء فالسنة الصحيحة المتواترة تبين ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومتفرقين •

**النظر في الاقوال المختلفة**

وأما قول من قال ان أرواح المؤمنين تجمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صحابى يجب ان يوثق به • وأما قول من قال ان أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت فقال ابن حزم هذا من قول الرافضة ، قال الامام المحقق : وليس كما قال بل قاله جماعة من أهل السنة، قال الحافظ ابو عبد الله ابن منـــده روى عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية ـ ثم روى بسنده عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو انه قال أرواح المؤمنين تجتمع بالجـابية وأن أرواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت • ثم روى بسنده عن شهر بن حوشب أن كعبا رأى عبد الله بن عمرو وقد تكاب الناس عليه يسألونه فقال له رجل (؟) سله أين ارواح المؤمنين وأرواح الكفار ؟ فسأله فقال : أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت قال ابن منده ورواه ابو داود وغيره • ثم ساق بسنده عن ابى الطفيل عن على قال : خير بئر في الارض زمزم وشر بئر في الارض برهـوت بئر في حضرموت وخير واد في الارض وادى مكة والوادى الذى اهبط فيه آدم في الهند منه طيبكم وشر واد في الارض الاحقاف وهو في حضرموت ترده أرواح الكفار • وروى عن ابن عباس عن على رضى الله عنهم قال ابغض بقعة في الارض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤها بالنهار أسود كأنه قيح تأوى اليه الهوام • ثم ساق ابن منده من طريق ابن اسحاق القاضى حدثنا على بن عبد الله ثنا سفيان ثنا ابان بن تغلب قال قال رجل بت فيه ـ يعنى وادى برهوت ـ فكأنما حشرت فيه اصوات الناس وهم يقولون يا دومة يا دومة ، قال ابان فحدثنا رجل من أهل الكتاب أن

دومة هو الملك الذى على أرواح الكفار ، قال سفيان وسألنا الحضرميين فقالوا : لا يستطيع احد يبيت فيه بالليل .

قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه الروح فهذه جملة ما علمته في هذا القول فان أراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وانها تجتمع في مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هواه فهذا قريب وان أراد نفس الجابية دون سائر الارض فهذا لا يعلم الا بالتوقيف ولعله مما تلقاه عن بعض أهل الكتاب وبالله التوفيق .

وأما قول من قال انها تجتمع في الارض التى قال فيها ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون ) فهذا ان كان قاله تفسيرا للآية فليس هو تفسيرا لها ، وقد اختلف الناس في الارض المذكورة في الآية الكريمة فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما هى أرض الجنة ، وهذا قول أكثر المفسرين ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قول آخر انها الدنيا التى فتحها الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قال المحقق وهذا القول هو الصحيح ، ونظيره قوله تعالى في سورة النور ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ) وفي الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « زويت لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » . وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك في الآية أرض بيت المقدس . وهى من الارض التى أورثها عباده الصالحين وليست الآية مختصة بها . وأما قول سلمان الفارسى رضى الله عنه ومن وافقه ان أرواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت فالبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكأن سلمان أراد انها في ارض بين الدنيا والآخرة مرسلة هناك حيث شاءت . قال المحقق هذا قول قوى فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هى في برزخ بينهما فهى في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم ، وأما أرواح الكفار ففى برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال الله تعالى ( ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون )

وأما من قال أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار

في سجين في الارض السابعة ، فهذا قد قاله جماعة من السلـــف والخلف ويدل عليه قول النبى صلى الله عليه وسلم عند موته «اللهم الرفيق الاعلى» . وحاصل هذا ان أرواح المؤمنين في عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار في سجين بحسب منازلهم وما تؤول اليه .

وأما قول من قال ان أرواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الكفار عن يساره ـ قال المحقق ابن القيم هذا قول يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسراء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديــث « فاذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ، قلت لجبريل من هذا ؟ قـال هذا آدم وهــذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنــة والأسودة التى في شماله أهل النار » قال القسطلانى في المواهب : الأسودة بوزن أزمنة هى الاشخاص ، والنسم بالنون والسين المهملة المفتوحتين جمع نسمة وهى الروح . قال القاضى عياض جاء ان أرواح الكفار في ســـجين وان أرواح المؤمنين منعمة في الجنة : يعنى فكيف تكون مجتمعة فى سـماء الدنيا ؟ فأجاب بأنه يحتمل انها تعرض على آدم أحيانا فوافق عرضها مرور النبى صلى الله عليه وسلم ، ويدل على كون أرواح الكفار في النار فيأوقات دون أوقات قوله تعالى ( النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ) . واعترض بأن أرواح الكفار لا تفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن ، والجواب ما أبداه احتمالا ان الجنة كانت من جهة يمين آدم والنار في جهة شمالـــه فكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء ان تفتــح لها أبواب السماء ولا تلجها ، قال وفي حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند البزار » فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شمـاله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن » قال الحافظ ابن حجر وهذا لو صح لكان المصير اليه أولى من جميـــع ما تقدم ولكن سنده ضعيف . انتهى . وقال المحقق ابن القيم في الروح : لا تدل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم كذلك على تعادلهم في اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه في العـلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفل

والسجن • وقال ابن حزم ان ذلك البرزخ الذى رآها فيه رسول الله صلى عليه وسلم ليلة أسرى به عند سماء الدنيا ذلك عند منقطع العناصر • قال : هذا يدل على انها عنده تحت السماء حيث تقطع العناصر ، وهى الماء والهواء والتراب والنار • قال ابن القيم : وهو ـ يعنى ابن حزم ـ دائما يشنع على من قال قولا لا دليل عليه فأى دليل له على هذا القول من كتاب أو سنة ؟

قال المحقق اذا كانت أرواح أهل السعادة عن يمين آدم في سماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء في ظل العرش فوق السماء السابعة فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فأجاب عن ذلك من وجوه ( أحدها ) انه لا يمتنع كونها عن يمينه في جهة العلو كما ان أرواح الاشقياء عن يساره في جهة السفل (الثانى) انه غير ممتنع ان تعرض على النبى صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان كان مستقرها فوق ذلك ( الثالث ) لم يخبر أنه رأى أرواح السعداء جميعا هناك بل قال فاذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ومعلوم قطعا ان روح ابراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى أرواحهم فوق ذلك وأرواح السعداء بعضها أعلى من بعض بحسب منازلهم كما ان أرواح الاشقياء بعضهم أسفل من بعض بحسب منازلهم والله أعلم •

**الجمع بين ماأستدل به المختلفون من الادلة الصحيحة**

قال الامام المحقق ابن القيم فان قيل قد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الارواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الاقوال حتى يعتقد ؟ فأجاب بأن الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ( فمنها ) أرواح في عليين في الملأ الاعلى وهى أرواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ( ومنها ) أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في مسند الامام أحمد عن محمد بن عبدالله ابن جحش ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالى ان قتلت في سبيل الله ؟ قال : الجنة ، فلما ولى قال « الا الدين سارنى به جبريل آنفا » ( ومنهم ) من يكون محبوسا على باب الجنة كما في حديث

آخر رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة (ومنهم) من يكون محبوسا في قبره كحديث صاحب الشملة التى غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى غلها لتشتعل عليه نارا في قبره » (ومنهم) من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس رضى الله عنهما « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية » رواه الامام أحمد . وهذا بخلاف جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه حيث أبدله الله من يديه بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء (ومنهم ) من يكون محبوسا في الارض لم تعل روحه الى الملأ الاعلى فانها كانت روحا سفلية أرضية فان الانفس الارضية لا تجامع الانفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا والنفس التى لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والانس به والتقرب اليه بل هى أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها الا هناك كما ان النفس العلوية التى كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله تعالى وذكره والتقرب اليه والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها ، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة ، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما في حديث « ويجعل روحه - يعنى المؤمن - مع النسيم الطيب » أى الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها واخوانها وأصحاب عملها تكون معهم هناك ( ومنها ) أرواح تكون في تنور الزناة والزوانى ، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة ، فليس للارواح شقيها وسعيدها مستقر واحد بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد من الارض .

ومن تأمل السنن والآثار في هذا الباب وكان له فضل اعتناء عرف صحة ذلك فكل الآثار الصحيحة حق وصدق يصدق بعضها بعضا لكن الشأن في فهمها وفهم المقصود منها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنا غير شأن البدن وانها مع كونها في الجنة فهى في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه وهى أسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا ، وتنقسم الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم

وألم وعذاب أعظم مما كان لها حال ايصالها بالبدن بكثير ، فهناك الحبس والالم والعذاب والمرض والحسرة ، وهنـــاك اللذة والراحـة والنعـيم والاطلاق . ( ثم قال المحقق ابن القيم ) وما أشبه حالها بهذا البدن بحال البدن في بطن أمه وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فلهذه الانفس أربع دور كل دار أعظم من التى قبلها ( الدار الاولى ) بطن أمه وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث ( الدار الثانية ) هذه الدار التى نشأت فيها وألفتها واكتسبت الخير أو الشر وأسباب السعادة والشقاوة فيها ( الدار الثالثة ) دار البرزخ وهى أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى (الدار الرابعة) دار القرار وهى الجنة أو النار فلا دار بعدها ، والله تعالى ينقل الروح في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التى لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهى التى خلقت لها وهيئت للعمل الموصل اليها ، ولها في كل دار من هذه الدور شأن غير شأن الدار الاخرى فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومسعدها ومشقيها ، وبالله التوفيق .

**الأنفس أربع دور**

**المسألة الثالثة هل تتلاقى أرواح الموتى ؟**

## ( المسألة الثالثة )

من المسائل المتعلقة بالروح هل تتلاقى أرواح الموتى وتتزاور وتتذاكر وتتلاقى أرواح الاحياء والاموات أيضا ؟ وهـــذا يعلم ممـا مر من حيث الجملة لان الارواح قسمان معذبة ومنعمة فالمعذبة في شغل شاغل لها بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى ، وأما الارواح المنعمة المرسـلة غير المحبوسة فهذه تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذى عـلى مثل عملها ، وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى قال تعالى ( ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ) قال الامام ابن القيم وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء ، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة ، وقد تواترت المرائى بتلاقى الارواح ، بعضها مع بعض ، قال الامام عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثورى في النوم فقلت له مافعل الله بك ؟ قال لقيت محمدا

وحزبه • وقد جاءت سنة صحيحة بتلاقى الارواح وتعارفها فروى ابن ابى الدنيا قال لما مـــات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجـدا شديدا فقالت يا رسول الله انه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة فهل يتعارف الموتى فأرسل الى بشر بالسلام ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم والـذى نفسى بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطيور في رءوس الشجر » فكان لا يهلك هالك (١) من بنى سلمة الا جاءتـه أم بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ عـلى بشر السلام ، وذكر ابن أبى الدنيا أيضا من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : أهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان؟ فيقول : صالح ، ما فعل فلان ؟ فيقول : صالح ، ما فعل فلان ؟ فيقول ألم يأتكم ؟ أما قدم عليكم؟ فيقولون : لا ، فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا • وقال عبيد بن عمير أيضـــا : اذا مات الميت تلقتـه الارواح يستخبرونه كما يستخبر الركب : مـا فعل فلان ؟ ما فعل فلان ؟ فاذا قال توفي ولم يأتهم قالوا ذهب به الى أمه الهاوية • وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب • وقال عبيد بن عمير لو أنى آيس من لقاء من مات من أهلى لالفانى قد مت كمدا • وذكر معاوية بن يحيى عن عبد الله بن سلمة ان أبارهم السمعى حدثه أن أبا أيوب الانصارى رضى الله عنه حدثه ان رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال « ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقول انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد ، فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه قد مات قبلى ، قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه الهاوية فبئست الام وبئست المربية » ورواه ابن ابى الدنيا والطبرانى في الاوسط وقال « ان أعمالكم ترد على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فان كان خيرا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هـذا فضلك ورحمتك فأتم

---

(١) بهامش مخ ما لفظه « قوله فكان لا يهلك هالـك » أى اذا احتضر وكاد أن يهلك فهو مجاز مرسل كقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه •

نعمتك عليه وأمته عليها ، ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون اللهم ألهمه عملا صالحا ترضى به وتقربه اليك » • وأخرج ابن ماجه عن محمد بن المنكدر قال دخلت على جابر بن عبد الله وهو يموت فقلت اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام • وأخرج الامام أحمد والحكيم الترمذى في نوادر الاصول عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان روحي المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه » قط • وأخرج ابن أبى الدنيا في كتاب القبور قال حدثنا محمد بن الحسين ثنى يحيى بن بسطام ثنى مسمع ثنى رجل من آل عاصم الجحدرى قال رأيت عاصما الجحدرى في منامى بعد موته بسنتين فقلت أليس قدمت ؟ قال : بلى ، قلت فأين أنت ؟ قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر (١) بن عبد الله المزنى فنتلقى أخباركم • قال قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح •

والمرائى وان لم تصلح بمجردها لاثبات أحكام فضلا عن اثبات اعتقاد لكنها على كثرتها وانها لا يحصيها الا الله تعالى وتواطئها مما يستأنس بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « أرى رؤياكم قد تواطأت على انها - يعنى ليلة القدر - في العشر الاخير » فلما تواطات رؤيا المؤمنين على تلاقى الارواح وتعارفها كان ذلك مما يستأنس به ويصلح للاستشهاد به ، على أنا لم نثبت بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الاخبار عن النبى المختار من تلاقى أرواح الموتى بعضهم لبعض وتلاقى أرواح الاحياء لأرواح الموتى أيضا • ثم ان الحس والواقع من أعدل الشهود وقد قال تعالى ( الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) روى أبو عبد الله ابن منده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال بلغنى أن أرواح الاحياء والاموات تلتقى في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها • وكذا أخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال يتوفاها في منامها فتلتقى روح الحى وروح الميت

**تفسير آية (الله يتوفى الانفس)**

(١) في الاصلين « الى ابى بكر » خطأ •

فيتذاكران ويتعارفان قال فترجع روح الحى الى جسده في الدنيا الى بقية أجلها وتريد روح الميت أن ترجع الى جسده فتحبس • وهذا أحد القولين في تفسير الآية وهو أن الممسكة من توفيت وفاة الموت أولا والمرسلة من توفيت وفاة النوم ، والمعنى على هذا انه يتوفي نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها قبل يوم القيامة ويتوفي نفس النائم ثم يرسلها الى جسده الى بقية أجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى • والقول الثانى في الآية ان الممسكة والمرسلة كلاهما متوفي وفاة النوم فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها الى جسدها ومن لم تستكمل أجلها ردها الى جسدها لتستكمله ، وهو الذى اختاره شيخ الاسلام ابن تيمية ، ومال تلميذه المحقق الى ترجيح الاول ، ثم قال : والتحقيق أن الآية تتناول النوعين فانه تعالى ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت ، وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ، ومعلوم انه تعالى يمسك نفس كل ميت سواء مات في النوم أو في اليقظة ويرسل نفس من لم يمت ، وقد قال سعيد بن المسيب التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى رضى الله عنهما فقال أحدهما للآخر ان مت قبلى فالقنى فأخبرنى ما لقيت من ربك ، وان أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك • فقال الآخر وهل يلتقى الاموات والاحياء ؟ قال : نعم ، أرواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت • قال فمات فلان فلقيه في المنام فقال له توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط • وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه كنت اشتهى أن أرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في المنام فما رأيته الا عند قريب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول : هذا أوان فراغى ان كاد عرشى ليهد لولا انى لقيت رءوفا رحيما • ولما حضرت شريح بن عائذ الثمالى (١) الوفاة دخل عليه غضيف بن الحارث وهو يجود بنفسه فقال له يا أبا الحجاج ان قدرت على أن تأتينى بعد الموت فتخبرنى بما ترى فافعل • قال وكانت كلمته مقبولة في أهل الفقه فمكث زمانا لا يراه ثم رآه في منامه فقال له أليس قدمت ؟ قال: بلى ، قال فكيف حالك ؟ قال تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منا الا الاخراص (٢) قلت وما الاخراص (٢) قال الذين يشار اليهم بالاصابع •

(١) في الاصلين « اليمانى » كذا •

(٢) من معانى الاخراص الجبال فكأنه يعنى المشهورين •

وقال قبيصة بن عقبة رأيت سفيان الثورى في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال :

نظرت الى ربى عيانا فقال لى ... هنيئا رضاى عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا ... بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر تريده ... وزرنى فانى منك غير بعيد

وهذا باب طويل جدا فان لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهى غير معصومة فتأمل من رأى صاحبا له أو قريبا أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه الا صاحب الرؤيا ، أو أخبره بمال دفنه هو أو غيره ، أو حذره من أمر يقع ، أو بشره بأمر يوجد فوجد كما قال، أو أخبر بأنه يموت هو أو بعض أهله الى كذا وكذا فيقع كما أخبره ، أو أخبره بخصب أو جدب أو عدو أو نازلة أو مرض له فوقع كما أخبره والواقع من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب ، وبه يعلم بطلان قول من زعم ان هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم ، فهذا عين الباطل والمحال فان النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الامور التى يخبر بها الميت ولا خطر ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما كما قاله الامام المحقق ابن القيم في الروح • قال ونحن لا ننكر ان الامر قد يقع كذلك وأن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصور الاعتقاد بل أكثر مرائى الناس انما هى من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق فان الرؤيا على ثلاثة أنواع رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث النفس • والرؤيا الصحيحة أقسام (منها) الهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه وغيره (ومنها) مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها (ومنها) التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم كما ذكرنا (ومنها) عروج روحه الى الله سبحانه وخطابها له (ومنها) دخول روحه الى الجنة ومشاهدها وغير ذلك • فالتقاء أرواح الاحياء بأرواح الموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التى هى عند الناس من جنس المحسوسات • وهذا موضع اضطربت فيه الناس فمن قائل

**الرؤيا ثلاثة أنواع والصحيح منها أقسام**

ان العلوم كلها كامنة في النفس وانما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنهـــا مطالعتها فاذا تجردت بالنوم رأت منها بحسب استعدادها ولما كان تجردها بالموت أكمل كانت علومها ومعارفها هناك أكمل • قال المحقق ابن القيم في كتاب الروح : وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله ولا يقبل كله فان تجرد النفس يطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذى بعث به رسوله ولا على تفاصيل مـا أخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل المعاد واشراط الساعة وتفاصيل الامر والنهى والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يعلم ا لابالوحى ، لكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه أسهل وأقرب وأكثر مما يحصل للنفس المنعمة في الشواغل البدنية •ومن قال من الناس ان هذه المرائى علوم يخلقها الله تعالى في النفس ابتداء بلا سبب فعلى نهج قول منكر الاسباب والحكم والقوى ، قال المحقق وهو قــول مخالف للشرع والعقل والفطرة • ومن قال ان الرؤيا فمرة يكون مثلا مضروبا ومرة بحسب استعداده وألفه على يد ملك الرؤيا فمرة يكون مثلا مضروبا ومرة يكون نفس ما رآه الرائى فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه ، وهذا أقرب من القولين قبله ، ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه بل لها أسباب أخر كما نقدم من ملاقاة الارواح وأخبار بعضها بعضا ومن القاء الملـك الـــذى في القلب والروع ومن رؤية الروح للاشياء مكافحة بلا واسطة •

**سؤال عمر عليا عن ثلاثة اشياء وجوابه**

وقد ذكر الحافظ أبو عبد الله ابن منده في كتابه (النفس والروح) بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لقى عمر بن الخطاب علي بن ابى طالب رضى الله عنهما فقـــال له يا أبا الحسن ربما شهدت وغبنا وربمـا شهدنا وغبت ، ثلاث أسألك عنهن فهل عندك منهن علم ؟ فقال علي بن أبي طالب وما هن ؟ قال : الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا ، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا ، فقال على : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الارواح جنود مجندة تلتقى في الهواء فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » فقال عمر « واحدة » قال عمر : والرجـل يحـدث الحديث اذ نسيه فبينما هو ومانسيه اذ ذكره ؟ فقال : نعم سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول « ما في القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر بينا القمر يضيء اذ تجللته سحابة فنسى اذ انجلت عنه فيذكر » . قال عمر « اثنتان » قال : والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب ؟ فقال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من عبد ينام يمتلىء نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذى لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذى يستيقظ دون العرش فهى التى تكذب » فقال عمر رضى الله عنه ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذى أصبتهن قبل الموت . وروى ان عمر بن الخطاب قال عجبت لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كأخذ بيد ، ويرى الشيء فلا يكون شيئا . فقال على رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين يقول الله تعالى ( الله يتوفي الانفس جين موتها والتى لم تمت في منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ) قال والارواح يعرج بها في منامها فما رأت وهى في السماء فهو الحق فاذا ردت الى أجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبتها فما رأت من ذلك فهو الباطل . قال فجعل عمر رضى الله عنه يتعجب من قول على رضى الله عنه . قال الحافظ ابن منده هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره ، وروى عن ابى الدرداء. وروى ابن منده عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال « ان الارواح جنود مجندة تتلاقى فتشام كما تتشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » قال الامام ابن القيم ولم تزل الناس قديما وحديثا تعرف هذا وتشاهده قال جميل بن معمر العذرى :

أظل نهارى مستهاما وتلتقى ... مع الليل روحى في المنام وروحها

فان قيل فالنائم يرى غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرء يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحهما ؟ فالجواب على هذا اما أن يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرؤيا للنائم أو يكون حديث نفس من الرائى تجرد له في منامه قال حبيب بن أوس :

سقيا لطيفك من زور آتاك به ... حديث نفسك عنه وهو مشغول

والمقصود أن ارواح الاحياء تتلاقى في النوم كما تتلاقى أرواح الاحياء والاموات ، قال بعض السلف أن الارواح تتلاقى في الهواء فتتعارف وتتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر ، قال وقد وكل الله تعالى بالرؤيا الصادقة ملكا علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومنقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها فيأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير أو شر في دينه ودنياه ويضرب له الامثال والاشكال على قدر عادته فتارة يبشره بخير قدمه او يقدمه وينذره من معصية ارتكبها أوهم بها ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الاسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التى جعلها الله تعالى في الرؤيا نعمة منه ورحمة واحسانا وتذكيرا وتعريفا وجعل أحد طرق ذلك تلاقى الارواح وتذاكرها وتعارفها وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده واقباله على الآخرة عن منام رآه او رئى له وكم ممن استغنى وأصاب كنزا أو دفينا عن منام ، وهذا عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم دل في المنام على زمزم وأصاب الكنز الذى كان هناك ، وفي مثل ذلك حكايات كثيرة وبالله التوفيق •

(( فكل ما عن سيد الخلق ورد  من أمر هذا الباب حق لا يرد ))

(( فكل ما )) أى شيء أو الذى (( عن سيد الخلق )) ورسول الحق نبيا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال في المطلع : السيد الذى يفوق في الخير قومه قاله الزجاج ، وقيل التقى وقيل الحليم وقيل الذى لا يغلبه غضبه وجميع ذلك في نبينا صلى الله عليه وسلم • وقال في القاموس سيد القوم أجلهم • وهو صلى الله عليه وسلم أجل خلق الله وأعظم خلق الله وأكرم خلق الله وأكمل خلق الله صلى الله عليه وسلم • قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد : اختلف الناس في جواز اطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ونقل عن الامام مالك واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا سيدنا قال « انما السيد الله » وجوزه قوم واحتجوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار « قوموا الى سيدكم » وهذا أصح من الحديث الاول • قلت وكذا حديث « ان ابنى هذا ـ يعنى الحسن ـ سيد » وحديث

**معنى السيد**

**هل يطلق على البشر ؟**

« انا سيد ولد آدم ولا فخر » وغير ذلك مما لا يحصى الا بكلفة • قال في البدائع : السيد احد ما يضاف اليه فلا يقال لتميمى انه سيد كندة ولا يقال لملك انه سيد البشر ، قيل وعلىهذا لا يجوز ان يطلق علىالله هذا الإسم ، قال في البدائع : وفي هذا نظر فان السيد اذا أطلق عليه تعـــالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب لا بمعنى الذى يطلق على المخلوق (( ورد )) بالاسانيد المقبولة ودونه أهل العلم في الكتب المنقولة المشهورة (( من أمر )) أى من أمور (( هذا الباب )) الذى مناطه السمع من الكتاب والسنة واجماع السلف فكل ذلك (( حق )) يجب اعتقاده والايمان به لانه صحف به النقول ولم ترده العقول وان عجزت العقول عن ادراكه فان الانبياءعليهمالصلاةوالسلام تأتى بمحارات العقول لا بمحالاتها ، والفرق بينهما بينلا يخفىعلىذىتبصر (( لا يرد )) من ذلك شيء لثبوته عن المعصوم وصحته عن رســـول الحى القيوم فمن تصدى لرد شيء من هذا الباب فقد اخطأ الصواب وضل وخاب وكان من أهل البدع والارتياب، فان الرسل صلوات الله وسلامه عليهـم جعلهم الله وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم وبعثوا جميعا بالدعوة الى الله وتعريـــــف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه • فالاصل الاول اثبات التوحيد والصفات والقدر وذكر ايام الله في أوليائه واعدائه وهى القصص التى قصها الله تعالى على عباده والامثال التى ضربهـــا لهم • والاصــــل الثانى يتضمن تفصيل الشرائع والامر والنهى والاباحة وبيان ما يحبـــه ويكرهه • والاصل الثالث يتضمن الايمان باليـــوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب • قال شيخ الاسلام ابن تيميـــــة في قاعدة له في وجوب الاعتصام بالرسالة : على هذه الاصول الثلاثة مدار الخلق والامر والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها الا من جهة الرسل فان العقـل لا يهتدى الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذى يدرك وجه الحاجة الى الطب ومـــن يداويه ولا يهتدى الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه ، وحاجة العبد الى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر ما يعـذب

**الأصول الثلاثة التى عليهامدار الخلـق والأمر والسعادة •**

بعدم الطبيب موت الابدان ، وأما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه أبدا وشقى شقاوة لا سعادة معها أبدا ، فلا فلاح الا باتباع الرسول والايمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم ومن جملة ما ورد عن سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق لا يرد اشراط الساعة وعلاماتها ولهذا قال •

**فصل في اشراط الساعة**

## (( فصـــــل ))

في اشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها

**النصوص المخبرة باقترابها**

قال تعالى ( اقتربت الساعة ) وقال ( فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها ) أي إماراتها وعلاماتها واحدها شرط ،قال الامام البغوى وكان النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة قال تعالى ( وما يدريك لعل الساعة قريب ) وقال ( فهل ينظرون الا الساعـــة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ) والآيات في ذلك كثيرة ، وأما الاحاديث فلا تكاد تحصى •فان قيل كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعـــه ألف ومائة ونيف وسبعون عاما ؟ فالجواب أن الاجل اذا مضى أكثره وبقى أقله حسن أن يقال فيه اقترب الاجل ، ولا ريب أن أجل الدنيـــا قد مضى أكثره وبقى أقله ، ولقرب قيام الساعة عنده تعالى جعلها كغد الذى بعد يومك فقـــال (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) وقال تعالى ( انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ) وروى الترمذى وصححه من حديث أنس مرفوعا « بعثت أنا والساعـــة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى فأفضل احداهما على الاخرى • وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتى تلي الابهـــام « بعثت والساعة كهاتين » وفي الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا «انما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الامم من صلاة العصر الى مغرب الشمس - وفى لفظ - انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس »

ولما كان أمر الساعة شديدا وهولها مزيدا وأمرها بعيدا كان الاهتمـــام

بشأنها أكثر من غيرها ولهذا أكثر النبى صلى الله عليه وسلم من بيان أشراطها وأماراتها وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة •

ثم اعلم ان وقت مجيء الساعة مما انفرد الله بعلمه وانما أخفاه تعالى لانه أصلح للعباد لئلا يتباطؤا عن التأهب والاستعداد كما ان اخفاء وقت الموت أصلح لهم وأنفع وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قربها وزمن كونها ومجيئها واستدلوا بأحاديث غير صحيحة وما صح منها فدلالتها غير صريحة ، وذكر الحافظ جلال الدين السيوطى ذلك فى جزء له سماه الكشف وذكر هو تقريبا انها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الالف أو أزيد ، قال الشيخ العلامة مرعى فى ( بهجة الناظرين ) وهذا أيضا مردود لان كل من تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه برهان •

**اشراط الساعة واماراتها ثلاثة اقسام**

ثم أعلم ان أشراط الساعة وأماراتها تنقسم الى ثلاثة أقسام قسم ظهر وانقضى وهي الامارات البعيدة ، وقسم ظهر ولم ينقض بل لا يزال في زيادة حتى اذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث وهى الامارات القريبة الكبيرة التى تعقبها الساعة وانها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها ( فالاولى ) أعنى التى ظهرت ومضت وانقضت ( منها ) بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وموته وفتح بيت المقدس (ومنها) قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال حذيفة أول الفتن قتل عثمان (ومنها) وقعة الجمل (ومنها) وقعة صفين فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة ( ومنها ) واقعة النهر وان فأخرج ابن جرير عن مخنف بن سليم قال أتينا أبا أيوب الانصارى رضى الله عنه فقلت يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال ان رسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة الناكثين والقاسطين والمارقين فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل ان شاء الله المارقين • وفى رواية عنه : عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقاتل مع على الناكثين فقد قاتلناهم – يعنى فى وقعة الجمل وذلك لان طلحة والزبير رضى الله عنهما نكثا بيعة على رضى الله عنه –

**الأولى ما قد مضى وانقضى**

وعهد الينا أن نقاتل معه القاسطين - يعنى الظالمين وأراد بهم أصحاب معاوية لانهم ظلموا عليا ونازعوه أمرا هو أحق الناس به عند كل منصف والقاسطون هم العادلون عن الحق الى الباطل - وعهد الينا أن نقاتل معه المارقين - وأراد بهم الخوارج فانهم مرقوا من الدين • وفى الخوارج أحاديث كثيرة جدا في الصحيحين وغيرهما (ومنها) نزول أمير المؤمنين وخاتمة الخلفاء الراشدين سبط رسول رب العالمين سيدنا الامام أبي محمد الحسن بن علي وأخي الحسين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « ان ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » الحديث ، شهد جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم سمعوا ذلك من النبى صلى الله عليه وسلم ( ومنها ) ملك بنى أمية وما جرى على أهل البيت في أيامهم من الاذية كقتل الحسين بعد ما سم الحسن وواقعة الحرة وما جرى فيها من المحن وقتل ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق وما جرى في ذلك مما لا يحسن ولا يليق ( ومنها ) ملك بنى العباس وما جرى في أيامهم من المحن والباس ( ومنها ) نار الحجاز التى أضاءت منها أعناق الابل ببصرى ( ومنها ) ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك واظهار الطعن واللعن على السلف الصالح من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وقد أخرج الامام احمد وأبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عليهم مرفوعا « يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام فاذا رأيتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون » ولفظ الطبرانى باسناد حسن عنه كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده علي فقال النبى صلى الله عليه وسلم « سيكون من أمتى قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة فاقتلوهم فانهم مشركون » ( ومنها ) خروج كذابين دجالين كل منهم يدعى أنه نبى ( ومنها ) زوال ملك العرب رواه الترمذى ( ومنها ) كثرة المال رواه الشيخان وغيرهما (ومنها) كثرة الزلازل والمسخ والقذف وغير ذلك مما أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم انه من أمارات الساعة فظهر ومضى وانقضى •

الثانيـة ما ظهر واستمر

( الثانية )

الامارات المتوسطة وهى التى ظهرت ولم تنقض بل تزايد وتكثر وهى كثيرة جدا ( منها ) قوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع » رواه الامام أحمد والترمذى والضـياء المقدسى من حديث حذيفة رضى الله عنه • واللكع العبد والاحمق واللئيم• والمعنى لا تقوم الساعة حتى يكون اللئام والحمقى ونحوهم رؤساء النـاس ( ومن الامارات ) قوله صلى الله عليه وسلم « يأتى على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر » رواه الترمذى عن أنس • وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد » رواه الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس رضى الله عنه وقولـه صلى الله عليه وسلم

يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسـقة ـ وفي لفظ ـ فساق » رواه أبو نعيم والحاكم عن أنس ( ومنها ) أن يرى الهلال ساعة يطلع فيقـال لليلتين لانتفاخه وكبره روى معناه الطبرانى عن ابن مسعود وفي لفظ « من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة » بالخاء المعجمـة أى عظمها وروى بالجيم ( ومنها ) اتخاذ المساجد طرقا (ومنها) ما أخرجه أبو نعيم فى الحليـة عن أنس رضى الله عنه مرفوعا » من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصـلة اذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة وأضاعوا الامانة وأكلوا الربا واسـتحلوا الكذب واستخفوا بالدماء واستعلوا البناء وباعوا الدين بالدنيا وتقطعت الارحام ويكون الحلم ضعفا والكذب صدقا والحرير لباسا وظهر الجور وكثـر الطلاق وموت الفجأة وائتمن الخائن وخون الامين وصدق الكاذب وكذب الصادق وكثر القذف وكان المطر قيظا والولد غيظا وفاض اللئام فيضـا وغاض الكرام غيضا وكان الامراء والوزراء والامناء خونة والعرفاء ظلمـة والقراء فسقة ، اذا لبسوا مسوك الضأن قلوبهم انتن من الجيفة وأمر من الصبر يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود والظلمة وتظهـر الصفراء وتطلب البيضاء يعنى الذهب والفضة وتكثر الخطباء ويقل الامـر بالمعروف وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنابر وخـربت

القلوب وشربت الخمور وعطلت الحدود وولدت الامة ربتها وترى الحفاة العراة صاروا ملوكا وشاركت المرأة زوجها في التجارة وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وحلف بغير الله وشهد المرء من غير أن يستشهد وسلم للمعرفة وتفقه لغير الله وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولا - وهو بضم الدال المهملة وفتح الواو ما يتداول من المال ومعناه اذا اختص الاغنياء وأرباب المناصب بأموال الفيء ومنعوها مستحقيها كما في النهاية - والامانة مغنما والزكاة مغرما وكان زعيم القوم أرذلهم وعق الرجل أباه وجفا أمه وبر صديقه وأطاع امرأته وعلت أصوات الفسقة في المساجد واتخذت القيان والمعازف وشربت الخمور في الطرق واتخذ الظلم فخرا وبيع الحكم وكثرت الشرط واتخذ القرآن مزامير وجلود السباع صفافا - أي بأن تجعل على السروج كما يفعله أمراء زماننا - ولعن آخر هذه الامة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقذفا وآيات » (ومنها) ما رواه الامام أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سلمان موقوفا والحسن بن سفيان وابن عساكر مرفوعا « اذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الالسن واختلفت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » ( ومنها ) ما أخرجه الامام أحمد أيضا والحاكم وابن ماجه عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « اذا كانت الفاحشة في كباركم والملك في صغاركم والعلم في مرداكم والمداهنة في خياركم » يعنى فتقرب اقامة الساعة • وأخبار من هذه كثيرة جدا ذكرت منها طرفا صالحا فى كتابى البحور الزاخرة في علوم الآخرة (منها) ما في صحيح البخارى وغيره من حديث أنس رضى الله عنه انه قال ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيرى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » وفي الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابى قال متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه يحدث وقال بعض القوم

سمع ما قال فكره ماقال ، وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه : قال أين السائل عن الساعة ؟ فقال ها أنا يا رسول الله قال « فاذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة » قال كلف أضاعتها ؟ قال « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة » والله أعلم •

الثالثة العلامات الكبرى

## ( الاشراط والامارات الثالثة )

العلامات العظام والاشراط الجسام التى تعقبها الساعة وهى المقصودة في النظم والتى تكلم عليها أهل العلم واليها الاشاره بقوله :

(( وما أتى في النص من اشراط فكله حق بلا شطاط ))

(( وما )) أى وما ورد عن سيد الخلق وهو حق يجب اعتقاده ولا يسوغ رده الذى (( أتى )) أى ورد وجاء (( فى النص )) القرآنى أو الحديث النبوى (( من اشراط )) الساعة بأقسامها الثلاثة مما ذكرنا ومما لم نذكر والمراد بالساعة يوم القيامة وسميت الساعة لقربها ، أو لأنها تأتى بغتة (أو) فى ساعة ، أو لأن بعث الموتى من قبورهم يكون فى أسرع من اللمحة ، أو لأن فصل القضاء فى ذلك اليوم فى قدر ساعة •ويروى عن على رضى الله عنه أنه سئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم في غداة واحدة كذلك يحاسبهم في ساعة واحدة • وتقدم ان الاشراط جمع شرط وانها أماراتها وعلاماتها (( فكله )) أي الذى أتى فى النص من اشراط الساعة وفي نسخة كلها أي الاشراط (( حق )) واقع ويقين ليس له مدافع ((بلا شطاط)) كسحاب وكتاب أي من غير طول وبعد يقال رجل شساط بين الشطاط والشطاطة والشطاط بالكسر وهو البعيد ما بين الطرفين وقرىء ( ولا تشطط ) ولا تشاطط أي لا تبعد عن الحق والمعنى ان الذى جاء فى النص من اشراط الساعة حق كله لا بعد فيه ولا عقد ينافيه • ثم أخذ فى تعداد تلك الاشراط فقال :

المهدى

(( منها الامام الخاتم الفصيح محمد المهدي والمسيح ))

(( منها )) أي من أشراط الساعة التي وردت بها الاخبار وتواترت في مضمونها الآثار أي من العلامات العظمى وهى أولها ان يظهر (( الامام )) المقتدى بأقواله وأفعاله (( الخاتم )) للائمة فلا امام بعده كما أن النبى صلى

الله عليه وسلم هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبى ولا رسول بعده ((الفصيح)) اللسان لانه من صميم العرب أهل الفصاحة والبلاغة ، والفصاحة فى اصطلاح أهل المعانى والبيان خلوص الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحة مفرداته ، والفصاحة في المفرد خلوصه عن تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس ، والفصاحة في المتكلم ملكة يقتدر معها على التعبير المقصود بلفظ فصيح ، والبلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ ، وقوله (( محمد المهدي )) هذا اسمه وأشهر أوصافه فأما اسمه فمحمد

**اسمه واسم أبيه**

جاء ذلك في عدة أخبار وفي بعضها أن اسمه أحمد واسم أبيه عبد الله[1] فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى » رواه أبو نعيم من حديث أبى هريرة ولفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلى رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » وروى نحوه الترمذى وأبو داود والنسائى والبيهقى وغيرهم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، وفي رواية من حديث ابن مسعود أيضا « لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما » أخرجه الطبرانى فى معجمه الصغير ، وأخرجه الترمذى ولفظه: حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى • وقال : حديث حسن صحيح • وكذلك أخرجه أبو داود في سننه • وروى ابن مسعود أيضا رضى الله عنه رفعه : اسم المهدى محمد • وفي مرفوع حذيفة : محمد بن عبد الله ويكنى أبا عبد الله • ومن أسمائه أيضا أحمد بن عبد الله كما فى بعض الروايات •

**الرد على الامامية**

وأما زعم الشيعة ان اسمه محمد بن الحسن وانه محمد بن الحسن العسكرى فهذيان فان محمد بن الحسن هذا قد مات وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن • قلت هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكرى بن على الهادى بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق

ابن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ومحمد بن الحسن العسكرى هذا ثانى عشر الائمة الاثنى عشر على اعتقاد الامامية ويعرف بالحجة وهو الذى تزعم الشيعة انه المنتظر والقائم والمهدى وهو صاحب السرادب عندهم ، وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى كانت ولادته فى منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، والشيعة تزعم انه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يعد يخرج اليها وذلك فى سنة خمس وستين ومائتين وعمره يومئذ تسع سنين وقيل غير ذلك ، وكل ذلك ضرب من الجنون والهذيان وأما ذاك فقد مات رضوان الله عليه وعلى آبائه •

**لم قيل له المهدى**

وأما تسميته ووصفه بالمهدى فقد ثبت له هذه الصفة فى عدة أخبار ، وعن كعب الاحبار قال انما سمى المهدى لانه يهدى الى أمر خفى وسيخرج التوراة والانجيل من أرض يقال لها انطاكية • أخرجه نعيم فى كتاب الفتن • وفى بعض رواياته عن كعب قال انما سمى مهديا لانه يهدى الى أسفار التوراة فيستخرجها من جبال الشام يدعو اليها اليهود فيسلم على تلك الكتب جماعة كثيرة • وذكر الامام أبو عمرو الدانى قال انما سمى المهدى لانه يهدى الى جبل من جبال الشام يستخرج منها أسفار التوراة يحاج بها اليهود فيسلم على يده جماعة منهم • وأما لقبه فالجابر لانه يجبر قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين ويقصمهم • وأما كنيته فأبو عبد الله • وأما نسبه فانه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم ان الروايات الكثيرة والاخبار الغزيرة ناطقة انه من ولد فاطمة البتول ابنة النبى الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وعن أولادها الطاهرين ، وجاء فى بعض الاحاديث انه من ولد العباس والاول أصح • قال ابن حجر في كتابه القول المختصر واما ما روى « ان المهدى من ولد العباس عمى » فقال الدارقطنى حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بنى هاشم • قال ولا ينافيه خبر الرافعى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « الا أبشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء

**نسبه**

ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدى في آخر الزمان به ينشر الله الهدى ويطفىء نيران الضلالة ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم » وخبر هيثم بن كليب وابن عساكر عن ابن عباس ورجاله ثقات « اللهم انصر العباس وولد العباس ثلاثا يا عم أما علمت ان المهدى من ولدك موفقا راضيا» وخبر أبى نعيم في الحلية عن أبى هريرة رضى الله عنه « ألا أبشرك يا أبا الفضل ان الله عز وجل افتتح بى هذا الامر وبذريتك يختم » وخبر الديلمى عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لن تزال الخلافة في ولد عمى وصنو أبى حتى يسلموها الى الدجال » وخبر الخطيب عن ابن عباس عن أمه أم الفضل رضى الله عنهم « يا عباس أنت عمى وصنو أبى وخير من أخلف بعدى من أهلى اذا كانت خمس وثلاثون ومائة فهى لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدى » وخبر الخطيب وابن عساكر عن علي رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس « يا عم ألا أخبرك أن الله افتتح هذا الامر بى ويختمه بولدك » فهذه الاخبار كلها لا تنافى ان المهدى من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة الزهراء لان الاحاديث التى فيها ان المهدى من ولدها أكثر وأصح بل قال بعض حفاظ الامة وأعيان الائمة أن كون المهدى من ذريته صلى الله عليه وسلم مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ العدول ولا الالتفات الى غيره وقال ابن حجر يمكن الجمع بأن يكون من ذريته صلى الله عليه وسلم وللعباس فيه ولادة من جهة ان فى أمهاته عباسية • والحاصل ان للحسن في المهدى الولادة العظمى لان أحاديث كونه من ذريته أكثر وللحسين فيه ولادة أيضا وللعباس فيه ولادة أيضا ولا مانع من اجتماع ولادات متعددات في شخص واحد من جهات مختلفة وبالله التوفيق •

**فوائد فى شأن المهدى**

## ( فوائد )

**الأولى حليته وصفته**

( منها ) فى حليته وصفته ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : المهدى اسمه محمد بن عبد الله وهو رجل ربعة مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه الامة كل كرب ويصرف بعدله كل جور • وعن حذيفة بن اليمان رضى الله

عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدى رجل من ولدى وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربى والجسم جسم اسرائيلى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا يرضى في خلافته أهل الارض وأهل السماء والطير في الجو يملك عشرين سنة » أخرجه أبو نعيم في مناقب المهدى والطبرانى في معجمه • وأخرج أبو داود والبيهقى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين » وأخرج أبو نعيم من حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليبعثن الله في عترتى رجلا أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الارض عدلا ويفيض المال فيضا » وفي مرفوع عمران بن حصين انه حين ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله كيف لنا بهذا حتى نعرفه ؟ قال « هو رجل من ولدى كأنه من رجال بنى اسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان كان في وجهه الكوكب الدرى في اللون في خده الايمن خال أسود ابن أربعين سنة » أخرجه الامام أبو عمرو الدانى في سننه • وأخرج أبو نعيم من حديث أبى امامة رضى الله عنه مرفوعا « المهدى من ولدى ابن أربعين سنة كان وجهه كوكب درى فى خده الايمن خال اسود عليه عباءتان قطوانيتان كأنه من رجال بنى اسرائيل يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الترك » وفي حديث أبى وائل عن علي رضى الله عنه قال نظر الى الحسن وقال ان ابنى هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يخرج على حين غفلة من الناس واماتة الحق واظهار الجور يفرح بخروجه أهل السماء وسكانها ، وهو رجل أجلى الجبين أقنى الانف ضخم البطن أزيل الفخذين بفخذه الايمن شامة أفلج الثنايا يملأ الارض عدلا كما ملئت ظلما وجورا • وعن أبى جعفر محمد الباقر قدس الله سره قال سئل أمير المؤمنين علي رضى الله عنه عن صفة المهدى قال : هو شاب مربوع حسن الوجه يسيل شعره على منكبيه يعلو نور وجهه سواد شعره ولحيته ورأسه • وفي رواية أخرى عن علي رضى الله عنه ان المهدى كث اللحية أكحل

العينين براق الثنايا فى وجهه خال أقنى أجلى فى كتفه علامة النبى صلى الله عليه وسلم • وفي بعض الروايات المهدى أزج أبلج أعين يجيء من الحجاز حتى يستوى على مسجد دمشق • أخرجه أبو نعيم • وفي رواية لابى نعيم بكتفه اليمنى خال • وفي حديث علي مرفوعا انه كث اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال وفي كتفه علامة • وقال كعب الاحبار انى لأجد المهدى مكتوبا فى أسفار الانبياء ما فى حكمه ظلم ولا عيب • أخرجه أبو عمروالمقرى فى سننه ونعيم بن حماد •وأخرج أبونعيم عن طاووس قال علامة المهدى انه يكون شديدا على العمال جوادا بالمال رحيما بالمساكين • ورأيتنى قد وصفته فى كتابى البحار الزاخرة بأنه آدم أى أسمر ، ضرب من الرجال أى خفيف اللحم ، ممشوق مستدق ، ربعة أى لا بالطويل ولا بالقصير ، أجلى الجبهة أي خفيف شعر النزعتين عن الصدغين وهو الذى انحسر الشعر عن جبهته ، أقنى الانف أى طويلة مع دقة أرنبته ، أشم أى رفيع العرنين ، أزج أى حاجبه فيه تقويس مع طول فى طرفه أو امتداده ، أبلج أعين أكحل العينين واسع العين ـ والكحل بفتحتين سواد فى أجفان العين خلقة من غير اكتحال ، براق الثنايا أى لثناياه بريق ولمعان ، أفرقها أى ليست متلاصقة أزيل الفخذين أي منفرج الفخذين متباعدهما • وفي رواية في لسانه ثقل واذا أبطأ عليه ضرب فخذه الايسر بيده اليمنى ، ابن أربعين سنة ـ وفى رواية مابين ثلاثين الى أربعين ـ خاشع لله خشوع النسر بجناحيه عليه عباءتان قطوانيتان • قال في النهاية هى عباءة بيضاء قصيرة الخمل والنون زائدة •

( الفائدة الثانية فى سيرته )

الثانية سيرته

قال أهل العلم يعمل بسنة النبى صلى الله عليه وسلم لا يوقظ نائما ، ويقاتل على السنة لا يترك سنة الا أقامها ولا بدعة الا رفعها ، يقوم بالدين آخر الزمان كما قام به النبى صلى الله عليه وسلم أوله ، يملك الدنيا كلها كما ملك ذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد الى المسلمين الفتهم ونعمتهم ، يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، يحثو المال حثوا ولا يعده عدا ، يقسم المال صحايا بالسوية ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض والطير فى الجو

والوحش في القفر والحيتان في البحر ، يملأ قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم غنى حتى انه يأمر مناديا ينادى : ألا من له حاجة في المال ؟ فلا يأتيه الا رجل واحد فيقول انا فيقول انت السادن ـ أي الخازن ـ فقل له المهدى يأمرك ان تعطيني مالا فيقول له احث حتى اذا جعله في حجره وأبرزه ندم فيقول كنت أجشع أي أحرص أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعجز عنى ما وسعهم ؟ قال فيرده فلا يقبل منه فقال له انا لا نأخذ شيئا أعطيناه الامة • تنعم أمة محمد برها وفاجرها في زمانه نعمة لم يسمعوا بمثلها قط وترسل السماء عليهم مدرارا لا تدخر شيئا من قطرها ، وتؤتى الارض أكلها لا تدخر عنهم شيئا من بذرها ، تجرى على يديه الملاحم ، يستخرج الكنوز ويفتح المدائن ما بين الخافقين ، يؤتى اليه بملوك الهند مغللين وتجعل خزائنهم لبيت المقدس حليا ، يأوي اليه الناس كما يأوى النحل الى يعسوبه حتى يكون الناس على مثل أمرهم الاول ، يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه مخالفيه وأدبارهم جبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته ، ترعى الشاة والذئب في زمانه في مكان واحد ، وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا تضرهم شيئا ، ويزرع الانسان مدا فيخـرج له سبعمائة مد ، ويرفع الربا والزنا وشرب الخمر ، وتطول الاعمار وتؤدى الامانة وتهلك الاشرار ولا يبقى من يبغض آل محمد صلى الله عليه وسلم ، محبوب - يعنى المهدى ـ في الخلائق يطفىء الله به الفتنة العميـاء وتأمن الارض حتى أن المرأة تحج في خمس نسوة ما معهن رجل ولا يخفن شيئا الا الله ، مكتوب في شعائر الانبياء مافى حكمه ظلم ولا عيب •

( الثالثة في علامات ظهوره )

**الثالثة علامات ظهوره**

قال العلامة الشيخ مرعى في كتابه ( فوائد الفكر في المهدى المنتظر ) اعلم ان لظهور المهـدى علامات جاءت بها الآثار ودلت عليهـا الاحاديث والاخبار ، فمن علامات ظهوره على ماورد كسوف الشمس والقمر ونجم الذنب والظلمة وسماع الصوت برمضان وتحارب القبائل بذى القعـدة وظهور الخسف والفتن ومعه قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيفه ، ورايته من مرط مخملة معلمة سوداء فيهـا حجر لم تنشر منذ

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج المهدى مكتوب على رأسها « البيعة لله » كذا في الاشاعة للعلامة السيد محمد البرزنجى المدنى ، ويغرس قضيبا يابسا فى أرض يابسة فيخضر ويورق ،ويطلب منه آية فيومى الى طير في الهواء بيده فيسقط على يده وينادى مناد من السماء : أيها الناس ان الله قطع عنكم الجبارين والمنافقين وأشياعهم وولاكم خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم فألحقوه بمكة فانه المهدى واسمه محمد بن عبد الله ، وتخرج الارض أفلاذ كبدها مثل الاسطوانات من الذهب ويخرج كنز الكعبة المدفون فيها فيقسمه فى سبيل الله . رواه أبو نعيم عن على رضى الله عنه . ويستخرج تابوت السكينة من غار نطاكية أو من بحيرة طبرية فيخرج حتى يحمل فيوضع بين يديه ببيت المقدس فاذا نظر اليه يهود أسلموا الا قليل منهم ، وتأتيه الرايات السود من خراسان فيرسلون اليه البيعة ، وتنشف الفران فتحسر عن جبل من ذهب . وذكروا أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان والشمس ليلة النصف .ونظر فى هدا الشيخ مرعى بأن العادة انكساف القمر ليالى الابدار والشمس أيام الاسرار ، ولكن من الممكن أن يكون ذلك آية لظهوره وفيها خرق للعادة . وروى أبو نعيم فى الفتن قال شريك بلغنى أن القمر قبل خروجه ينكسف مرتين برمضان . وذكر الكسائى عن كعب الاحبار أن القمر ينكسف ثلاث ليال متواليات . وروى عن كعب الاحبار يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضىء كما يضىء القمر ينعطف حتى يلتقى طرفاه أو يكاد . وفى الديلمى مرفوعا تكون هدة فى رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان . ومن وجه آخر يكون صوت فى رمضان في نصف الشهر يصعق منه سبعون ألفا ويعمى مثلها ويخرس مثلها ويصم مثلها وينفتق من الابكار مثلها . ومن علامات المهدى أيضا خسف قرية ببلاد الشام يقال لها حرستا كما في الاشاعة وغيرها .

( الرابعـــــة )

**الرابعـــة بعض ما يســبقه من الفتن**

( فى الاشارة الى بعض الفتن الواقعة قبل خروج المهدى وخروج خوارج قبل ذلك )

( منها ) ما ذكره في الاشاعة انه يحسر الفرات عن جبل من ذهب كما

تقدم فاذا سمع به الناس ساروا اليه واجتمع عليه ثلاثة كلهم ابن خليفة يقتتلون عنده ثم لا يصبر الى أحد منهم فيقول كل واحد والله لئن تركت الناس يأخذون منه ليذهبن بكله فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، وفي رواية فيقتل تسعة أعشارهم ، وفي رواية من كل تسعة سبعة ، فيقول كل رجل لعلى أكون أنا أنجو • وقد قال صلى الله عليه وسلم « من حضر فلا يأخذ منه شيئا » وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حضر فلا يأخذ منه شيئا » وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدى من ولدى ولا يخرج المهدى حتى يخرج ستون كذابا كلهم يقول أنا نبى » وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله » رواه مسلم في صحيحه ورواه البخاري بمعناه وتمام الحديث في مسلم « وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج »وهو القتل ـ الحديث • وهو في صحيح البخارى الا أن قوله وتكثر الزلازل في البخارى دون مسلم •• وفي مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان بين يدى الساعة كذا بين » زاد في طريق أخرى قال جابر فاحذروهم • وقال جعفر الصادق بن محمد الباقر لا يظهر المهدى الا على خوف شديد من الناس وزلزال وفتنة وبلاء يصيب الناس والطاعون قبل ذلك وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد فى الناس وشتت في دينهم وتغيير في حالهم حتى يتمنى المتمنى الموت صباحا ومساء من عظيم ما يرى من كلب الناس وأكل بعضهم بعضا فحينئذ يخرج فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره • وقال محمد بن الصامت قلت للحسين ابن علي رضى الله عنهما أما من علامة بين يدى هذا الامر ـ يعني ظهور المهدى ـ قال : قال : بلى ، قلت وماهى قال : هلاك بنى العباس وخروج السفيانى والخسف بالبيداء • قلت جعلت فداك أخاف أن يطول هذا الامر ، فقال انما هو كنظام يتبع بعضه بعضا •

وعن أمير المؤمنين على رضى الله عنه قال : تكون فى الشام رجفة يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذابا على المنافقين فاذا كان كذلك فانظروا الى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام وذلك عند الجوع الاكبر والموت الاحمر فاذا كان ذلك فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها حرستا فاذا كان ذلك خرج ابن آكلة الاكباد من الوادى اليابس حتى يستوى على منبر دمشق فاذا كان ذلك فانظروا خروج المهدى •

**خروج السفيانى**

ومن أقوى علامات خروج المهدى خروج من يتقدمه من الخوارج السفيانى والابقع والأصهب والاعرج والكندى •

أما السفيانى فاسمه عروة واسم أبيه محمد وكنيته أبو عتبة ، قال العلامة الشيخ مرعى في فوائد الفكر وفي عقد الدرر ان السفيانى من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفيان ملعون في السماء والارض وهو أكثر خلق الله ظلما قال على رضى الله عنه : السفيانى من ولد خالد بن يزيد بن أبى سفيان رجل ضخم الهامة بوجهه أثر جدرى بعينه نكتة بياض يخرج من ناحية دمشق وعامة من يتبعه من كلب فيقتل حتى يبقر بطون النساء ويقتل الصبيان ويخرج اليه رجل من أهل بيتى فى الحرم فيبلغ السفيانى فيبعث اليه جندا من جنده فيهزمهم فيسير اليه السفيانى بمن معه حتى اذا جاز بيداء من الارض خسف بهم فلا ينجو الا المخبر عنهم •اخرجه الحاكم فى مستدركه وقال : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه •

**خروج الابقع والاصهب**

والأبقع يخرج من مصر ، والاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ، ثم يخرج الجرهمى من الشام قال كعب الاحبار : أول من يخرج ويغلب على البلاد الاصهب يخرج من بلاد الجزيرة ، ثم يخرج من بعده الجرهمى من الشام ، ويخرج القحطانى من بلاد اليمن • قال كعب : فبينما هؤلاء الثلاثة قد تغلبوا على مواضعهم واذا قد خرج السفيانى من دمشق من واد يقال له وادى اليابس يؤتى فى منامه فيقال له قم فاخرج فيقوم فلا يجد أحدا ثم يؤتى الثانية ثم الثالثة ويقال له فيها فانظر الى باب دارك

فينحدر في الثالثة الى باب داره فاذا بسبعة أنفار أو تسعة معهم لواء فيقولون نحن أصحابك ومع رجل منهم لواء معقود لا يرى ذلك اللواء أحـد الا انهزم فيخرج اليه صاحب دمشق ليقاتله فاذا نظر الى رايته انهزم فيدخل دمشق الشام في ثلثمائة وستين راكبا وما يمضى عليه شهر حتى يجتمع عليه ثلاثون ألفا من كلب وهم أخواله وعلامة خروجه خسف بقرية حرستا ويسقط جانب مسجدها الغربى ، ثم يخرج الابقع والاصهب فيخـرج السفيانى من الشام والابقع من مصر والاصهب من جزيرة العرب ويخرج الاعرج الكندى بالمغرب ويدوم القتال بينهم سنة ثم يغلب السفيانى علـى الابقع والاصهب ويسير صاحب الغرب فيقتـل الرجال ويسبى النساء ثم يرجع حتى ينزل الجزيرة في قيس الى السفيانى فيظهر السفيانى عليـه ويحوز ما جمعوا من الاموال ويظهر على الرايات الثلاث ثم يقـاتل الترك فيظهر عليهم ثم يفسد في الارض ويدخل الزوراء فيقتل من أهلها •

**خروج الأعـرج الكندى**

ثم يخرج وراء النهر خارج يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له المنصور يمكن لآل محمد واجب على كل مؤمن نصره •وهذاالرجل يحتمل أن يكون هو الهاشمى الآتى ذكره ويلقب بالحارث كما يلقب المهـدى بالجابر ويحتمل أن يكون غيره • ويثور أهل خراسان بعساكر السفيانى فتكون بينهم وقعات فاذا طال عليهم قتاله بايعوا رجلا من بنى هاشم بكفه اليمنى خال سهل الله أمره وطريقه هو أخو المهدى من أبيه أو ابن عمه وهو حينئذ بآخر المشرق بأهل خراسان وطالقان ومعه الرايات السـود الصغار وهى غير رايات بنى العباس على مقدمته رجل من بنى تميم الموالى ربعة أصفر قليل اللحية كوسج واسمه شعيب بن صالح التميمى يخرج اليه في خمسة آلاف فاذا بلغه خروجه صيره على مقدمته لو استقبلته الجبـال الرواسى لهدها يمهد الارض للمهدى فيلتقى الهاشمى بخيل السـفيانى فيقتل منهم مقتلة عظيمة ببيضاء اصطخر حتى تطأ الخيل الدماء الى ارساغها ثم تأتيه جنود من قبل سجستان عليهم رجل من بنى عدى فيظهـر الله أنصاره وجنوده ثم يجتمع مع المهدى ويبايعه وبالله التوفيق •

**خروج الحـارث والمنصور**

**ذكر شعيب بن صالح**

**الفائدة الخامسة في أحوال المهدى**

( الخامسة في مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك )

أخرج نعيم بن حماد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : المهدى مولده بالمدينة من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبى ومهاجره بيت المقدس • وفي مرفوع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عند أبى نعيم وأبى بكر بن المقرى فى معجمه : يخرج المهدى من قرية يقال لها كريمة •

**بيعته ومايتصل بها**

وأما بيعته فيبايع بمكة المشرفة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء ، واذا هاجر المهدى من المدينة الى بيت المقدس تخرب المدينة بعد هجرته وتصير مأوى للوحوش ، وقد ورد : عمران بيت المقدس خراب يثرب • وفى حديث قتادة : يخرج المهدى من المدينة الى مكة • وفي حديث ابن عباس : يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا • وفى خبر أبى جعفر : يظهر المهدى بمكة عند العشاء • وفى الخبر : يبعث السفيانى جيشا الى مكة فيأمر بقتل من كان فيها من بنى هاشم فيقتلون ويتفرقون هاربين الى البرارى والجبال حتى يظهر أمر المهدى بمكة فاذا ظهر اجتمع كل من شذ منهم اليه بمكة ويأتى سبعة علماء من آفاق شتى على غير ميعاد قد بايع لكل منهم ثلاثمائة وبضعة عشر فيجتمعون بمكة ويقول بعضهم لبعض ما جاء بكم فيقولون جئنا في طلب هذا الرجل الذى ينبغى أن تهدأ على يديه الفتن وتفتح له قسطنطينية قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه ـ ولم نقف على اسم أم المهدى بعد الفحص والتتبع ولعلهم يعرفون اسم أمه بالكشف كما ذكره في الاشاعة فيقف السبعة على ذلك ـ فيطلبونه فيصيبونه بمكة فيقولون أنت فلان ؟ فيقول بل أنا رجل من الانصار ، فينفلت منهم فيصفونه لأهل الخبرة والمعرفة به فيقولون هو صاحبكم الذى تطلبونه وقد لحق بالمدينة ، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم الى مكة ، وهكذا ثلاث مرات ، فيصيبونه بمكة فى الثالثة عند الركن فيقولون : اثمنا عليك ودماؤنا فى عنقك ان لم تمد يدك نبايعك ، وقد أقبل عسكر السفيانى فى طلبنا ، فيجلس بين الركن والمقام فيمد يده فيبايع له فيلقى الله محبته في قلوب الخلق فيصير مع قوم أسد بالنهار رهبان بالليل • أخرجه نعيم بن حماد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه •

وأخرج أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يبعث المهدى بعد أياس حتى يقول الناس لا مهدى وأنصاره من أهل الشام عددهم ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا عدد أصحاب بدر يسيرون اليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دار عند الصفا فيبايعوه كرها فيصلى بهم ركعتين عند المقام • وأخرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال يبايع المهدى بين الركن والمقام لا يوقظ نائما ولايهريق دما • والله أعلم •

وقد تكاثرت الروايات والآثار بأمر المهدى وقد ذكر العلماء ان أول ظهوره يكون شابا ثم يخاف على نفسه من القتل فيفر الى مكة مختفيا ثم يرجع الى مكة فيرونه بالمطاف عند الركن فيقهرونه على المبايعة بالامامة ثم يتوجه الى المدينة ومعه المؤمنون ثم يسيرون الى جهة الكوفة ثم يعود منهزما من جيش السفيانى فيخرج الله على السفيانى من أهل المشرق وزير المهدى فيهزم السفيانى الى الشام فيقصده المهدى فيذبحه عند عتبة بيت المقدس كما تذبح الشاة ويغنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بنى كلب ولا أكثر من تلك الغنيمة • وفي رواية انه يخرج رجل من كلب يقال له كنانة بعينه كوكب فى رهط من قومه حتى ياتى الصخرى يعنى السفيانى فيبعث اليه المهدى راية وأعظم راية في زمانه مائة رجل فتصف كلب خيلها ورجلها وابلها وغنمها فاذا تسامتت الخيلان ولت كلب أدبارها فيقتلونهم ويسبونهم حتى تباع العذراء منهم بثمانية دراهم ويؤخذ الصخرى فيؤتى به أسيرا الى المهدى فيذبح على الصخرة المعترضة على وجه الارض عند الكنيسة التى ببطن الوادى على درج طور زيتا المقنطرة التى على الوادى كما تذبح الشاة • وفى رواية ثم يؤخذ عروة السفيانى على أعلى شجرة على بحيرة طبرية - قال صلى الله عليه وسلم « والخائب يومئذ من خاب من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيرة أو بصيحة والخائب من خاب يومئذ من غنيمة كلب ولو بعقال » فقال حذيفة يا رسول الله كيف يحل قتلهم وتغنم أموالهم وهم مسلمون ؟ فقال صلى الله عليه وسلم «يكفرون باستحلالهم الخمر والزنا • » وفي الحديث : لا تحشر أمتى حتى يخرج المهدى يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة ويخرج اليه الابدال من الشام

والنجباء من مصر وعصائب أهل الشرق حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام ثم يتوجه الى الشام وجبريل على مقدمته وميكائيل على يساره ومعه أهل الكهف أعوان له فيفرح به أهل السماء والارض والطير والوحش والحيتان في البحر وتزيد المياه في دولته وتمتد الانهار وتضعف الارض أكلها فيقدم الى الشام فيأخذ السفياني فيذبح تحت الشجرة التى أغصانها الى بحيرة طبرية • والذى يظهر في الجمع بين روايات ذبح السفيانى انه يذبح تحت الشجرة هو أو وزيره والذى يذبح على العتبة هو نفسه ان كان المذبوح تحت الشجرة وزيره أو وزيره ان كان هو المذبوح • ثم تمهد الارض للمهدى ويدخل في طاعته ملوك الارض كلهم ويبعث بعثا الى الهند فتفتح ويؤتى بملوك الهند اليه مقفلين وتنقل خزائنها الى بيت المقدس فتجعل حلية لبيت المقدس ويمكث في ذلك سنين •

**مدة ملك المهدى**

وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدى ففى بعضها يملك خمسا أو سبعا أو ستا ــ بالترديد ، وفى بعضها : تسع عشرة سنة أو شهرا ، وفى بعضها : عشرين ، وفى بعضها : ثلاثين ، وفى بعضها : أربعين منها تسع سنين يهادن الروم فيها • ويمكن الجمع على تقدير صحة الكل بأن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الاكثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البيعة والاقل على غاية الظهور والاوسط على الاوسط ، قال في الاشاعة : وهذا الذى تقتضيه بشارة النبى صلى الله عليه وسلم بالمهدى وان الله تعالى يعوضهم عن الظلم والجور قسطا وعدلا ، واللائق بكرم الله تعالى أن تكون مدة ذلك بقدر ما ينسون فيها الظلم والجور والفتن ، والسبع والتسع أقل من ذلك مع أنه في مدته تفتح الدنيا كلها كما فتحها ذو القرنين وسليمان ويدخل جميع الآفاق كما في بعض الروايات ويبنى المساجد والبلدان ويحلى بيت المقدس ، وهذا يقتضى مدة طويلة مع ما ورد أن الاعمار تطول في زمانه فطولها مستلزم لطول مدته والتسع ونحوها ليست من الطول في شيء ولا سيما مهادنته للروم تسع سنين ثم فتح القسطنطينية وروميه المدائن وغيرهما وهذا يقتضى طول مدته وبالله التوفيق •

تنبيـــه في أن المهــدى غير عيسى

## ( تنبيه )

قد كثرت الاقوال في المهدي حتى قيل لا مهدي الا عيسى والصـــواب الذى عليه أهل الحق أن المهدى غير عيسى وانه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام ، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوى وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عدمن معتقداتهم وقد روى الامام الحافظ ابن الاسكاف بسند مرضى[1] الى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدى فقد كفر » وفي حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يا حذيفة لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتى تجرى الملاحم على يديه ويظهـــر الاسلام ولا يخلف الله وعدهوهو سريع الحساب» أخرجه الحافظ أبو نعيم الاصفهانى، وأخرج نحوه أبو عمرو المقرى من حديثأبى هريرة مرفوعا، ومن حديث قيس بن جابر عن أبيه عن جده مرفوعا وفيه « ثم يخرج المهدى من أهل بيتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا » رواه أبو نعيم في فوائده وأخرجه الطبرانى في معجمه ، ومن حديث أبى سعيد الخدرى أخـــرجه أبو نعيم ومن حديث ابن عباس أخرجه ابن الجوزى في تاريخه ، ومن حديث على أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى في سننهم ، وقد روى عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضى الله عنهم بروايات متعددةوعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعى فالايمان بخروج المهدى واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة

قـــول الامامية والكيسانية

وكذا عند أهل الشيعة أيضا لكنهم زعموا انه محمد بن الحسن العسكرى كما تقدم . وزعمت الكيسانية أن المهدى هو محمد ابن الحنفيةوانهحيمقيم بجبل رضوى وانه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل فزعموا انه دخل اليه ومعه أربعون من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر ، قالوا وهم أحياء يرزقون ويقولون أنه يعود بعد الغيبة ويملأ الارض

---

(١) كلا ليس بمرضى عند أئمة الحديث .

عدلا كما ملئت جورا ، قالوا وانما عوقب بهذا الحبس لخروجه الى عبدالملك ابن مروان وقيل الى يزيد بن معاوية • والى هذا الاعتقاد أشار كثير عزة بقوله :

وسبــط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقـــدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهــم زمانا برضوى عنــده عسل وماء

وكان السيد الحميرى على هذا المذهب وهو القائل :

الأقل للامام فــدتك نفسى أطلت بذلك الجبــل المقاما

وجبل رضوى بفتح الراء وبعدها ضاد معجمة وبعد الواو ألف كسكرى هو جبل جهينة في عمل الينبع بينهما مسيرة يوم واحد وهو من المدينــة على سبع مراحل وميامنه طريق المدينة ومياسره طريق البر لمن كان مصعدا الى مكة وهو على ليلتين الى البحر ، وكان المختار بن أبى عبيــد الثقفى الخبيث المشهور يدعو الى امامة محمد ابن الحنيفة رضى الله عنه وعن أبيه علي بن أبي طالب وكان المختار يزعم ان محمدا هذا هو المهدى ، قـال الجوهرى في الصحاح كيسان لقب المختار المذكور•واقتصر عليه فيالقاموس أيضا ، وقالغيرهما كيسان مولى على رضوان الله عليه • وقيل ان كيسان تلميذ على ، وهؤلاء الكيسانية احدى فرق الضلال كما مر فى تعداد الفرق فعلى عقولهم الدمار وعلى أفعالهم البوار ما أضل علومهم وأبلد فهومهم • وبالله التوفيق •

**تتمة للمهــدى فضل دونفضل الصحابة**

( تتمة ) جاء عن ابن سيرين ان المهدى خير من أبى بكر وعمر قد كاد يفضل الانبياء • وجاء عنه أيضا لا يفضل عليه أبو بكر وعمر ، وهو وان كان أخف من الاول فليس بصحيح فان الامة مجتمعة على أفضليتهما عليــه بل وعلى جميع الصحابة خلافا للرافضة خذلهم الله تعالى كما سيأتى بيان ذلك بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدى • ثم يستمر سيدنا المهدى حتى يسلم الامر لروح الله عيسى بن مريم عليه السلام ويصلى المهــدى بعيسى عليه السلام صلاة واحدة وهى صلاة الفجر ثم يستمر المهدى عــلى الصلاة خلف سيدنا عيسى عليهالسلام بعد تسليمه الامر اليه ثم يموتالمهدى ويصلى عليه روح الله عيسى ويدفنه في بيت المقدس ، وبمقتضى ما مر يعلم

قدر سنه لانه يخرج ويبايع له وهو ابن أربعين أو خمسة وثلاثين سنة وتقدم الخلاف في مدة ملكه والله تعالى أعلم •

خاتمة ما قيل ان المهديين ثلاثة

( خاتمة ) أخرج نعيم عن الوليد بن مسلم قال سمعت رجلا يحدث قوما فقال : المهديون ثلاثة مهدى الى الخير عمر بن عبد العزيز ، ومهدى الدم وهو الذى يسكن على يديه الدماء ، ومهدى الدين عيسى بن مريم عليه السلام • وأخرج أيضا عن كعب قال : مهدى الخير بعد السفيانى • وأخرج أيضا عن ارطاة قال بلغنى أن المهدى يعيش أربعين عاما ثم يموت على فراشه ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الاذنين على سيرة المهدى بقاؤه عشرون سنة ثم يموت قتلا بالسلاح ، ثم يخرج رجل من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم مهدى حسن السيرة يغزو مدينة قيصر وهو آخر أمير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يخرج في زمانه الدجال وينزل عيسى بن مريم • ونقل العلامة الشيخ مرعي في كتابه فوائد الفكر عن أبى الحسن محمد بن الحسين انه قال قد تواترت الاحاديث واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدى وانه من أهل بيته صلى الله عليه وسلم وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلا وانه يخرج مع عيسى فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وانه يؤم هذه الامة وعيسى يصلى خلفه • يعني صلاة واحدة وهى الفجر كما مر وبالله التوفيق •

العلامة الثانية الدجال

( العلامة الثانية خروج الدجال وما يتعلق به )

وما أدراك ما الدجال منبع الكفر والضلال وينبوع الفتن والاوجال قد أنذرت به الانبياء قومها وحذرت منه أممها ونعتته بالنعوت الظاهرة ووصفته بالاوصاف الباهرة وحذر منه المصطفى وأنذر ونعته لأمته نعوتا لا تخفى على ذى بصر • وقد قيل انه صافي ابن صياد أو صائد وان مولده المدينة كما في الحديث الوارد ، وقيل بل هو شيطان موثق في بعض الجزائر أو انه من أولاد شق الكاهن أو هو شق نفسه وان أمه كانت جنية عشقت أباه فأولدها اياه وكانت الشياطين تعمل له العجائب فحبسه سليمان بن داود عليهما السلام وهذا القول ليس بصائب ، وقال كعب الاحبار : الدجال تلده أمه بقوص من

ما جاء فى صفته

أرض مصر بين مولده وخروجه أربعون سنة • وفي الترمذي انه يخرج من خراسان • وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه مرفوعا « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة » • وفي مستدرك الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا « يخرج الدجال من يهودية أصبهان ثم يخلق له عين (؟ ـ ١) والاخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم يشوى في الشمس سمكا ويتناول الطير من الجو له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق والمغرب » • ومن حليته انه شاب وفي رواية شيخ وسندهما صحيح جسيم أحمر وفي رواية أبيض أمهق وفي رواية آدم ، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخارى يمكن أن تكون أدمته صافية وقد يوصف ذلك بالحمرة لان كثيرا من الأدم قد تحمر وجنتاه ، جعد الرأس قطط أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية ، وفي رواية : أعور العين اليسرى ، وجاء في رواية انه أعور العين مطموسة وليست جحراء • وهذا معنى طافئة مهموزة ، قال في فتح البارى نقلا عن القاضي عياض : الذى رويناه عن الاكثر وصححه الجمهور وجزم به الاخفش طافية بغير همز ومعناه انها ناتئة نتوء العنبة ، قال وضبطه بعض الشيوخ بالهمزة وأنكره بعضهم ، قال ولا وجه لانكاره ، ثم جمع القاضي بين الروايات بأن عينه اليمنى طافية بغير همزة (؟ـ٢) وممسوحة أي ذهب ضوءها وهو معنى حديث أبي داود مطموس العين ، ليست بناتئة ولا جحراء أي ليست بعالية ولا عميقة كما في الرواية الاخرى عنه وهى الجاحظة التى كأنها كوكب وكأنها نخاعة في حائط وهى الخضراء كما جاء ذلك في الاحاديث ، قال وعلى هذا فهو أعور العينين معا فكل واحدة من عينيه عوراء وذلك ان العور العيب والأعور من كل شيء المعيب وكلتا عيني الدجال معيبة أحداهما بذهاب نورها والاخرى بنتوها وخضرتها • قال الامام النووى وهذا في غاية الحسن • انتهى • وقد ورد أن على عينيه ظفرة غليظة وهى لحمة تنبت عند الماق وقيل لحمة تخرج في العين في الجانب الذى على الانف وهما متقاربان • قال الحافظ ابن حجر في فتح البارى : وقد ورد في كلتا عينيه أن عليهما ظفرة ، وفي بعض الروايات عن أبي سعيد الخدرى رضي الله

---

(١) انظر المستدرك ج ٤ ص ٥٢٨ (٢) أنظر فتح البارى ج١٣ ص٨٦

عنه عند الامام أحمد : جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص وعينه اليسرى كأنها كوكب درى ، وفي حـــديث أبى رضى الله عنه عند الامام أحمد أيضا والطبرانى : احدى عينيه كأنها زجاجة خضراء ، قال والذى يتحصل من مجموع الاخبار ان الصواب في طافية بغير همزة وصرح في حديث عبد الله بن معقل وسمرة وأبى بكرة رضى الله عنهم بأن عينـــه اليسرى ممسوحة ، والطافية غير الممسوحة ، وأما الظفرة فجائز أن تكون في كل من عينيه لانه لا ينافى الطمس ولا النتو أو تكون التى ذهب ضوءها هى المطموسة يعنى اليسرى والمعيبة مع بقاء حدقتها هى البارزة • انتهى •

ومن أوصاف الدجال انه قصير أفحج كما في سنن أبى داود وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان « المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ـ أى متباعد مابين الساقين وقيل هو التدانى ما بين صدور القدمين مع تباعدهما وقيل هو الذى في رجليه اعوجاج ـ جفال الشعر ـ بضم الجيم وتخفيف الفاء أى كثيرة ـهجانـ بكسر أوله وتخفيف الجيم ـ أبيض ـ أقمر ـ أي شديد البياض ـ ضخم فيلمانى ـ بفتح الفاء وسكون التحتية أى عظيم الجثة قال ابن الاثير في نهايته في صفة الدجال أقمر فيلم وفي رواية فيلمانيا الفيلم العظيم الجثة والفيلم الامر العظيم واليـــاء زائدة والفيلمـــانى منسوب اليه بزيادة الالف والنون للمبالغة انتهى ـ كأن رأسه أغصان شجرة ـ أي شعر رأسه كثير متفرق قائم ، وفي رواية ان رأسه من ورائه حبك أى شعر منكس من الجعود كالماء الساكن والرمل اذا هبت عليهما الريح ، قال في النهاية وهذا معنى ما مر انه جعد قطط ـ مكتوب بين عينيه كفر ـ حروفا مقطعة ـ يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ـ ولا يقرؤها الكافر ـ لا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة تتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة وسبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم التيجان وكلهم ذو سيف محلى • ومن صفاته أيضا انه تنام عيناه ولا ينام قلبه وأبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار وأمه امرأة فرضاخية أي كثيرة اللحم طويلة الشفتين • وقال في النهاية وفي حديث الدجال وان أمه كانت فرضاخية أي ضخمة عظيمة الثديين يقال رجل فرضاخ وامرأة فرضاخة والتاء للمبالغة ( ؟ ) له • أي الدجال حمار

وهو المشعر الغليظ يعنى كثير الشعر - ما بين أذنيه أربعون ذراعا يضع خطوه عند منتهى طرفه • وقال أبو الطفيل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم : يخرج الدجال على حمار رجس• رواه ابن أبى شيبة • وقال علي رضى الله عنه : يخرج الدجال ومعه سبعون ألفا من الحاكة - زعم بعضهم ان الحاكة اسم موضع - على مقدمته أشعر - أي رجل كثير الشعر - يقول بدو بدو • وهذا لفظ فارسى معناه أسرع أسرع • وفي مسند أبى بكر بن أبى شيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الدجال عريض المنخر فيه رفا (؟) أى انحناء • وفي صحيح مسلم من حديث هشام بن عامر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال » وفي رواية أمر أكبر من الدجال •

**قيل انه شيطان لا انسان**

واعلم ان العلماء قد اختلفوا في الدجال فقيل انه ليس بانسان وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن لا يعلم من أوثقه أهو سليمان بن داود عليه السلام أو غيره فاذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة واذا أبرز أتته اتان عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعا فيضع على ظهرها منبرا من نحاس فيقعد عليه وتتبعه قبائل الجن يخرجون اليه بخزائن الارض وأول خروجه يدعى الايمان والصلاح ويدعو الى الدين فيتبع ويظهر فلا يزال حتى يقدم الكوفة فيظهر الدين ويعمل به فيتبع ويحب على ذلك ، ثم يدعى الالهية فيقول انا الله فتغشى عينه وتقطع أذناه ويكتب بين عينيه كافر فلا يخفى على مسلم فيفارقه كل أحد من الخلق في قلبه مثقال ذرة من الايمان • هكذا رواه الطبرانى • وقال كعب الاحبار : يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقى ابتداء قبل خروجه ، ثم يلتمس فلا يقدر عليه ثم يرى عند المياه التى عند نهر الكسوة فيطلب فلا يدرى أين توجه ، ثم يظهر بالمشرق فيعطى الخلافة ثم يظهر السحر ثم يدعى النبوة فينصرف الناس عنه يعنى المسلمين فيأتى النهر فيأمره ان يسيل فيسيل ثم يأمره أن يرجع فيرجع ثم يأمره أن ييبس فييبس - الحديث • رواه نعيم بن حماد • ويبعث الله له شياطين فيقولون له استعن بنا على ما تريد فيقول لهم نعم اذهبوا للناس فقولوا أنا ربهم فيبثهم في الآفاق ويدعى الالهية ، ويخرج من أرض

المشرق من نواحي خراسان ومعه اليهود من أصبهان وغيرها ، وقيل انه يخرج من يهودية أصبهان كما تقدم ، وقيل من كوثا بالكوفة وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والاعراب • وفي الترمذى انه يخرج من خراسان • وفي صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة » • وفي الطبرانى يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق معه قومه وجوههم كالمجان فيفتتن

**عظم فتنته**

الناس به فتنة عظيمة ففى الحديث : ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال وما من نبى الا وحذر قومه الدجال ـ الحديث رواه الحاكم عن جابر رضى الله عنه مرفوعا • وفي الحديث ان قبل خروجه ثلاث سنين أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها ، والسنة الثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها ، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها ويهلك كل ذى ضرس وظلف ، ويسير ومعه جبلان أحدهما فيه أشجار وأثمار وماء ، وأحدهما فيه دخان ، فيقول هذه الجنة وهذه النار • رواه الحاكم عن ابن عمر مرفوعا • وعن حذيفة ان معه جنة ونارا ورجالا يقتلهم ثم يحييهم ومعه جبل ثريد ونهر ماء • وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار » وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض والآخر رأي العين نار تأجج ، فأما ان أدرك ذلك أحد منكم فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمض ثم ليطاطىء رأسه فيشرب فانه ماء بارد ، وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب » وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال في الدجال : ان معه ماء ونارا فناره ماء بارد وماؤه نار فلا تهلكوا • قال أبو مسعود وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم • كل هذه الروايات في صحيح مسلم واتفق البخارى ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم على هذه الرواية وهي قوله ان الدجال يخرج وان معه ماء

ونارا فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذى يراه نارا فانه ماء عذب طيب • قال أبو مسعود وأنا قد سمعته تصديقا لحذيفة • وفي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم عن الدجال حديثا ما حدثه نبى قومه ، انه أعور وانه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتى يقول انها الجنة هى النار وانى أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه » وأخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان الكلابى رضى الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرىء حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم ، انه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتيح سورة الكهف ، انه خارج خلة ـ أي انه يخرج قصدا وطريقا والتخلل الدخول الشيء ـ بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا ، قلنا يا رسول الله فما لبثه في الارض ؟ قال : أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة تكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا ، أقدروا له قدره ، قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا شابا ممتلئا[1] فيضربه بالسيف فيقطعه

**طول بعض أيامه وكيف الصلاة فيها**

(١) المحفوظ « رجلا ممتلئا شبابا »

جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه - الحديث •

**مع الدجال ما يسميه جنة ونار أفهل ذلك تخييل ؟**

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن لذى معه من صورة الجنة والنار ونحوهما على طريق التخييل لا الحقيقة منهم ابن حبان في صحيحه واستدل بحديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين وغيرهما انه قال كنت أكثر من سؤال لنبى صلى الله عليه وسلم عن آية الدجال فقال لى وما يضرك ؟ قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ؟ قال « هو أهون من ذلك » قال فمعناه انه أهون على الله من أن يكون معه ذلك حقيقة بل يرى ذلك وليس بحقيقة ، ويدل له أيضا الرواية السابقة أحدهما في رأي العين أبيض - الحديث • وقال جماعة منهم ابن العربى : بل هي على ظاهرها امتحانا من الله تعالى لعباده • وحملوا قوله هو أهون الخ أي من أن يخاف منه أو ان يضل الله به من يحبه • قال في الاشاعة كالعلامة الشيخ مرعى ، والتحقيق الاول ، ويدل له ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « فمن أدرك ذلك منكم فليقع بالذى يراه انها نار فانه عذب بارد » وبما في رواية : فالنار روضة خضراء ،

**ذكر المؤمن الذى يكذب الدجال وما يجرى له**

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حديثا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا قال « يأتي وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينتهى الى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد انك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه ، فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر ؟ فيقولون لا ، قال فيقتله ثم يحييه ، فيقول الرجل حين يحييه : والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن ، قال فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه » وأخرج مسلم عنه أيضا في هذا الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين

فيلقاه المسالح مسالح الدجال - أى وهو جمع مسلحة قوم معهم سلاح والمسلحة كالثغر والمرقب وهو الذى يكون فيه قوم يرقبون العدو لئلا يهجم عليهم - فيقولون له أين تعمد ؟ فيقول أعمد الى هذا الرجل الذى خرج ، قال فيقولون له أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربنا خفاء ،فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا أحدا دونه ، قال فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، قال فيأمر به الدجال فيشج فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضربا ، قال فيقول : أما تؤمن بى ؟ قال فيقول : أنت المسيح الكذاب ، قال فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشى الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له قم فيستوى قائما - وفي رواية قم حيا باذنى فيعود حيا - قال فيقول له أتؤمن بى؟ فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة ، قال ثم يقول يا أيها الناس انه لا يفعل بعدى بأحد من الناس ، قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاس ، فلا يستطيع اليه سبيلا ، قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انه قذفه الى النار وانما ألقى في الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين • قال القرطبى في تذكرته يقال ان هذا الخضر عليه السلام • قال العلامة الشيخ مرعى في بهجته ثبت ان الدجال لا يسلط على أحد بالقتل الا على رجل واحد يخرج اليه وهو شاب حسن فيقول له الدجال أتؤمن بى وبألوهيتى فيقول له انك اللعين الكذاب أو الدجال فيقتله ويشقه نصفين ويمشى الدجال بحماره بين الشقين ويقول له قم حيا باذنى فيعود حيا ثم يقول له بعد ذلك أتؤمن بى ؟ فيقول ما ازددت فيك الا يقينا ، انك اللعين ، قال ابراهيم بن محمد بن سفيان يقال ان هذا الرجل هو الخضر عليه السلام • وقد توهم القرطبى فزعم ان القائل ذلك ابراهيم (؟-١) أبو اسحق السبيعى وليس كذلك وقال بعضهم ان الرجل المذكور من أصحاب الكهف وقد مر أنهم يكونون من أصحاب المهدى •

فان قلت كيف يقال انه لا يسلط الا على واحد مع ما ورد عن حذيفة

(١) كذا وراجع فتح البارى ج١٣ص٩٢

رضى الله عنه ان مع الدجال رجالا يقتلهم ثم يحييهم فالجواب ان هؤلاء الرجال انما هم شياطين وقتله اياهم واحياؤه لهم انما هو في رأي العين لا على الحقيقة وأما قتل ذلك الرجل فعلى الحقيقة •

فائدة فى عدد من سلم من فتنـــة الدجال

( فائدة ) ورد انه لم يبق من الناس بلا فتنة من الدجال الا اثنا عشر ألف رجل وسبعة آلاف امرأة والله المستعان • وأخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين ـ لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما ـ فيبعث الله عيسى ابن مريم عليــه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه » الحديث •

* * *

العلامة الثالثــة نزول عيسى عليه السلام دل عليه الكتاب والسنة والاجماع

(( و )) منها أي من علامات الساعة العظمى العلامة الثالثة ان ينزل من السماء السيد (( المسيح )) عيسى بن مريم عليه السلام ونزوله ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة أما الكتاب فقوله ( وان من أهل الكتاب لا ليؤمنن به قبل موته ) أى ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة ابراهيم حنيفا مسلما • ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة وان الضمير فيقوله قبل موته ليهود (؟) ويؤيده قراءة أبى رضى الله عنه قبل موتهم • وأما السنة ففى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم « والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية » الحديث • وفي مسلم عنه « والله لينزلن ابن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب » بنحوه • وأخرج مسـلم أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول : لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة » وأما الاجماع فقد أجمعت الامة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وانما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه ، وقد انعقد اجماع الامة عـــلى

أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وان كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها ، ويتسلم الامر من المهدى ويكون المهدى من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدى حتى أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدى كما مر • وتقدم ان عيسى عليه السلام يصلى وراء المهدى صلاة الفجر ولا يقدح ذلك في نبوته وكذلك يسلم اليه تابوت بنى اسرائيل وكل ما معه من آلات الامر •

**فوائد تتعلق به الأولى حليته وسيرته**

( فوائد في متعلقات السيد المسيح عليه السلام )

(الاولى) في حليته وسيرته أما حليته فعند البخارى من حديث عقيل بن خالد انه أحمر جعد عريض الصدر • وفي رواية آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال سبط ينطف ـ بكسر الطاء المهملة أى يقطر ـ زاد في رواية : له لمة ـ أي بكسر اللام وتشديد الميم ـ أحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها ـ بتشديد الجيم أي سرحها ـ وفي رواية ـ لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء • وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس ـ زاد فى حديث أبى هريرة بنحوه : كأنما خرج من ديماس ـ يعنى الحمام ـ ولا منافاة بين الحمرة والادمة لجواز أن تكون ادمته صافية كما مر : لا يجد ريح نفسه كافر الا مات •

وأما سيرته فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما تقدم ويقتل القرد ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام ويتحد الدين فلا يعبد الا الله ، ويترك الصدقة أي الزكاة لعدم من يقبلها ، وتظهر الكنوز في زمنه ولا يرغب في اقتناء المال، ويرفع الشحناء والتباغض وينزع الله سم كل ذى سم حتى تلعب الاولاد بالحيات والعقارب فلا تضرهم ، وترعى الشاه مع الذئب فلا يضرها ، وتملأ الارض سلما ـ وينعدم القتال ، وتنبت الارض نبتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ، وكذا الرمانة ، وترخص الخيل لعدم القتال ، ويغلو الثور لان الارض تحرث كلها • ويكون مقررا لشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا انه رسول لهذه الامة كما مر ، ويكون

قد علم أحكام هذه الشريعة بأمر الله تعالى وهو في السماء قبل أن ينزل • وزعم بعض العلماء ان بنزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام يرفع التكليف • وهذا مردود للاخبار الواردة انه يكون مقررا لأحكام هذه الشريعة ومجددا لها اذ هى آخر الشرائع ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم آخر الرسل ، والدنيا لا تبقى بلا تكليف ، فان بقاء الدنيا انما يكون بمقتضى التكليف الى أن لا يقال في الارض الله الله ، ذكره القرطبى في تذكرته • وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم : وتسلب قريش ملكها ، قال الحافظ السخاوى في كتابه القناعة وابن حجر في القول المختصر : معنى ذلك لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته فلا يعارض ذلك خبر «لايزال هذا الامر في قريش ما بقى من الناس اثنان » • قال البرزنجى في الاشاعة : ويدل لهذا حديث جابر عند مسلم « فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة » وعلى هذا فلا منافاة أن يكون المهدى أميرا حتى في زمن عيسى عليه السلام ويكون مراجعته في الامور لعيسى عليه السلام للتبرك والتيمن به •

**خبر لايزال هذا الأمر فى قريش وما يشكل عليه**

فان قلت كيف يصح خبر لا يزال هذا الامر في قريش مع مشاهدتنا انفصال قريش عن الملك منذ أزمان ، فالجواب استحقاقها لهذا الامر وان ظلمها ظالم • وأما عيسى فيظهر كمال العدل فلا يأخذ حقهم وربما أن يكون بقاء الامر في قريش ولو مراجعة ، ولا شك أن قريشا يراجعون ، على أن ملوك زماننا يزعمون انهم انما يتملكون بالنيابة عن قريش ويعملون صورة نيابة عن نقيب السادة الاشراف على ان لبنى هاشم استقلالا بالامر في محلات كالحجاز واليمن والمغرب وغيرها •

ثم انه لا يخفى انه لا يحسن أن يقول ان الامر في أيام عيسى يكون للمهدى مع كون عيسى رسولا من أولى العزم معصوما والمهدى رجل مجتهد ، نعم يكون المهدى من خواص السيد عيسى بل وزيره والمقرب لديه يراجعه في الامور وتصدر عنه الشورى وبالله التوفيق •

الفائدة الثانية وقت نزوله ومحله وما يجرى على يديه

## ( الفائدة الثانية )

### في وقت نزوله من السماء ومحله وما يجرى على يديه من الملاحم

أما محل نزوله فعند المنارة البيضاء شرقى دمشق واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، ففى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « فبينما هو أي الدجال كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفع رأسه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريحه الامات ، ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه » قوله مهرودتين قال في جامع الاصول رويت هذه اللفظة بالمهملة والمعجمة يقال للثوب اذا صبغ بالورس ثم بالزعفران جاء لونه مثل زهرة الحوذانة فذلك الثوب مهرود ، وقيل أراد بالمهرود الثوب المصبوغ بالهرد وهو صبغ أصفر قيل انه الكركم ، وقيل أراد في شقتين من الهرد وهو القطع . انتهى .

وقال في النهاية : في حديث عيسى عليه السلام انه ينزل بين مهرودتين أي في شقتين أو حلتين ، وقيل الثوب المهرود الثوب الذى يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجيء لونه مثل لون زهرة الحوذانة ، قال القتيبى هو خطأ من النقلة وأراه مهروتين أى صفراوين يقال هريت العمامة اذا لبستها صفراء وكان فعلت منه هروت فان كان محفوظا بالدال فهو من الهرد الشق . وخطيء ابن قتيبة فى استدراكه واشتقاقه . قال ابن الانبارى القول عندنا في الحديث بين مهرودتين يروى بالدال والذال أي بين ممصرتين على ما جاء في الحديث ولم نسمعه الا فيه ، وكذلك أشياء لم تسمع الا فى الحديث ، والممصرة من الثياب التى فيها صفرة خفيفة ، وقيل المهرود الثوب الذى يصبغ بالعروق والعروق يقال لها الهرد ، وفي حديث ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهردة جاء تفسيره فى الحديث انها العدسة . انتهى . والجمان حب الفضة .

ويكون نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام لست ساعات مضت من

النهار حتى يأتى مسجد دمشق يقعد على المنبر فيدخل المسلمون المسجد وكذا النصارى واليهود كلهم يرجونه حتى لو ألقى شيء لم يصب الا رأس انسان من كثرتهم ويأتى مؤذن المسلمن وصاحب بوق اليهود وناقوس النصارى فيقترعون فلا يخرج الا سهم المسلمين وحينئذ يؤذن مؤذنهم ويخرج اليهود والنصارى من المسجد ويصلى بالمسلمين صلاة العصر ثم يخرج بمن معه من أهل دمشق فى طلب الدجال كما سيأتى بيان ذلك •

**الفائدة الثالثة مقدار مدته ووفاته**

( الفائدة الثالثة في مقدار مدته ووفاته )

أما مدته ووفاته فقد ورد في حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند الطبرانى وابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة » وعند الامام أحمد وابن أبى شيبة ، وأبى داود وابن جرير وابن حبان عنه انه يمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم • وأخرج الامام أحمد وابن أبى شيبة وابن عساكر وأبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى في الارض أربعين سنة اماما عادلا حكما مقسطا » وأخرج الامام أحمد أيضا في الزهد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « يلبث عيسى بن مريم أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلى عسلا لسالت. » وفي المنتظم الامام الحافظ ابن الجوزى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم فيتزوج ويولد له » ذكر بعضهم ولدين أحدهما يسميه موسى والآخر محمد وان أمهما من اليزد ، قال ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت ويدفن معى في قبرى فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبى بكر وعمر » وعلى هذا روايات أربعين وردت بالغاء الكسر • وورد في رواية انه انما يمكث سبع سنين • وجمع بعضهم ان سيدنا عيسى حين رفع كان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وينزل سبعا فهذه أربعون سنة • وهذا والله أعلم ليس بشيء لما مر من حديث عائشة عند الامام أحمد وغيره « فيقتل الدجال ثم يمكث عيسى فى

الارض أربعين سنة » وقد قال الحافظ جلال الدين السيوطي كنت أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الارض بعد نزوله سبع سنين ، قال واستمريت على ذلك مدة من الزمان حتى رأيت الامام الحافظ البيهقى اعتمد أن مكثه في الارض أربعين سنة معتمدا ما أفاده الامام أحمد في روايته بلفظ ثم يمكث ابن مريم في الارض بعد قتل الدجال أربعين سنة • وهذا هو المرجع لان زيادة الثقة يحتج بها ، ولانهم يأخذون برواية الاكثر ويقدمونها على رواية الاقل لما معها من زيادة العلم ولانه مثبت والمثبت مقدم • انتهى • والى قتل سيدنا عيسى بن مريم للدجال أشار بقوله :

قتله للدجال

(( وانـــه يقتل للـــــدجال بباب لدخل عن جدال ))

(( وانه )) أي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام (( يقتل )) بأمر الله له ومعونته وتأييده (( للدجال )) أي الكذاب وهو اسم لهذا الشخص المشار اليه في الشرائع وقيل انما سمى دجالا لانه يقطع الارض ويسير فى أكثر نواحيها يقال دجل الرجل اذا فعل ذلك • وقيل سمى به لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال دجل اذا لبس وموه • وقيل مأخوذ من الدجل وهو طلي الجرب بالقطران وتغطيته فكأن الرجل يغطى الحق ويستره •

( تنبيـــــه )

تنبيـــه فى لفظ المســـيح وانه يقال لعيسى عليه السلام ويقـال للدجال

انما سمى الدجال مسيحا لان احدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها والاعور يسمى مسيحا كما في جامع الاصول ، وأما تسمية سيدنا عيسى بن مريم مسيحا فقيل لمسح زكريا عليه السلام اياه ، وقيل لانه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ ، وقيل لانه كان يمسح الارض أى يقطعها في سياحته ، وقيـــل المسيح الصديق • فسيدنا عيسى مسيح الهدى وأما الدجال فمسيح الضلالة، وضبطه فيهما بفتح الميم وكسر السين مخففة وبالحاء المهملة ، وسمع مسيح بالتشديد على وزن فعيل قاله الازهرى ، فرقا بينه وبين عيسى فيشدد فى الدجال ويخفف في سيدنا عيسى • قال الغنيمى الشافعى في رسالته «الاجوبة المفيدة على الاسئلة العديدة» ما لفظه : قال ابن دحية عن شيخه أبى القاسم عن أبى عمر ان موسى بن عبـد الرحمن قال سمعت الحافظ أبا عمـر بن

عبد البر يقول ومنهم من قال ذلك بالخاء المعجمة وذلك عند أهل العلم خطأ ولذا ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نطق به بالحاء المهملة ونقله الصحابة المبلغون عنه وقال الراجز * اذا المسيح قتل المسيحا * يعنى عيسى عليه السلام يقتل الدجال • انتهى • وقال في المطلع : المسيح اثنان نبى الله عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ، ولم يختلف في ضبط المسيح عيسى على ما هو في القرآن وانما اختلف في معناه ، فقيل سمى مسيحا لمسحه الارض فعيل بمعنى فاعل ـ وذكر نحو ما تقدم ، وزاد : قيل انما سمى مسيحا لانه كان ممسوح القدمين لا أخمص له ، وقيل لان الله تعالى مسحه أي خلقه خلقا حسنا ، وهذا تقدم ـ والمسحة الجمال والحسن، وقيل لانه خرج ممسوحا بالدهن • قال : وأما الدجال فهو مثل عيسى في اللفظ عند عامة أهل المعرفة والرواية ، وعن أبى مروان بن سراج وغيره كسر الميم وتشديد السين ، وأنكره الهروى وجعله تصحيفا، وقال بعضهم كسرت الميم للتفرقة بينه وبين عيسى عليه السلام ، وقال الحربى : بعضهم يكسرها في الدجال ويفتحها في عيسى وكل سواء • قال أبو الهيثم والمسيح بالحاء المهملة ضد المسيخ بالخاء المعجمة مسحه الله اذ خلقه خلقا حسنا ومسخ الدجال اذ خلقه ملعونا • وقال أبو عبيد : المسيح الممسوح العين وبه سمى الدجال ، وقيل المسيح الاعور وبه سمى الدجال ، وقيل أصله مشيح فيهما معرب وعلى هذا اللفظ ينطق به العبرانيون • انتهى • وذكر نحوه في النهاية ثم قال في الدجال وقيل انه الذى مسخ خلقه أي شوه وليس بشيء • انتهى •

**صلاة عيسى بالمسلمين العصر بمسجد دمشق**

تقدم ان سيدنا عيسى عليه السلام يصلى بالمسلمين صلاة العصر بمسجد دمشق ثم يخرج بمن معه من أهلها في طلب الدجال ويمشى وعليه السكينة والارض تقبض له وما أدرك نفسه من كافر الا وقتله ويدرك حيث ما أدرك بصره حتى يدرك بصره حصونهم وقرياتهم الى أن يأتى بيت المقدس فيجده مغلقا قد حصره الدجال فيصادف ذلك صلاة الصبح • وفي رواية عند الامام أحمد من حديث جابر مرفوعا : فيفر المسلمون ـ يعنى من الدجال ـ الى جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا • ثم ان الناس يشكون في أمر الدجال حين لم يقدر على قتل ذلك الرجل ثانيا

كما تقدم ويبادر الى بيت المقدس فاذا صعد عقبة فيق رفع ظلة على المسلمين فيوترون قسيهم لقتاله فأقواهم من برك حتى اذا طا لالحصار قال رجل : الى متى هذا الحصار ؟ أخرجوا الى هذا العـــدو حتى يحكم الله بيننا اما بالشهادة واما الفتح فهل أنتم الا بين احدى الحسنيين ؟ فيتبايعون على القتال بيعة يعلم الله انها الصدق عن أنفسهم وذلك بعد ثلاث سنين شداد يصيب الناس فيها الجوع الشديد وان قوت المؤمن التهليل والتسبيح والتحميد ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه فينزل ابن مريم عليه السلام فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمة فيقولون من أنت ؟ فيقول أنا عبد الله وكلمته عيسى اختاروا احدى ثلاث ان يبعث الله على الدجال وجنوده عذابا جسيما أو يخسف بهم الارض أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم . فيقولون هذا يا رسول الله أشفى لصدورنا فيومئذ ترى اليهودى العظيم الطويل الاكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعب فينزلون اليهم فيسلطون عليهم . هكذا فيهذه الرواية وفيرواية أخرى : فبينما أمامهم ـ أي المهدى ـ قد تقدم يصلى بهم الصبح اذ نزل عليهم نبى الله عيسى بن مريم عليـــه السلام للصبح فيرجع المهدى قهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام ليصلى بالناس ويقال له يا روح الله تقدم ـ أي يقول ذلك بعض من لم يحرم بالصلاة اذن ـ فيقول عليه السلام ليتقدم أمامكم فيصلى لكم ويضع عيسى عليـــه السلام يده بين كتفى المهدى فيقول له تقدم فانها لك أقيمت فيصلى بهـــم أمامهم فاذا انصرف قال عيسى افتح فيفتح ووراءه أي وراء الباب الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وساج فاذا نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا فيقول عليه السلام ان لى فيــك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب لد . ولذا قال (( بباب )) متعلق بقتل الدجال أى يقتله بباب (( لد )) بضم اللام فدال مهملة بوزن مد بلـــد مشهورة بينها وبينرملة فلسطين مقدار فرسخ الى جهة الشمال متصـــل شجرها بشجرها ـ فيقتله هناك . وفي رواية ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادى (مناد) من السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا الى الكذاب الخبيث ، ويسمعون النداء : جاءكم الغوث . فيقولون هذا كلام

رجل شبعان ، وتشرق الارض بنور ربها وينزل عيسى بن مريم فيقول يا معشر المسلمين أحمدوا ربكم وسبحوه - أي فان التحميد والتسبيح قوتهم كما مر - فيفعلون ويريد أصحاب الدجال الفرار فيضيق الله عليهم الارض فاذا أتوا باب لد في نصف ساعة يوافقون عيسى فاذا نظر الدجال عيسى يقول أقيموا الصلاة خوفا منه - أي من عيسى - ويقول يا نبى الله قد أقيمت الصلاة ، فيقول عيسى يا عدو الله زعمت انك رب العالمين فلمن تصلى ؟ فيضربه بمقرعته ، وفي رواية بحربته التى نزل بها من السماء ، وفي رواية يذبحه بالسكين • ولا منافاة في ذلك اذ كل ذلك سلاح لسيدنا عيسى عليه السلام - فيقتله • رواه الامام أحمد عن جابر رضى الله عنه مرفوعا ولفظه : ثم ينزل عيسى بن مريم فينادى من السحر يا أيها الناس ما يمنعكم ان تخرجوا الى هذا الكذاب الخبيث ، فيقولون هذا رجل حي فينطلقون فاذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم امامكم فليصل بكم ، فاذا صلوا صلاة الصبح خرجوا اليه فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشى اليه فيقتله حتى ان الشجر والحجر ينادى يا روح الله هذا يهودى فلا يتركن أحد ممن كان تبعه أحدا الا قتله •

**الجمع بين الروايات**

وحاصل وجه الجمع بين الروايات أن سيدنا عيسى عليه السلام ينزل أولا بدمشق الشام على المنارة البيضاء لست ساعات من النهار ثم يأتى الى بيت المقدس غوثا للمسلمين ويلحقهم في صلاة الصبح وقد أحرم المهدى والناس كلهم أو بعضهم لم يحرم بعد فيخرج اليه من لم يحرم بالصلاة فيأتى والمهدى في الصلاة فيقهقر ويقال لعيسى تقدم أي يقول له ذلك من لم يحرم من المسلمين لما رأى المهدى تقهقر فيضع عيسى يده على كتف المهدى ان تقدم ويقول للقائل امامكم فيجيب المهدى بالفعل والقائل بالقول ليكون جواب كل على طبق قوله ثم اذا أصبحوا شرد أصحاب الدجال فتضيق عليهم الارض فيدركهم بباب لد فيصادف ذلك صلاة الظهر فيتحيل الدجال الى الخلاص من سيدنا عيسى بالصلاة فلما عرف عدم التخلص ذاب خوفا منه كما يذوب الملح بالماء فأدركه فقتله ، أو أن الدجال ينشىء صلاة

في غير وقتها وهو أدل على ضلاله وجهالته بالله كما في الاشاعة • ثم قال وهنا وجه آخر وهو أقرب الى التحقيق وهو ان الصلاة في الايام القصار التى هى آخر أيام الدجال تقدر فيحتمل أن يصادف التقدير ذلك الوقت وعلى هذا فلا اشكال بين كونه ينزل بدمشق لست ساعات مضين من النهار وبين كونه يصلى بالناس صلاة العصر •

ولي على هذا الجمع استشكال ذكرته في البحور الزاخرة وحاصله ان الروايات ثابتة ان نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على منارة دمشق الشرقية ويكون المهدى قد جمع الناس لقتال الدجال فتعمهم ضبابة من غمام ثم تنكشف عنهم مع الصبح فيرون عيسى عليه السلام قد نزل ويكون نزوله على المنارة البيضاء والناس يريدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتبعون الدجال وقد فر ، فهذا كالصريح ان عيسى ينزل على منارة دمشق الصبح فكيف يقال لست ساعات مضت من النهار ؟ وفيه أيضا أن الناس لم يكونوا أحرموا بالفجر بعد بل يريدون ذلك ، وأيضا المعروف عند أهل العلم أن عيسى عليه السلام انما يصلى وراء المهدى صلاة الصبح لا العصر فأول صلاة عيسى بالناس الظهر • وربما يجاب عن هذا بأن يكون قد جمع بين صلاتى الظهر والعصر تأخيرا لاشتغاله في طلب الدجال فالاولى التسليم لما ورد على ما ورد والاذعان للاخبار الثابتة فلا تقابل بالمعارضة والرد[1] ولهذا قال (( خل )) أي اترك وتنح وتفرغ (( عن جدال )) في ذلك فانه أمر سمعى أخبر به المعصوم والعقل لا يحيله فوجب اعتقاده والتسليم والانقياد والاذعان لما أخبر به خير العباد ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم •

**معنى الجدل**

والجدل لغة اللدد فى الخصومة والقدرة عليها يقال جادل يجادل فهو جدل ككتف ومجدل كمنبر ومجدال كمحراب ، وجدلت الحبل أجدله جدلا مثل فتلته أفتله فتلا أى فتلته فتلا محكما ، والجدالة الارض يقال طعنه فجدله أي رماه على الارض ومنه حديث « كنت نبينا وآدم منجدل في طينته » والجدال في اصطلاح النظار والفقهاء فتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله وابطال قول غيره ، وهو وان كان مأمورا به على وجه الانصاف واظهار الحق لانه لا يستغنى عنه لان به نتبين صحة الدليل من فساده

تحريرا وتقريرا وتتضح الاسئلة الواردة من المردودة اجمالا وتفصيلا الا ان الغالب فيه انما يكون على وجه الغلبة والخصومة والغضب والمراء ، وهو يعني المراء استخراج غضب المجادل عن طريق الحق ، واليه ينصرف النهى عن قيل وقال • قال البربهارى من علمائنا واسمه الحسن بن علي في كتابه شرح السنة : ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الامثال ولا يتبع فيها الاهواء بل هى التصديق بآثار الرسول صلى الله عليه وسلم بلا كيف فلا يقال لم ؟ ولا كيف ؟ قال والكلام والخصومة والجدال والمراء محدث يقدح الشك في القلب وان اصاب صاحبه السنة والحق • انتهى مختصرا • وروى الامام أحمد والترمذى وصححه عن أبى امامة مرفوعا « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل — ثم تلا — ما ضربوه لك الا جدل » وللامام أحمد عن مكحول عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « لا يؤمن العبد الايمان كله حتى يترك المراء وان كان محقا » وللترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « لا تمار أخاك » ولأبى داود باسناد حسن عن أبى امامة رضى الله عنه مرفوعا « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا » وعند ابن ماجه والترمذى وحسنه عن أنس مرفوعا « من ترك المراء وهو محق بنى له بيت في وسط الجنة » وروى أبو داود والترمذى واللفظ له وابن ماجه والبيهقى وقال الترمذى حديث حسن عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك الجدال وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ، ومن تركه وهو محق بنى له في وسطها ، ومن حسن خلقه بنى له في أعلاها » والله الموفق •

## ( تنبيهات )

**تنبيهات الأول في قتل المسلمين لأتباع الدجال من اليهود**

( الاول ) اذا قتل سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام الدجال انهزم جنوده الذين هم اليهود ومن معهم فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودى الا أنطق الله ذلك الشيء لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة الا قال يا عبد الله هذا يهودى وفي لفظ هذا دجالى فتعال اقتله الا الغرقد فانها من شجر اليهود لا ينطق ، ففى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون

اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودى من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودى خلفى فاقتله الا الغرقد فانه شجر اليهود » وفي صحيح البخارى نحوه •

**الثانى فى قدر لبث الدجال وكيف النجاة منه**

( الثانى في قدر لبثه في الارض وكيفية النجاة منه )

أما قدر لبثه في الارض فتقدم في خبر النواس بن سمعان عند مسلم والترمذى انه يمكث أربعين يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم ، وفي رواية عند الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين فيعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود الثقفى فيطلبه فيهلكه » وفي حديث أبى امامة رضى الله عنه عند ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء « ان أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة ، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى » وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن حتى لا يدروا كيف يمضى النهار فيكون مضى النهار عندهم كمضى الساعة والشهر كاليوم والسنة كالشهر ، ومنهم من قال بل هو على ظاهره فقد ورد من حديث أنس رضى الله عنه عند الامام أحمد والترمذى في اشراط الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار[1] • وذكر بعض العلماء ان الصلاة تقدر في هذه الايام أيضا على قياس ما مر • واختلف الجواب عن اختلاف الحديثين فمنهم من مال الى الترجيح فعلى هذا حديث النواس بن سمعان رواه الامام أحمد في المسند ومسلم في صحيحه والترمذى في سننه فهو أقوى لانه أصح وان كان الثانى أيضا صحيحا فيقدم عليه ، ومنهم من مال الى الجمع وطريقه ان أيامه أربعون سنة وتسمى السنين أياما مجازا كما يقال أيام ابن الزبير وأيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأيام بنى أمية، ثم ان أول أيام السنة الاولى كسنة وثانيها كشهر وثالثها كجمعة وباقى أيامه

كأيامنا ثم تتناقص أيام السنة الثانية حتى تكون السنة كنصف سنة وهكذا الى أن تكون السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم حتى يكون آخر أيامه بحيث يصبح أحدهم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى . فتكون السنة الاولى مشتملة على مقدار سنين من سنينا وسنوه الاخيرة مقدار سنة من سنينا ، ويقرب هذا الجمع رواية الحاكم ونعيم عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا انه يقول يعنى الدجال انا رب العالمين وهذه الشمس تجرى بأذنى أفتريدون ان أحبسها فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر وكالجمعة ، ويقول أتريدون ان أسيرها فيجعل اليوم كالساعة الحديث (٢).

وأما كيفية النجاة منه فمعلوم أنه مخلوق يأكل الطعام ويشرب الشراب ثم انه لخسته وعجزه أعور وهو جسم مرئى وهذه كلها لا تجوز على البارى ، وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وفي رواية من آخر الكهف رواه مسلم في صحيحه عن أبى الدرداء رضى الله عنه مرفوعا .

وورد عن أبى امامة مرفوعا من لقيه منكم فليتفل في وجهه رواه الطبرانى . وروى الترمذى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه مرفوعا « من حفظ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » قال الترمذى حديث حسن صحيح . ومما ينبغي المؤمن أن يكثر من ذكر الله تعالى من التهليل والتسبيح والتكبير فانه فونه .

**الثالث ينبغي بث الأحاديث المنذرة بالدجال**

## (الثالث)

مما ينبغي لكل عالم ان يبث أحاديث الدجال بين الاولاد والنساء والرجال، وقد قال ابن ماجه سمعت الطنافسى يقول سمعت المحاربى يقول ينبغى أن يرفع هذا الحديث يعنى حديث الدجال الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب . وقد ورد ان من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر ، وقد أخرج الامام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر رضى الله عنه مرفوعا : يخرج الدجال في خفة من الدين وادبار من العلم . فينبغى لكل عالم ولا سيما في زماننا هذا الذى اشرأبت فيه الفتن وكثرت فيه المحن

واندرست فيه معالم السنن وصارت السنة فيه كالبدع والبدعة شرع يتبع ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

الرابع فى ابن صياد وهل هو هو الدجال ؟

## ( الرابع )

اختلف الناس الصحابة فمن بعدهم قديما وحديثا في الدجال هل هو صافي بن صياد أو غيره ؟ قال الحافظ ابن حجر العسقلانى في شرح البخارى : مما يدل على ان ابن صياد هو الدجال ما أخرج مسلم في صحيحه عن محمد بن المنكدر قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله ان ابن صياد الدجال ، فقلت له أتحلف على ذلك ؟ قال انى سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبى صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبى صلى الله عليه وسلم • وأخرجه أبو داود في سننه • وفي تذكرة القرطبى عن نافع قال كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول والله ما أشك ان المسيح الدجال ابن صياد • أخرجه أبو داود واسناده صحيح • وفي ذلك عدة أحاديث وآثار صحيحة الا أنها ليست صريحة ولا نصا في ان ابن صياد هو الدجال ، وقد أخرج الامام أحمد بسند صحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعا : يخرج الدجال من يهودية أصبهان ـ قال أبو نعيم كانت اليهودية من جملة قرى أصبهان وانما سميت اليهودية لانها كانت تختص بسكنى اليهود ولم تزل كذلك الى زمن أيوب بن زياد أمير مصر في زمن المهدى بن المنصور العباسى فسكنها المسلمون وبقيت لليهود منها قطعة • وحاصل كلام الحافظ ابن حجر ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد ووافقه في الاشاعة ، وان وافقه ابن صياد في كونه أعور ومن اليهود وانه ساكن في يهودية أصبهان ففى خبر ابن عمر رضى الله عنهما قال : لقيت ابن صياد مرتين فذكر المرة الاولى ثم قال لقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه قال فقلت متى فعلت عينك ما أرى؟ قال لا أدرى؟ قال قلت لا تدرى وهى في رأسك ؟ قال ان شاء الله خلقها في عصاك هذه • قال فنخر كأشد نخر حمار سمعت ، فزعم بعض أصحابى أنى ضربته بعصا كانت معى حتى تكسرت وأما أنا فوالله ما شعرت • قال وجاء ابن عمر ودخل على أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها فحدثها فقالت ما تريد اليه ؟ اما أنه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول ما يبعثه على الناس

عضب يغضبه » وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذرنى يا رسول الله اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله • ذكره في التذكرة وغيره • وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان عن حسان بن عبد الرحمن عن أبيه قال لما فتحت أصبهان كان بين عسكرنا وبين عسكر اليهودية فرسخ فكنا نأتيها ونمتار منها فأتيناها يوما فاذا اليهود يضطربون فسألت صديقا لى منهم فقال ملكنا الذى نستفتح به على العرب يدخل فبت عنده على سطح فصليت فلما طلعت الشمس اذا الوهج من قبل العسكر فنظرت فاذا هو ابن صياد فدخل المدينة يعنى اليهودية فلم يعد حتى الساعة • قال الحافظ ابن حجر : وحسان بن عبد الرحمن ما عرفته وباقي سنده ثقات • وقد أخرج أبو داود عن جابر رضى الله عنه قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة • وأخرج الترمذى من حديث أبى بكرة رضى الله عنه مرفوعا « يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه» قال أبو بكرة ثم نعت له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال « أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه فرضاخية طويلة اليدين » قال أبو بكرة فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فاذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد ؟ فقالا : مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور[1] أضر شيء وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه • قال فخرجنا من عندهما فاذا هو منجدل في الشمس في قطيفة وله همهمة[2] فكشف عن رأسه فقال ما قلتما ؟ قلنا : وهل سمعت ما قلنا ؟ قال : نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي • قال الترمذى هذا حديث حسن غريب ولا نعرفه الا من حديث حماد بن سلمة • وأخرجه أبو داود الطيالسي •

والحاصل أن كون الدجال هو ابن صياد بعيد بل ضعيف وحديث أبى داود الذى رواه عن جابر أن ابن صياد فقد يوم الحرة صحيح السند ورواه غيره بسند حسن فهو يضعف خبر انه مات بالمدينة وانهم صلوا عليه لانه

---

(١) كلمة « أعور » ثبتت فى الاصلين وليست فى جامع الترمذى وفى الروايات ما يدفعها • (٢) فى الاصلين « جمجمة » •

أسلم وانهم كشفوا عن وجهه ولا يلتئم أيضا مع خبر حسان بن عبد الرحمن المار لان فتح أصبهان كان فى خلافة عمر كما أخرجه أبو نعيم في تاريخها وبين شهادة سيدنا عمر رضى الله عنه ووقعة الحرة نحو أربعين سنة. وحاصل كلام الحافظ ابن حجر في فتح البارى وكلام غيره ان الاصح ان الدجال غير ابن صياد كما تقدم ويؤيده ما أخرجه نعيم بن حماد من طريق جبير ابن نفير وشريح بن عبيد وعمرو بن الاسود وكثير بن مرة قالوا جميعا الدجال ليس بانسان وانما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن كما تقدم. قال الحافظ بن حجر وهذا لا يمكن مع كون الدجال هو ابن صياد. وأما ما أخرجه أبو داود في خبر الجساسة من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن قال شهد جابر أن الدجال هو ابن صياد قلت فانه قد مات. قال : وان مات، قلت فانه قد أسلم، قال وان أسلم. قلت فانه قد دخل المدينة، قال وان دخل المدينة. فان صح ذلك فهى شهادة على حسب ظنه وما وقر في صدره من اعتقاده انه ابن صياد. وأما ما ذكره سيف ابن عمر في كتاب الفتوح والردة من انه لما نزل المسلمون على سوس وأحاطوا بها وناشبوها القتال أشرف عليهم يوما الرهبان والقسيسون فقالوا يا معشر العرب ان مما عهد الينا علماؤنا وأولياؤنا انه لا يفتح السوس الا الدجال أو قوم فيهم الدجال فان كان الدجال فيكم فتفتحونها والا فلا تعنوا بالحصار قال وصافي بن صياد يومئذ مع النعمان بن بشير رضى الله عنه في جنده فأتى صافي بن صياد باب السوس غضبان فدقه برجله وقال انفتح فتقطعت السلاسل وتكسرت الاغلاق وتفتحت الابواب ودخل المسلمون. فالصحيح خلافه. قال الحافظ ابن حجر وغاية ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وخبر الجساسة وبين أحاديث كون الدجال هو ابن صياد أن الدجال هو الذى رآه تميم موثقا بعينه وان ابن صياد شيطان ظهر فى صورة الدجال تلك المدة التى قدر الله خروجه فيها ثم ذهب وهذا ممكن والله أعلم.

**الخامس قصة تميم الدارى حديث الجساسة**

## ( الخامس )

في ذكر قصة تميم الدارى وحديثه الذى رواه عنه النبى صلى الله عليه وسلم وهو حديث صحيح رواه أبو هريرة أخرجه الامام أحمد وأبو داود

وابن ماجه وأبو يعلى وعائشة رضى الله عنها وهو في حديث فاطمة بنت قيس وروى أيضا من حديث جابر أخرجه أبو داود بسند صحيح • وأما حديث فاطمة الذى هو عمدة الباب وأشهر ما اشتهر من هذا الحديث فأخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود بمعناه والترمذى وابن ماجه ، قال الترمذى حديث حسن صحيح ولفظ رواية مسلم قالت فاطمة رضى الله عنها سمعت منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى : الصلاة جامعة : فخرجت الى المسجد فصليت مع النبى صلى الله عليه عليه وسلم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال « ليلزم كل انسان مصلاه .. ثم قال ـ أتدرون لم جمعتكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « انى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع وأسلم وانه حدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثنى انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر ثم أرفؤا ( أي بفتح الهمزة وسكون الراء فهمزة مضمونة أى لجؤا ) الى جزيرة في البحر حين مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة ( وهى بضم الراء جمع قارب بفتح الراء وكسرها سفينة صغيرة مع الكبيرة معدة لقضاء الحوائج ) قال ـ فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب ( أى كثير الشعر غليظه وعند أبى داود : فاذا أنا بامرأة تجر شعرها ـ وفى رواية مسلم ـ دابة أهلب) كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت ؟ قالت أنا الجساسة ، قالوا وما الجساسة ( وهى بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الاولى سميت بذلك لانها تجس الاخبار وقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن هذه هى دابة الارض التى تخرج آخر الزمان فتكلم الناس كما يأتى ) قالت أيها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق ، قال فلما سمت لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة ، قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبته الى كعبه بالحديد ، قلنا : ويلك ما أنت قال قدرتم على خبرى فأخبرونى ما أنتم ؟ قالوا نحن أناس من العرب

ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم ( أي هاج واضطربت أمواجه ) فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفينا الى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لا ندرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت أنا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق فأقبلنا اليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة • قال أخبرونى عن نخل بيسان ( وهى بفتح الباء الموحدة قرية بالشام جنوبى طبرية وأيضا ناحية باليمامة ولعلها المرادة في الحديث بدليل ذكر النخيل ) هل يثمر ؟ قلنا نعم ، قال أما انها يوشك ان لا تثمر ، ولفظ مسلم أخبرونى عن نخل بيسان قلنا عن أى شأنها تستخبر قال أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا نعم قال أما انها يوشك ان لا تثمر • قال أخبرونى عن بحيرة طبرية قلنا عن أى شأنها تستخبر ؟ قال هل فيها ماء ؟ قالوا هى كثيرة الماء قال ان ماءها يوشك أن يذهب • قال أخبرونى عن عين زغر ( أى بضم الزاء وفتح الغين المعجمة على وزن صرد بليدة من الجانب القبلى من الشام بينها وبين بيت المقدس ثلاثة فراسخ على طريق البحيرة وزغر اسم ابنة لوط عليه السلام قال في القاموس وزغر قرية بالشام سميت بذلك لان ابنة لوط نزلت بها قال وبها عين غور مائها علامة خروج الدجال ) قالوا عن أى شأنها تستخبر ؟ قال هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها • قال أخبرونى عن نبى الاميين ما فعل ؟ قال قد خرج من مكة ونزل يثرب ، قال أقاتله العرب ؟ قلنا له : نعم ، قال كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال أما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه ، وانى مخبركم عنى انى أنا المسيح وانى أوشك أن يؤذن لى في الخروج فأخرج فأسير في الارض فلا أدع قرية الا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة – أو واحد – منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها وان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه هى طيبة هذه طيبة (يعنى المدينة)

ألا هل كنت حدثتكم ؟ فقال الناس نعم ، قال فانه أعجبني حديث تميم انه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة • الا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق ما هو ، من قبل المشرق ما هو ، من قبل المشرق ما هو ، من قبل المشرق ما هو ، وأومى بيده الى المشرق قالت فاطمة بنت قيس رضى الله عنها فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم • أخرجه مسلم من عدة أوجه وأخرجه غيره أيضا • قال القاضى عياض في قوله صلى الله عليه وسلم من قبل المشرق ما هو لفظة ما زائدة صلة الكلام ليست نافية والمراد اثبات انه من قبل المشرق • وفي بعض طرق الحديث عند البيهقى انه شيخ وسنده صحيح • قال البيهقى فيه أن الدجال الاكبر الذى يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد وان كان ابن صياد واحد الدجالين الكذابين الذين أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بخروجهم •

السادس اسم الدجال عند اليهود وزعمهم فيه

( السادس )

اسم الدجال عند اليهود المسيح بن داود قالوا يخرج آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار قالوا وهو ايه من آيات الله قال ويرد الملك الينا وقد كذبوا في زعمهم بل هو مسيح الضلالة الدجال الكذاب وأما مسيح الهدى فعيسى بن مريم عليه السلام والله أعلم •

السابع انعيسى عليه السلام بعد قتله الدجال يزور المدينة

( التنبيه السابع )

أعلم ان سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله للدجال يذهب الى المدينة فيزور قبر النبى صلى الله عليه وسلم ويحج البيت الحرام ويتوفى بالمدينة المنورة فيدفن هناك فقد أخرج الامام أحمد وابن جرير وابن عساكر من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب ويجمع الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما » وعند مسلم في صحيحه وابن أبى شيبة عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا « ليهلن عيسى بن مريم بفج الروحاء بالحج أو العمرة أو ليثنيهما جميعا » قوله بفج أى طريق والروحاء مكان

بين المدينة ووادى الصفراء في طريق مكة ، قال ابن قرقول في المطالع والروحاء من عمل الفرع على نحو من أربعين ميلا من المدينة ، وفى مسلم ستة وثلاثين ، وابن أبى شيبة على ثلاثين • وأخرج الحاكم وصححه وابن عساكر من حديث أبى هريرة أيضا رضى الله عنه « ليهبطن ابن مريم حكما عدلا واما ما مقسطا وليسلكن فجا حاجا أو معتمرا وليأتين قبرى حتى يسلم علي ولا ردن عليه » قال أبو هريرة رضى الله عنه أي بنى أخى اذا رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام • وأخرج الحاكم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أدرك عيسى منكم فليقرئه منى السلام » وأخرج البخارى في تاريخه والطبرانى : يدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وصاحبيه رضى الله عنهما فيكون قبره رابعا • وفى المواهب اللدنية للقسطلانى رحمه الله بقى من البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى بن مريم عليه السلام ويكون قبره الرابع• ومر حديث ابن عمر عند ابن الجوزى في المنتظم • قال العلامة الشيخ مرعى في بهجته قال بعض مشايخنا وذكر رابع القبور لا ينافى قوله صلى اللهعليه وسلم فى الحديث المار معى في قبرى فانه صلى الله عليه وسلم عبر بذلك لشدة القرب اذ هو لقربه كأنه معه ، أو بتقدير مضاف أي في جانب قبرى لينطبق الكلام وينتسق • فدل مجموع ما ذكرنا ان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام يموت بالمدينة المنورة • قال بعضهم ولعل موته عند حجه وزيارته النبى صلى الله عليه وسلم • واعلم ان الكلام على المهدى والدجال وعيسى ابن مريم عليه السلام طويل شهير أفردت في ذلك الكتب المبسوطة والمختصرة وذكرنا في كتابنا البحور الزاخرة من ذلك طرفا صالحا يغنى من أحصاه علما عن مراجعة أكثر كتب هذا الباب والله أعلم بالصواب •

**العلامة الرابعة خروج ياجوج وماجوج**

( العلامة الرابعة )

خروج يأجوج ومأجوج واليها أشار بقوله :

(( وأمر يأجوج ومأجوج أثبت    فانه حق كهدم الكعبة

**اشتقاق الاسمين**

(( وأمر يأجوج ومأجوج )) يهمزان ولا يهمزان لغتان وقرىء بهما فمن همزهما جعلها من أجيج النار وهو ضوءها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم

وشدتهم وقيل من الاجاج وهو الماء الشديد الملوحة وقيل هما اسمان أعجميان غير مشتقين • قال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام • وقال كعب احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك • وفيه نظر لان الانبياء لا يحتلمون على ان امناء النائم لا يتوقف على الحلم الذى يقتضى أن يتراءى لهٌ في منامه ما يكون سببا لانزاله كما لا يخفى • وقد روى الطبرانى من حديث حذيفة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج ولا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف فارس من ولده » قال أهل التاريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والعجم والروم ، وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ، ويافث أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج • وقال الكسائى في العرائس ان يافث سار الى المشرق فولد له هناك جوهر ونبرش وأشار واسقويل ومياشح وهى آسماء أعجمية ، فمن جوهر جميع الصقالبة والروم وأجناسهم ، ومن مياشح جميع أصناف العجم ، ومن أشار يأجوج ومأجوج وأجناسهم • قال ابن عباس رضى الله عنهما هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء لانهم لا يموت أحدهم حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح ، فمنهم من طوله مائة وعشرون ذراعا أو خمسون ، ومنهم من طوله وعرضه كذلك ، ومنهم من يلتحف باحدى أذنيه ويفترش الاخرى • وقال على رضى الله عنه منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول لهم مخالب في موضع الاظفار من أيدينا وأنياب وأضراس كأضراس السباع ولهم شعر في أجسادهم • والمراد بأمرهم خروجهم وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة فلهذا قال (( أثبت )) أى اعتقد ثبوته •

**قيل هم من اولاد يافث**

**اثبات وجودهم وخروجهم ، بالكتاب والسنة**

أما الكتاب فقوله تعالى ( حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ) وأما السنة ففى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ان الله تعالى يوحى الى عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال انى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها

ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه ماء ، ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار » الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يكون عشر آيات طلـــوع الشمس من مغربها والدخان والدابة ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم وثلاث خسوفات ونار تخرج من قعر عـــدن ابين » الحديث رواه ابن ماجه من حديث حذيفة بن أسيد قلت وهو في مسلم من حديث أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى ولفظه قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينـا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون ؟ قالوا نذكر الساعة ، قال « انها لن تقوم حتى ترى قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم • ورواه من وجه آخر وكنى حذيفة بأبى سريحة وقال فيه : ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس • وفي حديث حذيفة عند الطبرانى ويمنعهم الله من مكة والمدينـــة وبيت المقدس • وفي خبر علي رضى الله عنه لهم مخاليب وأنياب السباع وتداعى الحمام وتسافد البهائم وعواء الذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام احداهما وبرة يشتون فيها والآخرة جلدة يصيفون فيها •

**ما قيـــل انه ليسوا من اولاد حواء وماحكى فى صفتهم**

سئل الامام النووى هل يأجوج ومأجوج من ولد حواء وكم تثبت أنه يعيش كل واحد منهم؟فأجابهم من ولد آدم وحواء عليهما السلام عند أكثر العلماء وقيل انهم من آدم دون حواء قال النووى كما حكاه عنه الحافظ ابن حجر عند جماهير العلماء قال النووى فيكونون أخوتنـــا من الاب • قال الحافظ ابن حجر لم يرد هذا عن أحد من السلف الا عن كعب الاحبار ويرده الحديث المرفوع انهم من ذرية نوح ونوح من ذرية حواء قطعا والا فأين كانوا حين الطوفان ولم يثبت في قدر أعمارهم شيء • انتهى وقد ذكر الامام ابن عبد البر الاجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعـــوتك فقال «جزت ليلة أسرى بى فدعوتهم فلم يجيبوا» فللنص القرآنى والاحاديث

الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم مما ذكرنا ومما لم نذكر قال ((فانه)) أي أمر يأجوج ومأجوج يعنى خروجهم من وراء السد على الناس ((حق)) ثابت لوروده في الذكر وثبوته عن سيد البشر ولم يحله عقل فوجب اعتقاده فقد روى الجماعة الا أبا داود من حديث زينب بنت جحش رضى الله عنهما قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا محمرا وجهه يقول « لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وحلق بأصبعيه الابهام والتى تليها قالت قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون ؟ قال « نعم اذا كثر الخبث » اشارة بذلك الى أن الذى فتحوا من السد قليلا وهم مع ذلك لم يلهمهم الله تعالى ان يقولوا عند نقبه وحفره غدا نفتحه ان شاء الله فاذا قالوها خرجوا • وقد روى عبد الرزاق عن أبى قتادة قال : يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو وهم الترك فبقوا دون السد • وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق السدي من أثر قوي : الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج خرجت فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجا عنه • وسئل على رضوان الله عليه عن الترك فقال هم سيارة ليس لهم أصل ، هم من يأجوج ومأجوج خرجوا يغيرون على الناس فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم فذهبوا سيارة في الارض • رواه ابن المنذر • وأخرج الامام أحمد والطبرانى عن خالد بن عبد الله بن حرملة عن خالته مرفوعا « انكم لتقولون لا عدو وانكم لا تزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعور من كل حدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة » قوله صهب الشعور أى شعرهم بين الحمار والسواد • وقال الزهرى يأجوج ومأجوج ثلاث أمم منسك وتأويل وتأريس • وأخرج الطبرانى وابن مردويه والبيهقى وعبد بن حميد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم وراءهم ثلاث أمم تأويل وتأريس ومنسك • وأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام نحوه • وفي حديث حذيفة لا يمرون بفيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير الا أكلوه ومن

**خروجهم حق**

**قبائلهم ومنها الترك وصفتهم**

مات منهم أكلوه • وذكر بعضهم في صفتهم ان فيهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نيئة • وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه رفعه ان يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم من صلبه ألفا من الذرية • وعند النسائى من رواية عمرو بن أوس عن أبيه رضى الله عنه رفعه ان يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاءوا ولا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا • وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه أن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعونهن ما شاءوا • وأخرج ابن أبى حاتم عن عبد الله ابن عمرو انه قال : الجن والانس عشرة أجزاء فتسعة أجزاء يأجوج ومأجوج وجزء سائر الناس[1] • وقال مكحول الارض مسيرة مائة عام ثمانون منها يأجوج ومأجوج وهى أمتان كل أمة أربعمائة ألف أمة لا تشبه الامة الاخرى • وعند أبى الشيخ عن أبى أمامة : الدنيا سبعة أقاليم فيأجوج ومأجوج ستة والباقي أقليم واحد • وقال خالد الاشبج ان بنى آدم وبنى ابليس ثلاثة أثلاث فثلثان بنو ابليس وثلث بنو آدم ، وبنو آدم ثلاثة أثلاث ثلثان يأجوج ومأجوج وثلث سائر الناس، والناس بعد ذلك ثلاثة أثلاث ثلث الاندلس وثلث الحبشة وثلث سائر الناس العرب والعجم • وعند الحاكم وعبد الرزاق من قول ابن عمر رضى الله عنهما ان الله تعالى جزأ الملائكة والجن والانس عشرة أجزاء تسعة منهم الكروبيون والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وجزأ الانس والجن عشرة أجزاء فتسعة من الجن لا يولد من الانس ولد الا ولد من الجن تسعة ، وجزأ الانس عشرة فتسعة منه يأجوج ومأجوج _ الحديث •

مقدارهم في جملة الجن والانس

تتمة في سبب خروجهم واهلاكهم

( تتمة في سبب خروجهم وافسادهم واهلاكهم )

اعلم أولا ان الاسكندر بنى الردم الذى سد به على يأجوج ومأجوج كما ذكر الله تعالى ذلك في محكم الذكر في قوله سبحانه ( قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض ) بالقتل والتخويف واهلاك الزرع وفعل الخبيث ( فهل نجعل لك خرجا ) أى جعلا نخرجه لك من أموالنا وقرأ حمزة والكسائى وخلف (خراجا) بفتح الراء وألف بعدها وهو المال المضروب على الارض يؤدى في كل عام ( على أن تجعل بيننا وبينهم سدا )

**سد ذي القرنين وصفته ومكانه وحكايات من ادعى رؤيته**

أي حاجزا فلا يصلون الينا ( قال ) ذو القرنين ( ما مكنى فيه ربى ) من القوة والعلم وطلب ثوابه والمال ونفوذ المقال ( خير ) أي أفضل مما تعطوننى أنتم ( فأعينونى بقوة ) أى آلة اتقوى بها وفعل منكم ( اجعل بينكم وبينهم ردما ) هو أكبر وأعظم من السد فجاءوه بذلك فحفر ما بين الصدفين يعنى الناحيتين من الجبلين لأنهما يتصادفان أى يتقابلان حتى بلغوا الماء ثم قال ( آتونى زبر الحديد ) أي القطع التى أعدها لذلك فجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بعضها فوق بعض وجعل بينهما الحطب والفحم ( حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا ) فنفخوا النار (حتى اذا جعله) أي الحديد ( نارا ) أي كالنار ( قال آتونى أفرغ عليه قطرا ) أي أصب عليه نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وتصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس وكان طوله مائة فرسخ وعرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتى ذراع وطول الجبلين اللذين بنى بينهما مائة فرسخ ( فما استطاعوا أن يظهروه ) أي يعلوه من فوقه لملاسته ورفعته ( وما استطاعوا له نقبا ) أي خرقا لصلابته وسمكه ثم قال ( هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا ) وقد روى البزار من حديث يوسف بن مريم الحنفى قال بينما أنا قاعد مع أبى بكرة رضى الله عنه اذ جاء رجل فسلم عليه فقال أما تعرفنى ؟ فقال له أبو بكرة أنت هو ؟ قال نعم ، فقال اجلس حدثنا فقال : انطلقت الى أرض ليس لأهلها الا الحديد يعملونه فدخلت بيتا فاستلقيت على ظهرى وجعلت رجلي على جداره فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتا لم أسمع مثله فرعبت فقال لى رب البيت لا تذعرن فان هذا لا يضرك ، هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفيسرك أن تراه ؟ قلت نعم ، قال فغدوت فاذا لبنه من حديد كل واحدة مثل الصخرة واذا كأنه البرد المحبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر الى رجل قد أتى الردم فلينظر الى هذا » قال أبو بكرة صدقت . وذكر أهل التاريخ ان الاسكندر وجد هناك معدنين فاستخرج منهما ما كفاه من الحديد والنحاس وكان مكان السد جبلان متقابلان أملسان كالحائط يزلق عنهما

كل شيء لا يرتقي فيهما لعلوهما وملاستهما فأمر الاسكندر الصناع فضربوا لبن الحديد طول كل لبنة ذراع ونصف وسمكها شبر • وقد ذكر سلام الترجمان قال بعثني الواثق العباسي الى السد وضم الي خمسين رجلا وأعطانا مالا فما زلنا ننتقل في البلاد وتبعث الملوك معنا الادلة الى أن صرنا الى أرض سوداء منتنة الريح فسرنا فيها عشرة أيام ثم صرنا الى مدن خراب فسرنا فيها سبعا وعشرين يوما وهى التى كانت يأجوج ومأجوج يطرقونها ثم صرنا الى حصون بالقرب من السد وفيها قوم يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرءون القرآن فسألونا من أين أقبلتم ؟ قلنا نحن رسل أمير المؤمنين قالوا : ما سمعنا بهذا قط ، ثم صرنا الى جبل أملس وفيه السد وهناك باب حديد مصراعان مغلقان عرض كل مصراع خمسون ذراعا فى ارتفاع خمسين فى ثخن خمسة أذرع وقائمتاهما فى دوارة ، على الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا وفوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل وعلى الغلق مفتاح معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة أشبار وعتبة الباب عشرة أذرع ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد فيضربون القفل بتلك المرزبات ليسمعوا الصوت فيعلموا الصوت أن هناك حفظة (١) •

**حديث حفرهم السد**

وقد أخرج الامام أحمد والترمذى وحسنة وابن حبان والحاكم وصححاه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ان يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا ، فيعيده الله أشد ما كان حتى اذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذى عليهم ارجعوا فتخرقونه غدا ان شاء الله تعالى ـ واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس » قال الحافظ ابن حجر أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم وعبد بن حميد وابن حبان كلهم عن قتادة ورجال بعضهم رجال الصحيح • قال ابن العربى في هذا الحديث ثلاث آيات الاولى

**فى الحديث آيات**

ان الله تعالى منعهم ان يوالوا الحفر ليلا ونهارا ، الثانية منعهم أن يحتالوا

( ١ ) الحكاية فى معجم البلدان ( سد ) باختلاف

للرقى على السد بنحو السلم والآلة فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم اياه مع انه ورد ان لهم أشجارا وزروعا ، الثالثة ان صدهم ان يقولوا ان شاء الله حتى مجيء الوقت المحدود • قلت وأخل بالآية الرابعة وهى أعظمها وهى عود السد بعد الحفر حتى اذا كادوا ان يروا شعاع الشمس الى أشد ما كان الى أن يبلغ الكتاب أجله • وقد يقال ان فيهم من يعرف الله تعالى ويقر بقدرته ومشيئته ، ويحتمل أن تكون كلمة المشيئة جرت على لسان ذلك الوالى من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها ، ويدل لهذا ما روى عبد بن حميد من طريق كعب الاحبار نحو حديث أبى هريرة وفيه فاذا جاء الأمر ألقى الله على بعض ألسنتهم نأتى غدا ان شاء الله فنفرغ منه • وروى ابن مردويه من حديث حذيفة نحو حديث أبى هريرة وفيه يغدون فيجيئون عليه فيفتح — الحديث وسنده ضعيف • والحاصل انه يحتمل أن تلقى كلمة المشيئة على لسان أحدهم وهو أقوى ، ويحتمل أن يسلم واحد منهم بالهام من الله فيقول ان شاء الله تعالى • وفى صحيح مسلم من حديث النواس ابن سمعان رضى الله عنه مرفوعا بعد ذكر الدجال وقتل عيسى عليه السلام له قال ثم يأتيه — يعنى عيسى — قوم وقد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك اذ أوحى الله الى عيسى ان قد أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى الى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون — الحديث • وفي رواية لمسلم ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما فيرغب نبى الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النغف — بفتح النون والغين المعجمة ففاء ، وفى رواية دودا كالنغف فى أعناقهم ، وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم الواحدة نغفة عن الاصمعى وعن أبى عبيدة هو الدود الابيض يكون في النوى وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحوت في بطن الارض — فيصبحون موتى كموت نفس واحدة — معناه قتلى لا يسمع لهم حس — فيقول المسلمون الا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ؟ فيتجرد رجل منهم محتسبا نفسه

هلاكهم

قد وطئها على انه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينـــادى يا معشر المسلمين الا أبشروا ان الله عز وجل قد كفاكم عدوكم ،فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى الا لحومهم فتشكر منه - بفتح الكاف أي تسمن - أحسن ماشكرت عن شيء وحتى ان دواب البحر تسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهـم ، ويهبط نبى الله عيسى عليه السلام وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم أي ريحهم من الجيف فيؤذون الناس بنتنهم أشد من حياتهم ، فيستغيثون بالله فيبعث الله ريحا يمانية غبراء فتصير على الناس غما ودخانا ويقع عليهم الزكمة ويكشف ما بهم بعد ثلاثة أيام وقد قذفت الارض جيفهم في البحر • ولفظ صحيح مسلم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن معه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنبتى ثمرك وردى بركتك فيومئذ تأكـل العصابة من الرمانه ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل - يعنى اللبن - حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس - أي الجماعة منهم - واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس - الحديث • وفي رواية فيرسل طيرا كأعناق البخت فتحملهم فترميهم الى البحر • وفي رواية في النار ، ويوقد المسلمون من قسى يأجوج ومأجوج ونشابهم وأترستهم سبع سنين • قوله في الحديث كالزلفة يروى بالفـــاء وبالقاف قال القاضى عياض في مشارق الانوار ضبطناه بالوجهين عن متقني شيوخنا وبهما ذكره أهل اللغة وفسرها ابن عباس رضى الله عنهما بالمرآة وقاله ثعلب وأبو زيد وقال بعضهم هو بالفاء الاجانة الخضراء ، وقيل الصحفة وتفسير ابن عباس رضى الله عنهما أظهر وبالله التوفيق ، قال النواس بن سمعان رضى الله عنه كما في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : فبينما هم يعنى عيسى بن مريم وأصحابه كذلك أى فى ذلك العيش الرغد وقد هلك عدوهم اذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيهـا تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة • والله أعلم •

العلامة الخامسة
هدم الكعبة

## ( العلامة الخامسة )

من العلامات العظمى هدم الكعبة المشرفة والقبلة المعظمة واليها أشار بقوله (( ك )) ما ان أمر يأجوج ومأجوج حق ثابت يجب اعتقاده ووقوعه فكذا يجب اعتقاد وقوع (( هدم الكعبة )) المعظمة والقبلة المكرمة وسلب حليها واخراج كنزها لما أخرج البخارى ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » وفي لفظ « ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله » وأخرج الامام أحمد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما نحوه وزاد « ويسلبها حليها ويجردها من كسوتها فلكأني أنظر اليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته أو معوله » وأخرج الازرقى عنه « يجيش البحر عن فئة من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهى الى الكعبة فيخربونها والذي نفسى بيده انى لكأنى أنظر الى صفته في كتاب الله تعالى أفيحج أصيلع أفيدع قائما بهدمها بمسحاته أو معوله » وفي الصحيحين كأنى به اسود أفحج يهدمها حجرا حجرا » أي ويتداولها أصحابه بينهم حتى يطرحوها في البحر كما ورد في حديث حذيفة مرفوعا « كأنى أنظر الى حبشى أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الانف كبير البطن وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له ينقضونها حجرا حجرا ويتداولونها حتى يطرحوها في البحر » الحديث • قوله ذو السويقتين أي صاحبهما وهما تصغير ساقين أى دقيق الساقين وقوله أصيلع تصغير الاصلع وهو من ذهب شعر مقدم رأسه وا لافيدع تصغير أفدع وهو من فى يده اعوجاج في وفي القاموس الفدع محركة اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم أو هو المشى على ظهر القدم أو ارتفاع أخمص القدم حتى لو وطىء الافدع عصفورا ما آذاه أو هو عوج في المفاصل لانها قد زالت عن موضعها • وأكثر ما يكون في الارساغ خلقة وجاء في بعض روايات الحديث أصعل أى صغير الرأس ؟ وفي بعضها أصمع أي صغير الاذنين وقيل كبير الاذن ، والا فيحج تصغير أفحج المتباعد الفخذين • وأخرج الامام أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا يبايع لرجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت الا أهله فاذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب ثم تجيء الحبشة

فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون كنزه • رواه بهذا اللفظ أيضا الازرقى فى تاريخ مكة والحاكم وصححه

**من الذى يستخرج كنز الكعبة**

فان قلت قد ورد وتقدم ان المهدى هو الذى يخرج كنز الكعبة وفى هذا الحديث ان ذا السويقتين هو الذى يخرج كنزها ولعمرى انه لسؤال وارد واستشكال مضاد ولم أر من تقدمنى ممن نقب عن هذا السؤال وفى يمه خاض ولا من أجاب هذا السؤال ولا من تعرض لهذا الاعتراض ولعل الجواب أن المهدى يستخرج الكنز المذكور ثم بعد ذلك يجتمع فى خزانة الكعبة فى مدة المهدى ومدة سيدنا عيسى الى أن يخربها ذو السوقتين مال كثير سيما مع كثرة المال وانكباب أهل ذلك الوقت على أنواع القربات مع كثرة الحجاج وهذا ممكن أو يكون المهدى كشفه وظهر عليه وأخذ منه عوزه وترك باقيه والله أعلم

**كون الحرم آمنا لا ينفي ماصحت به الاخبار**

فان قلت تسلط هذا العدو الخبيث على هدم بيت الله المعظم ينافى قوله تعالى ( أو لم يروا أنا جعلنا حرمنا آمنا ) الآية ( ومن يرد فيه بالحاد بظلم ) الآية وقد حماه سبحانه من أصحاب الفيل وجيرانه حينئذ كفار مشركون فكيف يسلط عليه الحبشة وهو قبلة المسلمين وهم جيرانه ( فالجواب ) ما ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى وهو ان يقال قد أشار النبى صلى الله عليه وسلم للجواب فى الحديث بقوله ولن يستحل هذا البيت الا أهله ففى زمن الفيل ماكانوا قد استحلوه فمنعه منهم وأما الحبشة فلا يهدمونه الا بعد استحلال أهله مرارا وقد استحله جيش يزيد بن معاوية بأمره ثم الحجاج زمن عبد الملك بن مروان بأمره فسلط الله عليه القرامطة فقتلوا من المسلمين فى المطاف مالا يحصى وقلعوا الحجر ونقلوه لبلادهم فلما وقع استحلاله من أهله مرارا مكن غيرهم من ذلك عقوبة لهم على أنه ليس فى الآية استمرار الامن المذكور فيه • انتهى • ملخصا ( قلت ) والذى يظهر لى ان هذا العالم مشعر بالاضمحلال وكما ورد الشرع بالامن ورد باضمحلال هذا العالم ودماره فأشعر أن الامن مغيا الى غاية أشار الشارع اليها فوجب تصديق الامرين كل واحد زمنه حسبما هو مقتضى الشرع وبالله التوفيق •

**هدم الكعبة في زمن عيسى أم بعده ؟**

**فان قلت هل هدم الكعبة من ذى السويقتين المذكور زمن سيدنا المسيح** عيسى بن مريم عليه السلام أو بعده عند قيام الساعة حيث لا يبقى فى الارض أحد يقول الله ( فالجواب ) ان هذا مما اختلف فيه العلماء فعن كعب الاحبار انه زمن عيسى عليه السلام ، وقيل زمنه وبعد هلاك يأجوج ومأجوج فيحج الناس ويعتمرون كما ثبت ذلك وان عيسى عليه السلام يحج أو يعتمر أو بجمع بينهما كما تقدم فالظاهر أن هدم البيت بعد موت سيدنا المسيح وهبوب الريح التى يموت بها من فى قلبه ذرة من ايمان وذكر الحافظ ابن حجر انه وجد فى كتاب التيجان لابن هشام ان عمر بن عامر كان ملكا متوجا وكان كاهنا معمرا وانه قال لأخيه عمرو بن عامر المعروف بمزيقيا لما حضرته الوفاة ان بلادكم ستخرب وان لله فى أهل اليمن سخطين ورحمتين فالسخطة الاولى هدم سد مارب وخراب البلاد بسببه ، والثانية غلبة الحبشة على اليمن ، والرحمة الاولى بعثة نبى من تهامة اسمه محمد يرسل بالرحمة ويغلب أهل الشرك ، والثانية اذا خرب بيت الله يبعث الله رجلا يقال له شعيب بن صالح فيهلك من خربه ويخرجهم حتى لا يكون بالدنيا ايمان الا بأرض اليمن . قال الحافظ ابن حجر ان ثبت هذا علم منه اسم القحطانى وسيرته وزمانه . واعترضه البرزنجي فى الاشاعة بأن ليس فيما ذكر ما يقتضى ان ذلك هو القحطانى ولم لا يجوز أن يكون شعيب بن صالح هو التميمى القادم بالرايات السود الى المهدى وانه يرسل عيسى عليه السلام اليه حين يأتيه الصريخ ويؤيده كونه لقبه المنصور وبتقدير أن يكون هو اياه فجائز أن يكون قبل خلافته ويكون فى من أرسله عيسى عليه السلام أميرا عليهم فانه ورد أن الصريخ يأتى عيسى بذلك فيبعث اليه طائفة مابين الثمانية الى التسعة فيكون هو أميرهم ، وليس فى كونه رحمة لاهل اليمن ما يقتضى انه منهم ، ويكفى من كونه رحمة لهم انه يدفع الحبشة عنهم بحيث لا يبقى ايمان الا فى أرض اليمن . ثم ان الحجاز من اليمن ولذا يقال الكعبة يمانيه ، ولعل زمن اختصاص اليمن ببقاء الايمان بعد قبض المسيح وهبوب الريح ، ولا ينافي ما ذكر حديث « آخر ما يوجد الايمان فى المدينة » لانها من اليمن والله أعلم

وقيل ان هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حين ينقطع الحاج ولا يبقى فى الارض من يقول الله ويؤيد هذا ان زمن عيسى عليه السلام كله زمن سلم وبركة وأمان وخير وهذا أليق بكرم الله ، والذى تقتضيه الحكمة فان البيت قبلة الاسلام والحج اليه أحد أركان الدين ومبانيه فالحكمة تقتضى بقاءه ببقاء الدين فاذا جاءت الريح الباردة الطيبة وقبضت المؤمنين فبعد ذلك يهدم البيت ويرتفع القرآن • قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته جاء عن الثقات الحفاظ يمكث الناس ماشاء الله تعالى فى الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة ، قال ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها أبدا ، وهم الذين يستخرجون كنوز مصر • قال ثم يجتمع بقايا المسلمين فيقاتلونهم فيقتلونهم ويسبونهم حتى يباع الحبشى بعباءة • فبين أن هدم الكعبة بعد الآيات كلها وان كان لا يخلو من تأمل والله أعلم

( فوائد )

**فوائد احداها فيما جاء فى خراب المدينة**

( احداها ) تقدم ان عمران بيت المقدس خراب يثرب • رواه أبو داود من حديث معاذ مرفوعا • وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال « سيبلغ البناء سلعا ثم يأتى على المدينة زمان يمر السفر على بعض أقطارها فيقول قد كانت هذه مرة عامرة من طول الزمان وعفو الاثر » وأخرج الامام احمد نحوه باسناد حسن • وفى الصحيحين «لتتركن المدينة على خير ما كانت مذللة ثمارها لا يغشاها الا العوافى الطير والسباع » الحديث وسبب خرابها والله أعلم أن خيار أهلها يخرجون مع المهدى الى الجهاد ثم ترجف بعد ذلك بمنافقيها وترميهم الى الدجال ولم يبق الا المؤمنون المخلصون فيهاجرون الى بيت المقدس عند امامهم وقد ورد ستكون هجرة وخيار الناس يومئذ ألزمهم مهاجر ابراهيم • ومن بقى منهم تقبض روحه الريح الطيبة • وقد روى المرجانى فى أخبار المدينة عن جابر مرفوعا ليعودن هذا الامر الى المدينة كما بدأ منها حتى لا يكون ايمان الابها » وأخرج النسائى من حديث أبى هريرة مرفوعا « آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة » ورواه

الترمذى بنحوه وقال حسن غريب • ورواه ابن حبان بلفظ «آخر قرية فى الاسلام خرابا المدينة » وصح « ان الدين ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » فظاهر هذه الاخبار التعارض ووجه الجمع ان الفتن تعم الدنيا كلها كما مر فى خروج المهدى ويبقى أهل المدينة مع المهدى فيأرز الدين أى ينحسر ويدخل الى المدينة حينئذ لانهم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق ثم انها تنفى خبثها زمن الدجال ويبقى فيها الايمان الخالص بخلاف غيرها من بيت المقدس وغيرها من البلدان فيبقى فيهم أهل ذمة ومنافقون لانهم انما يؤمنون بعد نزول عيسى عليه السلام ، وكذلك مكة تقذف بمنافقيها الى الدجال أيضا • وقد قيل أن الريح الطيبة تأتى من الشام فيكون أهل الشام يقبضون قبل أن تصل المدينة أو من اليمن فكذلك أو من كليهما كما جمع به والامر ظاهر فيصدق انه آخر من يقبض من المؤمنين أهل المدينة وهذا محط حديث أبى هريرة فبمجرد موتهم تخرب المدينة لأنه ليس فيها سوى المؤمنين بخلاف غيرها فانها تبقى عامرة بشرار الناس كما أشار اليه فى الاشاعة وهو حسن وبالله التوفيق

## ( الثانية )

**الثانية خروج القحطانى والجهجاه والهيثم والمقعد**

**( فى ذكر خروج القحطانى والجهجاه والهيثم والمقعد وهؤلاء بعد موت المهدى )** أخرج أبو الشيخ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الدجال ويموت ، فيستخلفون – يعنى بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام بأمره – رجلا من بنى تميم يقال له المقعد ، فاذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال » ويبدأ النقص ليوافق ما يأتى من بقاء الدين مدة مديدة بعد سيدنا عيسى عليه السلام • والظاهر والله أعلم أن هذا التميمى الملقب بالمقعد هو شعيب بن صالح أحد الامراء والوزراء للمهدى بل هو أحد المهدين ، والظاهر أنه يبقى أميرا فى نواحى الشرق ثم يستدعيه عيسى عليه السلام بعد وفاة المهدى عند خروج ذى السويقتين على مكة ونواحيها فيقتلهم ويسبيهم حتى يباع الحبشىّ بالعباءة ، ثم عند وفاة سيدنا المسيح يوصى له بالامر لما يرى فيه من الكفاءة لذلك والقيام بأعباء الدين • ولم أر هذا

التحرير لغيرى فان لم يكن هو شعيب بن صالح والا فهو أحد الامراء الذين كان يلقى عليهم أعباء الامر ، أو الذي يلي امارة الشرق من بعد شعيب ان كان هو قد مات ويكون هذا يلقب بالمقعد . وأخرج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « لا تذهب الايام والليالى حتى يملك الناس رجل يقال له الجهجاه » وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عنه مرفـــوعا « لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه » وأخرج الطبرانى فى معجمه الكبير وابن منده وأبو نعيم وابن عساكر عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « ستكون من بعدى خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الامراء ملوك جبابرة ثم يخرج من أهل بيتى المهدى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ثم يؤمر القحطانى فوالذى بعثنى بالحق ما هو دونه » وأخرج نعيم بن حماد عن سليمان بن عيسى قال بلغنى أن المهدى يملك أربعة عشر سنة ببيت المقدس ثم يموت ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له المنصور يعنى القحطانى يمكث ببيت المقدس احدى وعشرين سنة . قلت هذا لا يلتئم أن يكون هو شعيب بن صالح التميمى لان بنى تميم ليسوا من اليمن ولا من قحطان وان وافقه فى تلقيبه بالمنصور . ثم يقتل هذا القحطانى ثم يملك المولى يعنى الجهجاه ويمكث ثلاث سنين ثم يقتل ثم يملك بعده الهيثم المهدى ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام . وهذا المهدى غير الاول وكأنه لقب بذلك لحسن سيرته وصفاء سريرته . والحاصل أن الواجب اعتقاده من ذلك ما دلت عليه الاخبار والآثار الصريحة من وجود المهدى المنتظر الذى يخرج الدجال وسيدنا عيسى بن مريم فى زمنه ويصلى عيسى عليه السلام خلفه صلاة الفجـــر وهو المراد حيث أطلق المهدى . وأما المذكورون قبله فلم يصح فيهـــم شىء والذين من بعده فأمراء صالحون لكن ليسوا مثله فهو آخـــرهم فى الوجود وأمامهم وخيرهم وأفضلهم فى الحقيقة والمراد غير سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام فانه رسول كريم من أولى العزم وهو آية وعلامة وحده . فيجب الايمان بنزوله ، ويجب الايمان أيضا بخروج الدجال اللعين وان سيدنا عيسى عليه السلام يقتله بباب لد عند بئر الزئبق ، ويجب الايمان بخروج

يأجوج ومأجوج وبأن الكعبة يهدمها ذو السويقتين فى آخر الزمان والله تعالى المستعان

الثالثة حديث حجوا قبل ان لا تحجوا

( الثالثة )

جاء فى الحديث الشريف انه صلى الله عليه وسلم قال « حجوا قبل أن لا تحجوا فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدرى أحدكم أين مكانه بالامس » وقد روى الحاكم والبيهقى من حديث على رضى الله عنه مرفوعا « حجوا قبل أن لاتحجوا فكأنى أنظر الى حبشى أصمع أفدع بيده معول يهدمها حجرا حجرا » قوله أفدع هو بفاء ودال مهملة بوزن أفعل يمشى على ظهور قدميه ، وتقدم أن الاصمع بالصاد المهملة صغير الأذن • وأخرج البيهقى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « حجوا قبل أن لا تحجوا ، تقعد اعرابها على أذناب أوديتها فلا يصل الى الحج أحد » وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استمتعوا بهذا البيت فقد هـــدم مرتين ويرفع فى الثالثة » رواه البزار والطبرانى فى الكبير وابن حبان فى صحيحهما والحاكم وقال صحيح الاسناد • قال ابن خزيمة قوله يرفع فى الثالثة يريد بعد الثالثة وروى أبو القاسم الاصبهانى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « تعجلوا الى الحج — يعنى الفريضة — فان أحدكم لا يدرى ما يعرض له » والله تعالى أعلم •

العلامة السادسة الدخان

( العلامة السادسة )

من علامات الساعة واشراطها العظمى ما أشار اليه بقوله :

(( وان منها آية الدخان ))

(( وان منها )) أي من اشراط الساعة التي ورد النص بها وانها حق يجب الايمان به (( آية )) أي علامة وأصلها أوية بفتح الواو وموضع العين واو والنسبة اليه أووى ، وقيل أصلها فاعلة فذهبت منها اللام أو العين تخفيفا ولو جاءت تامة لكانت آيية • ومعنى الآي من كتاب الله تعالى جماعة حروف وكلمات من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا واما فى غيره فهى العلامة أي من اشراط الساعة علامة (( الدخان )) كرمان

وغراب لغتان والجمع أدخنةودواخن ودواخين ،قال العلماء آية الدخان ثابتة بالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى ( فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ) قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم والحسن وزيد بن على رحمهم الله تعالى هو دخان قبل قيام الساعة يدخل في أسماع الكفار والمنافقين ويعترى المؤمن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ولم يأت بعد وهو آت • واما السنة فأخرج مسلم من حديث حذيفة بن اسيد رضى الله عنه قال طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال « ما تذاكرون » قالوا الساعة يا رسول الله قال « انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات » فذكر منها الدخان • ورواه الترمذى وابن ماجه وانه يمكث في الارض أربعين يوما • وفى حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ان من اشراط الساعة دخانا يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث فى الارض أربعين يوما فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فيه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره رواه الطبرانى ، ورواه البغوى ولفظه قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا » قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الآية يوم ( تأتى السماء بدخان مبين ) يملأ ما بين المشرق والمغرب - الحديث • وفي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالاعمال ستة طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة أو خاصة أحدكم(١) أوامر العامة » وفي رواية وأمر العامة وخويصة أحدكم •

وقيل ان الدخان مروانه الجوع الذى كان حال بين أبصار قريش وبين السماء ففى الصحيحين والترمذى عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبدالله ابن مسعود وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند أبواب كندة يقص ويزعم ان آية الدخان تجىء فتأخذ بأنفاس الكفار

---

(١) قوله أو خاصة أحدكم أى موته كما فى المطالع • اهـ مؤلف

ويأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئا فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل الله أعلم فانه أعلم لأحدكم ان يقول لما لا يعلم الله أعلم فان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ( قل لا أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال « اللهم سبع كسبع يوسف » وفي رواية لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه فقال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر أحدهم الى السماء فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد انك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله عز وجل لهم قال الله عز وجل ( فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ) الى قوله ( انكم عائدون ) قال عبدالله أفيكشف عذاب الآخرة ؟ ( يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ) فالبطشة يوم بدر وفي رواية قال قال عبد الله انما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله عز وجل ( فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم ) قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يارسول الله استسق لمضر فانها قد هلكت • قال لمضر؟ انك لجرىء واستسقى لهم فسقوا فنزلت ( انكم عائدون ) فلما أصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله تعالى ( يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ) يعنى يوم بدر • وفي رواية فقيل له انا ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله ( فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ) الى قوله ( انا منتقمون ) وفي رواية الترمذى كقوله ربنا اكشف عنا العذاب فهل يكشف عذاب الآخرة ؟ قد مضى البطشة واللزام والدخان ، واللزام يوم بدر • وفى البخارى ومسلم قال عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه : خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر • قال في النهاية في حديث اشراط الساعة ذكر اللزام وفسر بأنه يوم بدر • انتهى • وكذا البطشة يوم بدر ، والروم

اشارة الى قوله ( غلبت الروم ) ، والقمر اشارة الى قوله (اقتربت الساعة وانشق القمر ) . قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته كغيره : كلام ابن مسعود رضى الله عنه موافق لظاهر الآية فلا دليل فيها لما ذهب الجمهور وانما دليلهم السنة وكأن ذلك لم يبلغ ابن مسعود رضى الله عنه حين أنكر ذلك مع أنه ورد عنه أيضا انه كان يقول : هما دخانان مضى واحد والذى بقى يملأ مابين السماء والارض ولا يجد المؤمن منه الا كالزكمة وأما الكافر فيشق مسامعه فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس . والذى أنكره ابن مسعود قد جاء عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه فأخرج عبد الرزاق وابن أبى حاتم من طريق الحارث عن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال : آية الدخان لم تمض بعد يأخذ المؤمن منها كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينقد . وقد أخرج الطبرانى من حديث أبى مالك الاشعرى رضى الله عنه : ان ربكم أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة - الحديث . وورد ذلك من عدة طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعا وموقوفا . قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : وتضافر هذه الاحاديث يدل على أن لذلك أصلا . وقد قيل ان القاص الذى أنكر عليه ابن مسعود هو حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وهذا ليس بشىء فلا ينظر اليه ولا يعول عليه وبالله التوفيق .

( العلامة السابعة )

العلامة السابعة رفع القرآن

من علامات الساعة واشراطها رفع القرآن العظيم والذكر الحكيم من الصدور ومن السطور واليه الاشارة بقوله :

(( وانه يذهب بالقرآن ))

(( وانه )) أي الشأن والامر (( يذهب )) بضم التحتية مبنيا لما لم يسم فاعله أي يذهب الله تعالى (( بالقرآن )) العظيم وكلام الله المنزل على النبى الكريم من المصاحف والصدور وهى من أشد معضلات الامور ، فأخرج الديلمى من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما مرفوعا «يسرى على كتاب الله ليلا فيصبح الناس وليس منه آية ولا حرف في جوف الا نسخت » قال في البهجة قرر الائمة انه يرفع أولا من المصاحف وذلك انهم

يبيتون فيصبحون وليس فيها حرف مكتوب ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لأعجل زمن حتى لا يكون شيء منه محفوظ حتى يقول الحافظ للآخر وقد سأله الآخر كنت أحفظ شيئا نسيته لا أدرى ما هو ، وفي الحديث «أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع » قيل وكيف يرفع ما فى صدور الرجال ؟ قال « يسرى عليهم ليلا فيصبحون منه فقراء وينسون قول لا آله الا الله » وعند الديلمى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما « لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء له دوى حولالعرش كدوىالنحل فيقولالله عز وجل مالك؟ فيقول منك خرجت واليك أعود أتلى فلا يعمل بى »•وتقدمفىمسئلة الكلام على الكلام ما حكاه شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن السلف من أن القرآن العظيم كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود،وانمعنى واليه يعود ما جاء في الآثار أن القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية • وأخرج ابن ماجه من حديث حذيفة رضى الله عنه مرفوعا « يدرس الاسلام حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية » الحديث • وأخرج السجزى عن ابن عمررضى الله عنهمامرفوعا « لا تقوم القيامة حتى يرفع الركن والقرآن » وأخرج ابن ماجه بسند قوى والحاكم والبيهقى والضياء عن حذيفة رضى الله عنه قال : يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية ، ويبقى طوائف من الناس الشيخ والعجوز ويقولون أدركنا أباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله فنحن نقولها • والله أعلم

## ( العلامة الثامنة )

**العلامة الثامنة طلوع الشمس من مغربها**

من علامات الساعة واشراطها طلوع الشمس من مغربها وأشار اليها بقوله :

(( طلوع شمس الافق من دبور ))

ومنها (( طلوع شمس الافق )) قال الله تعالى ( وسخر لكم الشمس

والقمر دائبين ) وقال ( وجعل الشمس سراجا ) وأخـــرج الطبرانى فى الاوسط وأبو الشيخ وابن مردويه عن أنس رضى الله عنه قال حـــدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش • وأخرج أبو الشيخ عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال خلق الله الشمس من نور عرشه وكتب في وجهها انى أنا الله لا اله الا أنا رضاي كلام وغضبى كلام ورحمتي كلام وعذابى كلام • وخلق القمر من نور حجابه الذى يليه وكتب في وجهه انى أنا الله لا اله الا أنا صنعت القمر وخلقت الظلمات والنور فالظلمة ضلالة والنور هدى • أي أضل من شئت وأهدى من شئت • وكتب في بطنه انى أنا الله لا اله الا أنا خلقت الخير والشر بقدرتى وعزتى أبتلى بهما من شئت من خلقى • وقد أخـرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال : الشمس قدر الدنيا وزيادة ثلث، والقمر على قدر الدنيا • وأخرج من وجه آخر بلفظ سعة الارض بدل قدر الدنيا في الموضعين • وزعم أهل الهندسة ان الشمس أضعاف الارض مائة وستون مرة أو مائتين • والافق بالضم وبضمتين الناحية والجمع آفاق والافق أيضا ما ظهر من نواحى الفلك وهو المراد هنا وقوله (( من دبور )) بفتح الدال المهملة وضم الموحدة مخففة فراء بعد الواو جهة المغرب لانهـا تدابر باب الكعبة ، وتسمى الريح التى مهبها من جهة المغرب دبور قال النبى صلى الله عليه وسلم « نصرت بالصبا وهلكت عاد بالدبور » رواه الامام أحمد والشيخان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما • وفي القاموس : دبرت الريح تحولت دبورا وهى ريح تقابل الصبا • قال الامام النووى الصبا بفتح الصاد المهملة مقصورا هى الريح الشرقية • قال العلماء رحمهم الله تعالى طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والاخبار الصريحة بل وبالكتاب المنزل على النبى المرسل قال تعالى ( يـوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا ) الآية أجمع المفسرون أو جمهورهم على انها طلوع الشمس من مغربها • وقـد خبط بعض العلماء في تفسير الآية الكريمة ولبط ولم يهتد لمقصودها الذى عليه المحط ، وحاصل ذلك المقصود من الآية الكريمة ان من لم يكن ايمانه متحققا اذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفعه تجديد الايمان ولم ينفعـــه

**نبوته بالسـنة والكتاب**

**تفصـــيل حال الناس حينذلك في الايمـــان والعمل**

فعل بر من جميع الاعمال لأنه فقد الايمان الذى هو الاساس لما عداه من تلك الاعمال فلا ينفعه ايمانه الحادث حينئذ ولا ما صدر منه قبل ذلك من الاحسان وعمل البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من مكارم الاخلاق لانها على غير أساس قال تعالى ( والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح ) الآية والايمان الحادث في ذلك الوقت ليس مقبولا حتى يكون من باب «أسلم على ماسلف من الخير» فهؤلاء لا ينفعهم لا بانضمام الافعال اللاحقة ولا بانضمام أعمالهم السابقة لفقد الاساس الذى هو الايمان ، وأما من تحقق اتصافه بالايمان الشرعى من قبل ذلك الوقت واستمر ايمانه الى طلوع الشمس من مغربها فهو لا يخلو اما ان يكون مؤمنا مقيما على المعاصى لم يكسب في ايمانه خيرا أو مؤمنا مخلطا أو مؤمنا تائبا عن المعاصى كاسبا في ايمانه خيرا ما استطاع ( فالأول ) ينفعه الايمان السابق المجرد عن الاعمال لاصل النجاة فلا يخلد فى النار وان دخلها بذنوبه ، فالايمان السابق ينفعه وينفعه الايمان يومئذ أيضا لانه نور على نور ولكن لا تنفعه التوبة عن المعاصى ولا يقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك (والثانى) ينفعه ايمانه السابق لأصل نجاته وينفعه ما قدمه من الحسنات لدرجاته وينفعه ايمان يومئذ أيضا لما مر ولكن لا تنفعه توبة حينئذ من التخليط ولا حسنة يعملها بعد ذلك مالم يكن عملها من قبل واستمر على عملها من نحو صلاة وقراءة وذكر كان يعمله ( والثالث ) ينفعه ايمانه السابق لأجل نجاته وتنفعه أعماله السابقة الصالحة لدرجاته وينفعه ايمانه ذلك اليوم أيضا وينفعه ما يعمله بعد ذلك من الحسنات التى سبق منه أمثالها

وهذا التفصيل مما دلت عليه الآية الكريمة وبينته الاحاديث الواردة فى تفسير قوله تعالى ( يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ) من ذلك ما أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها » الآية وأخرج

ابن مردويه وابن أبى حاتم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال :خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال « يا عباد الله توبوا الى الله ـ مرات ـ فانكم توشكون ان تروا الشمس من المغرب فاذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوى العمل وختم الايمان » الحديث وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى قوله ( أو كسبت فى ايمانها خيرا ) يقول كسبت فى تصديقها عملا هؤلاء أهل القبلة ، وان كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها ، وان عملت قبل الآية خيرا قبل منها . ومن ذلك ما أخرجه الامام احمد وابن مردويه والبيهقى فى الشعب من طريق مالك بن يخامر السكسكى عن عبد الرحمن بن عوف ومعاوية ابن أبى سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الهجرة خصلتان احداهما ان تهجر السيئات والاخرى ان تهاجر الى الله ورسوله ، ولا تنقطع الهجرة ما تقبل التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل » وأخرج الامام احمد وعبد بن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة أحدكم وأمر العامة » قال قتادة خويصة أحدكم الموت ، وأمر العامة الساعة ، وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « خلق الله بابا للتوبة ـ وفيه ـ فذلك الباب مفتوح منذ خلقه الله الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ـ الى أن قال ـ فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها بعد ذلك الا ماكانت قبل ذلك فانه يجرى لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجرى لهم قبل ذلك فذلك قوله تعالى ( يوم يأتى بعض آيات ربك ـ الى قوله خيرا ـ » الحديث بطوله . وهذا الحديث وان كان سنده واهيا كما قاله بعض الحفاظ لكن له شواهد من الأحاديث الصحاح ، ويوضحه ما نقله العلامة المدقق ابن هشام فى مغنى اللبيب عن ابن عطية وابن الحاجب ان الآية من حذف المعطوف أى لاينفع نفسا ايمانها

وكسبها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ، والآية من اللف والنشر ومفهومه انها اذا كانت كسبت ينفعها كسبها المماثل للسابق وهو المطلوب

فيتلخص من مجموع الاحاديث المذكورة وما فى معناها مما هو مسطر فى الدر المنثور للحافظ جلال الدين السيوطى ان الشمس اذا طلعت من مغربها لا ينفع الايمان المحدث فى ذلك اليوم لمن كان كافرا أو مشركا ، ولا التوبة المحدثة فيه لمن كان مخلطا ، ولا أعمال البر المحدثة فيه لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم ، وأما من كان قبل ذلك اليوم مؤمنا فان الايمان المجرد عن الاعمال الصالحة السابقة على ذلك اليوم ينفع صاحبه لأجل نجاته ، وايمانه المتجدد يومئذ ينفعه أيضا لأنه نور على نور وان لم تقبل توبته عن سيآته ، وان الايمان السابق مع التخليط ينفعه مع ماتقدم له من الاعمال الصالحة التى كان يعملها وانما الممنوع قبول توبته عن تخليطه وقبول مالم يكن متصفا به من الايمان وأعمال البر قبل ذلك اليوم . والضابط ان كل بر محدث يكون السبب فى احداثه رؤية الآية ولم يسبق من صاحبه مثله لا ينفع ، سواء كان من الاصول أو الفروع ، وكل بر ليس كذلك لكون صاحبه كان عاملا به قبل رؤية الآية ينفع . وهذا التحقيق نبه على مثله الامام المحقق العلامة ابن مفلح فى الآداب الكبرى قال فى قوله صلى الله عليه وسلم « اذا طلعت الشمس من مغربها طبع الله عز وجل على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل » ليس المراد بهذا الخبر ترك ما كان يعمله من الفرائض أى وكذا من النوافل قبل طلوع الشمس من المغرب فيجب الاتيان بما كان يعمله من الفرائض قبل ذلك وينفعه ما يأتى به من الايمان الذى كان يأتى به قبل ذلك وكفى الناس العمل أى عملا لم يكونوا يفعلونه . قال وقد ذكر ابن حامد أن المذهب لا ينقطع التكليف خلافا للمعتزلة . وحكى ابن الجوزى عن الضحاك ان من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل منه كما يقبل منه قبل الآية . قال ابن مفلح فالعمل الصالح الذى سببه ظهور الآية لا ينفع لأن الآية اضطرته اليه ، واما ماكان يعمله فظهور الآية لا تأثير لها فيه فبقى الحكم كما قبل الآية . ونبه على مثله السيد

**لا ينقطع التكليف خلافا للمعتزلة**

محمد البرزنجى فى كتابه الاشاعة فى اشراط الساعة وشيخ مشايخنا العلامة ابراهيم الكورانى فى شرح منظومة الشيخ محمد المقدسى القشاشى • وأشار اليه سابقا الحافظ ابن حجر فى فتح البارى والحافظ السيوطى فى الدر المنثور وغيرهم من المحققين فهو المعول عليه دون ما زعمه بعض المتحذلقين وبالله التوفيق

اذا فهمت ذلك فاعلم انه قد ورد فى طلوع الشمس من مغربها عدة أحاديث منها ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا منها • وفيه أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » ورواه البخارى أيضا وفيه « حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها » ـ الحديث • وأخرج مسلم من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما « أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم « قال ان هذه تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارجعى من حيث جئت فترجع طالعة من مطلعها تجرى لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى الى مستقرها ذلك تحت العرش فيقال لها ارجعى ارتفعى أصبحى طالعة من مغربك • فتصبح طالعة من مغربها ـ فقال عليه السلام ـ أتدرون متى ذلكم ؟ حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل » الآية • وأخرج الامام احمد وعبد بن حميد وعبد الرزاق والستة غير الترمذى وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها » ثم قرأ الآية • وتقدم قريبا • وأخرج ابن مردويه عن حذيفة رضى الله

عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آية طلوع الشمس من مغربها ؟ فقال « طول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين »وهو وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا «قدرثلاث ليال» وعندالبيهقى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنما مرفوعا « قدر ليلتين أو ثلاث فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ويعملون كما كانوا ولا يرون الا قد قامت النجوم مكانها ثم يرقدون ثم يقومون ثم يقضون صلاتهموالليل كأنه لم ينقص فيضطجعون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه حتى يتطاول عليهم الليل فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم فيفزع الناس وهاج بعضهم فى بعض فقالوا ما هذا ؟ فيفزعون الى المساجد فاذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبينما هم ينظرون طلوعها من المشرق اذ هى طالعة عليهم من مغربها فيضج الناس ضجة واحدة حتى اذا صارت فى وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها » وأخرج ابن مردويه وغيره من حديث أنس رضى الله عنه مرفوعا « صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير فى هذه الامة قردة وخنازير تطوى الدواوين وتجف الاقلام لايزاد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » وعند البيهقى « فيذهب الناس فيتصدقون بالذهب الاحمر فلا يقبل منهم ويقال لو كان بالأمس » وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « لا تزال الشمس تجرى من مشرقها الى مغربها حتى يأتى الوقت الذى جعل الله لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أن يطلع فلا يؤذن لهما فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف مقدار حبسهما الا قليل من الناس وهم بقية أهل الارض وحملة القرآن يقرأ كل رجل منهم ورده فى تلك الليلة حتى اذا فرغ منه نظر فاذا ليلته على حالها فيعود ويقرأ ورده فاذا فرغ نظر فاذا ليلته على حالها فلا يعرف ذلك الا حملة القرآن فينادى بعضهم بعضا فيجتمعون فى مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ومقدار تلك الليلة ثلاث ليال ثم يرسل اللهجبريل الى الشمس والقمر فيقول ان الرب تعالى يأمر كما أن ترجعا الى مغربكما

فتطلعا منه فانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكى الشمس والقمر خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فبينما الناس كذلك يتضرعون الى الله والغافلون في غفلاتهم اذ نادى مناد ألا ان باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر طلعا من مغاربهما فنظر الناس فاذا بهما أسودان كالعكمين لا ضوء لهما ولا نور فذلك قوله تعالى : (وجمع الشمس والقمر) » قوله كالعكمين تثنية عكم بالكسر وهو الغرارة أي كالغرارتين العظيمتين ومنه يقال لمن شد الغرائر على الجمل : العكام ، وفي حديث أم زرع « عكومها رداح » يعنى غرائرها التى تكون فيها الامتعة وغيرها - فيرتفعان أي الشمس والقمر مثل البعيرين المقرونين ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فاما الصالحون والابرار فينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة ، وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة ، فاذا بلغت الشمس والقمر سرة السماء وهو منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردهما الى المغرب فلا يغربهما في مغاربهما أي مغارب طلوعهما ذلك اليوم وهي جهة المشرق ولكن يغربهما فى مغاربهما اللذين فى باب التوبة ، فان الله تعالى خلق باب التوبة فهو من أبواب الجنة لهمصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر ما بين المصراع الى المصراع مسيرة أربعين عاما للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترفع الى الله - فيغر بهماجبريل فىذلك ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع قط ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم ينفعهحسنة يعملها بعد ذلك الا ما كان يجرى لهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى ( يوم يأتى بعض آيات ربك ) الآية فقال : أبى بن كعب يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا ؟ قال ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك ضوء النور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك ، وأما الناس فانهم حيث رأوا

ما رأوا من تلك الآية وعظمها يلحون على الدنيا فيعمرونها ويجرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان ، وأما الدنيا فلو أنتج رجل مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى يوم ينفخ في الصور • وقد ذكر نحو ذلك القرطبى في تذكرته عن الثعلبى وغيره من المفسرين عن أبى هريرة •

( تنبيهات )

**تنبيهات الأول فى حال الناس بعد طلوع الشمس من مغربها**

(الأول) قد ورد عن ابن عمرو رضى الله عنهما : يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة • وروى عبد بن حميد عنه : يبقى شرار الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة • وأخرج نعيم عن ابن عمرو : لا تقوم الساعة حتى تعبد العرب ماكان يعبد آباؤها عشرين ومائة سنة بعد نزول عيسى بن مريم وبعد الدجال • وروى عبد بن حميد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يلتقى الشيخان الكبيران فيقول أحدهما للآخر متى ولدت فيقول زمن طلعت الشمس من مغربها • وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر عن أبى هريرة رضى الله عنه : الآيات كلها فى ثمانية أشهر • وعن أبى العالية : فى ستة أشهر • ومر : لو أن رجلا نتج مهرا لم يركبه حتى ينفخ في الصور • وجمع الحافظ ابن حجر في فتح البارى وتبعه السخاوى في القناعة والبرزنجى في الاشاعة بما حاصله انالمدة كما في الروايات الاولى عشرون ومائة سنة لكنها تمر مرا سريعا كمقدار عشرين ومائة شهر كما في صحيح مسلم غن أبى هريرة مرفوعا « لا تقوم **الساعة حتى تكون السنة كالشهر** » الحديث وفيه اليوم كالساعة • وعلى هذا يكون تقارب الزمان وتقاصر الايام مرتين مرة زمن الدجال ثم ترجع بركة الارض وطول الايام الى حالها ، ثم تتناقص بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام الى أن تصير في آخر الزمان الى ما ذكر • قلت وأحسن من **هذا ما ذكره الطيبى أن الآيات على قسمين قسم يدل على قرب الساعة وقسم يدل على حصولها** ، وان من الأول الدجال ونزول عيسى عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج والخسوف ، ومن الثانى

الدخان وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والنار التى تخرج من قعر عدن تحشر الناس ، فيكون المراد بالمدة الطويلة باعتبار الاول والقصيرة باعتبار الثانى لكن يعكر عليه بأن الخبر ناطق بأن العشرين ومائة سنة بعد طلوع الشمس من مغربها ولهذا مال الكورانى الى الاول أو أن خبرعشرين ومائة سنة غير صحيح ، واستدل لعدم صحة ذلك مع ما مر بقول السخاوى ثبت أن الآيات العظام مثل السلك اذا انقطع تناثر الخـــرز سرعة • وفى مرسل لأبى العانية أن بين أول الآيات وأخرها ستة أشهر يتتابعن كتتابع الخرزات فى النظام • وتقدم قريبا •• ويشهد لتواليها خرزات منظومات فى سلك اذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا • وفى رواية بين يدى الساعة عشر آيات كالنظم فى الخيط اذا سقط منها واحدة توالت

( الثانى )

**الثانى ما جاءان طلـــوعها من مغــــربها أول الســاعات وما يخالفه والنظر فى ذلك**

فى حديث مسلم ان أول الآيات طلوع الشمس من مغربها • وقـــد استشكل بأنه لو كان كذلك لم ينفع الكفار ايمانهم بعد نزول عيسى عليه السلام ولا الفساق توبتهم لانغلاق باب التوبة ، وقد جاء النص بأنه ينفعهم ذلك جزما والا لما صار الدين واحدا ولا كان فى نزوله كبير فائدة ، وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين فى الجواب عن ذلك والجمع بين الأحاديث ، وحاصل ذلك أنه أجيب بجوابين أحدهما للحافظ البيهقى قال ان كان فى علم الله تعالى ان طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفى قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها فاذا انقرضوا وتطاول الزمن وعاد بعضهم الى الكفر عاد تكليف الايمان بالغيب ، قال وان كان فى علم الله تعالى ان طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون المراد بالآيات فى حديث ابن عمرو آيات أخر غير الدجال ونزول عيسى— يعنى وخروج المهدى • قال العلامة الشيخ مرعى عن الاخير هو المعتمد لما مر من أن باب التوبة يغلق من حين طلوع الشمس من مغربها الى يوم القيامة

الجواب الثانى ان خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير انتظام الاحوال العامة فى معظم الارض وينتهى ذلك بموت سيدنا عيسى بن مريم

عليه السلام ، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المـؤذنة بتغير انتظام العالم العلوى وينتهى ذلك بقيام الساعة ، وأما خروج الدابة فانه يقع فى ذلك اليوم الذى تطلع فيه الشمس من المغرب • قال الحاكم أبو عبد الله الذى يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة فى ذلك اليوم أو الذى يقرب منه والحكمة فى ذلك ان عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من اغلاق باب التوبة • قال العلامة الشيخ مرعى وهذا كلام فى غاية التحقيق • قال بعضهم والحكمة فى طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما قال للنمرود ( ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ) وان السحرة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن أطلعها الله تعالى يوما من المغرب ليرى المنكرين عظيم قدرته وباهر حكمته وان الشمس فى ملكه ان شاء أطلعها من المشرق أو المغرب أولا ولا • وقال الحليمى من الشافعية : أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم طلوع الشمس من مغربها • ( قلت ) والذى يظهر والله أعلم أن أول الآيات خروج المهدى ثم الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم هدم الكعبة ثم الدخان ثم ارتفاع القرآن ثم طلوع الشمس من مغربها ويحتمل ان طلوع الشمس متقدم على رفع القرآن وخروج الدابة عقب طلوع الشمس من مغربها فى يومها أو قريبا منها • وهذا هو النسق الذى مشينا عليه واخترناه والله أعلم • وأما خروج السفيانى فانه وان كان قبل خروج المهدى الا أنه لم يعد خروجه آية وانما هو علامة لخروج المهدى والله أعلم

**ترتيب الآيات**

## ( التنبيه الثالث )

**الثالث فى طى الدواوين وجفاف الاقلام**

قد ورد من حديث أنس رضى الله عنه عند ابن مردويه وغيره أن الدواوين تطوى والاقلام تجف ولا يزاد فى حسنة ولا ينقص من سيئة • وفى كلامهم بعضهم ولا يكتب عمل بعد ذلك وانهم اذا عملوا عملا فأجسامهم تشهد عليهم كما ورد عن عائشة رضى الله عنها : اذا خرجت أول الآيات تعنى طلوع الشمس من المغرب طرحت الاقلام وطويت الصحف وخلصت

الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال • رواه عبد بن حميد والطبرى بسند صحيح • وعند نعيم بن حماد عن ابن حماد عن ابن عمرو فيناديهم مناد : يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم ، ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة وجفت الاقلام وطويت الصحف • وروى من طريق يزيد ابن شريح وكثير بن مرة : اذا طلعت الشمس من المغرب يطبع على القلوب بما فيها وترفع الحفظة وتؤمر الملائكة أن لا يكتبوا عملا • وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال الآية التى تختم الاعمال بها طـلوع الشمس من مغربها • فهذه آثار يشد بعضها بعضا متفقة على انه اذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ولا يختص ذلك بيوم طلوعها بل يمتد الى يوم القيامة خلافا لمن زعم من العلماء انه انما يمتنع قبول الايمان والتوبة وقت طلوع الشمس من المغرب أى فى تلك الحالة ، قالوا واما من تاب بعد ذلك أو أسلم قبل ذلك منه • قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ما ملخصه : الذى دلت عليه الاحاديث الثابتة الصحاح والحسان ان قبول التوبة مغيا بطلوع الشمس من مغربها ومفهومها انها بعـد ذلك لا تقبل بل قد جاء فى بعض الروايات التصريح بعدم القبول كما عند الامام احمد والطبرى والطبرانى عن مالك بن يخامر ومعاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو • رفعوه : لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل • وقد مر من الاخبار والآثار ما يفيد ذلك افادة صريحة لا تحتمل التأويل ، ويؤيد ذلك ما يأتى من أن ابليس يخر ساجدا وان الدابة تقتله فانه لا يموت الا عند الفراغ من العمل وبالله التوفيق •

**العلامة التاسعة**
**دابة الارض**

(( العلامة التاسعة ))

خروج دابة الارض واليها أشار بقوله

(( كذات أجياد على المشهور ))

(( كذات )) أى صاحبة (( أجياد )) وأجياد كما فى القاموس اسم أرض بمكة أو جبل بها قال سمى بذلك لكونه موضع خيل تبع • انتهى • قلت وفيه نظر فان تسميته بأجياد متقدمة على تبع وخيله ففى تفسير القرطبى

وروه الحكيم لترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما أذن الله لابراهيم واسماعيل برفع القواعد من البيت قال الله تبارك اسمه أني معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الى اسماعيل ان اخرج الى أجياد فادع يأتك الكنز فخرج الى أجياد ولا يدرى ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله الدعاء فلم يبق على وجه الارض فرس الا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها له • وفى حياة الحيوان للدميرى أول من ركب الخيل اسماعيل عليه السلام ولذلك سميت العراب وكانت قبل ذلك وحشا كسائر الوحوش فلما أذن الله تعالى الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل انى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الله عز وجل الى اسماعيل -الحديث- وفيه ولذلك قال نبينا صلى الله عليه وسلم « اركبوا الخيل فانها ميراث أبيكم اسماعيل » • قلت ولعل تسمية المحل المذكور لمجيء الخيل الجياد اليه مجيبة سيدنا اسماعيل عليه السلام ويقال له جياد أيضا بغير ألف قبل الجيم وقوله ((على)) القول ((المشهور)) من اضافتها الى اجياد لكونها تخرج منه ففى حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « تخرج دابة الارض من أجياد فيبلغ صدرها الركن اليمانى ولم يخرج ذنبها بعد وهى دابة ذات قوائم » وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا أنه أراه النبى صلى الله عليه وسلم المكان الذى تخرج منه الدابة • وعن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بئس الشعب شعب أجياد » قالها مرتين أو ثلاثا قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من فى الخافقين » رواه الطبرانى فى الاوسط • وفى حديث بريدة رضى الله عنه قال ذهب بى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا بأرض يابسة حولها رمل فقال صلى الله عليه وسلم « تخرج الدابة من هذا الموضع » والحاصل ان فى المحل الذى تخرج منه الدابة أقوالا من أشهرها أجياد كما أشرنا اليه ، قال الحافظ السخاوى فى القناعة وخروجها فى آخر الزمان من مكة اما من صدع الصفا وبه جزم غير واحد أو من المروة أو من شعب أجياد أو من بعض أودية تهامة أو من وراء مكة أو من مدينة قوم لوط •انتهى•

**اختلاف المنقول فى محل خروجها وما قيل من تكرره**

وقيل بل أول خروجها من أقصى اليمن ، وهذا أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أبى الطفيل عن أبى سريحة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يكون للدابة ثلاث خرجات فى الدهر تخرج فى أول خرجة فى أقصى اليمن منتشرا ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية ــ يعنى مكة ، ثم تمكث زمانا طويلا تخرج خرجة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها فى أهل البادية ويدخل ذكرها القرية ، ثم بينما الناس فى أعظم المساجد حرمة وأحبها الى الله وأكرمها على الله ــ يعنى المسجد الحرام ــ لم يرعهم الا وهى فى ناحية المسجد من الركن الاسود وباب بنى مخزوم فيرفض الناس عنها وتثبت عصابة من المسلمين عرفوا انهم لن يعجزوا الله فتنفض عن رأسها التراب فتجلو عن وجوههم حتى كأنهم الكواكب الدرية ــ الحديث

وقد جمع بعضهم بين الروايات بأن للدابة ثلاث خرجات ففى بعض خرجاتها تخرج من مدينة قوم لوط ويصدق عليها انها من أقصى البادية ، وفى بعضها تخرج من بعض أودية تهامة ويصدق عليها انها من وراء مكة وانها من اليمن لان الحجاز يمانية ومن ثم قيل الكعبة يمانية ، والمرة الثالثة تخرج من مكة وهى من كبرها وعظم جثتها وطولها يمكن أن تخرج من بين الصفا والمروة واجياد فانها تمتد مقدار ثلاثة أيام وأكثر وحينئذ يصدق عليها أنها خرجت من المروة ومن الصفا ومن أجياد ومن المسجد ومن البادية التى بقرب مكة كما فى حديث بريدة • وجمع بعضهم أيضا بوجه آخر وهو أنها تخرج من جميع تلك الاماكن فى آن واحد خرقا للعادة فى صور متباينة على أنه وود فى رواية كما فى حياة الحيوان أنه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها فى الارض فليست بواحدة فيكون قوله دابة اسم جنس • وذكر الكورانى انه حيث ورد فى المرفوع لها ثلاث خرجات من ثلاث محلات ، ومن المذكور فى الاصول ان العدد لا مفهوم له ومن ثم قال أهل الاصول : والتخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص ، فجاز أن يكون لها أكثر من ثلاث خرجات كل خرجة من محل فيصح خروجها من كل محل ذكروه ، وكذلك الاختلاف فى طولها وغيره فان الاقل لاينافى الا كثر بناء على أن العدد لا مفهوم له • انتهى • وورد أن خروجهاليلةجمع

والناس سائرون الى منى فيتصدع الصفا فتخرج منه ، وقيل تخرج من الحجر ، وقيل من أرض الطائف ، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب

**خروجها ثابت بالكتاب والسنة وصفتها وعملها**

اذا علمت ذلك فخروج الدابة المذكورة ثابت بالكتاب والسنة ،أماالكتاب فقوله تعالى : ( واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ) وأما السنة فكثيرة منها مافي حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب » وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « تخرج دابة الارض من اجياد فيبلغ صدرها الركن اليماني ولم يخرج ذنبها بعد وهي دابة ذات قوائم » وفي حديث حذيفة يرفعه « أول ما يبدو منها رأسها معلمة ذات وبر وريش » وقال أميـــر المؤمنين علي رضي الله عنه تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها • وروى فلا يخرج الا رأسها فيبلغ عنان السماء وتبلغ السحاب • وقال أبو هريرة رضي الله عنه فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب • وقال وهب : وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير • وقال ابن جرير : رأسها رأس الثور ، وعينها عين خنزير ، وأذنهاأذن فيل، وقرنها قرن ابل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هر ، وذنبها ذنب تيس ، وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثنى عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام • وقال كعب صوتها صوت حمار • وأخرج الامام احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن ويقول هذا يا كافر » وأخرج الامام احمد أيضا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعا « تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرون فيكم ثم يشتري الرجل الدابة فيقول ممن اشتريت فيقول من الرجل المخطم » وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان لها عنقا مشرفاأي طويلا

يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب ، ولها وجه كوجه الانسان ،ومنقار كمنقار الطير ، ذات وبر وزغب • وعن ابن عباس رضى الله انها ذات زغب وريش فيها من ألوان الدواب كلها وفلها من كل أمة سيمة وسيماها من هذه الامة أنها تكلم الناس بلسان عربى مبين وتكلمهم بكلامهم ، ( قوله ) ذات زغب أى عليها زغب وهو صغار الريش أول ما يطلع كما فى النهاية ، والايل بفتح الهمزة وكسر التحية مشددة وبضم وفتح ( الواو وكسر ) العين وهو تيس الجبل والسيمة العلامة •

وعن أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه انه قيل له ان ناسا يزعمون انك دابة الارض فقال : والله ان لدابة الارض ريشا وزغبا ومالى ريش ولا زغب ، وان لها حافرا وانها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثاها • وفي الميزان للحافظ الذهبى عن جابر الجعفى انه كان يقول : دابة الارض علي بن أبى طالب • قال الذهبى : وكان جابر الجعفى شيعيا يرى الرجعة - أى ان عليا يرجع الى الدنيا • قال الامام أبو حنفية ما لقيت أحدا أكذب من جابر الجعفى ولا أفضل من عطاء بن أبى رباح •وقال الشافعى أخبرنى سفيان بن عيينة قال كنا في منزل جابر الجعفى فتكلم بشىء فنزلنا خوفا ان يقع علينا السقف • ومع ذلك روى له أبو داود والترمذى وابن ماجه ومات سنة ست وستين ومائة (١) عفا الله عنه • وقال ابن الاثير في جامع الاصول : جابر بن يزيد الجعفى ويقال أبو محمد من أهل الكوفة مشهور ، وكان من أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكان يقول ان علي بن أبى طالب يرجع الى الدنيا - وذكر ما قاله أبو حنيفة رضى الله عنه فيه ، قال : ومات سنة ثمان وعشرين ومائة • وقال الحافظ المنذرى في آخر كتابه الترغيب والترهيب : جابر بن يزيد الجعفى الكوفي عالم الشيعة ترك يحيى القطان حديثه ، وقال النسائى وغيره : متروك ، ووثقه شعبة وسفيان الثورى، وقال وكيع : ما شككتم في شىء فلا تشكوا أن جابرا الجعفى ثقة • والله أعلم •

قال العلماء رحمهم الله تعالى كما في الاحاديث ان مع الدابة عصا موسى

(١) كذا والمعروف سنة ثماني وعشرين ومائة •

وخاتم سليمان عليهما السلام وتنادى بأعلى صوتها ( أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ) وتسم الناس المؤمن والكافر فأما للمؤمن فيرى وجهه كأنه كوكب دري ويكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء ويكتب بين عينيه كافر ، فلا يبقى مؤمن الا نكتت في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ، ولا يبقى كافر الا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه . وفي رواية فتلقى المؤمن فتسمه في وجهه نكتة فيبيض لها وجهه ، وتسم الكافر نكتة يسود لها وجهه . وفي أخرى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقولون لهذا يا مؤمن ولهذا يا كافر ويتعوذ بعض الناس منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها فتسمه في وجهه ثم تنطلق ، ويشترك الناس في الاموال ويصطحبون في الامصار يعرف المؤمن الكافر وبالعكس حتى ان المؤمن ليقول للكافر يا كافر اقض حقى ، وتستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذها ، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذها ، ثم المغرب واليمن كذلك . وأخرج نعيم بن حماد في الفتن والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لا يلبثون - يعنى الناس بعد يأجوج ومأجوج حتى تطلع الشمس من مغربها ، وجفت الاقلام وطويت الصحف ولا يقبل لأحد توبة ، ويخر ابليس ساجدا ينادى الهى مرنى اسجد لمن شئت ، وتجتمع اليه الشياطين تقول يا سيدنا الى من نفزع فيقول انما سألت ربى ان ينظرنى الى يوم البعث فانظرنى الى يوم الوقت المعلوم وقد طلعت الشمس من مغربها فهذا يوم الوقت المعلوم ، وتصير الشياطين ظاهرة فى الارض حتى يقول الرجل هذا قرينى الذى كان يغوينى فالحمد لله الذى أخزاه ، ولا يزال ابليس ساجدا باكيا حتى تخرج الدابة فتقتله وهو ساجد . قال العلماء في سؤال ابليس ان ينظر ليوم البعث مكر منه وخداع وجهل برب العالمين فانه انما حاول ان لا يذوق الموت لان يوم البعث ليس بيوم موت وانما هو يوم بعث ونشور واحياء وبعثرة لمن في القبور فاذا كان الامر كذلك فكيف يقبض اد ذاك ابليس أو غيره وانما ذلك يوم الجزاء فأجابه العليم الحكيم بأنه منظر الى يوم الوقت المعلوم . وهذا أصح من قول كعب الاحبار بأن

ابليس انما يذوق الموت يوم الحشر كما ذكره الكعائى في العرائس وبالله التوفيق •

( فائدة )

فائدة قيل انها الجساسة وقيل أنها الثعبان الذى كان ببئر الكعبه

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان الدابة هى الجساسة المذكورة في قصة تميم الدارى رضى الله عنه • وعن ابن عباس رضى الله عنهما انها الثعبان الذى كان في بئر الكعبة فاختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام وان الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون • وفي التمهيد لابن عبد البر عن عمرو بن دينار انه رمى بها في اجياد فالتقمتها الارض فهى الدابة التى تخرج تكلم الناس وتخرج عند الصفا • وفي حياة الحيوان جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انها أى الجساسة دابة الارض المذكورة في القرآن قال وهى بجزيرة بحر القلزم والله أعلم •

العلامة العاشرة خروج نار من قعر عدن أو غيره

( العلامة العاشرة )

خروج النار التى تخرج من قعر عدن تحشر الناس الى محشرهم واليها أشار بقوله :

(( وآخر الآيات حشر النار كما أتى في محكم الاخبار ))

(( وآخر الآيات )) العظام والعلامات الجسام (( حشر النار )) للناس من المشرق الى المغرب ومن اليمن الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو أرض الشام (( كما أتى )) ذلك مصرحا به ((فى محكم الاخبار)) وصحيح الآثار كما ستقف على جملة من ذلك • فان قلت في قولك وآخر الآيات مصادمة للحديث الصحيح والخبر الثابت الصريح عن سيد البشر وخلاصة العالم وأصدق من أخبر وصفوة بنى آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الامام أحمد في مسنده والبخارى في صحيحه والنسائى في سننه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اما أول اشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس الى المغرب » الحديث • قلت تقدم في حديث حذيفة بن أسيد الغفارى انه صلى الله عليه وسلم قال لن تقوم الساعة حتى ترى قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال

والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، قال وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم • وفى لفظ أن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات فعدها وفي آخرها نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس • قال شعبة وأحده قال تنزل معهم اذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا • رواه مسلم فى صحيحه بعدة طرق ، ورواه الامام أحمد وأصحاب السنن الاربعة • وقد جمع بعض العلماء بينهما بأن آخرية خروج النار باعتبار ما ذكر معها من الآيات وأوليتها بأنها من أول الآيات التى لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا • ذكره الحافظ السخاوى • وذكر غيره من العلماء بأن النار ناران احداهما تحشر الناس من المشرق الى المغرب ، والثانية تخرج من اليمن فتطرد الناس الى المحشر الذى هو أرض الشام ، فلعل احدى النارين في أول الآيات والاخرى في آخرها ، وحينئذ فلا حاجة الى الجمع الذى ذكره الحافظ السخاوى ، وان لم يكن في علم الله الا نار واحدة فجمع السخاوى موجه وعليه فالجمع بين حديث نار تخرج قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس ، وفي لفظ تخرج نار من قعر عدن ترحل الناس الى المحشر ، وحديث نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب ، فبأن يقال ان الشام الذى هو المحشر مغرب بالنسبة الى المشرق فيكون ابتداء خروجها قعر عدن من اليمن فاذا خرجت انتشرت الى المشرق فتحشر أهله الى المغرب الذى هو الشام وهو المحشر ، ولفظة أبين بوزن أحمر اسم الملك الذى بناها ، وفي نهاية ابن الاثير عدن أبين مدينة معروفة باليمن أضيفت الى أبين بوزن أبيض وهو رجل من حمير عدن بها أي أقام • انتهى • وفي القاموس عدن أبين محركة جزيرة باليمن أقام بها ، وعدن لاعة قرية بقربه • وأخرج الامام أحمد عن ابن عمرو رضى الله عنهما : ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم عليه السلام ويبقى في الارض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا وتأكل من تخلف •

ورواه أبو داود والحاكم وأبو نعيم ( قوله ) تقـذرهم نفس الله هو من المتشابه والايمان به واجب كما أخبر لا كما يتوهمه البشر • وأخرج الامام أحمد أيضا والترمذى وقال حسن صحيح عن ابن عمرو أيضا رضى الله عنهما مرفوعا : ستخرج نار من حضرموت أو بحضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس • قالوا يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام • يعنى وهو المراد بمهاجر ابراهيم • وأخرج الطبرانى وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه مرفوعا : لتقصدنكم نار هى اليوم خامدة في واد يقال له برهوت يغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الانفس والاموال تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام ، تطير طير الريح والسحاب ، حرها بالليل أشد من حرها بالنار ، ولها بين السماء والارض دوى كدوى الرعد القاصف • هى من رءوس الخلائق أدنى من العرش • قيل يا رسول الله أسليمة يومئذ على المؤمنين والمؤمنات ؟ قال وأين المؤمنون والمؤمنات يومئذ ؟ شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم رجل يقول مهمه • وأخرج البغوى والبارودى وابن قانع وابن حبان : يوشك ان تخرج نار من حبس سيل تسير سير بطيئة الابل ، تسير بالنهار وتقيم بالليل ، تغدو وتروح ، يقال غدت النار أيها الناس فاغدوا ، قالت أيها الناس فقيلوا ، راحت النار أيها الناس فروحوا ، من أدركته أكلته •

**اختلاف المنقول في موضع خروجها والجمع بين الاوجه**

فاذا قيل ما وجه الجمع بين كونها تخرج من قعر عدن ومن برهوت ومن حبس سيل ؟ فالجواب انها تخرج أولا من برهوت ويقال له وادى النار وهو في قعر عدن وعدن على ساحل البحر فالعبارات مآلها واحد وتمر بحبس سيل أيضا والخطاب لأهل المدينة وحبس سيل قريب من المدينة فوصول النار اليه يكون قبل وصولها الى المدينة فصح ان يقال لهم تخرج نار من حبس سيل • فان قيل ما وجه الجمع بين كونها تطير طير الريح والسحاب وتدور الدنيا كلها في ثمانية أيام ، وبين كونها تسير سير بطية الابل ؟ فالجواب ان لها حالات فتارة هكذا وتارة هكذا ، وان ثبت تعدد النار زال أصل الاستشكال • والله أعلم •

**تتمة في عموم الكفر آخر الزمان**

( تتمة ) ثبت بالسنة الصحيحة ان أهل الارض يكفرون ويعبدون الاوثان

وانه لا تقوم الساعة الا على شرار الناس ، فقد أخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تجيء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الارض أحدا فى قلبه مثقال ذرة من ايمان الا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان ؟ فيقولون ما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الاوثان ، فيعبدونها وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور » • فان قلت أليس قد ذكرت ان الدابة تقتل ابليس ؟ فالجواب انه ليس في الحديث ان الذى يظهر لهم ابليس بل يجوز أن يكون شيطانا آخر غير ابليس من ذريته • وأخرج الامام أحمد ومسلم أيضا والترمذى من حديث النواس بن سمعان « فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر - أي يتسافدون تسافد الحمر جمع حمار - فعليهم تقوم الساعة » •وفى حديث أبى هريرة مرفوعا عند الحاكم « ان الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا فى قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضته » •وقدجاءت رواية بأن الريح تأتى من قبل الشام وهنا انها من قبل اليمن ؟ والجواب انهما ريحان شامية ويمانية • وأخرج الامام أحمد بسند قوى عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض لا آله الا الله » ورواه مسلم بلفظ « حتى لا يقال في الارض الله الله » فان قيل كيف هذا مع ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق الى يوم القيامة حتى يأتى أمر الله » ( فالجواب ) هذا غير مصادم للحديث لأن معناه انهم لا يزالون على الحق حتى تأتيهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر اشراطها ، فاطلق فيه بقاءهم الى قيام الساعة مريدا اشراطها ودنوها المتناهى في القرب ، ومثله قول بعضهم أمر الله هو هبوب تلك الريح الآتى بعد وقوع الآيات العظام التى بعضها(١) قيام الساعة ولا يتخلف عنها الا شيئا يسيرا

**الريح التي تقبض بقية المؤمنين وهل هما ريحان ؟**

**حديث لا تزال طائفة من امتى والجمع بينه وبين الاحاديث الاخرى**

(١) بهامش مط « لعل الصواب يعقبها » وبها مش مخ « لعله بعدها»

والناس فيهم يعني من يبقى بعد هبوب الريح مؤمن وعليهم تقوم الساعة • وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك الريح كما في القناعة للحافظ السخاوى • وفي المستدرك بسند صحيح عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ويبعث الله ريحا طيبة فتتوفي من كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير فيبقى من لا خير فيه فيرجعون على دين آبائهم » وفي مرفوع ابن عمرو رضى الله عنهما « لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحا لا تدع أحدا في قلبه مثقال ذرة من خير الا قبضته ويلحق كل قوم بما كان يعبد آباؤهم في الجاهلية ويبقى عجاج من الناس لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر يتناكحون في الطرق فاذا كان ذلك اشتد غضب الله على أهل الارض فأقام الساعة » وفي مستدرك الحاكم من مرفوع أبى هريرة « وحتى تؤخذ المرأة جهارا نهارا تنكح وسط الطريق لا ينكر ذلك أحد » وفى لفظ « حتى ينكح أحدكم أمه فيكون أمثلهم يومئذ الذى يقول لو نحيتها عن الطريق قليلا، فذلك فيهم مثل أبى بكر وعمر فيكم » قال القرطبى فى تذكرته عن بعض العلماء : اذا أراد الله انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم وتقيل حتى يجتمع الخلق بالمحشر الانس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وخشاش الارض وكل ذى روح • ثم ذكر النفخة

(( فكلها صحت بها الاخبار     وسطرت آثارها الاخيار ))

(( فكلها )) أى اشراط الساعة المذكورة وعلاماتها المسطورة (( صحت بها الاخبار )) عن النبى المختار وأصحابه الابرار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار ((و)) كلها قد ((سطرت)) أى كتبت وأصل السطر الصف من الشىء والكتاب والشجر وغيره والجمع أسطر وسطور وأسطار وجمع الجمع أساطير ويطلق السطر أيضا على الخط والكتابة ويحرك فى الكل كما فى القاموس ((آثارها)) مفعول سطرت أى الآثار الدالة عليها والمتضمنة لاثباتها ومجيئها فى أوقاتها وعلاماتها المشيرة الى اقترابها ((الاخيار)) فاعل سطرت وانما أنث الفعل لان الجمع مؤنث فى

المعنى اذ معناه الجماعة وهو جمع خير وخير ككيس والمؤنثة خيرة ، ويجمع خير أيضا على خيار من غير ألف قبل الخاء المعجمة ، وقيل ان المخففة مختصة بما فى الجمال والميسم والمشددة فى الدين والصلاح • والخير ضد الشر والاخيار ضد الاشرار • والمراود بهم هنا علماء الامة من التابعين وتابعيهم وأئمة السلف ومقلديهم • وقد روى أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث أبى هريرة رضى الله عنه والقضاعى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال « خيار أمتى علماؤها وخيار علمائها رحماؤها ألا وان الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنبا قبل أن يغفر للجاهل ذنبا واحدا ، ألا وأن العالم الرحيم يجىء يوم القيامة وان نوره قد أضاء يمشى فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضىء الكوكب الدرى)واسناده ضعيف • وقد عزونا كل قول لقائله وكل حديث لناقله غالبا لنخرج من تبعته • وليعلم من أنعم النظر وأمعن الفكر فى ماحررته انه زبدة ما مخضه المتقدمون وثمرة ما غرسه المحررون وبالله التوفيق •

( تنبيهان )

تنبيهان الاول ماقيل أن الحشر أربعة

( الاول ) ذكر القرطبى فى تذكرته ان الحشر أربع حشران فى الندنيا وحشران فى الآخرة فاللذان فى الدنيا المذكور فى سورة الحشر وهو حشر اليهود الى الشام قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى أين قال الى أرض المحشر ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من جزيرة العرب • والحشر الثانى المذكور فى اشراط الساعة أنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب كما فى حديث أنس وعبد الله بن سلام وفى حديث إبن عمرو رضى الله عنهم اياكم مرفوعا « تبعث على أهل المشرق نار فتحشرهم الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ويكون لها ما سقط منهم وتخلف وتسوقهم سوق الجمل » قال الحافظ ابن حجر وكونها تخرج من قعر عدن لا ينافى حشرها الناس من المشرق الى المغرب لان ابتداء خروجها من عدن فاذا خرجت انتشرت فى الارض كلها والمراد تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب ، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق • قال القرطبى : واما اللذان فى الآخرة فحشر الاموات

من قبورهم بعد البعث جميعا قال تعالى ( وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ) وحشرهم الى الجنة والنار • وقال الحافظ ابن حجر عن الاول المذكور فى أول سورة الحشر ليس حشرا مستقلا لأنه انما وقع لفرقة مستقلةمخصوصة وهذا وقع كثيرا كما وقع لبنى أمية حين أخرجهم عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما من المدينة الى جهة الشام • والجواب عن ذلك بأن المراد ماسمى حشرا على لسان الشارع وقد سمى الله ذلك حشرا

( الثـــانى )

**الثاني حشر الناس من المشرق الى المغرب ايوم القيامة أم قبله**

اختلف العلماء فى حشر الناس من المشرق المغرب هل هو يوم القيامة أو قبله ؟ فقال القرطبى والخطابى وصوبه القاضى عياض ان هذا الحشر يكون قبل يوم القيامة ، وأما الحشر من القبور فهو على ما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا كما فى الصحيحين وغيرهما «انكم تحشرون حفاة عراة غرلا » وقال الحكيم الترمذى وأبو حامد الغزالى هو يوم القيامة ويدل له حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين وغيرهما مرفوعا « يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين اثنان على بعير وثلاثةوعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا » قال أهل هذا القول ان هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى ( وكنتم أزواجا ثلاثة ) قال الحافظ
ابن حجر ويؤيده حديث أبى ذر عند الامام احمد والنسائى والبيهقـــى ٥
حدثنى الصادق المصدوق ان الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج يحشرون طاعمين كاسين راكبين ، وفوج تسحبهم الملائكة ــ الحديث • وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ما يباين حديث أبى ذر ( والجمع ) ان الحشر يعبر به عن النشر أيضا لاتصاله به ، وهو أى النشر اخراج الناس من قبورهم كما يأتى فيخرجون حفاة عراة يساقون ويجمعون الى الموقف للحساب ، ثم يحشر المتقون ركبانا على الابل والمجرمون على وجوههم • وقال بعضهم يخرجون من القبور على مافى حديث أبى هريرة وان الحشر اذا أطلق يراد به شرعا الحشر من القبور مالم يخصه دليل ( وأيضا ) التقسيم المذكور فى الخبر لا يستقيم فى الحشر الى أرض الشام لأن المهاجر

لا بد أن يكون راغبا أو راهبا أو جامعا بين الصفتين ( وأيضا ) حشر بقية الناس والجاء النار لهم الى تلك الجهة وملازمتها حتى لا تفارقهم قول لم يرد به التوقيف وليس لنا أن نحكم بتسليط النار على أهل الشقوة من غير توقيف ( وأيضا ) الحديث يفسر بعضه بعضا وقد وقع فى طريق لحديث أبى هريرة بلفظ ثلثا على الدواب وثلثا ينسلون على أقدامهم وثلثا علـى وجوههم قال ونرى هذا التقسيم نظير التقسيم الذى فى سورة الواقعة ( وكنتم أزواجا ثلاثة ) فقوله فى الحديث راغبين راهبين يريد عموم المؤمنين المخلطين عملا صالحا وآخر سيئا وهم أصحاب الميمنة وقوله اثنان على بعير الخ يريد السابقين وهم أفاضل المؤمنين ركبانا وقوله وتحشر بقيتهم النار • يريد أصحاب المشأمة • ويحتمل أن البعير يحمل العشرة دفعة واحدة لان ذلك يكون من بديع قدرة الله فيقوى على ما يقوى عليه عشرة أبعرة من بعران الدنيا • ويحتمل أن يتعاقبوه • انتهى ملخصا • وانتصر القاضى عياض لقول الخطابى والقرطبى بأن حديث أبى هريرة تقيل معهم وتبيت وتصبح وتمسى يؤيدان الحشرفى الدنيا الى الشام لأن هذه الاوصاف مختصة بالدنيا ، وقوله اثنان على بعير الى عشرة - يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشى بعض وذلك لقلة الظهر كما فى بعض الاحاديث انتهى ملخصا • ورجح هذا الطيبى وتعقب ذلك البعض وأجاب عما استدل به بما يطول ( ثم قال الطيبى ) بعد ما انتصر للخطابى والقرطبى وزيف كلام ذلك البعض بما حاصله : ثم رأيت فى صحيح البخارى فى باب الحشر: يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق • فعلمت من ذلك أن الذى ذهب اليه التور بشتى من أن ذلك فى الآخرة هو الحق الذى لا محيد عنه • انتهى• قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى بعد نقله ما تقدم عن الطيبى قلت لم أقف فى شىء من طرق الحديث الذى خرجه البخارى على لفظ يوم القيامة فى صحيحه ولا فى غيره وكذا هو عند مسلم والاسماعيلى وغيرهما ليس فيه يوم القيامة • ثم اختار هو انه يتعين كون ذلك فى الدنيا لما وقع فيه ان الظهر يقل لما يلقى عليه من الآفة وان الرجل يشترى الشارف الواحـد بالحديقة المعجبة فان ذلك ظاهر جدا فى أنه من أحوال الدنيا • قال فى

الاشاعة فثبت أن الحق أن النار قبل يوم القيامة • قلت وهو كما قال • وبالله التوفيق •

---

## (( فصل فى أمر المعاد ))

فصل فى أمر المعاد

اعلم أن المعاد الجسمانى حق واقع وصدق صادق دل عليه النقل الصحيح ولم يمنعه العقل فوجب الايمان به والتصديق بموجبه لأنه جاء فى السماع الصحيح المنقول ودل عليه عند الجمهور صريح المعقول ، وهو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها لقوله تعالى ( قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) الى غير ذلك من النصوص القرآنية القطعية والاحاديث الساطعة النبوية ، وقد أنكره الطبائعيون والدهرية والملحدة وفيه تكذيب للنقل الصريح والعقل الصحيح على ما قرره المحققون من أهل الملة • وأنكرت الفلاسفة المعاد الجسمانى بناء على امتناع اعادة المعدوم بعينه ، ووافق المعتزلة أهل الحق على المعاد الجسمانى بناء منهم على أن المعدوم عندهم شيء فلو لم يقولوا به لأحالوه لأن المعدوم قبل الوجود عندهم قابل للوجود فكذلك اذا انعدم بعد الوجود ، وعند أهل السنة المعدوم نفى محض وهم مع ذلك قائلون بجواز اعادته • وللمتكلمين فى جواز اعادة الاعراض قولان جواز اعادتها وهو الحق لانه تعالى على كل شيء قدير والثانى قول الفلاسفة ومن وافقهم من المعتزلة كأبى الحسين البصرى والخوارزمى والكرامية قال :

(( واجزم بأمر البعث والنشور      والحشر جزما بعد نفخ الصور ))

(( واجزم )) جزم ايقان واذعان واعتقاد وعرفان (( بأمر البعث )) بعد الموت (( والنشور )) من القبور (( والحشر )) لأجل الجزاء وفصل القضاء (( جزما )) مصدر مؤكد لقوله واجزم وذلك كله واقع (( بعد نفخ الصور )) المراد نفخة البعث وحاصل ما ذكر في هذا البيت أربعة أشياء ، البعث والنشور والحشر والنفخ في الصور ، أما البعث فالمراد به المعاد الجسمانى فانه المتبادر عند الاطلاق اذ هو الذى يجب اعتقاده ويكفر منكره ، قال الامام المحقق ابن القيم في كتابه الروح كشيخه وغيرهما : معاد الابدان متفق عليه بين

المسلمين واليهود والنصارى • وقال الجلال الدوانى هو باجماع أهـــل الملل وبشهادة نصوص القرآن بحيث لا يقبل التأويل كقوله تعالى ( أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ) وقد أخـــرج ابن جرير وابن المنـــذر وأبو حاتم والاسماعيلى في معجمه والحافظ الضياء في المختارة وابن مردويه والبيهقى في البعث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بيده فقال يا محمد يحيى الله هذا بعد ما أرم ؟ قال « نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم» فنزلت الآيات من آخر يس ( أو لم ير الانسان ) الى آخر السورة • وهذا نص صريح في الحشر الجسمانى يقلع عرق التأويل بالكلية • ولهذا قال الامام الرازى : الانصاف انه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وبين نفى الحشر الجسمانى ، فانه قد ورد في عـدة مواضع من القرآن المجيد التصريح به بحيث لا يقبل التأويل أصـــلا • انتهى • وكذلك لا يمكن الجمع بين القول بقدم العالم على ما يقول الفلاسفة وبين الحشر الجسمانى لأن النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهيـــة فتستدعى جميعا أبدانا غير متناهية وأمكنة غير متناهية ، وقد ثبت تنـــاهى الابعاد بالبرهان وباعترافهم والله تعالى أعلم • و « ثم » في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم « نعم يبعث الله هذا ثم يميتك » للترتيب الاخبـارى لا للترتيب الحكمى كقولهم بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أي أخبرك ان ما صنعته أمس أعجب •

وأما النشور فهو يرادف البعث في المعنى يقال نشر الميت ينشر نشور اذا عاش بعد الموت ، وأنشره الله أي أحياه ، ومنه قولهم يوم البعث والنشور • وأما الحشر فهو في اللغة الجمع تقول حشرت الناس اذا جمعتهم ، والمراد به جمع أجزاء الانسان بعد التفرقة ثم احياء الابدان بعد موتها •

واعلم انه يجب الجزم شرعا ان الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد ايجادهم بجميع أجزائهم الاصلية وهى التى من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره ويسوقهم الى محشرهم لفصل القضاء ، فان هذا حق ثابت بالكتاب

والسنة واجماع سلف الامة مع كونه من الممكنات التى أخبر بها الشارع • وكل ما هو كذلك فهو ثابت والاخبار عنه مطابق • والاصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه الا مكان كما يقوله الحكماء والمتكلمون من أن كل ما قرع سمعك من الغرائب قدره في حيز الامكان مالم يردك عنه قائم البرهان • فمن زعم عدم اعادة المعدوم ألزم بالمبدأ فان المعاد مثل المبدأ بل هو عينه أو أيسر كما لا يخفى • وتقدم ان الانبياء تأتى بما تدرك العقول أو تتحير فيه ولا تأتى بما تحيله العقول أبدا فتأتى بمحارات العقول لا بمحالات العقول ، وامكان المعاد لأنه اما ايجاد ما انعدم أو جمع ما تفرق أو حيى بعد ما أميت ، وهذه كلها ممكنة لا احالة في شيء من ذلك أصلا مع ما واتر من أخبار الانبياء والكتب السماوية ولا سيما في القرآن العظيم والذكر الحكيم ما لا مزيد عليه مثل ( واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ــ قل بلى وربى لتبعثن ــ ثم انكم يوم القيامة تبعثون ــ فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون* فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة ــ أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه* يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير* ــ كما بدأكم تعودون ــ كما بدانا أول حلق نعيده وعدا علينا ــ أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ــ ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ) والآيات في ذلك كثيرة جدا • وأما الاحاديث فكثيرة جدا ففى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول « انكم ملاقو الله حفاة عراة غرلا » زاد في رواية ــ مشاة ــ وفي رواية فيهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال « يا أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا ( كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ) ) الحديث • الغرل بضم الغين المعجمة واسكان الراء جمـــع اغرل وهو الاقلف • ومثله في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها ، قالت فقلت : الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال : الامر «أشد من أن يهمهم ذلك» وروى نحوه من حديث أم سلمة أخرجه الطبرانى في الاوسط بسند صحيح وفيه فقالت أم سلمة رضى الله عنها : فقلت يا رسول الله واسوأتاه ، ينظر بعضنا

الى بعض ؟ فقال : شغل الناس ، قلت ما شغلهم ؟ قال « نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل » وروى من حديث أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضى الله عنها أيضا ولفظه « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » قالت فقلت : يبصر بعضنا بعضا ؟ فقال : شغل الناس ( لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ) رواه الطبراني ورواته ثقات •

تنبيهان الاول البعث اعادة بعد تفرق أم بعد عدم ؟

( تنبيهـــان )

(الاول) اختلف الناس هل البعث اعادة بعد تفريق أو ايجاد معدوم ، قال عكرمة رحمه الله ان الذين يغرقون في البحر وتقتسم لحومهم الحيتان ولا يبقى منهم شيء الا العظام فتلقيها الامواج الى الساحل فتمكث حينا ثم تصير نخرة ثم تمر بها الابل فتأكلها ثم تسير الابل فتبعر ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فتجيء الريح فتلقى ذلك الرماد على الارض فاذا جاءت النفخة فاذا هم قيام ينظرون يخرج أولئـــك وأهل القبور سواء • قال العلامة الشيخ مرعى رحمه الله تعالى قال العلماء ان الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الارض وما أصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما أبلته الشمس وذرته الرياح فاذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق الاالارواح نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح الى جسدها فاذا هم قيام ينظرون • والحاصل ان اعادة الاجسام حق يجب الايمان به ، ثم هذه الاعادة هل هي للعدم المحض أوالتفريق المحض والمشهور انه جمع متفرق والاصح انه ايجاد بعد عدم ونص عليه علمـــاء السنة وكذا المعتزلة وهو مذهب المحققين وبالله التوفيق •

الثاني هل تعاد الاعراض ؟

( الثـــانى )

اختلف في اعادة الاعراض التى كانت قائمة بالاجسام في الدنيا فمذهب الاكثرين انها تعاد بأشخاصها التى كانت قائمة بالجسم حال الحياة واليـــه ميل أبى الحسن الاشعرى من غير فرق فيها بين الاعراض التى يطول بقاء نوعها كالبياض وبين غيرها كالاصوات وسواء كان مقدورا للعبد كالضرب أولا كالعلم والجهل لأن نسبتها الى قدرته تعالى كنسبة الاعيـــان وقد قام

الدليل على اعادتها فكذا اعراضها، وماقيل يلزم عليه قيام العرض يعنى الاعادة بالعرض المعاد وهو محال فباطل لامكان تعلق الاعادة بالاعيان أولا وبالذات وبالاعراض ثانيا وبالعرض ، هذا كله ان لو قلنا باستحالة قيام العرض بالعرض فكيف ونحن بمعزل عن ذلك وقد شاهدنا قيام العرض بالعرض بالمحسوس وغيره كليل حالك وحركة بطيئة واحمر قان وغير ذلك • وقيل بمنع اعادة الاعراض مطلقا كما ذهب اليه بعض الاشاعرة • وذهب أكثر المعتزلة الى امتناع اعادة الاعراض التى لا تبقى كالاصوات والارادات لاختصاصها عندهم بالاوقات وقسموا الباقية الى ما يكون مقدورا للعبد فمنعوا اعادتها والى ما لا يكون مقدورا للعبد فجوزوا اعادتها • وقد قال ابن العربى في سراج المريدين والقرطبى في تذكرته : الذى عند أهل السنة ان تلك الاجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وبأعراضها بلا خلاف بينهم – مع ان الخلاف منقول عند متكلمى الاشعرية كالسعد والبيضاوى وغيرهما • قلت وقد نقل الاجماع غير واحد من العلماء من آخرهم الشيخ مرعى وغيره عن أهل السنة ان الاجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها والله أعلم •

**النفخ فى الصور ثلاث الاولى نفخة الفزع**

وأما النفخ في الصور فالمراد به نفخة البعث والنشور ، واعلم ان النفخ في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع وهى التى يتغير بها هذا العالم ويفسد نظامه وهى المشار اليها فى قوله تعالى ( وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق ) أي من رجوع ومرد وقوله تعالى ( ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ) فسر الزمخشرى في كشافه المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل غير ذلك • وانما يحصل الفزع لشدة ما يقع من هول تلك النفخة فقد أخرج ابن جرير في تفسيره والطبرانى في المطولات وأبو يعلى في مسنده والبيهقى في البعث وأبو موسى المدينى في المطولات وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان وعبد بن حميد وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر » • قلت يا رسول الله وما الصور ؟ قال : القرن ، قلت أي شيء

هو ؟ قال : عظيم ان عظم دارة فيه كعرض السماء والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، فيأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع ، فينفخ فيفزع أهل السماء والارض الا من شاء الله ، فيأمره فيمدها ويطيلها ولا يفتر وهى التى يقول الله تعالى ( وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق ) فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترتج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموقرة فى البحر تضربها الامواج وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الارواح وهى التى يقول الله ( يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ) فتميل الارض بالناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الاقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى ( يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم) فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الارض فانصدعت من قطر الى قطر فراوا امرا عظيما ثم نظروا الى السماء فاذا هى كالمهل ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ والأموات يومئذ لا يعلمون بشىء من ذلك . قلت يا رسول الله من استثنى الله تعالى في قوله (الا من شاء الله) ؟ قال : أولئك الشهداء ، وانما يتصل الفزع الى الاحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه يقول الله ( يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم* يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ) فيمكثون فى ذلك ماشاء الله «الحديث» وفى البغوى عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : ست آيات قبل يوم القيامه بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم ، فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله ( واذا الوحوش حشرت ) اختلطت ( واذا العشار

عطلت ) أهملت ( واذا البحار سجرت ) قال ابن عباس رضى الله عنهما أوقدت فصارت نارا تضرم • قال أبى قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تأجج ، فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابقة السفلى وانشقت السماء انشقاقة واحدة الى السماء السابعة العليا ، فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم • انتهى •

**الثانية نفخة الصعق وهلاك الخلق**

(النفخة الثانية) نفخة الصعق وفيها هلاك كل شيء قال تعالى ( ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ) وقد فسر الصعق بالموت وفي الحديث المتقدم الذى رواه ابن جرير وما عطف عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا من شاء الله فيقول الله وهو أعلم فمن بقى ، فيقول أي رب بقيت أنت الحي القيوم الذى لا يموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا ، فيقول الله تعالى فليمت جبريل وميكائيل ، فيموتان ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول قد مات جبريل وميكائيل ، فيقول الله تعالى فليمت حملة العرش ، فيموتون ، ويأمر الله العرش ان يقبض الصور من اسرافيل ، فيموت ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول رب قد مات حملة العرش ، فيقول وهو أعلم فمن بقى ؟ فيقول بقيت أنت الحي القيوم الذى لا يموت وبقيت أنا ، فيقول : أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت ، فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد القهـــار طوى السماء والارض كطى السجل للكتب وقال « أنا الجبار لمن الملك اليوم » ثلاث مرات فلم يجبه أحد ثم يقول لنفسه « لله الواحد القهـــار » وتبدل الارض غير الارض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا أمتا» الحديث • وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال : هؤلاء الاربعة أملاك جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت أول من خلقهم الله من الخلق وآخر من يميتهم وأول من يحييهم هم المدبرات أمرا والمقسمات أمرا •

قال أبو عبد الله القرطبى : والصور قرن من نور يجعل فيـــه أرواح الخلائق • وقال مجاهد كالبوق • ذكره البخارى • وأخرج الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : جاء اعرابى الى النبى صلى

الله عليه وسلم فقال ما الصور ؟ قال « قرن ينفـــخ فيه » ، قال الترمذى حديث حسن • وأخرج الترمذى أيضا وحسنه عن أبى سعيد الخـــدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـــه وسلم قال « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الاذن متى يؤمر بالنفخ » فكأن ذلك ثقـل على رسول أصحاب الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » • وأخرج الامام عبد الله بن المبارك ومؤمل بن اسمعيل وعلي بن معبد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حديثا مرفوعا فيه «ثم يقوم ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فـــلا يبقى خلق في السموات والارض الا مات الا من شاء ربك» • الحديث• وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك ابن الملوك • وأخرج مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يطوى الله السموات يوم القيامه ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك ابن الجبارون ابن المتكبرون ؟ ثم يطوى الله الارض بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ؟ » وسياتى ان من لم يخلق للفناء لم يفن كالجنة وما فيها من الحور العين والولدان وكذا النار وما فيها من الحيات والعقارب والخزان والله أعلم •

**الثالثة نفخة البعث**

( النفخة الثالثة ) نفخة البعث والنشور وقد جاء في الكتاب العزيز آيات تدل عليها وأخبار تشير اليها كقوله تعالى ( ونفخ في الصور فاذا هم مـن الاجداث الى ربهم ينسلون ) وقوله ( ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ـ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ) قال الكلبى وغيره هى نفخة البعث والناقور فاعول من النقر وقوله تعالى (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب*يوم يسمعون الصيحـــة بالحق) الآية قال المفسرون المنادى هو اسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور وينادى أيتهـــا العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة انالله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء • وقيل ينفخ اسرافيل وينادى جبريل ، والمكان القريب صخرة بيت المقدس • قاله جماعـــة من المفسرين • وبين النفختين أربعون عاما ـ قال بعض العلماء اتفقت الروايات على ذلك • وفي

مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : ما بين النفختين أربعون • قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما ؟ قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهرا ؟ قال: أبيت ، قالوا : أربعون عاما ؟ قال : أبيت - الحديث ، وقول أبى هريرة رضى الله عنه « أبيت » فيه ثلاث تأويلات أولها امتنعت من بيان ذلك لكم ، وقيل أبيت أسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقيل نسيت ، وقيل ان سر ذلك لا يعلمه الا الله لانه من أسرار الربوبية • وفى حديث ان بين النفختين أربعين عاما • وفي تفسير الثعلبى عن أبى هريرة رضى الله عنه في تفسير سورة الزمر مرفوعا « ان الله يرسل مطرا على الارض فينزل عليها أربعين يوما حتى يكون فوقهم اثنى عشر ذراعا فيأمر الله تعالى الاجساد ان تنبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادهم كما كانت قال الله تعالى ليحي حملة العرش ليحي جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ثم يأمر الله تعالى اسرافيل فيأخذ الصور فيضعه علي فيه ثم يدعو الارواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورا والاخرى ظلمة فيقبضها جميعا ثم يلقيها في في الصور ثم يأمره ان ينفخ نفخة البعث فتخرج الارواح كلها كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والارض ثم يقول الله تعالى : وعزتى وجلالى لترجعن كل روح الى جسدها ، فتدخل الارواح من الخياشيم ثم تمشى مشى السم فى اللديغ ، ثم تشقق الارض عنهم سراعا فانا أول من تنشق عنه الارض فتخرجون منها الى ربكم تنسلون » وأخرج الشيخان من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين النفختين أربعون » قيل أربعون يوما ؟ قال أبو هريرة أبيت ، قال أربعون شهرا ؟ قال أبيت ، قال أربعون سنة ؟ قال أبيت ، «ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الاعظم واحد وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة »• وفى رواية لمسلم « ان فى الانسان عظما لا تأكله الارض أبدا فيه يركب الخلق يوم القيامة • قالوا أي عظم هو يا رسول الله ؟ قال عجب الذنب » •ورواه الامام مالك وأبو داود والنسائى باختصار قال « كل ابن آدم تأكله الارض الا عجب الذنب ، منه خلق وفيه يركب » • قال الحافظ المنذرى كغيره : عجب الذنب بفتح العين المهملة

واسكان الجيم بعدهما باء موحدة أو ميم وهو العظم الحديد الذى يكون في أسفل الصلب وأصل الذنب من ذوات الاربع • وقد روى الامام أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يأكل التراب كل شىء من الانسان الا عجب ذنبه » قيل وما هو يا رسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تنبتون » وفي الثعلبى في تفسير سورة الاعراف وتفسير ابن عطية عن أبى هريرة رضى الله عنهم : اذا مات الناس كلهم في النفخة الاولى يعنى نفخة الصعق أمطر عليهم أربعين عاما كمنى الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما يجده النائم اذا استيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا • وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انا سيد ولد آدم وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع » • وفي صحيح البخاري « أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فاذا بموسى عليه السلام متعلق بالعرش فلا أدرى أكذلك كان أم بعد النفخة » ــ وفي بعض ألفاظ البخارى ــ فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور » وأخرج الحكيم والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم ويمينه على أبى بكر وشماله على عمر فقال : هكذا نبعث يوم القيامة • وفي الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله قال الله تعالى ( الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ) أيحشر الكافر على وجهه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس الذى أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه • وقال قتادة حين بلغه : بلى وعزة ربنا • وروى النسائى والترمذى وحسنه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون

من عصارة أهل النار طينة الخبال » • وروى البزار من حديث جابر رضى الله عنه مرفوعا « يبعث الله يوم القيامة ناسا في صور الذر يطؤهم الناس بأقدامهم فيقال ما هؤلاء في صور الذر ؟ فيقال : هؤلاء المتكبرون في الدنيا ـ وروى الامام أحمد في الزهد عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال في صورة الذر تطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضى بين الناس قال ثم يذهب بهم الى نار الانيار » قيل يا رسول الله وما نار الانيار ؟ « قال عصارة أهل النار » وروى عن أبى سعيد رضى الله عنه انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الميت يبعث في ثيابه التى يموت فيها » رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وفي اسناده يحيى بن أيوب وهو الغافقى المصرى احتج به البخارى ومسلم وغيرهما وله مناكير ، قال أبو حاتم لا يحتج به وقال الامام أحمد سيىء الحفظ ، وقال النسائى : ليس بالقوى ، وقد نال كل من وقفت على كلامه من أهل اللغة ان المراد في ثيابه التى قبض فيها أى في أعماله قال الهروى ، وهذا كحديثه الآخر : يبعث العبد على ما مات عليه • قال وليس قول من ذهب الى الاكفان بشىء لأن الميت انما يكفن بعد الموت • انتهى • قال الحافظ المنذرى وفعل أبى سعيد راوى الحديث يدل على اجرائه على ظاهره وان الميت يبعث في ثيابه التى قبض فيها ، وفي الصحاح وغيرها ان الناس يبعثون عراة فالله أعلم وحمل كثير من العلماء الحديث على الشهداء الذين أمر ان يدفنوا في ثيابهم التى قتلوا فيها وان أبا سعيد سمع الحديث في الشهداء فحمله على العموم • قال البيهقى : يجمع بأن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التى ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر • وقد روى محمد بن نصر المروزى باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : يحشر الناس يوم القيامة على قدر صنيعهم في الصلاة • وفسره بعضهم بقبض شماله بيمينه والانحناء هكذا • وباسناده عن أبى صالح السمان قال : يبعث الناس يوم القيامة هكذا ـ ووضع احدى يديه على الاخرى • نقله الحافظ ابن رجب في كتابه الذكر والانكسار والله أعلم :

**يحشر الناس عرايا ودفع ما يخالف ذلك**

**الوقوف للحساب**

(( كذا وقوف الخلق للحساب والصحف والميزان للثواب ))

(( كذا )) أي كما يجب الجزم بالبعث والنشور والحشر بعد النفخ فى الصور يجب أن نجزم جزما باتا بأمر (( وقوف الخلق )) من الانس والجن والدواب والطير وغيرهم ، قال تعالى ( وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ) وقال ( ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ) وقال ( يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ) أي زمرا زمرا • قال أبو هريرة رضى الله عنه ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانســان • وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى ( واذا الوحوش حشرت ) يحشر كل شيء حتى الذباب ليحشر • والحاصل ان الله تعالى يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين حتى لا يدرى الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام • وفي تفسير مكى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان • وقال ابن عباس رضى الله فهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سهام اجتمعت في كنانتها فالسعيد يومئذ من يجد لقدمه مقاما • قال وأكثر الاقدام يومئذ بعضها على بعض • وقد ذكر أبو نعيم الحافظ باسناده عن وهب بن منبه قال : اذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء وقطرت العضاه(١) دما •

**اهوال الموقف**

واعلم ان ليوم الوقوف اهوالا عظيمة وشدائد جسيمة تذيب الاكباد وتذهل المراضع وتشيب الاولاد وهو حق ثابت ورد بهالكتابوالسنة وانعقد عليه الاجماع وهو يوم القيامة • وقد اختلف في تسمية ذلك اليــوم بيوم القيامة ، قيل لكون الناس يقومون من قبورهم قال تعالى ( يوم يخرجــون من الاجداث سراعا ) • وقيل لوجود أمور المحشر والوقوف ونحوهمــا فيه • وقيل لقيام الناس لرب العالمين كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا ( يوم يقوم الناس لرب العالمين ) قال يقوم الناس أحدهم في رشحه الى نصف أذنيه • قال ابن عمر رضى الله عنهمــا يقومون مائة سنة • ويروى عن كعب يقومون ثلاثمائة سنة • وروى أبو يعلى باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ( يوم يقوم الناس لرب العالمين ) مقدار نصف يوم من خمسين ألف فيهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس للغروب

---

(١) هى الشجر •

الى أن نغرب » • وروى الامام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ( يوما كان مقداره خمسين ألف سنة ) فقيل ما أطول هذا اليوم ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة » • وروى ابن أبى الدنيا والطبرانى من طرق أحدها صحيح والحاكم وقال صحيح الاسناد عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء » الحديث • وعن أبى هريرة يقومون سبعين سنة • وقيل مقداره ألف سنة رواه الطبرانى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا ، ولفظه « اما مقام الناس بين يدى رب العالمين فألف سنة لا يؤذن لهم » • وأخرج البيهقى عنه : يمكثون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا يتكلمون •

وقيل انما سمى يوم القيامة لقيام الملائكة والروح فيه صفا قال تعالى ( يوم يقوم الروح والملائكة صفا ) قال القرطبى : القيامة قيامتان ، صغرى وكبرى ، فالصغرى ما تقوم على كل انسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله على عمله ، والكبرى هى التى تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة ، والدليل على ان كل من مات قامت قيامته قول النبى صلى الله عليه وسلم لقوم من الاعراب سألوه عن الساعة فنظر الى أحدث انسان منهم فقال « ان يعش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم » رواه مسلم وغيره وقال الشاعر :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى غداة أقل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا خروجى وتعجيلى اليه كرامتى

( لطيفة ) سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن يوم القيامة أهو من الدنيا أم من الآخرة ؟ قال صدر ذلك اليوم من الدنيا وآخره من الآخرة •

وقد أخرج الامام أحمد عن محمد بن أبى عميرة وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم والطبرانى عن عتبة بن عبد الله رضى الله عنه مرفوعا « لو أن رجلا يخر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما في

مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة » وأخرج ابن المبارك عن كعب قال لو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لخشى أن لا ينجو من ذلك اليوم. وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » وفي بعض ألفاظ الصحيح « سبعين باعا » وأخرج مسلم عن المقداد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال - فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه الى عقبيه ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما » وفي رواية له « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل » قال سليم بن عامر ما أدرى ما يعنى بالميل مسافة الارض أو الميل الذى تكحل به العين قال « فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما » وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فيه • وأخرج الامام أحمد والطبرانى وابن حبان في صحيه والحاكم وصححه من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه مرفوعا نحوه وزاد بعد قوله « ومنهم من يبلغ وسط فيه » وأشار بيده ألجمها فاه ، وقال أرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير هكذا « ومنهم من يغطيه عرقه » وضرب بيده وأشار ومر بيده فوق رأسه من غير أن يصيب الرأس دور راحته يمينا وشمالا • وقال ابن مسعود رضى الله عنه الارض كلها نار يوم القيامة والجنة من ورائها كواعبها وأكوابها والذى نفس عبد الله بيده ان الرجل ليفيض عرقا حتى يسيخ في الارض قامته ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه وما مسه الحساب • قالوا مم ذاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال مما يرى الناس • رواه الطبرانى باسناد جيد قوى • وروى الطبرانى أيضا باسناد جيد عن ابن مسعود أيضا رضى الله عنه مرفوعا « ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول يا رب أرحنى ولو الى النار » ورواه أبو يعلى وابن حبان بلفظ « ان الكافر ليلجمه العرق » الحديث • وأخرج الحاكم وصححه عن جابر رضى الله

عنه مرفوعا « ان العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول يا رب أرسالك بى الى النار أهون على مما أجد » وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب •

**فائدة يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء**

( فائدة ) قال الحفاظ قد صح أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فيكونون قد سلموا من تلك الاهوال ونجوا من ذلك النكال والوبال ففى مسند الامام أحمد عن اسامة بن زايد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء الا أن أصحاب الجد ـ أي الحظ والثروة والمال محبوسون ـ الا أن أهل النار فقد أمر بهم الى النار » الحديث متفق عليه وفي صحيح مسلم عن عبدالله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء الى الجنة بأربعين خريفا » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام »

وحاصل ذلك ان الخلق يقفون المقدار الذى مر وتدنو الشمس من رؤوس الخلائق مقدار ميل ويصيبهم من العرق من شدة الهول وعظم حر الشمس يومئذ أمر عظيم ، قال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الارض وأذابت الجوامد ونشفت الانهار •

وهذا الوقوف مع ما مر (( المحساب )) الثابت بالسنة والكتاب واجماع أهل الحق بلا ارتياب قال تعالى ( فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ) وقال في حق أعدائه ( أولئك لهم سوء الحساب ـ قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) قال الثعلبى الحساب تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره اياهم ما قد نسوه من ذلك يدل على هذا قوله تعالى ( يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ) وقال بعضهم معنى كونه محاسبا لخلقه انه تعالى يعلمهم مالهم وما عليهم • والحساب مصدر حاسب • وحسب الشيء يحسبه بالضم اذا عده سماعا وهو معنى قول من قال الحساب لغة العد ، واصطلاحا توقيف الله عباده

قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيرا كانت أو شرا تفصيلا لا بالوزن الا من استثنى منهم • وقد اختلف في معنى محاسبته تعالى عباده على ثلاثة أقوال (أحدها) انه يعلمهم مالهم وعليهم كما تقدم ، قال بعض العلماء بأن يخلق الله في قلوبهم علوما ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقـــاب ( الثانى ) ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيآتهم وحسناتهم فيقول هذه سيآتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم ( الثالث ) ان يكلم الله عباده في شأن أعمالهم وكيفية مالها من الثواب وما عليها من العقاب وفي هذا من صحيح الاخبار وصريح الآثار ما يقلع شروش(؟) من فى قلبه نوع اختلاج أصل كل شبهة وبدعة ، فقد أخرج الترمذى من حديث أبى برزة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع ، عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » قـال الترمذى : حديث حسن صحيح • ورواه البزار والطبرانى باسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه ولفظه « لن تزول قدما عبـــد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال ، عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه »وفي الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب » فقلت أليس يقول الله ( واما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا ) فقال « انما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك(١) • ورواه أبو داود والترمذى وغيرهما • ورواه البزار والطبرانى في الكبـير باسناد صحيح من حديث ابن الزبير رضى الله عنهما ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من نوقش الحساب هلك • وفي صحيح مسلم وسنن الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »• ورواه الامام أحمد ولفظه « يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء ، وحتى للـــذرة من الذرة » ورواته رواة

**معنى محاسبة الله تعـــالى لعباده**

الصحيح ، الجلحاء والجماء التى لا قرن لها • وأخرج الامام أحمد أيضا عن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيم انتطحا » واسناده حسن• ورواه الامام أحمد أيضا وأبو يعلى من حديث أبى سعيد • وفي حديث عبد الله بن أنيس رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد يوم القيامة - أو قال الناس - عراة غرلا بهما - قال قلنا وما بهما ؟ قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : انا الديان ، أنا الملك ، لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ، ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه ، حتى اللطمة » قال قلنا كيف وانما نأتى عراة غرلا بهما ؟ قال « الحسنات والسيئات » رواه الامام أحمد باسناد حسن وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هـــذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » وفي هذا أحاديث كثيرة وبالله التوفيق •

**تنبيهات الاول وجه تقديم ذكر الحساب**

( تنبيهات )

(الاول) انما قدم الحساب بعد الحشر والوقوف على أخذ الصحف مع انه مؤخر عن أخذ الصحف في الوقوع لأن الحساب من المقاصد وأخـذ الصحف من الوسائل فقدمت المقاصد على الوسائل مع مراعاة قافية النظم والله أعلم •

**الثاني كيفيات الحساب**

( الثـــــانى )

كيفيات الحساب مختلفة وأحواله متباينة فمنه العسير ومنه اليسير ومنه العدل والجهد ومنه التكريم ومنه التوبيخ والتبكيت ومنه الفضل والصفح ومتولى ذلك أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين •

**الثالث أول من يحاسب وأول مايحاسب عليه**

( الثالث )

أول من يحاسب العلماء والمغازون وأرباب الاموال والسعة ، وأول ما يحاسب عليه العبد الصلاة كما أخرج الامام عبد الله بن المبارك وأبو داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة يقول الله تعالى لملائكته انظروا لصلاة عبدى أتمها أم نقصها ؟ فان كانت تامة كتبت له تامة ، وان كان نقص منها شيئا قال الله انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ فان كان له تطوع قال أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الاعمال على ذلك » وأخرج النسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « أول ما يحاسب عليه العبد صلاته ، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء » فان قيل قد ورد في التنزيل ان الناس لا يسئلون قال تعالى ( فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان ) فالجواب انه معارض بقوله تعالى ( فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ) ويجاب عن الآية الكريمة بأنهم لا يسئلون سؤال استفهام لانه تعالى عالم بكل أعمالهم وانما يسئلون سؤال تقرير فيقال لهم فعلتم كذا • قال في البهجة كغيره قال الحسن وقتادة لا يسئلون عن ذنوبهم لأن الله تعالى حفظها عليهم وكتبتها الملائكة • وقيل يسئلون في موطن دون موطن رواه عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما • ونظير هذا قوله تعالى ( هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ) وفي الآية الاخرى ( ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ) فللناس يوم القيامة حالات والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات ومن ثم قال الامام أحمد في أجوبته القرآنية : أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون فذلك قوله تعالى ( ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ) الآية فاذا أذن لهم في الكلام تكلموا واختصموا فذلك قوله تعالى ( ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ) عند الحساب واعطاء المظالم ، ثم يقال لهم بعد ذلك ( لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ) يعنى في الدنيا فان العذاب مع هذا القول كائن • انتهى •

الرابع اختلف في المسؤول عنه والمسؤول

( الرابع )

اختلف عن المسئول عنه والمسئول ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما : عن لا آله الا الله . وقال الضحاك : عن خطاياهم . وقال القرطبى : عن جميع أقوالهم وأفعالهم ( ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ـ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ) قال الفخر الرازى: ولا معنى لقول من يقول ان السؤال انما يكون عن الكفر والايمان ، بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الاعمال لان اللفظ عام فيتناول الكل ، والضمير في قوله تعالى لنسألنهم عائد على جميع المكلفين الانبياء وغيرهم ، ويدل على سؤالهم صريحا قوله تعالى ( فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين ) فهذه الآية تدل على انه يحاسب كل عباده لانهم لا يخرجون عن ان يكونوا مرسلين أو مرسلا اليهم ، ويبطل قول من زعم انه لا حساب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الكفار . انتهى . والجواب انه لا حساب على الانبياء عليهم السلام على سبيل المناقشة والتقريع ، قال النسفى في بحر الكلام : الانبياء لا حساب عليهم ، وكذلك أطفال المؤمنين ، وكذلك العشرة المبشرون بالجنة . هذا حساب المناقشة ، وعموم الآيات الكريمة مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب ، ولهذا قال علماؤنا في عقائدهم : ويحاسب المسلمون المكلفون الا من شاء الله ان يدخل الجنة بغير حساب ، وكل مكلف مسئول يسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل . قال شيخ مشايخنا البدر البلبانى في عقيدته : فالكفار لا يحاسبون بمعنى ان صحائف أعمالهم لا توزن وان فعل كافر قربة من نحو عتق أو صدقة أو ظلمه مسلم رجونا له ان يخفف عنه العذاب . انتهى . ولعل مراده غير عذاب الكفر . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في عقيدته الواسطية : يحاسب الله تعالى الخلق ويخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة . قال : وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فانهم لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها . انتهى . وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ما من عبد يخطو خطوة الا ويسأل عنها ما أراد بها وعن أبى

هريرة رضى الله عنه مرفوعا « ان أول ما يسئل عنه يوم القيامة أن يقال له ألم أصحح جسمك وأرويك الماء البارد ؟ والذى نفسى بيده من النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب وماء بارد » أخرجه الترمذى وابن حبان والحاكم والبغوى • وأخرج الامام أحمد والبيهقى وأبو نعيم عن الحسن مرفوعا « ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى به عورته » وأخرج البزار والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا ان شاء الله اذا كان حلالا الصائم والمتسحر والمرابط فى سبيل الله » وأخرج البزار أيضا وأبو نعيم بسند حسن عن ابن عباس أيضا رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « ما فوق الازار وجلف الخبز وظل الحائط وجر الماء فضل يحاسب به العبد يوم القيامة او يسأل عنه » وأخرج الامام أحمد بسند جيد عن أبى عسيب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائطا لبعض الانصار ومعه أبو بكر وعمر فجاء صاحب الحائط بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم دعا بماء بارد فشرب فقال « لتسئلن عن هذا يوم القيامة » فقيل يا رسول الله انا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال « نعم الا من ثلاث خرقة يكف بها عورته وكسرة يسد بها جوعته وجحر يدخل فيه من الحر والقر » واخرج الطبرانى والبزار والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته - قالوا وما هى ؟ قال - تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك » وفى ترغيب الأصبهانى عن أنس مرفوعا « ان استطعت أن تمسى وتصبح وليس فى قلبك غش لأحد فافعل فانه أهون عليك فى الحساب » وأخرج البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال اعزابى يا رسول الله من يحاسب الخلق يوم القيامة ؟ قال: الله ، قال : نجونا ورب الكعبة ، قال : وكيف يا اعرابى ؟ قال : لان الكريم اذا قدر عفا • وما أحسن ما قيل من الحكم المدونة : الكريم اذا قدر غفر ، واذا زلت معه ستر • ومنها ليس من عادة الكرام سرعة الغضب والانتقام •

فائدة : يكلم الله المسلمين بغير ترجمان

( فـائدة )

ذكر القرطبى كغيره أن الله تعالى يكلم المسلمين عند الحساب من غير ترجمان اكراما لهم ، ولا يكلم الكافرين بل تحاسبهم الملائكة اهانة لهم وتمييزا لأهل الكرامة . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابن السبيل ، ورجل بايع اماما ما يبايعه الا لدنيا فان أعطاه ما يريد وفى له والا لم يف له ،ورجل يبايع رجلا بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى كذا وكذا ـ فصدقه ولم يعط بها »

الخامس فيمن يدخل الجنة بغير حساب

( الخامس )

ثبت فى عدة أخبار عن النبى المختار صلى الله عليه وسلم ما كر الليل على النهار أن طائفة من هذه الأمة بلا ارتياب يدخلون الجنة بغير حساب فيدخلون جنات النعيم قبل وضع الموازين وأخذ الصحف بالشمال واليمين ، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال « عرضت علي الامم يمر النبى معه الرجل والنبى معه الرجلان والنبى ليس معه أحد والنبى معه الرهط ، فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ، ثم قيل لى انظر فر أيت سوادا كثيرا قد سد الافق فقيل هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا فقيل لى هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك أصحابه فقالوا مقالوا اما نحن فى الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله ، هؤلاء أبناؤنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال أنا منهم ؟ وفي لفظ ادع الله ان أكون منهم يا رسول الله ، قال : نعم ، ثم قام آخر فقال أنا منهم ؟ فقال « سبقك بها عكاشة » قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه ( الداء والدواء ) قوله صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عكاشة ، لم يرد أن عكاشه وحده

أحق بذلك ممن عداه من الصحابة ولكن لو دعا له لقام آخر وآخر وانفتح الباب وربما قام من لم يستحق أن يكون منهم فكان الامساك اولى • وأخرج الترمذي وحسنه عن أبى امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى » ويروى « حفنات » بالفتح وهو الغرف ملء اليدين وقيل الحثية باليد والحفنة باليدين • وأخرج الامام أحمد والطبرانى عن أبى أيوب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال « ان ربى خيرنى بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيئة عنده لامتى » فقال له بعض اصحابه أيخبأ ذلك ربك ؟ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال : « ان ربى زادنى مع كل ألف سبعين ألفا والخبيئة عنده » فقيل يا ابا ايوب وما نظن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأكله الناس بأفواههم فقالوا : ما انت وخبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو أيوب دعوه أخبركم عن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول رب من شهد ان لا آله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسول مصدقا لسانه قلبه فأدخله الجنة ، الخبيئة بخاء معجمة فموحدة وهمزة بوزن خطيئة • وأخرج البيهقى من حديث ابى هريرة مرفوعا « سألت ربى فوعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر، فاستزدته فزادنى مع كل ألف سبعين ألفا فقلت اى رب أرأيت ان لم يكن هؤلاء مهاجرى أمتى قال اذن أكملهم لك من الاعراب » وأخرج الطبرانى والبيهقى عن عمرو بن حزم الانصارى رضى الله عنه قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان يوم الرابع (؟) خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث، قال «لم يحدث الا خير ان ربى وعدنى وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم وانى سألت ربى فى هذه الثلاثة أيام (؟) المزيد فوجدت ربى ماجدا كريما فأعطانى

مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قلت يا رب وتبلغ أمتى هـــذا ؟ قال أكمل لك العدد من الاعراب • وأخرج الامام أحمد وأبو يعلى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البـــدر وقلوبهم على قلب رجل واحد واستزدت ربى فزادنى مع كل واحد سبعين ألفا » قال أبو بكر فرأيت أن ذلك يأتى على أهل القرى ويصيب من حافات البوادى • وأخرج الامام أحمد والطبرانى عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان ربى أعطانى سبعين ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب » فقال عـــمر يا رسول الله فهلا استزدته؟ قال «قد استزدته فأعطانى مع كل رجل سبعين ألفا »قال عمر فهلا استزدته ؟ قال « قد استزدته فأعطانى هكذا ـ وفرج بين يديه وبسط باعيه وحثا » قال هشام هذا من الله ما يدرى ما عدده •واخرج البزار عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب » فقال أبو بكر يا رسول الله زدنا ، قال « وهكذا » فقال عمر يا أبا بكر ان شاء الله ادخلهم الجنة بحفنة واحدة • وأخرج الامام احمد بسند حسن عن حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان ربى استشارنى فى أمتى ماذا أفعل بهم ؟ فقلت ما شئت يا رب هم خلقك وعبادك ، فقال لا نخزيك فى أمتك ، واخبرنى أن أول من يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب » واخرج هناد عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله يوم القيامة الناس فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيقوم مناد ينادى : أين الذين كانوا يحمدون الله على السراء والضراء؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يعود فينادى اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يعود فينادى ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يقوم سائر الناس

فيحاسبون » ورواه ابن ابى الدنيا وغيره • وذكر الحافظ ابن رجب فى كتابه لطائف المعارف فقال قد روى ان المتهجدين يدخلون الجنة بغير حساب • وذكر عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبى صلى الله عليه وسلم « اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق : سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم » فذكر الحديث ، قال الحافظ ابن رجب : ويروى أيضا عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما من قوله ، ويروى نحوه من حديث ابن اسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر مرفوعا وموقوفا ، ويروى نحوه أيضا عن عبادة بن الصامت وربيعة الجرشي والحسن وكعب من قولهم • قال الحافظ قال بعض السلف قيام الليل يهون طول قيام يوم القيامة • قال واذا كان أهله يسبقون الى الجنة بغير حساب فقد استراح أهله من طول الوقوف للحساب والله أعلم •

**الصحف**

ولما أنهينا الكلام على الحساب بحسب ما يليق بهذا الكتاب ثنينا العطف على شرح الصحف والميزان المشار الى ذلك فى قوله (( و )) كذا وقوف الخلق لاخذ ((الصحف)) جمع صحيفة وهي الكتب كتبتها الملائكة وأحصوا ما فعله كل انسان من سائر أعماله فى الدنيا القولية والفعلية ، وقيل هى صحف تكتبها العباد فى قبورها قال تعالى ( واذا الصحف نشرت ) قال الثعلبى أى التى فيها أعمال بنى آدم نشرت للحساب وانما يؤتى بالصحف الزاما للعباد ورفعا للجدل والعناد • وقال تعالى ( وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ) قال العلماء معنى طائره عمله ، وقال مقاتل والكلبى خيره وشره معه لا يفارقه ، وهو معنى الاول • وقال تعالى ( وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ) وفى الآية الاخرى ( فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ) والفتيل هو القشر الذى فى شق النواة وهذا يضرب مثلا للشيء الحقير • وذكر مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بالفتيل الوسخ الذى يظهر بفتل الانسان ابهامه بسبابته • قال العلامة الشيخ مرعى وانما خص القراءة بمن أوتى كتابه بيمينه دون من أوتيه بشماله لان اهل الشمال اذا طالعوا

كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فيتولى الخوف والدهش على قلوبهم ويثقل لسانهم فيعجزون عن القراءة الكاملة بخلاف أصحاب اليمين فانهم اذا طالعوا صحف حسناتهم وجدوها على الكمال فيقرءون كتابهم على أحسن الاحوال وأتمها ثم لم يقنع احد بقراءته حتى يقول لأهل المحشر : هاؤم اقرءوا كتابيه ـ كما قال الفخر وغيره • وقال تعالى ( وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا* وأما من أوتىَ كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيرا )

والحاصل أن نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الايمان به وعقد القلب بأنه حق لثبوته بالكتاب والسنة والاجماع فقد اخرج العقيلى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة يبعث الله ريحا فتطيرها بالايمان والشمائل » أول خط فيها ( اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ) » قال قتادة سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا فى الدنيا • وأخرج الديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس عليه » • وقاله ابن مسعود رضى الله عنه • وأخرج الترمذى من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » ورواه ابن ماجه من حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ولفظه «وأما الثالثة فتطاير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » وأخرجه البيهقى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ولفظه : « وأما العرضة الثالثة فتطاير الكتب فى الايمان والشمائل » • قال الحكيم الترمذى الجدال للاعداء يجادلون لانهم لا يعرفون ربهم فيظنون انهم اذا جادلوه نجوا أو قامت حجتهم ، والمعاذير لله يعتذر الى آدم والى أنبيائه ويقيم حجته عندهم على الاعداء ثم يبعث بهم الى النار ، والعرضة الثالثة للمؤمنين وهو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتب من يريد عتابه فى تلك الخلوات حتى يذوق وبال

الحياء والخجل ثم يغفر لهم ويرضى عنهم • وأخرج ابن المبارك عن أبى عثمان النهدى قال ان المؤمن ليعطى كتابه فى ستر من الله فيقرأ سيئاته فيتغير لونه ، ثم يقرأ حسناته فيرجع اليه لونه ، ثم ينظر فاذا سيآته قد بدلت حسنات فعند ذلك يقول هاؤم اقرؤا كتابيه • وأخرج مكى فى تفسيره عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنا قالت يا رسول الله كيف يحاسب حسابا يسيرا ؟ قال « يؤتى العبد كتابه بيمينه فيقرأ سيآته ويقرى الناس حسناته ثم يحل الصحيفة فيحول الله حسناته فيقرؤها الناس فيقولون ما كان لهذا العبد من سيئة » فهذا تفسير قوله تعالى ( وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا ) أهله هم أهل الجنة كما فى البهجة • وأخرج الترمذى وحسنه وابن حبان والبيهقى والبزار وابن أبى حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا فى قوله تعالى ( يوم ندعو كل أناس بامامهم ) قال يدعى الرجل فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا فان لكل واحد منكم مثل هذا ، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد فى جسمه ستون ذراعا ويجعل على رأسه تاج من نار فيراه أصحابه فيقولون اللهم انا نعوذ بك من هذا ، اللهم لا تأتنا بهذا ، فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا • وأخرج الامام احمد عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال « أما عند ثلاث فلا ، عند الميزان حتى يعلم أيثقل أم يخف ، وعند تطاير الكتب فاما ان يعطى بيمينه أو بشماله ، وحين يخرج عنق من النار » الحديث

## (( فوائد ))

**فوائد الاولى كيفية اخذ الصحف**

( الاولى ) قال سعيد بن المسيب الذى يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه • وقيل تنزع من صدره الى خلف ظهره • وقال مجاهد فى قوله تعالى ( وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ) قال تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه •

**الثالثة الفرق بين أخذ المسلم العاصي وأخذ الكافر**

( الثانية ) يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع أو يدخلها من صدره أو تلوى ، ويعطى المؤمن العاصى كتابه بشماله من أمامه ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه • وقد جزم الماوردى بأن المشهور أن الفاسق الذى مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه ثم حكى قولا بالوقوف قال ولا قائل بأنه يأخذه بشماله • وقال يوسف بن عمر من المالكية اختلف فى عصاة الموحدين فقيل يأخذون كتبهم بأيمانهم وقيل بشمائلهم وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل يأخذونها قبل الدخول فى النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها والله أعلم

**الثالثة أول من يعطى كتابه بيمينه وأول من يعطى بشماله**

( الثالثة ) ورد أن أول من يأخذ كتابه بيمينه أو سلمة بن عبد الاسد واسمه عبد الله وهو أول من يدخل الجنة من هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم وهو أول من هاجر من مكة الى المدينة • وقال بعض علماء المالكية اول من يعطى كتابه بيمينه وله شعاع كشعاع الشمس عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعده أبو سلمة • انتهى

وروى ان أول من يأخذ كتابه بشماله اخو ابى سلمة بن عبد الاسد الاسود روى انه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره وذلك لأنه كان خلع يد سلمة لما أراد أن يهاجر فمنع بنو المغيرة أم سلمة أن تسير مع ابى سلمة ونزعوا خطام البعير من يده فأخذوها منه فغضب رهط أبى سلمة وهم بنو عبد الاسد فاجتذبوا ابنه سلمة المذكور من أمه حيث اخذها رهطها ولم يدعوها تسير مع ابى سلمة فخلعوا يد الغلام ـ القصة ، فجوزى الاسود بخلع يده فالجزاء من جنس العمل • قال القرطبى فى تذكرته اذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التى يؤمر بعد البعث حوسبوا بها • وأخرج ابن المبارك عن رجل من بنى أسد قال قال عمر رضى الله عنه لكعب حدثنا من حديث الآخرة ، قال نعم يا أمير المؤمنين اذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق الا وهو ينظر الى عمله ثم يؤتى بالصحف التى فيها اعمال العباد فتنشر حول العرش ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه

الميـــزان

(( و )) كذا وقوف الخلق لأجل (( الميزان )) اعلم أن مراتب المعـــاد البعث والنشور ثم المحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض ثم تطـــاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمـــال ثم السؤال والحساب ثم الميزان (( للثواب )) اى ثواب الاعمال الصالحة وعن السيئات الفاضـــحة قال علماؤنا كغيرهم نؤمن بأن الميزان الذى توزن به الحسنات والســـيئات حق ، قالوا وله لسان وكفتان توزن به صحائف الاعمال ، قال ابن عباس رضى الله عنهما توزن الحسنات فى أحسن صورة والسيئات فى أقبـــــح صورة • قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته : الصحيح ان المراد بالميـزان الميزان الحقيقى لامجرد العدل خلافا لبعضهم • وقال القرطبى فى تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب كان بعده وزن الاعمال لأن الوزن للجـزاء فينبغى ان يكون بعد المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى ( ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ) وقال تعالى ( فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية • وأما من خفت موازينه فأمه هاوية • وماأدريك ماهيه • نار حامية )

والحاصل ان الايمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والســـــنة والاجماع فالكتاب ماذكرناه وقوله تعالى ( ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ) الى غير ذلك من الآيات وروى ان داود عليه الســـــلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشى عليه فلمـــــا أفاق قال الهى من ذا الذى يقدر بملأ كفة حسناته ؟ فقال اذا رضيت عن عبدى ملأتهـــا بتمرة ذكره الرازى والثعلبى • وقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه أن ميـزان رب العالمين ينصب للجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتيه على الجنة والاخرى على جهنم لو وضعت السموات والارض فى احداهما لوسعتهن وجبريل آخذ بعموده ينظر الى لسانه • قال فى البهجة فى هذا ان اعمـال الجن توزن كما توزن أعمال الانس وهو كذلك ارتضاه الائمـــة • قال القرطبى فى تذكرته المتقون توضع حسناتهم فى الكفة النيرة وصغائرهم فى الكفة الاخرى فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا وتثقل الكفـة النيرة حتى

لا ترتفع وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية ، قال وأما الكفـــار فيوضع كفرهم واوزارهم فى الكفة المظلمة وان لهم أعمال بر وضـــعت فى الكفة الاخرى فلا تقاومها اظهارا لفضل المتقين وذل الكافرين ، والحق ان الكفار لايقيم الله لهم وزنا لقوله تعالى ( فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ) ومن قال توزن أعمالهم لو روده فى ظواهـــر عموم الا يات والاحاديث يجيب عن الآية الكريمة بأنه تعـــالى لايقيم لهم وزنا نافعا كما فى قوله ( وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ) اى كالهباء فى عدم نفعه وحصول فائدته • والحق ان مؤمنى الجن كالانس فى الوزن وكافـــرهم ككافرهم • وأخرج الحاكم وصححه من حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « يوضع الميزان يوم القيـــامة فلو وزن فيه السموات والارض لوسعهن فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا فيقول لمن شئت من خلقى فتقول الملائكة سبحانك ماعبدناك حق عبادتك » وأخرجه الامام عبد الله بن المبارك فى الزهد والآجرى فى الشريعة عن سلمان موقوفا • وأخرج البزار والبيهقى فى البعث عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يؤتى بابن آدم يوم القيـــامة فيوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان بن فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : ألاشقى فلان شقاوة لايســعد بعدها أبدا » وذكر الثعلبى وغيره وابن جرير فى تفسيره وابن أبى الدنيـا عن حذيفة رضى الله عنه انه قال : صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام • وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه السلام • واخرج أبو الشيخ بن حيان فى تفسيره من طريق الكلبى عن ابى صـالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : الميزان له لسان وكفتان • فقـــد دلت الآثار على انه ميزان حقيقى ذو كفتين ولسان كما قال ابن عباس والحسن البصرى وصرح بذلك علماؤنا والاشعرية وغيرهم وقد بلغت أحـــاديثه مبلغ التواتر وانعقد اجماع أهل الحق من المسلمين عليه • وأخـرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنها قال : يحاسب الناس يوم القيامة

فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار • قال وان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح ، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط • وأخرج الامام أحمد فى الزهد من طريق رباح بن زيد عن أبى الجراح عن رجل يقال له حازم ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكى فقال « من هذا ؟ قال : فلان ، قال جبريل انا ازن أعمال بنى آدم كلها الا البكاء فان الله يطفىء بالدمعة بحورا من نيران جهنم » واخرج البيهقى عن مسلم بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما اغرورقت عين بمائها الا حرم الله ذلك الجسد على النار ، ولا سالت قطرة على خدها فيرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة ، ولو ان باكيا بكى فى أمة من الامم لرحموا وما من شىء الا له مقدار وميزان الا الدمعة فانها يطفأ بها بحار من النار » واخرج الترمذى وحسنه من حديث أنس رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفع لى يوم القيامة فقال « انا فاعل ان شاء الله » قلت أين أطلبك ؟ قال « أول ماتطلبنى على الصراط »قلت فان لم القك على الصراط قال«فاطلبنى عند الميزان» قلت فان لم القك عند الميزان قال « فاطلبنى عند الحوض فانى لااخطىء هذه الثلاث مواطن » ورواه البيهقى فى البعث وغيره

تنبيهات الاول الميزان واحد أم متعدد ؟

## ( تنبيهات )

( الاول ) اختلف فى الميزان هل هو واحد أو أكثر فالاشهر أنه ميزان واحد لجميع الامم ولجميع الاعمال كفتاه كاطباق السموات والارض كما مر ، وقيل انه لكل امة ميزان • وقال الحسن البصرى : لكل واحد من المكلفين ميزان•قال بعضهم الاظهر اثبات موازين يوم القيامة لاميزان واحد لقوله تعالى (ونضع الموازين) وقوله ( فمن ثقلت موازينه )قال وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان ولأفعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان • أورد هذا ابن عطية وقال : الناس على خلافه وانما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد • وقال بعضهم انما جمع الموازين فى الآية الكريمة لكثرة من توزن أعمالهم • وهو حسن

الثانى : العبد يوزن أم صحفه أم العمل ؟

( الثانى )

اختلف فى الموزون قيل يوزن العبد مع عمله ، وقيل توزن نفس الاعمال فتصور الاعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ثم تطرح فى كفة النور وهى اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه ، وتصور الاعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح فى الكفة المظلمة وهى الشمال المعدة للسيئات فتخفف بعدل الله سبحانه كما جاء به الحديث ، فامتناع قلب الحقائق فى مقام خرق العادات غير ملتفت اليه كما لايخفى ، وقيل أن الله تعالى يخلق اجساما على عدد تلك الاعمال من غير قلب لها . والحق ماقدمناه ان الموزون صحف الاعمال وصححه ابن عبد البر والقرطبى وغيرهما وصوبه الشيخ مرعى فى بهجته وذهب اليه جمهور من المفسرين، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامة فقال : « الصحف » ذكره الفخر الرازى وغيره وحكاه ابن عطية عن أبى المعالى ، ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى وقال الحاكم : على شرط مسلم . عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول لا يارب، فيقول افلك عذر أو حسنة ؟ فيقول لا يارب ، فيقول الله : بلى ان لك عندنا حسنة فانه لاظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول : احضر وزنك ، فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : فانك لاتظلم ، وتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء » قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته ثبت بهذا الحديث الصحيح ان الموزون صحائف الاعمال ، وهو الحق ، فان قيل قد اخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى اللهه عليه وسلم انه قال « انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح

بعوضة » فقد صرح بأن الموزون نفس بدن الانسان فالجواب ان هذا ضربه النبى صلى الله عليه وسلم مثلا للذى يغتر ببعض الاجسام وهو كناية عن اكتراث الله بالاجسام فان الله لاينظر للصور وانما ينظر للاعمال والقلوب فكم من جسم وسيم وهو عند الله من اصحاب الجحيم فهذا محمل الحديث الصحيح والله اعلم

**الثالث : هل يوزن الايمان ؟**

## ( الثالث )

قال النسفى فى بحر الكلام ان الايمان لايوزن لانه ليس له ضد يوضع فى كفة الميزان الاخرى لان ضده الكفر ، والايمان والكفر لايكونان فى الانسان الواحد • قلت هذا وزن كلمة الاخلاص وهى أس الايمان ، وانتصر القرطبى للنسفى كالحكيم الترمذى واجاب عن كلمة الاخلاص بأنها انما تكون ايمانا أول مرة وبعد ذلك تكون من حسناته • قال ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : بلى ان لك عندنا حسنة : ولم يقل ان لك عندنا ايمانا وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن لا اله الا الله من الحسنات هى ؟ « من أعظم الحسنات » رواه البيهقى وغيره • قلت وفيه نظر لايخفى • ( فان قيل ) ماالحكمة فى الوزن مع ان الله عالم بكل شىء فيعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور ؟ ( اجاب ) الثعلبى بأن الحكمة فى ذلك تعريف الله عدده مالهم عنده من الجزاء من خير أو شر • وقال العلامة الشيخ مرعى بل الحكمة فيه اظهار العدل وبيان الفضل حيث انه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر ( وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما )

**الرابع : الكفة الثقيلة تهبط أم ترتفع ؟**

## ( الرابع )

ظواهر الآثار واقوال العلماء ان كيفية الوزن فى الآخرة خفة وثقلا مثل كيفيته فى الدنيا ماثقل نزل الى اسفل ثم يرفع الى عليين وماخف طاش الى اعلى ثم نزل الى سجين وبه صرح جموع منهم القرطبى • وقال بعض المتأخرين بل الصفة مختلفة وان عمل المؤمن اذا رجح صعد وسفلت سيئته ، والكافر تسفل كفته لخلو الاخرى عن الحسنات ، ثم تلا قوله تعالى ( والعمل الصالح يرفعه ) • وذكر بعضهم فى صفة الوزن ان تجعل جميع

اعمال العباد فى الميزان فى مرة واحدة الحسنات فى كفة النور وهى يمين العرش جهة الجنة والسيئات فى كفة الظلمة وهى عن يساره جهة النار ويخلق الله لكل انسان علما ضروريا يدرك به خفة اعماله وثقلها . وقيل بل علامة الرجحان عمود نور يقوم فى كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات ، وعلامة الخفة عمود ظلمة يقوم من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات لكل احد وبالله التوفيق

---

ولما انتهى الكلام على الوقوف والحساب وتطاير الصحف والميزان للثواب اعقب ذلك بذكر الصراط فقال :

**الصراط**

(( كذا الصراط ثم حوض المصطفى
فيا هنا لمن به نال الشفا ))

(( كذا )) اجزم بثبوت (( الصراط )) فانه حق ثابت بلا شطاط وهو فى اللغة الطريق الواضح ومنه قول جرير

أمير المؤمنين على صراط     اذا اعوج الموارد مستقيم

وقول الآخر

* فصد عن نهج الطريق الواضح * والصراط بالصاد والسين المهملتين وبالزاى على نزاع فى اخلاصها ومضارعتها بين الصاد والزاى من سرطت الشيء بكسر الراء اذا ابتلعته لانه يبتلع المارة كما أن الطريق كذلك أى يغيبهم ، وفى الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار وخلق من حين خلقت جهنم . قال القرطبى فى تذكرته : اعلم رحمك الله تعالى ان فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لاهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم الامن دخل الجنة بغير حساب والامن يلتقطه عنق من النار،فاذا خلص من خلص من هذا الصراط الاكبر الذى ذكرناه ولايخلص عنه الا المؤمنون الذين علم الله منهم ان القصاص لايستنفد حسناتهم حبسوا على صراط خاص لهم ولايرجع الى النار من هؤلاء احد ان شاء الله تعالى لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم التى يسقط فيها من اوبقته ذنوبه وزاد على الحساب

**هل وراءالصراط صراط آخر ؟**

جرمه وعيوبه فقد أخرج البخارى والاسماعيلى فى مشيخته واللفظ له عن أبى سعيد الخدرى رضى لله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هـــذه الآية ( ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقـــابلين ) قال « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطره بين الجنة والنــار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا » قال قتادة كان يقال مايشبه بهم الا أهل الجمعة انصرفوا من جمعتهم ، قال القرطبى هذا فى حق من لم يدخل النار من عصـــــاة الموحدين اما من دخلها ثم أخرج فانهم لايحبسون بل اذا خرجوا بثـــوا على انهار الجنة • وقال الحافظ ابن حجر قوله : يخلص المؤمنون من النار اى ينجون من السقوط فيها بمجاوزة الصراط فيها ، قال واختـــــلف فى القنطرة المذكورة فقيل انها من تتمة الصراط وهى طرفه الذى يلى الجنة وقيل انها صراط آخر وبه جزم القرطبى • قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه البدور السافرة فى علوم الآخـــــرة • والاول يعنى انه طرف الصراط الذى يلى الجنة هو المختار الذى دلت عليه احاديث القنـــــاطر والحساب على الصراط • انتهى

**صفة الصراط والمرور عليه**

قال العلماء : الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف واحمى من الجمرة فقد أخرج الطبرانى باسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة - اى مزلقة أى لا تثبت عليه قدم بل تزل عنه الا من يثبته الله تعالى -عليه كلاليب من نار تخطف اهلها فتمسك بهواديها ويستبقون عليه بأعمالهم فمنهم من شده كالبرق فذاك الذى لا ينشب أن ينجو ، ومنهم من شده كالريح ، ومنهم من شده كالفرس الجواد ، ومنهم من شده كهرولة الرجل ، ثم كرمل الرجل ، ثم كمشى الرجل ، وآخر من يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له : سل وتمن ، فاذا فرغ قال : لك ما سألت ومثله معه • وأخرج ابن منيع فى مسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « الصراط كحد السيف دحض مزلة ذا حسك وكـــلاليب »

وأخرج الامام احمد عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لجهنم جسر ادق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله والناس عليه كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ، والملائكة يقولون رب سلم سلم ، فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكور فى النار على وجهه» وأخرج مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال بلغنى ان الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف •وأخرج ابن ماجه عن ابى سعيد ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وضع الصراط بين ظهرانى جهنم عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومخدوش به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها » واخرج ابن جرير والبيهقى فن ابن مسعود رضى الله عنه قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم •وأخرج البيهقى عن أنس رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل لآخذ بحجزتى وانى لأقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير » وأخرج ابن عساكر عن الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى قال بلغنا أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف سنة ، خمسة آلاف صعود ، وخمسة آلاف هبوط ، وقمسة آلاف مستوى، أدق من الشعرة وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله تعالى • وفى بعض الآثار أن طول الصراط مسيرة ثلاثة آلاف سنة ألف منها صعود وألف منها هبوط وألف منها استوا • وفى بعض الروايات أن جبريل فى أوله وميكائيل فى وسطه يسألون الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فى ما ابلوه وعن علمهم ماذا عملوا به • وفى بعض الآثار أن فيه سبع قناطر يسئل كل عبد عند كل قنطرة منها عن أنواع من التكليف • ( قلت ) وقد ذكر القرطبى فى تذكرته عن بعض أهل العلم انه قال لن يجوز احد الصراط حتى يسأل على سبع قناطر فأما القنطرة الاولى فيسأل عن الايمان بالله وهى شهادة ألا آله الا الله فان جاء

بها مخلصا - والاخلاص قول وعمل - جاز ، ثم يسأل في القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ، ثم يسأل في الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز ، الى القنطرة السادسة ، فيسأل عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز الى السابعة ، وليس في القناطر أصعب منها فيسأل فيها عن ظلامات النـــاس وتبعات الخلق • وجاء في الحديث الشريف انه اذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت الحرش : يا فطرة الملك الجبار جوزوا عـلى الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم • واخرج الحـاكم وصححه والطبراني عن أم الدرداء قالت قلت لابى الدرداء ألا تبتغى لاضيافك مـا تبتغى الرجال لاضيافهم ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقول « ان أمامكم عقبة كؤدا لا يجوزها المثقلون فأحب أن أتخفف لتلك العقبة » قوله كؤد هى بفتح الكاف وهمزة مضمومة الصعبة• وأخرج البزاز بلفظ « ان بين أيديكم عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل مخف » وأخرج الطبراني عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان بين ايدينا عقبة كؤدا لا يصعدها الا المخفون » فقال رجل يا رسول الله أمن المخفين أنا أم من المثقلين ؟ قال « عندك طعام يوم ؟ قال : نعم ، وطعام غد ؟ قال : لا ، قال لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين » وأخرج الامام احمد بسند صحيح عن ابى ذر رضى الله عنه قال ان خليلى صلى الله عليه وسلم عهد الى أن دون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة ، وأنا ان نأتى عليه وفى أحمالنا اقتدار واصطبار أحرى أن ننجو من أن نأتى عليه ونحن مواقـير

## ( تنبيهات )

**تنبيهـات الاول بعضهم يتـأول الصراط**

( الاول ) اتفقت الكلمة على اثبات الصراط فى الجملة لكن اهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر ، وأنكر هذا الظاهر القاضى عبد الجبار المعتزلى وكثير من أتباعه زعما منهم انه لا يمكن عبوره ، وان أمكن ففيه تعذيب ولا عذاب على

المؤمنين والصلحاء يوم القيامة وانما المراد طريق الجنة المشار اليه بقوله تعالى ( سيهديهم ويصلح بالهم ) وطريق النار المشار اليه بقوله تعـــالى ( فاهدوهم الى صراط الجحيم ) • ومنهم من حمله على الادلة الواضحة والمباحات والاعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها • وكل هذا باطـــل وخرافات لوجود رد (١) النصوص على حقائقها ، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشى على الماء أو الطيران فى الهواء او الوقوف فيه • وقد أجاب صلى الله عليه وسلم عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحـــة لذلك • وأنكر العلامة القرافى كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف وسبقه الى ذلك شيخه العز بن عبد السلام ، والحق أن الصراط وردت به الاخبار الصحيحة وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت فى الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى الا بكلفة من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق وهم فى جوازه متفاوتون • وقال المنكر لكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف: هذا ان ثبت حمل على غير ظاهره لمنافاته للاحاديث الاخر من قيام الملائكة على جنبتيه وكون الكلاليب والحسك فيه واعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه • قال القرافى : والصحيح أنه عريض ، وقيـل طريقان يمنى ويسرى فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وفيه طاقات كل طاقة تنفذ الى طبقة من طبقات جهنم وجهنم بين الخلق وبين الجنة والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل احد الجنة حتى يمر على جهنم وهو معنى قوله تعالى ( وان منكم الا واردها ) على أحد الاقوال • ثم قال القرافى تبعا للحافظ البيهقى : كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف لم أجده فى الروايات الصحيحة وانما يروى عن بعض الصحابة فيؤول بأن أمره أدق من الشعر ، فان يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصى ولا يعلم حدود ذلك الا الله تعالى ، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلا للغامض الخفى وضرب حد السيف لاسراع الملائكة فى المضى لامتثال أمر الله واجازة الناس عليه • ورد هذا

(١) مخ «لوجوب رد» والظاهر « لوجوب حمل »

الامام القرطبى وغيره من أئمة الآثار . وقد أخرج مسلم تلك الزيادة فى صحيحه عن ابن سعيد بلاغا وليست مما للرأى والاجتهاد فيه مجال فهى مرفوعة وقد مر من الاخبار ما يوجب الايمان بذلك ، ثم ان القادر على امساك الطير فى الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن ويجريه ويمشيه ، على أنه أخرج الامام عبد الله بن المبارك وابن ابى الدنيا عن سعيد بن ابى هلال قال بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادى الواسع . وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التسترى قال من دق الصراط عليه فى الدنيا عرض عليه فى الآخرة ، ومن عرض عليه الصراط فى الدنيا دق له فى الآخرة .

**الثاني : الصراط مخلوق الآن**

( الثانى ) تقدم ان الصراط مخلوق الآن ونقل فى كنز الاسرار عن بعض أهل العلم انه يجوز أن يخلقه الله تعالى حين يضرب على متن جهنم ويجوز أن يكون خلقه حين خلق جهنم . ونحوه فى كلام القاضى عياض قال الحليمى من الشافعية : لم يثبت انه يبقى الى خروج عصاة الموحدين من النار فيجوزونها عليه الى الجنة. ويحتمل انه يزال ثم يعاد لهم أو لا يعاد أو تصعد به الملائكة الى السور الذى فى الاعراف . قال البدر الزركشى : ومن الحكمة فى الصراط ورفعه ان يظهر للمؤمنين من عظيم فضل الله تعالى النجاة من النار ولتصير الجنة اسر لقلوبهم بعد وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم فى العبور .

**الثالث برد ما قيل انه شعرة**

( الثالث ) من الخرافات الباردة زعم من زعم أن ماهية الصراط شعرة من شعر جفون مالك خازن النار فهو كلام تنبو عنه المسامع ويكذبه كل سامع وان نقله الحافظ برهان الدين الحلبى فلا ينبغى أن يلتفت اليه ولا يعول عليه . والله تعالى أعلم .

**(( ثم )) اجزم بعد البعث والنشور وأخذ الصطف والمرور بثبوت**

**الحوض**

(( حوض )) النبى (( المصطفى)) نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ثابت باجماع اهل الحق وقال تعالى ( انا أعطيناك الكوثر ) قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه البدور السافرة ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيا منهم الخلفاء الاربعة الراشدون وحفاظ

الصحابة المكثرون وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ثم ذكر الاحاديث عنهم واحدا واحدا والله أعلم .

**الحوض قبل الصراط أم بعده؟**

قال القرطبي ذهب صاحب القوت الى أن الحوض بعد الصراط . قال والصحيح أنه قبله . وكذا قال الغزالي : ذهب بعض السلف الى أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله . قال القرطبي والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديمه لحاجة الناس اليه . قال ابن عباس رضى الله عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى الله تعالى هل فيه ماء ؟ قال « أي والذى نفسى بيده ان فيه لماء وان أولياء الله ليردون الى حياض الانبياء عليهم السلام » ورجح القاضي عياض أن الحوض بعد الصراط وان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار . وقال ابن حمدان فى عقيدته يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط . انتهى . وقال الحافظ ابن حجر : ظاهر الاحاديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذى داخلها فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذى يصب من الكوثر فيه ، قال واما ما أورد عليه من أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يروه ويذهب بهم الى النار فجوابه انهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون الجنة فيدفعون فى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط . وقال القرطبي فى التذكرة ان للنبى صلى الله عليه وسلم حوضين احدهما فى الموقف قبل الصراط والثانى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر فى كلام العرب الخير الكثير. قال الجلال السيوطى وقد ورد التصريح فى حديث صحيح عند الحاكم وغيره بأن الحوض بعد الصراط فان قيل اذا خلصوا من الموقف دخلوا الجنة فلم يحتاجوا الى الشرب منه فالجواب بل يحتاجون الى ذلك لانهم محبوسون هناك لأجل المظالم فكان الشرب فى موقف القصاص ، ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب والاوزار حتى يهذبوا منها على الصراط ولعل هذا أقوى . انتهى. قال العلامة الشيخ مرعى فى بهجته وهذا فى غاية التحقيق جامع للقولين

وهو دقيق • انتهى • قال القرطبي في التذكرة ولا يخطر ببالك او يذهب وهمك الى أن هذا الحوض يكون على وجه هذه الارض وانما يكون وجوده على الارض المبدلة على مسافات هذه الاقطار وفي المواضع التي تكون بدلا من هذه المواضع في هذه الارض وهي ارض بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يظلم على ظهرها احد قط • اخرج الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ ابدا » وفي رواية « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق » وهي عندهما أيضا • وأخرج الامام أحمد بسند صحيح وابن حبان في صحيحه واللفظ للامام أحمد عن ابى أمامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله وعدني ان يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا بغير حساب » فقال يزيد بن الاخنس : والله ما اولئك في أمتك الا كالذباب الاصهب في الذباب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد وعدني سبعين ألفا مع كل ألف سبعين ألفا وزادني ثلاث حثيات » قال فما سعة حوضك يا رسول الله ؟ قال « كما بين عدن الى عمان وأوسع وأوسع » يشير بيده قال فيه مثعبان بضم الميم والعين المهملة بينهما مثلثة وآخره موحدة هو مسيل الماء من ذهب وفضة • قال فماء حوضك يا نبي الله ؟ قال « اشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه أبدا » ومن ثم قال ((فياهنا)) قال في القاموس :الهنيء والمهنأ ما أتاك بلا مشقة وقد هنئ وهنؤ هناءة وهنأني ولي الطعام يهنأ ويهنيء ويهنوء هنأ وهنأ وهناءة وهنأتنيه العافيه وهو هنيء سائغ ، كأنه يقول أيها الشراب السائغ الهنيء الآتي بلامشقة اقبل ((لمن )) أي على شخص من ذكر او أنثى (( به )) اى بسبب الشرب منه (( نال )) أي أعطى يقال ناله ينوله اذا أعطاه قال في القاموس النوال والنال والنائل العطاء ونلته ونلت له وبه أنوله به وأنلته اياه ونولته ونولت عليه وله أعطيته • فيه متعلق بنال و (( الشفا )) من ظمأ ذلك اليوم، والشفاء هو

الدواء والجمع أشفيه وجمع الجمع أشاف يقال شفاه برأه وطلب له الشفاء كأشفاه كما فى القاموس ، ففى حديث ابى بن كعب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : ما الحوض ؟ قال «والذى نفسى بيده أن شرابه ابيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك وآنيته أكثر عددا من النجوم لا يشرب منه انسان فيظمأ أبدا ولا يصرف عنه انسان فيروى ابدا » رواه ابن ابى عاصم وغيره ، ففى هذا الحديث ان من لم يشرب من حوضه صلى الله عليه وسلم من أمته لا يزال متصفا بداء الظمأ ابدا • وروى نحوه البزار والطبرانى من حديث أنس مرفوعا وفيه من شرب منه شربة لم يظمأ أبدا ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا • وأخرج الطبرانى أيضا نحوه فى الاوسط من حديث ابى سعيد الخدرى مرفوعا وفى ذلك عدة أحاديث •

(( عنه يذاد المفترى كما ورد ومن نحا سبل السلامة لم يرد ))

**قوم يذادون عن الحوض**

(( عنه )) اى عن حوض النبى صلى الله عليه وسلم وعن الشرب منه ((يذاد)) بضم التحتية وفتح الذال المعجمة فدال مهملة قبلها ألف مبنى لما لم يسم فاعله أى يطرد ويساق ويدفع دفعا عنيفا قال فى القاموس الذود السوق والطرد والدفع كالذياد (( المفترى )) نائب الفاعل من الفرية بكسر الفاء الكذب يقال فرى يفرى فريا وافترى يفترى افتراء اذا كذب وهو افتعال منه ومنه ( ولا يأتين ببهتان يفترينه ) وفى الحديث « من افرى الفرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا » فالفرى جمع فرية وهى الكذبة وأفرى أفعل منه للتفضيل اى أكذب الكذبات أن يقول رأيت فى النوم كذا ولم يكن رأى شيئا لانه كذب على الله لانه هو الذى يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام • والحاصل أن من الذين يذادون عن الحوض جنس المفترين على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم من المحدثين فى الدين من الروافض والخوارج وسائر اصحاب الاهواء والبدع المضلة ، وكذلك المسرفون من الظلمة المفرطون فى الظلم والجور وطمس الحق كذلك المتهتكون فى ارتكاب المناهى والمعلنون فى اقتراف المعاصى فقد أخرج مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال اغفى رسول الله

صلى الله عليه وسلم اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقال « انه انزلت على آنفا سورة فقرأ ( بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر ) حتى ختمها قال « هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا اللهورسولهاعلم، قال - هو نهرأعطانيه ربى فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه امتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمتى فيقال انك لا تدرى ما أحدث(١) بعدك » وأخرج الطبرانى عنه مرفوعا « أعطيت الكوثر - قلت يا رسول الله وما الكوثر ؟قال - نهر فى الجنة عرضهوطوله مابين المشرق والمغرب لا يشرب منه احد فيظمأ ولا يتوضأ منه احد فيشعث لا يشربه من اخفر ذمتىولا من قتل أهل بيتى » وأخرج مسلم فى صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليهوسلم قال « ليردن على الحوض أقوام فيختلجون دونى فأقول رب أصحابى رب أصحابى فيقال انك لا تدرى ما احدثوا بعدك » واخرج ابن أبى عاصم فى السنة عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنه انه قال لمعاوية أنت السباب لعلى اما والله لتردن عليه الحوض وما أراك ترده فتجده مشمر الازار على ساق يذود عنه لا يأتى المنافقون ذود غزيبة الابل قول الصادق المصدوق وقد خاب من افترى • وأخرج الطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه عن خباب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سيكون امراء من بعدى فلا تصدقوهم بكذبهم ولا تعينوهم على ظلمهم فمن فعل لم يرد على الحوض » وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من طريق ابى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم » قال ابو حازم فسمع النعمان بن ابى عياش وأنا أحدث هذا الحديث فقال هكذا سمعت سهلا يقول؟ قلت : نعم • فقال وأنا أشهد على أبى سعيد الخدرى سمعته يزيد « انهم منى فيقال انك لا تدرى ما عملوا بعدك فأقول سحقا لمن بدل بعدى »

---

( ١ ) مخ : ما أحدثوا

وأخرج الامام احمد والطبرانى والبزار عن ابن عباس رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أنا فرطكم على الحوض فمن ورد أفلح ويجاء بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب فيقال ما زالوا بعدك مرتدين على أعقابهم » وأخرج الحكيم فى نوادر الاصول عن عثمان بن مظعون رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « يا عثمان لا ترغب عن سنتى فمن رغب عن سنتى ثم مات قبل ان يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضى يوم القيامة » وأخرج الترمذى والحاكم عن كعب بن عجرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وقال « انه سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى وأنا منه وهو وارد على الحوض » واخرج الطبرانى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ليرفعن لى رجال من أصحابى اذا رأيتهم اختلجوا دونى فأقول أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » فهذا معنى قوله (( كما ورد )) ذلك فى الاحاديث النبوية مما ذكرنا ومما لم نذكر وقد اخرج البخارى ومسلم حديث ابن مسعود رضى الله عنه بلفظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انا فرطكم على الحوض وليرفعن الى رجال منكم اذا هويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فأقول اى رب أصحابى فيقال انك لا تدرى ما احدثوا بعدك » وفيهما من حديث انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن أى رب أصحابى فليقالن لى انك لا تدرى ما احدثوا فأقول سحقا لمن بدل بعدى » وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال « يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى ـ أو قال من أمتى فيحلؤن عن الحوض فأقول يا رب أصحابى فيقول انه لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى » وفى رواية فيجعلون، قال فى جامع الاصول اختلجوا اذا استلبوا وأخذوا بسرعة وقوله فيحلؤن

يعني مبنيا للمجهول أي يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده اذا كان بالحاء المهملة ، ومن رواه بالجيم فهو من الجلاء وهو النفى عن الوطن وهو راجع الى الطرد • وفى رواية عند البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم فقلت الى أين ؟ فقال الى النار والله ، فقلت ما شأنهم؟ فقال انهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى ، ثم اذا زمرة أخرى حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم ، قلت الى أين ؟ قال الى النار والله ، قلت ما شأنهم ؟ قال انهم ارتدوا على أدبارهم ، فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم » وفى رواية لمسلم « وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء اصحابى فيجيبنى ملك فيقول وهل تدرى ما أحدثوا بعدك » وعند مسلم أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال « فوالله ليقتطعن دونى رجال فلاقولن اى رب منى ومن أمتى فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، ما زالوا يرجعون على اعقابهم» وفى الصحيحين من حديث اسماء بنت الصديق رضى الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى على الحوص انظر من يرد على منكم وسيؤخذ ناس دونى فأقول يارب منى ومن أمتى - وفى رواية فأقول أصحابى - فيقال هل شعرت ماعملوا بعدك ؟ فوالله مابرحوا يرجعون على أعقابهم » وفى ذلك أحاديث كثيرة جدا • قال القرطبى قال علماؤنا كل من ارتد عن دين الله أو احدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم فهؤلاء كلهم مبدلون وكذا الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وطمس الحق واذلال أهله والمعلنون بكبائر الذنوب المستخفون بالمعاصى وجماعة اهل الزيغ والبدع • ثم الطرد قد يكون فى حال ويقربون بعد المغفرة ان كان التبديل فى الاعمال ولم يكن فى العقائد • قال وقد يقال ان أهل الكبائر يردون ويشربون واذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالعطش • انتهى • فأهل البدع مطرودون عن حوض النبى صلى الله عليه وسلم ومردودون عن الشرب منه (( ومن ))أى

وأى شخص من هذه الامة من ذكر وأنثى (( نحا )) أى قصد يقال نحاه ينحوه وينحاه قصده كانتحاه ((سبل)) بضم السين المهملة ككتب جمع سبيل وهو الطريق وما وضح منه وجمعه ان الطريق الحق واحد باعتبار خصاله وشعبه المتوصل منه اليها (( السلامة )) من الكلمات الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة قال فى القاموس السلامة البراءة من العيوب يعنى أن من نهج منهج الحق وسلك طريق السنة وسلم من البدع وكبائر الذنوب فانه يرد على حوض النبى صلى الله عليه وسلم ويشرب منه و ((لم يرد))عن الشرب منه ولم يطرد عن الورود عليه كما يفهم من الاحاديث المارة وبالله التوفيق

## ( تنبيهــات )

تنبيهات الاول مقدار الحوض

( الاول ) اختلفت الروايات فى تحديد الحوض وتقديره اختلافا كثيرا ففى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه مسيرة شهر وزواياه سواء ، وفى رواية عند الامام احمد أن الحوض كما بين عدن وعمان ، وفى رواية فى الصحيحين ما بين صنعاء والمدينة ، وفى رواية لهما ايضا ما بين المدينة وعمان ، وفى رواية ما بين ايلة ومكة ، وعند ابن ماجه ما بين المدينة الى بيت المقدس ، وفى رواية ما بين جرباء واذرح ، وفى رواية ما بين أيلة وصنعاء اليمن ، وهو فى الصحيحين . قال فى جامع الاصول عن كون حوضه صلى الله عليه وسلم ما بين جنبيه كما بين جرباء واذرح رواه البخارى ومسلم وابو داود ، وقال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال ، وفى لفظ ثلاثة أيام . قال فى القاموس وجرباء قرية بجنب أذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام ، وانما الوهم من رواة الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطنى وهى : ما بين ناحيتى حوضى كما بين المدينة وجرباء وأذرح انتهى. وفى مسلم والترمذى مثل ما بين عدن الى عمان البلقاء . قال بعض العلماء وهذا الاختلاف والاضطراب لا يوجب الضعف لانه من اختلاف التقدير والتحديد لا من الاختلاف فى الرواية لان ذلك لم يقع فى حديث واحد فيعد اضطرابا وانما جاء فى أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة وقد سمعوه فى مواطن متعددة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يمثل لكل قوم الحوض بحسب ما يعلم

المتكلم ويفهم السائل وبحسب ما يسنح له صلى الله عليه وسلم من العبارة ويحدد الحوض بحسب ما يفهم الحاضرون من الاشارة • قال الحافظ ابن حجر هذا الاختلاف المتباعد الذى يزيدتارة على ثلاثين يوما وينقص الى ثلاثة أيام لا يصلح أن يكون من ضرب المثل فى التقدير لانه انما يكون بما يتقارب • ورد عليه بأن رواية ثلاثة أيام اعترف هو نفسه بأنها غلط فلا يتوجه الاعتراض بها • وقال النووى ليس فى ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة • وقال بعضهم يحمل القصير على العرض والطويل على الطول • قلت ويرد هذا: زواياه سواء ، وأوضح من هذا ما فى رواية: طوله وعرضه سواء •• وقال بعضهم بل سبب الاختلاف ملاحظة سرعة السير وعدمها فقد عهد فى الناس من يقطع مسافة عشرة ايام فى ثلاثة ايام وعكسه وأكثر من ذلك وأقل والله أعلم •

**الثانى انكر بعضهم الحوض**

( الثانى ) خالفت المعتزلة فلم تقل باثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة فكل من خالف فى اثباته فهو مبتدع ، وأما ثبوته بالقرآن فاحتمال وليس بصريح ، وأما قوله تعالى ( انا أعطيناك الكوثر ) ففيه اختلاف هل الحوض أو الخير الكثير أو النهر الذى فى الجنة لكن الحوض ثابت بالسنة المتواترة وظاهر الكتاب فمنكره زائغ عن الصواب مستحق للطرد والعذاب ويكفيه من الخزى والنكال أنه يذاد عنه ويطرد ، ويمنع من الشرب منه ويرد ، وقد اخرج أبو داود عن ابى طللوت قال شهدت ابا برزة رضى الله عنه دخل على عبيد الله بن زياد فحدثنى فلان سماه مسلم وكان فى السماط فلما رآه قال أن محمديكم هذا لدحداح ففهمها الشيخ فقال ما كنت أحسب انى ابقى فى قوم يعيرونى بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم • فقال عبيد الله أن صحبة محمد لكم زين غير شين • ثم قال : انما بعثت اليك لأسألك عن الحوض هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فيه شيئا ؟ قال أبو برزة رضى الله عنه لا مرة ولا مرتين و لاثلاثا ولا أربعا ولا خمسا فمن كذب به فلا سقاه الله منه ثم خرج مغضبا •

**الثالث لكل نبى حوض**

( الثالث ) جاء فى الاخبار أن لكل نبى حوضا فأخرج الترمذى من حديث

سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان لكل نبى حوضا ترده أمته وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة وانى أرجو أن أكون أكثرهم واردة » وورد فى بعض الاخبار أن لكل نبى حوضا الا سالحا عليه السلام فان حوضه ضرع ناقته والله أعلم •

(( فكن مطيعا واقف أهل الطاعة فى الحوض والكوثر والشفاعة ))

(( فكن )) ايها الناظر لنظامى السامى لكلامى ((مطيعا)) لما جأت به الاخبار وصحت بمقتضاه الآثارمن صريح المنقول وصحيح المعقول((واقف)) أمر من قفوته قفوا وقفوا تبعته كتقفيته واقتفيته اى اتبع فى اعتقادك واقصد فى نهجك وارتيادك ((أهل الطاعة)) من فرقة أهل السنةوالجماعة فانها الفرقة الناجية والعصابة التى لكل فوز راجية ،والطاعة اسم من أطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له يطوع ويطيع فهو طائع أى أذعن وانقاد والاسم الطاعة وقيل طاع اذا انقاد وأطاع اذا اتبع الامر ولم يخالفه (( فى ))اعتقاد اثبات ((الحوض)) الذى تقدم ذكره بالاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وتقدم دعاء الصحابى على من كذب به ان الله لا يسقيه منه • ومر فى الاحاديث أن من احدث فى هذا الدين لا يسقى منه ، وكفى بانكار السنة الصحيحة الصريحة حدثا وبدعة ((و)) أقف أهل السنة والجماعة فى اثبات (( الكوثر )) وهو فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير قال النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئل ما الكوثر « ذاك نهر أعطانيه الله عزوجل - يعنى فى الجنة - أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر رضى الله عنه ان هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكلتها أنعم منها » رواه الترمذى وقال حديث حسن • وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا أسير فى الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك ، قال فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر » وفى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس أيضا رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال « الكوثر نهر فى الجنة وعدنيه ربى عز وجل » وفى الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وأبيض من الثلج » قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح • قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه ( حادى الارواح الى منازل الافراح ) عن مجاهد فى قوله تعالى ( انا أعطيناك الكوثر ) قال الخير الكثير قال وقال أنس بن مالك رضى الله عنه نهر فى الجنة وقالت عائشة رضى الله عنها نهر فى الجنة ليس أحد يدخل أصبعيه فى أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر • قال الامام ابن القيم : وهذا معناه والله أعلم ان خرير ذلك النهر شبه الخرير الذى يسمعه حين يدخل اصبعيه فى أذنيه • انتهى • وجاء فى التفسير أن الكوثر القرآن والنبوة والكوثر فى غير هذا الرجل الكثير العطاء كما فى النهاية •

---

الشفاعة

((و)) اقف أهل الطاعة واتبع أهل السنة والجماعة فى ((الشفاعة)) وهى لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير كذا عرفها بعضهم والحق انها مشتقة من الشفع الذى هو ضد الوتر فكأن الشافع ضم سؤاله الى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين المهمة شفاعة فهو شافع وشفيع والمشفع بكسر الفاء الذى يقبل الشفاعة والمشفع الذى تقبل شفاعته •

للنبى ص شفاعات

وأعلم أن للنبى صلى الله عليه وسلم شفاعات ( الاولى ) الشفاعة التى يشفع فيها لاهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتدافعها الانبياء اصحاب الشرائع آدم الى نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وهى المقام المحمود وقد وردت من حديث الصديق الاعظم وأنس وأبى هريرة وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعقبة بن عامر وأبى سعيد الخدرى وسلمان الفارسى ، هؤلاء ورد أمر الشفاعة فى أحاديثهم مطولا ، وورد مختصرا من حديث ابى بن كعب وعبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله وعبد الله بن سلام وغيرهم رضى الله عنهم ،فأخرج الامام احمد والبخارى ومسلم وغيرهم من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون لذلك اليوم فيقولون لو استشفعنا الى ربنا

حتى يريحنا من مقامنا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فاشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول لهم آدم لست هناكم - ويذكر ذنبه الذى أصاب فيستحيى ربه من ذلك ويقول - ولكن ائتوا نوحا فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم - ويذكر خطيئته سؤال ربه ما ليس له به علم فيستحيى ربه من ذلك - ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن ، فيأتونه فيقول لست هنا كم ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة ، فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التى قتل بغير حق فيستحيى ربه من ذلك ولكن ائتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمته وروحه ، فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتونى فأقوم فأمشى بين سماطين من المؤمنين حتى استأذن على ربى فاذا رأيت ربى وقعت ساجدا فدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، فأرفع راسى فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع » الحديث. وأخرج الامام احمد بسند صحيح عن انس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « انى لقائم أنتظر متى يعبر الصراط اذ جاءنى عيسى فقال هذه الانبياء قد جاءتك يامحمد يسألونك ويدعون الله ان يفرق بين جميع الامم الى حيث يشاء الله الى غير ماهم فيه فالخلق ملجمون بالعرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت ، فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب نبى الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش فلقى مالم يلق ملك مصطفى ولا نبى مرسل فاوحى الله الى جبريل أن اذهب الى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع » الحديث . وأخرج الترمذى والبيهقى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا اول الناس خروجا اذا بعثوا وخطيبهم اذا أنصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا ومبشرهم اذا أيسوا لواء الكرم بيدى ومفاتيح الجنة يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربى ولافخر يطوف على الف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون » وروى الامام أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان فى صحيحه من

حديث الصديق الاعظم رضى الله عنه نحو حديث انس فى مراجعتهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال اسحاق بن ابراهيم يعنى الامام ابن راهويه هذا أشرف الحديث • وقد روى هذا الحديث عدة عن النبى صلى الله عليه وسلم • وعند البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالايطيقون ولا يحتملون فيقول الناس الا ترون الى ماأنتم فيه الى ما قد بلغكم ؟ الا تنظرون الى من يشفع لكم الى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة الا تشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه ومابلغنا ؟ فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهانى عن الشجرة فعصيت ، نفسى نفسى ، اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى نوح ، فيحيلهم على ابراهيم ، وابراهيم على موسى ، وموسى على عيسى ، وعيسى يقول اذهبوا الى غيرى ، اذهبوا الى محمد ، فيأتون فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه ؟ فأنطلق فا تى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول أمتى يارب ، فيقال يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ، ثم قال والذى نفسى بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة كمابين مكة وهجر ، أو كمابين مكة وبصرى • وأخرج الامام احمد وأبو يعلى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا نحوه وفيه انهم يأتون عيسى بعد آدم ونوح وابراهيم وموسى عليهم السلام فيقولون لعيسى عليه السلام اشفع انا الى ربك فليقض بيننا فيقول انى لست هناكم انى اتخذت الها من دون الله وانى لايهمنى اليوم الا

نفسى ولكن ان كل متاع فى وعاء مختوم عليه أكان يقدر على مافى جوفه حتى يفض الخاتم ؟ فيقولون لا ، فيقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قد حضر اليوم وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوننى فيقولون يامحمد اشفع لنا الى ربك فليقض بيننا ، فيقول انالها حتي يأذن الله لمن يشاء ويرضى فاذا أراد الله أن يصدع بين خلقه نادى مناد أين أحمد وأمته ؟ فنحن الآخرون الاولون نحن آخر الامم وأول من يحاسب فتفرج لنا الامم عن طريقنا فنمضى محجلين من اثر الطهور فتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبياء كلها فنأتى باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال من أنت فيقول انا محمد » الحديث وفيه يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع . وفى صحيح البخارى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى كل امة تتبع نبيها يقولون يافلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا

## ( فوائد )

**فوائد الاولى هذه الشفاعة العامة**

( الاولى ) هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الانبياء هى المرادة بقوله صلى الله عليه وسلم ، لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعة لامتى وهذه الشفاعة لاهل الموقف انما هى لاجل حسابهم ويراحوا من الموقف كما قاله القرطبى فى تذكرته ، قال وقوله فى حديث أبى هريرة يا محمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الايمن يدل على انه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فانه لماأمر بادخال من لاحساب عليه من أمته فقد شرع فى حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم وكان طلب هذه الشفاعة من الناس غلط (؟) ثم يلهمون . وذكر ابن برجان فى الارشاد ان الذى يدلهم على ذلك رؤس المحشر وهم رؤساء اتباع الرسل . قال الحافظ السيوطى وحديث لكل نبى دعوة الخ متواتر ورد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أخرجه الشيخان ، ومن حديث انس وجابر رضى الله عنهما أخرجهما مسلم وعبد الله بن عمرو وعبادة بن الصامت وأبى سعيد الخدرى رضى

الله عنهم أخرجها الامام احمد، وعبدالرحمن بن أبى عقيل رضى الله عنه أخرجه البزار والبيهقى ، وحكمة الهام الناس التردد الى غير النبى صلى الله عليه وسلم قبله ولم يلهموا المجىء اليه من اول وهلة لاظهار فضله وشرفه صلى الله عليه وسلم . واما ماذكره أبوحامد الغزالى فى كتابه كشف علوم الآخرة ان بين اتيان أهل الموقف آدم واتيانهم نوحا ألف سنة وكذا بين كل نبى ونبى فقال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى لم اقف لذلك على أصل . قال وقد اكثر فى هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصل لها فلا يغتر بشىء منها . انتهى .

**الثانية هذه الشفاعة مجمع عليها**

( الثانية ) شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوى وانعقد عليها اجماع اهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة لكن هذه الشفاعة العظمى مجمع عليها لم ينكرها احد ممن يقول بالحشر اذ هى للاراحة من طول الوقوف حين يتمنون الانصراف من موقفهم ذلك ولو الى النار

**الثالثة حكم السجود فى المحشر**

( الثالثة ) سئل القاضى جلال الدين البلقينى عن حكم سجود النبى صلى الله عليه وسلم من حيث الوضوء فأجاب بأنه باق على طهارة غسل الموت ويحتمل وهو الاصح بأن أمور الآخرة ليست كأحكام الدنيا اذ الآخرة ليست بدار تكليف فلا يتوقف السجود فيها على وضوء والله أعلم

(( فانها ثابتة للمصطفى　　كغيره من كل أسباب الوفا ))
(( من عالم كالرسل والابرار　　سوى التي خصت بذى الانوار))

(( فانها )) أى الشفاعة العظمى وغيرها من سائر الشفاعات الآتى ذكرها ( ثابتة ) بالنقل الصحيح بل المتواتر (( لـ )) لنبى ا (( لمصطفى)) محمد صلى الله عليه وسلم (( كـ )) ما انها ثابتة لـ (( غيره )) أى غير نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (( من كل ارباب )) اى اصحاب (( الوفا )) بامتثال الاوامر والانتهاء عن الزواجر . ثم أخذ فى بيان ما أجمل من أرباب الوفا بقوله (( من عالم )) عامل بعلمه معلم لغيره وهم الربانيون وهؤلاء ورثة الانبياء فهؤلاء كما نفعوا الناس فى الدنيا بالدلالة والتعليم كذلك ينفعونهم بالشفاعة لهم عند المولى الجواد الكريم فيقبل شفاعاتهم ويعلى درجاتهم (( كالرسل ))

جمع رسول وهو من أوحى اليه بشرع من بنى آدم وأمر بتبليغه وكذا الانبياء وهم يعنى الرسل والانبياء خواص الخلق من بنى آدم (( والابرار )) جمع بار وهم الاتقياء الاخيار •

**شفاعة الانبياء وغيرهم**

والحاصل أنه يجب أن يعتقد أن غير النبى صلى الله عليه وسلم من سائر الرسل والانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والاوليا على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون وبقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون لثبوت الاخبار بذلك وترادف الآثار على ذلك وهو أمر جائز غير مستحيل فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد قال صلى الله عليه وسليم « أنا أول شافع وأول مشفع » روى هذا اللفظ ابو هريرة رضى الله عنه أخرجه مسلم، وجابر بن عبدالله رضى الله عنهما اخرجه البيهقى ، وعبد الله بن سلام رضى الله عنه أخرجه البيهقى أيضا • وأما حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند البيهقى قال يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم لا يشفع أحد فى أكثر مما يشفع فيه نبيكم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء• قال البخارى كذا قال أبو الزعراء عن ابن مسعود ولا يتابع عليه والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم أول شافع ، وكذا قال غير البخارى من أئمة الحفاظ والله أعلم

واخرج ابن ماجه والبيهقى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء » وأخرجه البزار وفى آخره « ثم المؤذنون » وأخرج الطبرانى فى الكبير والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا فى النار — برحمة الله وشفاعة الشافعين » وأخرج الامام أحمد والبيهقى من حديث حذيفة نحوه• وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى مائة الف ألف وعشرة آلاف ألف » وأخرج ابن أبى عاصم والاصبهانى عن أبى امامة رضى الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ، ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس »

واخرج البيهقى من حديث جابر مثله وزاد فى آخره « بما أحسنت أدبهم » واخرج الديلمى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « يقال للعالم اشفع فى تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء » واخرج أبو داود وابن حبان عن ابى الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته » وأخرج الامام احمد والطبرانى مثله من حديث مقدام بن معدى كرب • وأخرج البزار والبيهقى بسند صحيح عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل « ليشفع فى الرجل والرجلين والثلاثة يوم القيامة » وأخرج الترمذى والحاكم وصححاه والبيهقى عن عبد الله بن أبى الجدعاء ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم » قالوا سواك يا رسول الله ؟ قال «سواى» قال الفريابى يقال انه عثمان بن عفان رضى الله عنه • وأخرج البيهقى عن الحسن مرفوعا « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر » والحاكم وصححه والبيهقى عن الحارث بن قيس مرفوعا « أن من أمتى من يدخل الجنة بشفاعته اكثر من مضر وان من أمتى من سيعظم للنار حتى يكون زوارها » وأخرج الامام احمد مثله من حديث ابى برزة • وهناد مثله من حديث ابى هريرة • واخرج الامام أحمد والطبرانى والبيهقى بسند صحيح عن أبى أمامة رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عله وسلم يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين ربيعة ومضر » واخرج الترمذى وحسنه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من امتى لرجالا يشفع الرجل منهم فى الفئام من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته ،ويشفع الرجل منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته ، ويشفع الرجل منهم للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته » واخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لاتزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار حتى أن ابليس الاباليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه • واخرج البزار عن أبى موسى الاشعرى رضى لله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال

« الحاج يشفع فى اربعمائة من أهل بيته »

والحاصل ان للناس شفاعات بقدر اعمالهم وعلو مراتبهم وقربهم من الله تعالى والقرآن يشفع لأهله والاسلام يشفع لأهله والحجر الاسود يشفع لمستلمه ، ولكن لايشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون • من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه • وبالله التوفيق (( سوى )) الشفاعات ((التى خصت بدى)) اى بصاحب ((الانوار)) نبينا المختار صلى الله عليه وسلم مادارت الادوار وتعاقب الليل والنهارفلا يشاركه فيها نبى مرسل ولا ملك مقرب ولا صديق ولاشهيد لانها مختصة بجنابه الرفيع وقدره المجيد ، والشفاعات المختصة به صلى الله عليه وسلم عدة ( أولها ) وهى اعظمها واعمها شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بين الورى بعد التردد الى الانبياء وتدافعها بين أخيار الملأ الى أن تصل لصاحب الحوض المورود وهى المقام المحمود وقد عم العالم زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك مايذيب الاكباد وينسى الاولاد وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد ( ثانيها ) يشفع عند ربه فى ادخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فان هذه خاصة به ايضا صلى الله عليه وسلم كما قال القاضى عياض والامام النووى وتردد ابن دقيق العيد فى الاختصاص وتبعه الحافظ ابن حجر قال فان الاختصاص انما يثبت بالدليل ولا دليل عليه وقد روى حديث هذه الشفاعة مسلم فى صحيحه وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطى فى انموذج اللبيب ( ثالثها ) شفاعته صلى الله عليه وسلم فى قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضى وابن السبكى بعدم اختصاصها به صلى الله عليه وسلم وتردد النووى فى ذلك • قال السبكى لانه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولابنفيه • وجزم فى الانموذج بانها من خصائصه صلى الله عليه وسلم ( رابعا ) فى رفع درجات ناس فى الجنة وهذه لاتنكرها المعتزلة كالاولى الا أن النووى جوز اختصاصها به عليه الصلاة والسلام وجزم فى كتاب الانتقاد له باختصاصها به • قال فى الانموذج جوز النووى اختصاص هذه والتى قبلها به ووردت الاحاديث فى التى قبل وصرح به القاضى عياض وابن دحية ( خامسها )

الشفاعات الخاصة بالنبى ص

الشفاعة فى اخراج عموم أمته من النار حتى لايبقى منهم أحد ذكره السبكى وبالشفاعة فى جماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم فى تقصيرهم فى الطاعات ذكره القزوينى فى العروة الوثقى

## ( تنبيهات )

تنبيهات الاول الشفاعة التي تنكرها المعتزلة

( الاول ) الشفاعة التى تنكرها المعتزلة وتجحدها هى فيمن استحق النار من المؤ منين ان لايدخلها وفيمن دخلها منهم ان يخرج منها ، فكذبت بها المبتدعة ونفتها مع ثبوت ادلتها وتضافر حججها مما يتعسر احصاؤه ويتعذر استقصاؤه فأخرج البخارى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه خطب فقال « انه سيكون فى هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم وبالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ماامتحشوا » وأخرج سعيد بن منصور والبيهقى وهناد عن أنس رضى الله عنه قال : من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ، ومن كذب بالحوض فليس له فيها نصيب • وأخرج البيهقى عنه أنه قيل له أن قوما يكذبون بالشفاعة قال لا تجالسوا أولئك • وأخرج أيضا عنه قال : يخرج قوم من النار ولا نكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء • وأخرج ايضا عن شبيب بن أبى فضالة المكى قال ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل ياأبا نجيد انكم لتحدثوننا احاديث لم نجد لها أصلا فى القرآن • فغضب عمران وقال للرجل : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم، قال فهل وجدت صلاة العشاء أربعا وصلاة المغرب ثلاثا والغداة ركعتين والظهر أربعا والعصر أربعا ؟ قال : لا ، قال فعمن أخذتم هذا ؟ ألستم عنا أخذتموه وأخذنا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وفى كل اربعين درهما درهم، وفى كل كذا شاة ، وفى كل كذا بعير ، أوجدتم فى القرآن هذا ؟ قال : لا، قال ووجدتم فى القرآن ( وليطوفوا بالبيت العتيق ) أوجدتم طوفوا سبعا واركعوا ركعتين خلف المقام ؟ أوجدتم هذا فى القرآن ؟ عمن أخذتموه ؟ ألستم اخذتموه عنا واخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : بلى، قال اوجدتم فى القرآن : لاجلب ولاجنب ولاشغار فى الاسلام ؟ قالو : لا ، قال فان الله

تعالى قال فى كتابه (وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ) وانا قد أخذنا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم أشياء لم يكن لكم بها علم • وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابراهيم ( رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ) وقول عيسى ( ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ) فرفع يديه وقال أمتى أمتى ثم بكى ، فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك فى أمتك ولانسوءك • وأخرج الشراز والطبرانى فى الاوسط وابو نعيم بسند حسن عن أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه أن رسول اللهصلىاللهعليهوسلم قال « أشفع لأمتى حتى ينادى ربى تبارك وتعالى أرضيت. يامحمد؟فاقول أىرب رضيت»واخرج الترمذى وابنماجه والحاكموصححه وابن حبان والبيهقى والطبرانى عن عوف بن مالك الاشجعى عن النبىصلى الله عليه وسلم قال « ان ربى خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة - وفى لفظ بين ان يدخل ثلثى أمتى بغير حساب ولا عذاب - وبين الشفاعة لأمتى فاخترت الشفاعة ، قال وهى لكل مسلم » وروى نحوه الامام احمد والطبرانى أيضا والبيهقى بسند جيد من حديث معاذ بن جبل رضى اللهعنه وفيه «وعلمت أنها أوسع لهم وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئا » وأخرج الطبرانى مثله عن أنس • وأخرج الامام أحمد والطبرانى ايضا والبيهقى بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف امتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين » وأخرج الامام احمد والبيهقى والطبرانى فى الاوسط عن بريدة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انى لا شفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الارض من شجر ومدر » وأخرجه الطبرانى فى الاوسط عن أنيس الانصارى ولفظه « أكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر » وأخرج البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يخرج قوم من النار بشفاعة

محمد صلى الله عليه وسلم ويدخلون الجنة ويسمون الجهنميين » واخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله يخرج قوما من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة » وأخرج ابو داود والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى » وأخرج الطبرانى عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شفاعتى فى أمتى المذنبين المثقلين » وأخرج الطبرانى أيضا وأبو نعيم عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « نعم الرجل انا لشرار أمتى » قيل كيف يا رسول الله قال « أما شرار أمتى فيدخلهم الله الجنة بشفاعتى ، وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم » وأخرج أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » قال ابن عباس : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأهل الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم . وفى أوسط الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « انى ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » وفى الكبير عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعملى ولا تتكلى فان شفاعتى للهالكين من أمتى » وأخرج الترمذى والحاكم والبيهقى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى » قال جابر رضى الله عنه من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذى يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذى يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة ، وانما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أوبق نفسه وأغلق ظهره. واخرج عن أنس رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله لمن تشفع ؟ قال لاهل الكبائر من أمتى وأهل العظائم وأهل الدماء » وأخرج عن كعب بن عجرة رضى الله عنه مرفوعا « شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى » وأخرج طاووس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شفاعتى لاهل الكبائر

من أمتى » قال البيهقى : هذا مرسل حسن يشهد ليكون هذه اللفظةشائعة • وأخرج ابن أبى عاصم عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « ما زلت اشفع الى ربى ويشفعنى واشفع ويشفعنى حتى أقول اى رب شفعنى فيمن قال لا اله الا الله ، فيقول : هذا ليس لك يا محمد ولا لأحد ، هذا لى ، وعزتى وجلالى ورحمتى لا أدع فى النار أحدا يقول لا اله الا الله »

**الثاني في الاعمال الموعود عليها الشفاعة**

( الثانى ) فى ذكر الاعمال الموجبة لشفاعته صلى الله عليه وسلم أخرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « ظننت أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه » وأخرج أيضا عن جابر رضى الله عنه « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة » وأخرج مسلم نحوه من حديث ابن عمرو • وفى سنن سعيد بن منصور من طريق أيوب السختيانى عن فقيه من فقهاء الكوفة قال ما من مسلم يسمع النداء فيقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة المفترضة أعط محمدا سؤله يوم القيامة الا أدخله الله فى شفاعته • وأخرج مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يثبت أحد على لأواء المدينة وجدبها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة » وأخرجه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى وابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهم ، والطبرانى من حديث زيد بن ثابت وأبى أيوب ، والبزار من حديث عمر • وأخرج الترمذى وابن ماجه وابن حبان والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن يموت بها » وأخرج الطبرانى عن سلمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيامة من الآمنين » وأخرج الطبرانى بسند جيد عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على حين يصبح عشرا

وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة » والترمذى وابن حبان عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا « اولى الناس بى يوم القيامة اكثرهم على صلاة » وابن ابى عاصم فى السنة والبزار والطبرانى بسند حسن عن رويفع ابن ثابت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » وأخرج الامام أحمد بسند صحيح عن زياد بن ابى زياد مولى نبى مخزوم عن خادم النبى صلى الله عليه وسلم قال كان النبى صلى الله عليه وسلم مما يقول للخادم ألك حاجة ؟ حتى كان ذات يوم قال : يا رسول الله حاجتى أن تشفع لى يوم القيامة ، قال فأعنى بكثرة السجود . وأخرج البزار عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « من زار قبرى وجبت عليه شفاعتى (١) وأخرجه الطبرانى لفظ « من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة » والبيهقى عن عمر رضى الله عنه مرفوعا « من زارنى كنت له شفيعا أو شهيدا ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة »

**الثالث فيمن لا تدركهم الشفاعة**

( الثالث ) فى من لا تدركهم الشفاعة ويحرمون شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لاتصافهم بالبدع وسوء البضاعة فأخرج ابو نعيم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صنفان من أمتى لا تنالهما شفاعتى يوم القيامة المرجئة والقدرية » واخرج البيهقى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من غش العرب لم يدخل فى شفاعتى . قال فى النهاية العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء أقام بالبادية أو المدن . انتهى . والمراد بهم هنا بنو اسماعيل . وأخرج البيهقى والطبرانى بسند جيد عن معقل ابن يسار رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رجلان لا تنالهما شفاعتى يوم القيامة أمام ظلوم غشوم عسوف وآخر غال فى دين الله مارق منه » واخرج الطبرانى عن أبى الدرداء وغيره من الصحابة رضى الله عنهم قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذروا المراء فان الممارى لا أشفع له يوم القيامة »

(١) هذا الخبر وتالياه بين الأئمة ضعفها وصرح بعضهم بوضعها

**الرابع شبهة نفاة الشفاعة وردها**

( الرابع ) مما احتجت المعتزلة لمذهبهم فى نفى الشفاعة بقوله تعالى ( واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ) وقوله ( ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وزعموا أن من دخل جهنم يخلد فيها لانه اما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة ، هذا رأيهم ومن وافقهم وهو رأى فاسد ومذهب باطل ترده الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة واجماع أهل الحق أيدهم الله تعالى وأجابوا عن الآية الكريمة أن المراد بقوله تعالى ( لا تجزى نفس عن نفس شيئا ) الكفار للآيات الواردة والاخبار الثابتة فى الشفاعة قال القاضى البيضاوى تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر ، وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار ، ويؤيد هذا أن مساق الخطاب معهم • والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم أن أباءهم تشفع لهم • انتهى • وعن قوله تعالى ( ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ) المراد بالظالمين الكفار فان الظالم على الاطلاق هوالكافر ، وقالت المعتزلة فى قوله تعالى ( انك من تدخل النار فقد أخزيته - ولايشفعون الا لمن ارتضى - وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعدأن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) ومن أخزاه الله لا يرتضيه ومن ارتضاه لا يخزيه قال تعالى « يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم ) الآية والجواب عن الآية الاولى ما قال سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى ( من تدخل النار ) من تخلد • وقال قتادة تدخل مقلوب تخلد • ولا نقول كما قالت اهل حروراء « يعنى الخوارج » فعلى هذا قوله ( قد اخزيته ) على بابه من الهلاك أى اهلكته وأبعدته ومقته ولهذا قال سعيد بن المسيب الآية جاءت خاصة فى قوم لا يخرجون من النار دليله قوله فى آخر الآية (و ماللظالمين من أنصار ) أى الكفار وان سلم أن الآية فى عصاة الموحدين فالمراد بالخزى الحياء يقال خزى يخزى خزاية اذا استحى فهو خزيان وامرأةخزيافخزى المؤمنين يومئذ استحياؤهم من دخول النار ودار البوار مع اهل الشرك والكفار ثم يخرجون بشفاعة النبى الكريم ورحمة الرؤوف الرحيم ،ونفى النصرة لا يستلزم نفى الشفاعة لانها طلب مع خضوع والنصرة ربما تبنى على المدافعة والممانعة والاستعلاء ، على أنا نقول لا يسلم لهم زعمهم ان الفاسق

غير مرضى مطلقا بل هو مرضى من جهة الايمان والعمل الصالح وان كان مبغوضا من جهة الذنوب والعصيان وارتكاب القبائح بخلاف الكافر فانـــه ليس بمرضى مطلقا لعدم الاساس الذى تبنى عليه الحسنات والاعتـــداد بالكمالات وهو الايمان • والحاصل أن الايمان بالشفاعة واجب وقدقدمنا من النصوص ما لعله يقلع شروش الاختلاج من خواطر من اذعن لها وخلع من عنقه ربقة تقليد اهل الزيغ والاعوجاج كيف والنصوص متـــواترة والآثار متوافرة والعقل الصحيح لا يحيل ذلك والنقل الصريح ناطق بمـــا هنالك فدع عنك نحلة فلانة وفلان واعقد قلبك على ما صح عن سيد ولد عدنان وأصحابه والتابعين لهم باحسان فانه الحق الذى لا عقل يحيله ولا نقل يزيله والله تعالى الموفق •

فصل فى الجنة والنار

## (( فصل فى الكلام على الجنة والنار ))

ولما انتهى الكلام على الشفاعة وأقسامها وتفصيلها وأحكامها بحسب ما يليق بالمقام أعقب ذلك بذكر العظيمتين دار القرار للاخيار ودار البـــوار للكفار وهما الجنة والنار فقال

(( وكل انســـان وكل جنـــة
فى دار نـــار او نعيـم جنـــة ))
(( هما مصـير الخلق من كل الورى
فالنـــار دار من تعـــدى وافترى ))
(( ومن عصى بذنبـه لم يخـــلد
وان دخلهـــا يا بوار المعتـــدى ))

(( وكل انسان )) من بنى آدم فالانس والانسان من البشر والواحد انسى وأنسى والجمع أناسى والمرأة انسان وبالهاء عامية كما فى القاموس قـــال وسمع فى شعر كأنه مولد

لقد كستنى فى الهـوى ملابس الصب الغـزل انســـانة فتـانة
بدر الدجى منها خجل اذا زنت عينى بهـــا فبالدموع تغتســـل

(( وكل جنة )) بكسر الجيم وتشديد النون مفتوحة طائفة الجن والجان اسم للجن أى كل واحد من الثقلين اللذين هما الانس والجن لا بد أن

يكون (( فى )) احدى الدارين اما فى (( دار نار )) وهى دار البوار ومقر الكفار وهى جسم لطيف محرق يطلب العلو تذكر وتؤنث وألفها منقلبة عن واو بدليل تصغيره على نويرة وتجمع جمع قلة على نيرة وأنور وجمع كثرة على نيران ونور والنور ضوءها وضوء كل نير وهو ضد الظلمة ، والنـــار سبع طباق أعلاها جهنم فلظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وباب كل واحدة منها من داخل الاخرى على الاستواء كما قاله ابن عطية وغيره ((أو)) فى دار ((نعيم)) مقيم فى ((جنة)) المولى الكريم الرؤوف الرحيم فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة وكل ما هو كذلك فالايمان به واجب واعتقاد وجوده حق لازب ، والمراد من الجنة دار الثواب ومن النار دار العقاب (( هما )) أى الجنة والنار ((مصير الخلق )) من الانس والجن أى لا بد لكل واحد ((من كل الورى )) كفتى الخلق من الانس والجـــن بل ومن الملائكة فانهم يكونون فى الجنة كما يأتى أن يصير اما الى الجنة واما الى النار واما اهل الاعراف فان مصيرهم الى الجنة كما يأتى (( فالنار التى هى دار الهوان والبوار فهى (( دار من )) أى كل شخص من أنس وجن (( تعدى )) طوره وخالف مولاه فكفر به أو بأحد من رسله أو بكتاب من كتبه أو شرع شرعه على لسان نبى بعثه ولم ينسخه (( وافترى )) فيما عبد واجترأ بما قصد فلم يقف عند الحدود ولم يف بالعهد المعهود ، فكل من حكم الشرع بكفره من كافر اصلى من أهل الشرك وعبدة الاوثان والكواكب والنيران وأهـل الشرائع المنسوخـة بعد النسخ والتبديل من أهل التوراة والانجيل فهم خالدون مخلدون فى النار ودار الخزى والبوار (( ومن )) اى وكل عبد مؤمن بالله ورسوله ولو مبتدعا لم يحكم الشرع بكفره (( عصى )) بمخالفة ربه وتعـــدى حدوده (( بذنبه )) ولو كان ذنبه من أكبر الكبائر كالقتل والزنا وأكل الربا ومات على الايمان ولو لم يتب (( لم يخلد)) فى النار (( وان دخلها )) ليتطهر من الاوزار فانه يخرج منها اما بشفاعة الشافعين او رحمة أرحم الراحمين كما تقــدم (( يا بوار )) اى يا هلاك (( المعتدى )) اشارة الى تقبيح ما ذهبت اليه المعتزلة من زعمهم ان من دخل النار فهو خالد فيها لانه اما كافر او صاحب كبيرة

مات بلا توبة اذ المعصوم والتائب وصاحب الصغيرة اذا اجتنب الكبائر ليسوا من أهل النار على ما سبق من أصولهم والكافر مخلد بالاجماع بخلاف العاصي وتقدم الكلام على ذلك بما فيه كفاية ، وان مرتكب الكبيرة اذا مات ولم يتب فى مشيئة الله ان شاء عفا عنه ولم يعذبه وان شاء عذبه ثم يخرجه ، وأما خلود المؤمن المصر فهو مذهب الخوارج والمعتزلة ،واهل الحق على خلافه وهو الحق الذى لا مرية فيه والله اعلم •

تنبيهات الاول فى الجن

## ( تنبيهات )

( الاول ) قال الجوهرى الجان ابو الجن • قال الامام ابو الوفا ابن عقيل انما سمى الجن جنا لاجتنانهم واستتارهم عن العيون ، قال والشياطين عصاة الجن وهم من ولد ابليس ، والمردة أعتاهم وأغواهم • وقال ابن عبد البر الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب فاذا ذكروا الجن خالصا قالوا جنى ، فان أرادوا انه ممن يسكن مع الناس قالوا عامر والجمع عمار، فان كان ممن يعرض للصبيان قالوا أرواح ، فان خبث وتعرض قالوا شيطان ، فان زاد على ذلك وقوى أمره قالوا عفريت • وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : لم يخالف احد من طوائف المسلمين فى وجود الجن ، وكذا جمهور الكفار ، لان وجودهم تواترت به اخبار الانبياء تواترا معلوما بالاضطرار يعرفه الخاصة والعامة ، قال ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة ونحوهم • وقال القاضى أبو بكر الباقلانى: كثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديما وينفون وجودهم الآن ، ومنهم من يقر بوجودهم ويزعم أنهم لا يرون لرقة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها ، ومنهم من زعم أنهم لا يرون لانهم لا ألوان لهم • وقد ذكر اسحاق بن بشر فى المبتدأ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما خلق الجن قبل آدم بألفى سنة • وقال اسحاق عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله تعالى سوما أبو الجن ؟ وهو الذى خلق من مارج من نار قال له تعالى تمن، قال أتمنى أن نرى ولا نرى وان نغيب فى الثرى ويصير كهلنا شابا • فاعطى ذلك فهم يرون ولا يرون واذا ماتوا غيبوا فى الثرى ولا يموت كهلهم حتى يعود شابا يعنى مثل الصبى يرد الى ارذل العمر • وأخرج

مسلم عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » وأخرج الفريابى وعبـــد بن حميد عن مجاهد فى قوله ( وخلق الجان من مارج من نار )قال اللهب الاصـــفر والاخضر الذى يعلو النار اذا أوقدت • وقال ابن عباس رضى الله عنهما خلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار • وأخرج ابن ابى حاتم عن عمرو بن دينار قال خلق الجان والشياطين من نارالشمس•انتهى

وقال أبو الوفا بن عقيل فى الفنون : سأل سائل‌عن الجن‌فقال اخبر الله عنهم انهم من نار وأخبر ان الشهب تضرهم وتحرقهم فكيف تحرق النار النار ؟ قال والجواب أن الله تعالى أضاف الشياطين والجان الى‌النار حسبما أضاف الانسان الى التراب والطين والفخار والمراد به فى حق الانسان أن أصله الطين وليس الآدمى طينا حقيقة ولكنه كان طينا كذلك الجان كان نارا فى الاصل • قال القاضى عبد الجبار المعتزلى الدليل على أن أصل الجن النار السمع دون العقل • وقال الامام القاضى أبو يعلى بن الفراء : الجـن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ، ويجوز أن تكون رقيقة وأن تكون كثيفـة خلافا للمعتزلة فى قولهم انهم أجسام رقيقة ولرقتها لا تراها • قال القاضى أبو يعلى : ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور وانما يجوز أن يعلمهم الله كلمات ضربا من ضروب الافعال اذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى أنه قادر على قول اذا قاله وفعله نقله الله عن صورة الى صورة أخرى لجرى العادة ، واما أن يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها عن صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة وكيف تنقل نفسها ؟ قال والقـــول فى تشكيل الملائكة مثل ذلك ، والذى روى أن ابليس تصور فى صورة سراقة وان جبريل تمثل فى صورة دحية محمول على ما ذكرنا وهو أنه أقدره الله على قول قاله فنقله الله عن صورة الى صورة أخرى

قال‌القاضى : الجن يأكلون ويشربون ويتناكحون كما يفعل الانس •

وظاهر العمومات أن جميع الجن كذلك وهو رأى قوم ، ثم اختلفوا فزعم بعضهم أن أكلهم وشربهم تشمم استرواح لا مضغ وبلع ، وهذا لا دليل عليه وقال الاكثرون أنهم يأكلون بمضغ وبلع ، وزعم قوم أن جميع الجن لا يأكلون ولا يشربون ، وهذا ساقط ، وقيل أن صنفا يأكلون ويشربون وصنف لا يأكلون ولا يشربون • وسئل وهب بن منبه عن الجن هل يأكلون ويشربون ؟ وهل يموتون ويتناكحون ؟ فقال : هم أجناس فاما خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتوالدون ويتناكحون ويموتون ، قال وهي هذه التى منها السعالى والغول وأشباه ذلك • أخرجه ابن جرير • وحديث علقمة عن ابن مسعود عند الامام احمد ومسلم والترمذى : لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم داع من الجن فذهب معه فقرأ عليهم القرآن وانه صلى الله عليه وسلم انطلق بأصحابه فأراهم آثارهم وآثار نيرانهم يدل على أنهم كانوا كالانس فى الجملة ، وفيه انهم سألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لهم صلى الله عليه وسلم : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه - ولفظ الترمذى : لم يذكر اسم الله عليه - يقع فى أيديكم أوفر ما كان لحما ، وكل بعرة علف لدوابكم • قال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن » وقد جمع بعض العلماء بين رواية الترمذى لم يذكر اسم الله عليه وبين رواية الامام احمد ومسلم بان ما فى المسند وصحيح مسلم فى حق المسلم من الجن ، وما فى رواية الترمذى فى حق غير المؤمنين منهم ، وصححه السهيلى وقال هذا يعضد الاحاديث • وقد استدلوا على مناكحهم بقوله تعالى ( أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ) وبقوله تعالى ( لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ) وهذا يدل على انه يتأتى منهم الجماع وفى الحديث ان الجن يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عددا • رواه ابن ابى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن قتادة •

**الثانى فى تكليف الجن**

( الثانى ) فى ذكر تكليف الجن ولواحق ذلك - قال العلامة شمس الدين محمد بن مفلح فى كتابه الفروع : الجن مكلفون فى الجملة اجماعا يدخل

كافرهم النار اجماعا ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقا لمالك والشافعي رضي الله عنهما لا انهم يصيرون ترابا كالبهائم وان ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافا لابي حنيفة والليث بن سعد ومن وافقهما ، قال وظاهر الاول يعنى قول الامام أحمدومالك والشافعي رضي الله عنهم انهم في الجنة كغيرهم بقدر توابهم خلافا لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها كمجاهد ، أو أنهم في ربض أي حول الجنة كعمر بن عبد العزيز ، قال ابن حامد في كتابه : الجن كالانس في التكليف والعبادات . انتهى كلام الفروع . وقال ابن عبد البر ، الجن عند الجماعة مكلفون مخاطبون لقوله تعالى ( يا معشر الجن والانس ) وكقوله ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) . قال الفخر الرازى أطبق الكل على أن الجن كلهم مكلفون . قال القاضي عبد الجبار المعتزلى :لا نعلم خلافا بين اهل النظر ان الجن مكلفون .

**الثالث في البعثة الى الجن**

( الثالث ) قال ابن مفلح في فروعه : ولم يبعث اليهم يعني الجن نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم ، قال : وليس منهم رسول ، ذكره القاضي ابو يعلى وابن عقيل وغيرهما ، وأجابوا عن قوله تعالى ( يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ) انها كقوله تعالى ( يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ) وانما يخرج من أحدهما ( ١ ) وكقوله ( وجعل القمر فيهن نورا ) وانما هو في سماء واحدة . قال وللمفسرين قولان والقول بأن منهم رسلا قول الضحاك وغيره . قال الامام الحافظ ابن الجوزى : وهو ظاهر الكلام . وقال الحافظ السيوطي في ( لقط المرجان ) جمهور العلماء سلفا وخلفا على انه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي ، كذا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والكلبي وابي عبيد، وقد أخرج عبد بن حميد وابن المنذروابن ابى حاتم عن مجاهد في قوله تعالى ( يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ) قال ليس في الجن رسل انما الرسل في الانس والنذارة في الجن وقرأ ( فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ) وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قوله رسل منكم قال : رسل الرسل وقرأ الآية. قال ابن جرير واما

---

( ١ ) هذا زعم المفسرين الذين أخرجوا القرآن عن ظاهره لجهلهم بأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من الانهار وهو ثابت لاريب فيه اهـ محمدرشيد

الذين قالوا بقول الضحاك فاحتجوا بأن الله أخبر أنمن الجن رسلا أرسلوا اليهم قالوا لو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى رسل الانس لجاز أن يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن ، وفي فساد هذا المعنى ما يدل على أن الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم انهم رسل الله لانه المعروف في الخطاب دون غيره . وقال ابو محمد بن حزم : لم يبعث الى الجن نبى من الانس البتة قبل محمد صى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم الانس وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « وكان النبى يبعث الى قومه خاصة » قال وباليقين ندرى انهم قد أنذروا وأفصح انهم كان لهم أنبياء منهم فى قوله ( الم يأتكم رسل منكم ) انتهى . وتأول الجمهور كل ما ورد من ذلك ولا يخفى أن ظاهر القرآن مع ما قاله الضحاك ، والاكثرون على خلافه ، وتحقيق ذلك والبحث فيه مما لا فائدة فيه لعدم ترتب شيء عليه غير أنا نقطع بأنهم سمعوا ببعثة رسل الانس لقوله تعالى ( انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ) وظاهر هذا أنهم كانوا مؤمنين بشريعة موسى عليه السلام ، والظاهر أن الشياطين الذين سخرهم الله لسليمان كانوا يأتمرون فى الشرائع بقوله وهو كان من أنبياء بنى اسرائيل ، وهل كان على شرع مستقل أو على شرع موسى ؟ قلت الظاهر كما يفهم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية فى الجواب الصحيح وغيره أنه كان على شرع موسى لان شريعة التوراة استمرت من عهد موسى الى أن بعث عيسى فنسخ بعضها وأمر باتباع بعض وهذا ظاهر فى أنه كان على شريعة موسى بل صريح والله أعلم .

( الرابع ) (١) قال فى الفروع قال شيخنا - يعنى شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه - : ليس الجن كالانس فى الحد والحقيقة فلا يكون ما أمروا به وما نهوا عنه مساويا لما على الانس فى الحد والحقيقة لكنهم مشاركوهم فى جنس التكليف بالامر والنهى والتحليل والتحريم بلا نزاع أعلمه بين العلماء فقد يدل ذلك على مناكحتهم وغيرها . قال فى الفروع وقد يقتضيه اطلاق أصحابنا . وفى المغنى وغيره أن الوصية لا تصح لجنى لانه لا يملك بالتمليك كالهبة . قال فى الفروع فيتوجه من انتفاء التمليك

(١) فى مخ «تتمة» بدل لفظ : الرابع

منا منع الوطء لانه فى مقابلة مال قال الله تعالى ( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ) وقال ( ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ) قال وقد جعل أصحابنا هذا المعنى فى شروط الكفاءة فههنا أولى قال ومنع منه غير واحد من متأخرى الحنفية وبعض الشافعية وجوزه منهم ابن يونس فى شرح الوجيز • قال فى مسائل حرب : باب مناكحة الجن ثم روى عن الحسن وقتادة والحكم واسحاق كراهتها ، وروى من رواية ابن لهيعة عن يونس عن الزهرى : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن• وعن زيد العمى : اللهم ارزقنى جنية اتزوجها تصاحبنى حيث ما كنت • قال فى الفروع : ولم يذكر حرب عن الامام احمد شيئا ، وعن مالك لا بأس به فى الدين ولكننى اكره اذا وجدت امرأة حامل فقيل من زوجك ؟ قالت من الجن، فيكثر الفساد • انتهى • وذكر الحافظ السيوطى آثارا وأخبارا عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الجن والانس • وقد حدثنى بوقوعه جماعة معهم أنفسهم فالله أعلم بصحة ذلك وان ظهر مخايل ثبوته فأنا على شك منه والله الموفق •

(( وجنة النعيم للابرار مصونة عن سائر الكفار ))

وجنة النعيم للأبرار

(( وجنة النعيم )) اعلم أن للجنة عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومسماها واحد باعتبار الذات فهى مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهى متباينة من هذا الوجه ، وهكذا أسماء الرب تعالى وأسماء كتابه وأسماء رسوله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار ، فالاسم العام الجنة المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة العين ، وأصل اشتقاقها من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره فى البطن والجان لاستتارهم عن العيون والمجن لستره ووقايته الوجه والمجنون لاستتار عقله وتواريه والجان وهى الحية الصغيرة الدقيقة ، ومنه تسمية البستان جنة لانه يستر داخله بالاشجار ويغطيه فلا يستحق هذا الاسم الا موضع الا موضع كثير الشجر مختلف الأنواع ، والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره ومنه قوله تعالى ( اتخذوا ايمانهم جنة ) يتترسون بها من انكار المؤمنين عليهم ، ومنه الجنة بالكسر وهم الجن كما تقدم ومنه قوله

تعالى ( من الجنة والناس )

وذهبت طائفة من المفسرين الى أن الملائكة يسمون جنة واحتجوا بقوله تعالى ( وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ) وقالوا هذا النسب قولهم : الملائكة بنات الله ، ورجحوه بوجهين أحدهما أن النسب الذى جعلوه انما زعموا انه بين الملائكة وبينه لا بين الجن وبينه ، الثانى قوله تعالى ( ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ) أى علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القـــول محضرون العذاب • قال الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فى كتابه ( حادى الارواح الى منازل الافراح ) والصحيح أن الجنة هم الجن أنفسهم كما قال تعالى ( من الجنة والناس ) وعلى هذا ففى الآية الكريمة قولان ، أحدهما قول مجاهد قال قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبوبكر الصديق رضى الله عنه فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن ، وقال الكلبى تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة ، وقال قتادة قالوا صاهر الجن ، والقول الثانى قول الحسن قال اشركوا الشياطين فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه • قال ابن القيم والصحيح قول مجاهد ، وأما قوله تعالى ( ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون ) فالضمير يرجع الى الجنة أى قد علمت الجنة انهم محضرون الحساب قاله مجاهد أى لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضرهم الحساب كما قال تعالى ( وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم ) فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم واحضارهم للعذاب مبطلا لدعواهم الكاذبة ، وهذا التقدير فى الآية أبلغ فى ابطال قولهم من التقدير الاول • انتهى • ومن أسماء الجنة جنات النعيم قال تعالى ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ) قال فى حادى الارواح وهذا أيضا اسم جامع لجميع الجنان لما تضمنته من الانواع التى يتنعم بها من الماكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن • وقوله فى النظم ((للابرار)) اشارة الى أن هذه اللام لام الاختصاص والاستحقاق فلا يدخلها ويسكنهـا غيرهم ، والابرار جمع بار وهو كثير البر ، والبراسم جامع للخـــير وقيل فى قوله تعالى ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ) أن البر الجنة،

وفى القاموس البر الصلة والحسنة والخير والصدق والطاعة كالتبرر وضد العقوق كالمبرة • والبر بالفتح من أسماء الله الحسنى والصادق والكثير البر ، ويجمع البار أيضا على بررة وقد ذكر الله فى كتابه عدة آيات يخص الجنة بأهل الايمان والتقوى كقوله تعالى فى الجنة ( أعدت للمتقين ) وقال تعالى ( وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ) وقال تعالى ( وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ) وقال ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ) ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم ) وهذا فى القرآن كثير ومداره على ثلاث قواعد ايمان وتقوى وعمل خالص لله عز وجل على موافقة السنة ، فأهل هذه الثلاثة هم الأبرار وهم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعلى هذه الثلاثة أشياء دارت بشارات القرآن والسنة جميعها ، وهى تجتمع فى أصلين ، اخلاص فى طاعة الله واحسان الى خلقه ، وترجع الى خصلة واحدة وهى موافقة الرب تعالى فى محابه ، ولا طريق الى ذلك الا بتحقيق القدوة ظاهرا وباطنا برسول الله صلى الله عليه وسلم • وأما الاعمال التى هى تفاصيل هذا الأصل فهى بضعة وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التى مرجعها الى تصديق الرسول فى كل ما أخبر به وطاعته فى جميع ما أمر به ايجابا واستحبابا واجتناب ما نهى عنه تحريما وكراهة • وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • فاقرءوا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قوة أعين) رواه البخارى ومسلم وغيرهما • وفى حديث أبى هريرة أيضا رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره » أخرجه البخارى ومسلم • وفى رواية لمسلم : حفت ، بدل حجبت • وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات »

رواه مسلم والترمذى • وقد ثبت أن مفتاح الجنة كلمة الاخـــلاص وهى شهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا عبدهورسوله ، فقد أخرج الامام احمد عن معاذ بن جبل رضى اللهعنهمرفوعا «مفتاحالجنةشهادةان لااله الا الله » قال الحافظ ابن رجب فى كتابه ( التوحيد ) فى سنده انقطاع ، وفى صحيح البخارى عن وهب بن منبه انه قيل له أليس مفتاح الجنة لا اله الا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح الا وله أسنان فان أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح • وفى صحيح البخارى عن جابر رضى الله عنه قال جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم أنه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا : مثله مثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها يفقهها فقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان ، الدار الجنة والداعى محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس • ورواه الترمذى عنه بلفظ : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « انى رأيت فى المنام كأن جبريل على رأسى وميكائيل عند رجلى » فذكر نحو ما تقدم وفيه فالله هو الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد رسولفمنأجابك دخل الاسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة وأكل مما فيها (( مصونة )) أى جنة النعيم محفوظة ومحمية (( عن سائر )) أى جميع (( الكفار )) سواء كان كفرهم بالشرك أو الجحود أو انكار النبوات أو انكار أحد من الأنبياء أو استحلال ما علم تحريمه أو تحريم ما علم حلهمنالدينبالضرورة أو جحود ما علم مجىء النبى صلى الله عليه وسلم به بالضرورة أو انكار المعاد الجسمانى أو جحود الكتاب المنزل أو شيئا منه أو ملكا من الملائكة أو انتقاص ملك أو نبى ونحو ذلك ، فالجنة لا تدخلها الا نفس مؤمنـــة باجماع أهل الحق ، وأما أهل الكفر والجحود فهم فى نار جهنم كلما مر عليهم زمن أولد لهم الخلود فلا يفتر عنهم العذاب ولا ينقطع ولا ان بكا أحدهم واستغاث ينتفع فعذابهم متواصل فى دار الهوان بما كانوا يكفرون

كما قال تعالى ( ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ) وقال تعالى ( والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ) وقال ( لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ) والآيات فى مثل هذا كثيرة وسأل الحسن البصرى أبا برزة عن أشد آية فى كتاب الله تعالى على أهل النار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ( فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ) فقال « هلك القوم بمعاصيهم لله عز وجل » أخرجه ابن أبى حاتم وفيه ضعف وكذا البيهقى وقال لم أعرفه • وفي القرآن العظيم ( ان الله اشترى من المؤمنين وأموالهم بأن لهم الجنة – الى قوله تعالى ( فذلك هو الفوز العظيم ) فأشعرت الآية الكريمة بخطر النفس الانسانية وعظم مقدارها عندر ربها فان السلعة اذا خفى عليك قدرها فانظر المشترى لها من هو وانظر الى الثمن المبذول فيها ماهو وانظر الى من جرى على يده عقد التبايع ، فالسلعة النفس والله تعالى المشترى لها والثمن جنات النعيم والسفير فى هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه • وفى جامع الترمذى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله الجنة » قال الترمذى حديث حسن غريب • وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا ينادى فى الناس أنه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ، وفى لفظ مؤمنة • وفى مسلم عن ابن (عباس عن –١) عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وذكر الحديث وفيه « يا ابن الخطاب اذهب فناد فى الناس أنه لا يدخل الجنة الا المؤمنون » وفى البخارى معناه • وفى كتاب صفة الجنة لأبى نعيم من حديث أبان عن أنس رضى الله عنه قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ثمن الجنة ؟ قال لا اله الا الله • قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه ( حادى الارواح ) وشواهد هذا الحديث كثيرة جدا • وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته دخلت الجنة ، قال « تعبد الله

**خطر النفس الانسانية**

( ١ ) من صحيح مسلم

لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصـــوم رمضان » قال والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه ، فلما ولى قال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا » وفى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال أتى النعمان ابن قوقل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت اذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال أدخل الجنة ؟ • فقال النبى صلى الله عليه وسلم : نعم • وفى صحيح مسلم أيضا عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أنه لا اله الا الله دخل الجنة » وفى مسند الامام احمد وسنن أبى داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » وفى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى آت من ربى فأخبرنى - أو قال فبشرنى - انه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ؟ قلت وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق» وفى الصحيحين أيضا عن عتبان بن مالك الانصارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغى وجه الله » وفى هذا عدة أحاديث تزيد على حد التواتر

**خلود الجنة والنار**

(( واجزم بأن النار كالجنة فى وجودها وانهـــا لم تتلف ))

((واجزم)) جزم ايقان وعرفان وتصديق واذعان (( بأن النار )) وما فيها من أنواع العذاب والهوان والبوار والزبانية والاغلال والعقـــارب كالبغال ونحوها موجود الآن ومن قبل الآن (( كـ )) ما أن (( الجنة )) وما فيها من الولدان والحور والنعيم والحبور والحلل والتيجان والفواكه والدور والفرش والقصور وجميع ما اشتملت عليه من أنواع الملاذ والسرور موجود الآن وقبل الآن فالنار ((فى وجودها)) الآن كالجنة فهما موجودتان، قال الامام المحقق فى كتابه ( حادى الارواح ) لم يزل أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم ورضى عنهم والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الاسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك، واثبـــاته

مستندين فى ذلك الى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم الى آخرهم فانهم دعوا الامم اليها وأخبروا بها ، الى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون الجنة كالنار الآن مخلوقة وقالوا بل الله ينشئها يوم المعاد ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة فيما يفعله الله وانه ينبغى له أن يفعل كذا ولا ينبغى له أن يفعل كذا وقاسوه سبحانه على خلقه فى أفعاله فهم مشبهة فى الافعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة فى الصفات وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث فانهما يصيران معطلتين مددا متطاولة ليس فيهما سكانهما ، قالوا ومن المعلوم أن ملكا لو اتخذ دارا وأعد فيها الالوان والاطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قرونا متطاولة لم يكن ما فعله واقعا على وجه الحكمة ووجد العقلاء سبيلا الى الاعتراض عليه . فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة وشبهوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها وحرفوها عن مواضعها وضيعوها وضللوا كل من خالف بدعتهم هذه القبيحة وبدعوا من انصرف عن شرعتهم هـــذه الفضيحة والتزموا لها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء وقبح عليهم رأيهم بسببها النبلاء ، ولهذا صار السلف الصالح ومن نحا نحوهم يذكرون فى عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ، ويذكر من صنف فى المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها منهم الامام أبو الحسن الاشعرى امام كل أشعرى فى كتابه ( مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ) وفيه وان الجنة والنار مخلوقتان ، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ورأى عندها الجنة كما فى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه فى صفة الاسراء وفى آخره « ثم انطلق بى جبريل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان ما أدرى ما هى قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها حنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك » وفى الصحيحين أيضا من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل

الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » وقد رأى صلى الله عليه وسلم الجنة فى صلاة الكسوف حتى هم أن يتناول عنقودا من عنبها ورأى النار فلم ير منظرا أفظع من ذلك ، وهذا فى الصحيحين أيضا • وفى مسند الامام احمد وسنن أبى داود والنسائى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما فى قصة ذلك وفيه « لقد أدنيت الجنة حتى لو بسطت يدى لتعاطيت من قطوفها ولقد أدنيت النار منى حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم » الحديث• وفى صحيح مسلم من حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » قالوا وما رأيت يا رسول الله ؟ قال « رأيت الجنة والنار » وفى مسند الامام احمدوصحيح مسلم والسنن من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال اذهب فانظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر اليها والى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع وقال بعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها • فأمر بالجنة فحفت بالمكارة فقال فارجع فانظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها قال فنظر اليها ثم رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد• ثم أرسله الى النار فنظر اليها يركب بعضها بعضا فقال لا يدخلها أحد ، فلما حفت بالشهوات قال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحـــد الا دخلها » قال الترمدى حديث حسن صحيح • ودخوله صلى الله عليه وسلم ورؤيته نهر الكوثر وقصور الجنة وحورها وثمارها ودورهاوقصورها وقصة آدم وخروجه منها وأضعاف أضعاف ما ذكرناه من الأدلة القطعية التى يفوت عدها ويتعسر حدها ويعلم المنصف أن العدول عن مضمونها مكابرة ورد للأخبار المتواترة والله تعالى أعلم ((و)) اجزم أيضا بـ((أنها)) أى النار (( لم تتلف )) أى لم تهلك وتبيد قال فى القاموس تلف كفرح هلك وأتلفه أفناه والمتلف كالمقعد المهلك • يعنى أن النار لا تفنى ولا يفنى مافيها كالجنة وما فيها • قال الامام المحقق فى حادى الأرواح أما أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبد فمما يعلم بالاضطرار أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أخبر به قال الله تعالى ( وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ ) أى غير مقطوع ولا تنافى بين هذا وبين قوله ( الا ماشاء ربك ) نعم اختلف السلف فى هذا الاستثناء فقال الضحاك هو فى الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه أنهم خالدون فى الجنة • مادامت السموات والارض الا مدة مكثهم فى النار ( وقالت فرقة ) العزيمة وقعت لهم من الله بالخلود الدائم الا أن يشاء الله خلاف ذلك اعلاما لهم بأنهم مع خلودهم فى مشيئة الله ، وهذا كما قال لنبيه ( ولئن شئنا لنذهبن بالذىأوحينا اليك ) وقوله ( فان يشأ الله يختم على قلبك ) وقوله ( قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ) ونظائر ذلك مما يخبر به سبحانه عباده أن الامور كلها بمشيئته ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن (وقالت فرقة أخرى) المراد مدة دوام السموات والارض فى هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون فى الجنة مدة دوام السموات والارض الا ماشاء الله أن يزيدهم عليه ، وكأن هذا قول من قال أن الا بمعنى سوى وهذا قول ابن قتيبة فانه قال المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء الله تعالى أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم ( وقالت فرقة أخرى ) المراد بالسموات والارض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبدا وقيل غير ذلك • وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «يجاء بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة ، فيطلعون مشفقين ويقال يا أهل النار ، فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت ، فيذبح بين الجنة والنار ، ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها ويا أهل النار خلود ولا موت فيها » • ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ) وأشار بيده الى الدنيا • وفى لفظ للبخارى « وهم فى غفلة : وهؤلاء فى غفلة أهل الدنياو هم لا يؤمنون » أخرجه فى التفسير • وفى الصحيحين فى هذا الحديث « فاذا قيل لهم هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، فيؤمر بذبحه فيذبح » قوله فيشرئبون

هو بفتح أوله وسكون الشين المعجمة وفتح الراء بعدها تحتية مهموزة ثم موحدةمشددة أى يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر ، وفي الصحيحين أيضا عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم يا أهل الجنة لا موت ويا أهل أهل النار لا موت ، كل خالد فيما هو فيه » وفى رواية عنه عندهما « فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم » وفى هذا عدة أحاديث عن أبى هريرة عند الحاكم وابن ماجه وعن أنس عند أبى يعلى والبزار والطبرانى وفيه « فيذبح كما تذبح الشاة فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء » فثبت بما ذكـــرنا من الا يات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبدا كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم وعلى هذا اجماع أهل السنة والجماعةفأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ودليل ذلك الكتاب والسنة وزعمت الجهمية أن الجنة والنار يفنيان وقال هذا امامهم جهم بن صفوان امام المعطلة ، وليس له فى ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين ولا قال به أحد من أهل السنة ، نعم حكى بعض العلماء فى أبدية النار قولين

**الاقوال فى الخلود فى النار**

وحاصل ذلك كله سبعة أقوال ( أحدها ) قول الخوارج والمعتزلة ان من دخل النار لا يخرج منها أبدا بل كل من دخلها يخلد فيها أبد الآباد ( والثانى ) قول من يقول ان أهلها يعذبون مدة فيها ثم تنقلب عليهم وتبقى طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم ، وهذا قول ابن عربى الطائى فى كتاب فصوص الحكم وغيره من كتبه ( الثالث ) قول من يقول أن أهل النار يعذبون فيها الى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى أيضا فى قوله ( وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحـاب النار هم فيها خالدون ) فهذا القول انما هو قول أعداء الله اليهود فهم

شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحـــابة والتابعين وأئمة الدين على فساده ( الرابع ) قول من يقول يخرجون منها وتبقى نارا بحالها ليس فيها أحد يعذب ذكره شيخ الاسلام ابن تيميـــة عن بعض أهل الفرق قال والقرآن والسنة يردان هذا القول ( الخامس ) قول من يقول تفنى النار بنفسها لأنها حادثة كانت بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده بين الجنة والنار ( السادس ) قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جمادا لا يتحركون ولا يحسون بألم ، وهذا قول أبى الهذيل العلاف أحد أئمة المعتزلة طردا لامتناع حوادث لا نهاية لها ، والجنـــة والنار عنده سواء فى هذا الحكم ( السابع ) قول من يقول أن الله تعالى يفنيها لأنه ربها وخالقها لأنه تعالى على زعم أرباب هذا القول جعل لها أمدا تنتهى اليه ثم تفنى ويزول عذابها ، قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا عن طائفة من الصحابة والتابعين . ولشيخ الاسلام وتلميذه الامام المحقق ميل الى هذا القول ، وذكر على تأييده بضعا وعشرين وجها ثم قال وما ذكرناه فى هذه المسألة من صواب فمن الله وهو المان به وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه والله عند لسان كل قائل وقصده والله أعلم . انتهى . وقد ألف العلامة الشيخ مرعى الكرمى الحنبلى رسالة سماها توفيف الفريقين على خلود أهل الدارين .

تنبيه فى حقيقة المـــوت وانه سيذبح

(( تنبيـــــه )) (١)

ذهب جمع الى أن الموت عرض ومعنى والاعراض لا تنقلب أجساما ، بل زعم بعضهم أن الموت عدم محض وبه قال الزمخشرى ، وأجابوا عن قوله تعالى ( خلق الموت والحياة ) بأن الخلق فى هذه الآية التقدير ، فان قيل فعلى هذا كيف يأتى الموت فى صورة كبش فيذبح ؟ فالجواب نقل الحكيم الترمذى أن مذهب السلف فى هذا الحديث الوقوف عن الخوض فى معناه فنؤمن به ونكل علمه الى الله . وأجاب بعض أهـــل العـلم ان لعل هذا الكبش صورة ملك من الملائكة الذين يقبضون أرواح الخلائق

( ١ ) مخ «تنبيهات ٠ الاول»

والا فالموت فى نفسه عدم محض راجع الى سلب الحياة ، أو هو استعارة وكناية عن الخلود الدائم ، فضرب المثل بالموت ولا موت هنـاك حقيقة ، انتهى • وذهب جماعة الى أن الموت جسم لا عرض وانه مخلوق فى صورة كبش والحياة فى صورة فرس ، قال الامام أبو حسن الاشعرى : الموت أمر وجودى لقوله تعالى ( خلق الموت والحياة ) والعدم لا يخلق • كل هذا ملخص من كلام الشيخ مرعى رحمه الله تعالى • وقال النووى فى شرح مسلم يتأول الحديث على أن الله تعالى يخلق هذا الجسم ثم يذبح مثالا لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة • قلت وهذا غير مرضى ولا معول عليه والدليل على أن الموت جسم فى صورة كبش ما أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن قتادة فى قوله تعالى ( خلق الموت والحياة ) قال: الحياة فرس جبريل والموت كبش أملح • وقال مقاتل والكلبى : خلق الموت فى صورة كبش لا يمر على أحد الا مات وخلق الحياة فى صـورة فرس لا يمر على شىء الا حيى • وأخرج أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب العظمة عن وهب بن منبه قال : خلق الله الموت كبشا أملح مسترا بسواد وبياض له أربعة أجنحة جناح تحت العرش وجناح فى الثرى وجناح فى المغرب وجناح فى المشرق قال له كن فكان ثم قال له ابرز فبـرز لعزرائيل • قلت الذى نذهب اليه أن الموت أمر وجودى وانه جسم لا عرض وانه مخلوق فى صورة كبش أملح وأن الحياة فى صورة فرس كما صحت بذلك الاخبار عن النبى المختار ونقلها الأئمة ودونها الجهابذة الاخيار ، على أن كثيرا من العلماء أشار الى أن جميع المعانى المعقولة عندنا مصورة عند الله تعالى بصور الاجسام ومشخصة بهيئة الاشخاص وان كنا لا نحس ذلك لكوننا محجوبين عنه والاحاديث النبوية ناطقة بذلك شاهدة له فانه قدو ورد عدة أخبار أن الاعمال تعرض فى صورة أشخاص ، الاسلام والصلاة والصيام والمعروف والذكر ، فهذا كله يدل على ماذكرنا وبالله التوفيق

( فائدة ) (١) ذكر فى البدور السافرة أن عند اسماعيل بن زياد الشامى

---

( ١ ) مخ « الثانى »

فى تفسيره أن الذى يتولى ذبح الموت جبريل عليه السلام ، وقيل يحيى ابن زكريا عليهما السلام والله أعلم

تتمة فى مكان الجنة والنار

( تتمة (١) فى ذكر مكان الجنة والنار وأين هما على مقتضى الآثار )

أعلم أن الجنة فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن كما قال جل شأنه فى محكم القرآن ( ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى ) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة وسميت بذلك لانها ينتهى اليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها وما يصعد اليه فيقبض منها وقال تعالى ( وفى السماء رزقكم وما توعدون ) قال ابن أبى نجيح عن مجاهد هو الجنة – وتلقاه الناس عنه • وذكر ابن المنذر فى تفسيره عن مجاهد قال : هو الجنة والنار • وقد أخرج أبو نعيم عن عبدالله ابن سلام رضى الله عنه قال : قال أكرم خليقة الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أن الجنة فى السماء • وروى أبو نعيم أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الجنة فى السماء السابعة ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم فى الارض السابعة • وروى ابن منده عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه الجنة فى السماء الرابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء ، والنار فى الارض السابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء • وقال مجاهد قلت لابن عباس رضى الله عنهما أين الجنة ؟ قال : فوق سبع سموات • قلت فأين النار ؟ قال تحت سبعة أبحر مطبقة• رواه ابن منده • وثبت فى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال : « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض » وهذا يدل على أنها فى غاية العلو والارتفاع • وفى لفظ لهذا الحديث « ( ان فى ) الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض أعدها الله للجاهدين فى سبيله » وشيخ الاسلام ابن تيمية يرجح هذا اللفظ وهو لا ينفى أن تكون درج الجنة أكثر من ذلك كما فى قوله صلى الله عليه وسلم « ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » أى من جملة أسمائه هذا العدد فيكون الكلام جملة واحدة فى الموضعين •

---

( ١ ) مخ « الثالث »

ويدل على هذا أن منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله فى درجة فى الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد • وقال فى ( حادى الارواح ) والجنة مقبة أعلاهاأوسعها ووسطها وهو الفردوس وسقفه العرش كما قاله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » قال فى حادى الارواح قال شيخنا أبو الحجاج المزى الحافظ والصواب رواية من رواء فوقه بضم القاف على أنه اسم الظرف أى وسقفه عرش الرحمن • فان قيل فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فان الكرسى وسع السموات والارض والعرش أكبر منه ، فالجواب لما كان العرش أقرب الى الفردوس مما دونه من الجنان بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفا له دون ما تحته من الجنان لعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدنى الى أعلى بالتدريج شيئا فشيئا درجة فوق درجة كما يقال لقارىء القرآن اقرأ وارق فان منزلتك عند آخر آية تقرأها وهذا يحتمل شيئين أن تكون منزلته عند آخر حفظه وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه والله أعلم •

وأخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان جهنم محيطة بالدنيا وان الجنة وراءها فلهذا كان الصراط على جهنم طريقا الى الجنة » وأخرج جويبر فى تفسيره عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أين يجاء بجهنم يوم القيامة قال « يجاء بها من الارض السابعة لها سبعون ألف زمام معلق كل زمام سبعون ألف ملك تصيح : الى أهلى ، الى أهلى ، فاذا كانت من العباد على مسيرة مائة سنة زفرت زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثا على ركبتيه يقول : رب نفسى نفسى » وأخرج الامام احمد والبيهقى بسند رجاله ثقات (١) عن يعلى بن أمية رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « البحر هو جهنم » (٢) وأخرج الامام احمد أيضا فى الزهد عن سعيد بن أبى الحسين قال البحر طبق

---

(١) بل فيهم من لم يوثق توثيقا معتمدا • (٢) فى تاريخ البخارى ج١رقم ١٧٠ بسند احمد نفسه وفيه « البحر من جهنم »

جهنم • وأخرج أبو الشيخ فى العظمة والبيهقى من طريق سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : ما رأيت يهوديا أصدق من فلان زعم أن نار الله الكبرى هى البحر فاذا كان يوم القيامة جمع الله فيه الشمس والقمر والنجوم ثم بعث عليه الدبور فسعرته • وأخرج أبو الشيخ عن كعب فى قوله تعالى ( والبحر المسجور ) قال البحر يسجر فيصير جهنم • وأخرج البيهقى فى شعب الايمان عن وهب أنه قال اذا قامت القيامة أمر بالغلق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فتخرج منه فاذا وصلت الى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرفة العين وهو حاجز بين جهنم والارضين السبع فاذا نشف اشتعلت فى الارضين السبع فتدعها جمرة واحدة •

وقيل أن النار فى السماء كالجنة لما روى الامام احمد من حديث حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق فلم نزايل طرفة عين أنا وجبريل حتى أتيت بيت المقدس وفتحت لنا أبواب السماء ورأيت الجنة والنار » وأخرج أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأيت ليلة أسرى بى الجنة والنار فى السماء » فقرأت هذه الآية : ( وفى السماء رزقكم وما توعدون ) فكأنى لم أقرأها • وليس فى هذا ونحوه حجة على أن النار فى السماء لجواز أن يراها فى الارض وهو فى السماء وهذا الميت يرى وهو فى قبره الجنة والنار وليست الجنة فى الارض ، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآهما وهو فى صلاة الكسوف وهو فى الارض • قال الحافظ ابن رجب وحديث حذيفة أن ثبت وفيه أنه رأى الجنة والنار فى السماء فالسماء ظرف للرؤية لا للمرئى • وفى حديث ضعيف جدا أنه صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار فوق السموات ، فلو صح حمل ما ذكرنا • والحاصل ان الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش وان النار فى الارض السابعة على الصحيح المعتمد وبالله التوفيق

ولما أنهى الكلام على الجنة والنار وصحح وجودهما الآن وبقاءهما أبدا بلا نهاية ولا حساب وبرهن على ذلك وعلى مكانهما أعقب ذلك بقوله :

(( فنسأل الله النعيم والنظـــر لربنا من غير ما شين غـــبر ))

(( فنسأل الله )) العظيم رب العرش العظيم (( النعيم )) المقيم فى جنات النعيم بأنواع ملاذها ونعيمها مع كواعبها وحورها فى خيامها وقصورهـــا وعرصاتها ودورها وبما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (( و )) نسأل الله العظيم الحليم الجواد الكريم (( النظر لـ )) وجه (( ربنا )) وخالقنا وهادينا الكريم مع أهل الطاعة والاستقامة والفوز والنجاة يوم القيامة (( من غير ما )) زائدة لمزيد النفى أى من غير (( شين)) أى عذاب ومناقشة حساب وتوبيخ وعتاب والشين ضد الزين فان من حصل له شيء مما ذكر يذهب زينه ويخلفه شينه والمشاين المعايب (( غبر )) بفتح الغين المعجمة والباء الموحدة أى ذهب والمراد سبق يعنى من غير سابق عذاب ومناقشة حساب يقال غبر غبورا مكث وذهب ، ضد ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يحدر فيما غبر من السورة أى يسرع فى قراءتها • قال فى النهاية قال الازهرى يحتمل الغابر ههنا الوجهين يعنى الماضى والباقى فانه من الاضداد ، قال وقال غير واحد من الأئمة أنه يكون بمعنى الماضى • والحاصل أنه سأل الله تعالى أن يمن عليه بالنعيم والتنعيم بالنظر الى وجهه الكريم من غير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب وقد تقدم بعض ما تضمنه من ذكر النعيم المقيم ، وأما النظر الى مولانا الكريم فهو من أصول أهل الحق خلافا لأهل الضلال والحمق ومن ثم قال :

**رؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة**

(( فانه ينظر بالابصـــــار **كما أتى فى النص والاخبار** ))

(( فانه )) سبحانه وتعالى (( ينظر بالابصار )) فى دار المقامة والقرار باتفاق أئمة الدين الابرار وسلف الأئمة الاخيار (( كما أتى )) أى جاء (( فى النص )) القرآنى والتنزيل الرحمانى ، أصل النص أقصى الشيء وغايته ، وفى حديث كعب : يقول الجبار احذرونى فانى لا أناص عبدا الا عذبته أى لا أستقصى عليه فى السؤال والحساب • وروى الخطابى عن عون بن عبد الله مثله ومنه قول الفقهاء نص القرآن ونص السنة ، أى مادل ظاهر لفظهما عليه من الاحكام ، وفى كلام عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهرى أى أرفع له وأسـند (( و )) كما أتى فى

(( الاخبار )) النبوية والآثار السلفية وأجمع عليه أهل الحق وسلف الامة وأهل الصدق وأعلام الائمة ورؤية الله رب العالمين أعظم وأجل وأشرف وأنعم نعيم الجنة قدرا وأعلاه وأغلاه خطرا وأمرا وهى الغاية القصوى والنهاية العظمى التى شمر اليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الانبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة السلف والذين على ثبوتها فى دار القرار من غير شك ولا انكار وانما أنكرها أهل البدع والضلال والتجهم والاعتزال قال الله تعالى فى محكم الذكر ( وجوه يومئذ ناضرة * الى ربها ناظرة ) وقال ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) وقال فى حق أهل الكفر والفجور ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) وقال تعالى ( ولدينا مزيد ) وأخرج مسلم والترمذى وابن ماجه عن صهيب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ، قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم » ثم تلا هذه الآية ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) يعنى أنه يرفع الموانع عن الادراك عن أبصارهم حتى يروه على ماهو عليه من نعوت العظمة والجلال ، فذكر الحجاب انما هو فى حق الخلق لا الخالق ، كذا قال القرطبى فى تذكرته • وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادى بصوت يسمعه أولهم وآخرهم يا أهل الجنة ان الله وعدكم الحسنى وزيادة ، الحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الرحمن » وأخرج ابن جرير وابن مردويه أيضا واللالكائى فى السنة عن كعب بن عجرة مرفوعا مثله • وأخرجوا أيضا وابن أبى حاتم مثله عنه مرفوعا ، وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا « الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله » وابن مردويه أيضا وأبو الشيخ واللالكائى عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « الحسنى والزيادة كالذى قبله سواء » ومن حديث أبى هريرة كذلك رواه أبو الشيخ ، وعن الصديق رضى الله عنه موقوفا مثله رواه ابن

جرير وابن مردوية وابن المنذر وأبو الشيخ واللالكائى والآجرى وابن مردويه ، وعن علي رضى الله عنه رواه ابن مردوية ، وعن حذيفة رضى الله عنه رواه بن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ واللالكائى والآجرى ، وكذا عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ، ومثله عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من الصحابة رضى الله عنهم ، ومثله عن سعيد بن المسيب والحسن البصرى وعبد الرحمن بن أبى ليلى وعامر بن سـعيد البجلى وأبى اسحق السبيعى وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقتادة وغيرهم من التابعين • قال الامام الحافظ البيهقى فى كتاب الرؤية هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين ومثله لا يقال الا بتوقيف وفسروا قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) قال ابن عباس رضى الله عنهما حسنة الى ربها ناظرة — قال نظرت الى الخالق • وقال لعكرمة ناضرة من النعم ، الى ربها ناظرة — قال تنظر الى الله نظرا وقال الحسن النضرة الحسن ، الى ربها ناظرة — نظرت الى ربها فنضرت بنوره ، وقال محمد بن كعب القرظى : نضر الله تلك الوجوه وحسنها للنظر اليه ، ومثله عن مجاهد ، وأخرج ابن أبى حاتم واللالكائى عن الحسن فى قوله ( كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) قال اذا كان يوم القيامة برز ربنا تبارك وتعالى فيراه الخلق ويحجب الكفار فلا يرونه وروى اللالكائى عن أشهب قال سأل رجل مالكا هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة ؟ فقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعاقب الكفار بالحجاب فقال ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) قيل فان قوما يزعمون أن الله لا يرى ، فقال مالك : السيف السيف • وأخرج اللالكائى عن المزنى قال سمعت الشافعى يقول فى قوله تعالى ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة ونقل ذلك عن الامام الشافعى رضى الله عنه من عدة وجوه • وقال الطبرانى قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ) هو النظر الى رحمة الله عز وجل • وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره كما فى حادى الارواح فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبى صلى الله

عليه وسلم وأصحابه والتابعين بلغت مبلغ التواتر عند أئمة الحديث .

وأما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الواردة في الرؤيـــة فأخرج اللالكائي في السنة من طريق مفضل بن غسان قال سمعت يحيى ابن معين يقول : عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح . وقد ورد ذلك من حديث الصديق وأنس وجابر وجرير البجلي وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وصهيب وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمر وابن مسعود ولقيط بن عامر وأبي رزين وعلي بن ابي طالب وعدي بن حاتم وعمار بن ياسر وفضالة بن عبيد وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الاشعري وبريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنهم أجمعين ، ففي البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا يا رسول الله نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر » قالوا لا يا رسول الله قال « تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب » قالوا لا قال « فانـــكم ترونه كذلك » الحديث . وفي الصحيحين وغيرهما عن جرير البجلي قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة أربعة عشر فقال « انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته فـان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا » ثم قرأ ( فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ) وقد عدد في حادي الأرواح رواة من روى رؤية الباري عزوجل فزادوا عن الحد. قال العلماء كان التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي لا المرئي والمعنى ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك وتنتفي معها الريبة كرؤيتكم القمر لا ترتابون ولا تمترون ، وفي لفظ لا تضامون وروى بتخفيف الميم وضم أوله من الضيم أي لا يلحقكم في رؤيته ضيم ولا مشقة ، وبتشديدها والفتح عـــلى حذف احدى التائين والاصل لا تتضامون اى لا يضام بعضكم بعضا كما يفعل الناس في طلب الشيء الخفي الذي لا يسهل ادراكه فيتزاحمون عند ذلك ينظرون الى جهة يضام بعضهم بعضا ، يريد أنكم ترونه وكل واحد في مكانه . وفي الصحيحين وغيرهما ايضا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا

فى زمن النبى صلى الله عليه وسلمقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم فهل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ وهل تضاون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟ قالوا لا يا رسول الله، قال ما تضارون فىرؤية اللّهتباركوتعالىيومالقيامة الا كما تضارون فىرؤية أحدهما » الحديث تبارك وتعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية احدهما » الحديث واخرج الترمذى عن سعيد بن المسيب انه لقى ابا هريرة فقال ابو هريرة اسأل الله أن يجمعبينى وبينك فى سوق الجنة ، قال سعيد أفيها سوق ؟قال نعم اخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابرمن ذهب ومنابر من فضة ويجلس ادناهم - وما فيهم من دنى - على كثبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا » قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا ؟ قال « نعم ، هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا لا ، قال كذلك لا تمارون فى رؤية ربكم ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجال منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا ، فيقول يا رب أفلم تغفر لى ؟فيقول: بلى، بسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه » الحديث • والاحاديث فى ذلك كثيرة جدا فى الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها ، وقد قيل لابن عباس رضى الله عنهما من دخل الجنة يرى الله عز وجل؟ قال نعم • وقال معاذ بن جبل رضىاللهعنهيحشر الناس يوم القيامة فى صعيد واحد فينادى اين المتقون ؟ فيقومون فى كنف الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر ، فقيل له من المتقون ؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان واخلصوا لله العبادة فيمرون الى الجنة • ولهذه الجنة اشار بقوله :

(( لانه سبحانه لم يحجب     الا عن الكافر والمكذب ))

((لانه)) أى الرب ((سبحانه)) وتعالى ((لم يحجب))بضم التحتية وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم مبنيا لما لم يسم فاعله اى لم يمتنع سبحانه من أن يمكن عباده من رؤيته فى دار القرار (( الا عن الكافر )) بالله تعالى وبكل مكفر اتصف به فكل من حكم الشرع بكفره فهو محجوب عن رؤية ربه قال على بن المدينى سألت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى ، فقال ما حجب الله عزوجل احدا عنه الا عذبه ، ثم قرأ ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون* ثم انهم لصالو الجحيم* ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون ) قال بالرؤية • فقلت له يا أبا عبدالله ان عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الاحاديث ان الله ينزل الى سماء الدنيا ، وأهل الجنة يرون ربهم ، فحدثنى بنحو عشرة أحاديث فى هذا ، وقال : اما نحن فقد اخذنا ديننا هذا عن التابعين ، والتابعون اخذوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم عمن أخذوه ؟• وقال قبيصة بن عقبة : أتينا أبا نعيم يوما فنزل الينا من الدرجة التى فى داره فجلس وسطها كأنه مغضب وقال حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثورى وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح وحدثنا شريك بن عبد الله النخعى وهؤلاء ابناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يرى فى الآخرة حتى ان يهوديا صباغا يزعم ان الله لا يرى - يعنى بشر المريسى • وقال عبدالعزيز بن ابى سلمة الماجشون لم يزل يملى لهم - يعنى المبتدعة من الجهمية او اضرابهم - الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) فقالوا لا يراه احد يوم القيامة فجحدوا والله افضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الى وجهه الكريم ونضرته اياهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فورب السماء والارض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابا لينضر بها وجوههم دون المجرمين ويفلج بها حجتهم على الجاحدين ، وهم عن ربهم يومئذ محجوبون لا يرونه كما زعموا انه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم• ولذا قلنا ((و)) يحجب ايضا عن (( المكذب )) برؤيته وتكليمه لعباده المتقين وكما اشار اليه الامام عبد الله بن المبارك فى قوله تعالى ( كلا انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون* ثم انهم لصالوا الجحيم * ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون ) قال بالرؤية كما ذكره ابن ابى الدنيا . وقال سيدنا الامام احمد رضى الله عنه من لم يقل بالرؤية فهو جهمى . وقال وقد بلغه عن رجل ان الله لا يرى فى الآخرة فغضب غضبا شديدا وقال : من قال ان الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر - او فقد كفر - عليه لعنة الله وغضبه كائنا من كان من الناس ، أليس يقول الله عز وجل ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) وقال ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) وقال ابو داود سمعت الامام احمد يقول من قال ان الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر. وقال ابو بكر المروذى قيل لابى عبد الله رضى الله عنه عن يزيد بن هرون عن ابى العطوف عن ابى الزبير عن جابر رضى الله عنه ان استقر الجبل فسوف ترانى وان لم يستقر فلا ترانى فى الدنيا ولا فى الآخرة ؟ فغضب ابو عبد الله غضبا شديدا حتى تبين فى وجهه وكان قاعدا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال اخزى الله هذا ، لا ينبغى أن يكتب عن هذا ، ودفع عن يزيد ابن هارون (أن يكون) رواه او حدث به ، وقال : هذا جهمى كافر مخالف لما قال الله عزوجل ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) وقال ( كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ) يخزى الله هذا المحدث . وقال الامام أحمد أيضا من كذب بالرؤية فهو زنديق ، قال رضى الله عنه نؤمن بها اى الرؤية وأحاديثها ونعلم انها حق فنؤمن بأن الله يرى نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب . وقال من زعم ان الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره ، يستتاب فان تاب والا قتل . وقال فى رواية حنبل وسأله عن أحاديث الرؤية فقال : هذه احاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها وكل ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم باسناد جيد أقررنا به . وقال ابو عبد الله اذا لم نقر بما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى ( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )

( فوائد )

**فوائد الاولى تراه سبحانه الابصار فى الآخرة ولا تدركه**

( الاولى ) (١) قال العلامة ابن حمدان فى كتابه نهاية المبتدئين كسائر علماء السنة : ونجزم بأن المؤمنين يرون ربهم تعالى يوم القيامة بالابصار ويكلمهم على ما يليق به فيهما ولا يراه الكفار ولا يكلمهم ، قال ومن انكر الرؤية كفر نص عليه الامام أحمد انتهى • وفى حادى الارواح : الرب سبحانه وتعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به ، وهذا هو الذى فهمه الصحابة والائمة رضى الله عنهم من قوله تعالى ( لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ) قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار • وقال قتادة هو اعظم من أن تدركه الابصار • وقال ابن عطية ينظرون الى الله ولا تحيط ابصارهم به من عظمته ، وبصره تعالى يحيط بهم فذلك قوله تعالى ( لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ) فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانا ولا تدركه ابصارهم بمعنى انها لا تحيط به اذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأن شيئا يحيط به وهو بكل شىء محيط ، وهكذا يسمع كلامه من شاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه فقوله تعالى ( لا تدركه الابصار ) من ادل شىء على انه يرى ولا يدرك فهو لعظمته يتعالى عن أن تدركه الابصار ولا تحيط به ، وللطفه وخبرته يدرك الابصار فلا يخفى عليه شىء فهو العظيم فى لطفه اللطيف فى عظمته العالى فى قربه القريب فى علوه الذى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير - لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ) • انتهى ملخصا

**الثانية - يراه الملائكة والنساء**

( الثانية ) (٢) ذهب جماعة من العلماء منهم الحافظ عماد الدين بن كثير (٣) الى ان النساء لا يرين الله تبارك وتعالى فى الآخرة ، وذهب جماعة ايضا منهم العز بن عبد السلام وتبعه صاحب آكام المرجان وابن جماعة الى ان الملائكة لا يرون الله أيضا تبارك وتعالى فى الجنة ، وهذا خلاف التحقيق فان النص الصريح والخبر الصحيح يرد هذا ويبعده ويبطله ويدحضه ويطرده فعند الدار قطنى مرفوعا « اذا كان يوم القيامة

---

( ١ ) مخ « تنبيهات ، الاول » ( ٢ ) مخ « الثانى »
( ٣ ) يأتى عنه خلاف هذا

رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهدا بالنظر اليه فى كل جمعة قال ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم الاضحى » أى فى مثل يوم الفطر ويوم الاضحى وعموم الاحاديث شاملة للنساء من غير توقف • واخرج الآجرى عن عكرمة قال قيل لابن عباس رضى الله عنهما كل من يدخل الجنة يرى الله تعالى ؟ قال نعم • وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ( رب أرنى أنظر اليك ) قال ياموسى انه لن يرانى أحد الا مات ولايابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق وانما يرانى أهل الجنة الذين لاتموت أعينهم ولاتبلى أجسادهم » وبظاهر حديث الدار قطنى أخذ ابن كثير ( ١ ) فاختار أن النساء يرين ربهن فى الاعياد دون الجمع وبه جرم الحافظ السيوطى لكنه يحتاج الى دليل خاص أقوى من حديث الدار قطنى واستثنى الحافظ السيوطى زوجات الانبياء عليهم السلام وبناتهم فيرينه تعالى فى غير الاعياد كما أن ابا بكر وعمر يريانه تعالى أزيد من غيرهما من غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام • قلت ومريم ابنة عمران وامرأة فرعون ينبغى أن تكون من المستثنيات ، وكذا نحوهما كأم موسى وأخته والله أعلم • وفى آخر البدور السافرة للحافظ السيوطى : وقع فى كلام بعض الائمة ان رؤية الله تعالى خاصة بمؤمنى البشر وان الملائكة لايرونه واحتج له بقوله تعالى ( لاتدركه الابصار ) فانه عام خص منه بالآية والاحاديث فى المؤمنين فيبقى على عمومه فى الملائكة • قل السيوطى وقد نص البيهقى على خلافه فقال فى كتاب الرؤية ذكر ماجاء فى رؤية الملائكة ربهم - فأخرج عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا وان منهم لملائكة قياما صافين من يوم خلقهم الى ياوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم الى يوم القيامة فاذا كان سبحانك ماعبدناك حق عبادتك • ثم أخرج من وجه آخر عن عدى بن ارطاة عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله

( ١ ) راجع ما مر عنه

عليه وسلم قال « ان لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافة ما عندهم ، ملك ماتقطر دمعة من عينه الا وقعت ملكا يسبح وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فينظرون اليه قالوا سبحانك ماعبدناك كما ينبغي لك » انتهى • والحق الذى لا مرية فيه انهم يرونه تعالى بل ومؤمنو الجن يرونه اما فى الموقف فجزمامع سائر المؤمنين وأما فى الجنة ففى بعض الاوقات على مايظهر بل الظاهر انهم يرونه الا انهم دون مؤمنى الانس فى الرؤية فى كل جمعة

والحاصل أن رؤية الرب جل جلاله فى الموقف حاصلة حتى لمنافقى هذه الامة على الاصح واما الرؤية فى الجنة فاجمع أهل السنة انها حاصلة للانبياء والرسل والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة واختلف فى غيرهم ، وقد جزم الحافظ ابن رجب فى اللطائف بأن كل يوم عيد للمسلمين فى الدنيا فأنه عيد لهم فى الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا هو أحب اليهم من ذلك وهو الزيادة التى قال الله تعالى فيها ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) ويوم الجمعة فى الجنة يدعى يوم المزيد ( ١ )

---

( ٤ ) قال الفاسى فى شرح دلائل الخيرات ويوم المزيد هو اسم يوم الجمعة فى الجنة وفيه تقع الرؤيا حسبما فى الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم الا انه يؤذن بثبوت الايام فى الجنة وهى لا ليل فيها اذ لا ظلام فيها فلعلهم تخلق لهم تفرقة أخرى بين الايام بغير الظلام والله أعلم ولعلها بنور يزداد عند تمام اليوم ثم أما ان يقع للتفرقة وينقطع ثم يأتى اليوم بعده على النور المعتاد واما ان يبقى الى تمام اليوم فيكون هو مبدأ اليوم ثم يأتى اليوم الذى بعده أنور منه وهكذا كل يوم أنور من الذى قبله فيكون نور الجنة فى الترقى على الدوام وذلك الترقى هو الايام ومبدء كل ترق هو مبدأ كل يوم وهذا هو المناسب لحال الجنة كما انهم فى جمال صورهم وحسن ثيابهم فى الترقى على الدوام حسبما فى الحديث والله أعلم ثم وجدت فى البدور السافرة مما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما وابن المبارك عن الضحاك فى قوله تعالى

==

ويوم الفطر والاضحى يجتمع أهل الجنة فيها • قال الحافظ ابن رجب فى اللطائف روى انه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة ، قال فهذا لعموم أهل الجنة ، فاما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون فيه ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا لان الخواص كانت ايام الدنيا كلها لهم اعيادا فصارت أيامهم فى الآخرة كلها اعيادا ، قال الحسن رحمه الله تعالى : كل يوم لايعصى الله فيه فهو عيد فاليوم الذى يقطعه المؤمن فى طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد • انتهى ملخصا • وفى التذكرة للقرطبى ان الناس يرون ربهم فى الموقف ثم يحجبون الى أن لايبقى فى النار ممن يدخل الجنة أحد فيؤذن لهم فيرونه فى الجنة ثم لا يحجبون بعد ذلك أصلا ولا فى حال تمتعاتهم ، وقد قيل ان الكفار كالمنافقين يرونه تعالى ثم يحجبون عنه فتكون الحجبة حسرة عليهم ، وخص النووى الخلاف بالمنافق واما الكافر غير المنافق فلا يراه تعالى اتفاقا كما لايراه غير العقلاء من سائر الحيوانات والله تعالى أعلم

**الثالثة هل رأى محمد ربه ليلة الاسراء ؟**

( الثالثة ) ( ١ ) اختلف العلماء فى رؤية خاتم الانبياء لربه اله الارض والسماء فى ليلة المعراج التى هى فى حقه صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر واسمى فأثبتها حبر الامة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ورجحه النووى وقال : والحاصل ان الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه ليلة الاسراء الحديث ابن عباس رضى الله عنهما وهذا قول أنس وعكرمة والحسن والربيع بن

---

( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ( انهم يؤتون رزقهم فى الآخرة على مقدار ما يؤتون به فى الدنيا من الليل والنهار وأخرج ابن المنذر عن بعض السلف سماه أنه سئل عن الآية فقال ليس فى الجنة ليل هم فى نور أبدا لهم مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخاء الحجب وأخرج الحكيم الترمذى فى النوادر عن الحسن وأبى قلابة قالا قال رجل يا رسول الله هل فى الجنة من ليل فان الله يقول فى كتابه ( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) قال ليس هناك هو ضوء ونور برد الغدو على الرواح والرواح على الغدو ويأتيهم طرف الهدايا لمواقيت الصلاة التى كانوا يصلون فيها وتسلم عليهم الملائكة انتهى بحروفه — من هامش الاصل

( ١ ) مخ « الثالث »

سليمان وجماعة من المفسرين قال القرطبى قد ثبت ذلك يعنى رؤية البارى جل شأنه سمعا بقوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) واذا جازت فى الآخرة جازت فى الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة الى الموتى . كذا قال وقال القاضى عياض رؤية الله تعالى جائزة عقلا وتثبت الاخبار الصحيحة المشهورة وقوعها للمؤمنين فى الآخرة ، واما فى الدنيا فقال مالك انما لم ير سبحانه فى الدنيا لانه باق والباقى لايرى بالفانى فاذا كان فى الا خرة رزقوا أبصارا باقية فرأوا الباقى بالباقى . قال القاضى عياض وليس فى الكلام استحالة الرؤية الا من حيث القدرة فاذا اقدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع ، وقد وقع فى صحيح مسلم مايؤيد هذه التفرقة فى حديث مرفوع فيه ( واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ) واخرجه ابن خزيمة من حديث ابى امامة ومن حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنهما فان جازت الرؤية فى الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من أثبتها للنبى صلى الله عليه وسلم له أن يقول أن المتكلم لايدخل فى عموم كلامه . كذا فى الفتح ، قال وقد اختلف السلف فى رؤية النبى صلى عليه وسلم ربه فذهب جماعة الى اثباتها ، وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه ، وجزم ابن خزيمة عن عروة بن الزبير باثباتها ، وكان يشتد عليه اذا ذكر له انكار عائشة ، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس رضى الله عنهما ، وجزم به كعب الاحبار والزهرى وصاحبه معمر وآخرون ، وهو قول الأشعرى وغالب أتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه وعن الامام أحمد رضى الله عنه كالقولين ، قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى جاءت عن ابن عباس رضى الله عنهما أخبار مطلقة وأخرى مقيدة قال فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما أخرجه النسائى بسند صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد . وأخرجه ابن خزيمة بلفظ : ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة - الحديث . وأخرج ابن اسحاق من طريق عبدالله بن أبى سلمة ان ابن

عمر أرسل الى ابن عباس رضى الله عنهم : هل رأى محمد ربه ؟ فأرسل اليه ان نعم • ومنها ما اخرجه مسلم من طرق ابى العالية عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( ما كذب الفواد ما رأى - ولقد رآه نزلة أخرى )قال رأى ربه بفؤادهمرتين • وله من طريق عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : رآه بقلبه • وأصرح من ذلك ما اخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس ايضا قال : لم يره رسول صلى الله عليه وسلمبعينه انما رآه بقلبه • وروى ابن خزيمة باسناد قوى عن أنس رضى الله عنه قال : رأى محمد ربه • وعند مسلم من حديث ابى ذر انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال « نور أنى أراه » وللامام أحمد عنه رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم « رأيت نورا » ولابن خزيمة عنه قال : رآه بقلبه ولم يره بعينه ، وبهذا يتبين مراد ابى ذر رضى الله عنه بذكر النور اى النور حال ( بينه و ) بين رؤيته له ببصره •

والحاصل ان فى هذه المسألة ثلاثة أقوال احدها ثبوت رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ، وهو قول ابن عباس واتباعه وهو ظاهر ما ذهب اليه الامام أحمد رضى الله عنه فقد روى الخلال فى كتاب السنة عن ابى بكر المروذى قال قلت لاحمد انهم يقولون أن عائشة قالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأى شىء يدفع قولها ؟ قال بقول النبى صلى الله عليه وسلم « رأيت ربى » قول النبى صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها • وجنح ابن خزيمة فى كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب فى الاستدلال له بما يطول ذكره وحمل ماورد عن ابن عباس رضى الله عنهما من قوله انه انما رآه بقلبه على ان الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه •

( الثانى ) منع ذلك فى الدنيا وهو قول عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما قالت رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه بعين رأسه فقد أعظم الفرية على الله• وروى الترمذى عن الشعبى قال لقى ابن عباس رضى الله عنهما كعبا يعرفة فسأله عن شىء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم - وزاد عبدالرزاق نقول ان محمدا رأى ربه

مرتين. فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه زاد عبد الرزاق بين موسى ومحمد فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين . قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه ؟ قالت لقد قف شعرى - اى قام من الفزع لما حصل - عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه تعالى واستحالة وقوع ذلك ثم قالت له - اين أنت من ثلاث آيات ؟ من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب - وفى لفظ - من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، ثم قرأت ( لا تدركه الابصار - وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ) ولكن رأى جبريل فى صورته مرتين . وفى صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى ان مسروقا قال قلت لعائشة يا أمتاه - أصله يا أم والهاء للسكت فأضيف اليها ألف الاستغاثة فأبدلت تاء وزيدت هاء السكت بعد الالف - هل رأى محمد ربه ؟ فقالت لقد قف شعرى مما قلت ، أين انت من ثلاث ؟ من حدثكهن فقد كذب ، من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت الآيتين ، ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت ( وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ) ومن حدثك انه كتم شيئا من كتاب الله فقد كذب ثم قرأت ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ) الآية ، ولكنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين . ووافق عائشة رضى الله عنها على ما ذهبت اليه من أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينى رأسه جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وابو هريرة وغيرهم رضى الله عنهم، وبه قال جمع العلماء بل نقل الدرامى الحافظ اجماع الصحابة على ذلك ، واعترض الامام النووى وغيره على من ذهب الى مذهب عائشة بأنها رضى الله عنها لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرت من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا ، والمراد بنفى الادراك فى الآية الكريمة نفى الاحاطة وذلك لا ينافى الرؤية . انتهى . كما قدمنا ذلك موضحا ، وجزمه بأن عائشة رضى الله عنها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة فانه قال فى كتاب التوحيد من صحيحه

النفى لا يوجب علما قال ولم تحك عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم أخبرها أنه لم ير ربه وانما تأولت الآية • انتهى • وهذا عجيب منها ففى الصحيحين والترمذى وغيرهما أن مسروقا قال كنت متكئا عند عائشة رضى الله عنها فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بهن فقد اعظم على الله الفرية • قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظرينى ولا تعجلينى الم يقل الله ( ولقد رآه بالافق المبين ـ ولقد رآه نزلة أخرى ) فقالت انا اول هذه الامةسأل عن ذلكرسول الله صلىالله عليه وسلمفقال« انماهوجبريل لمأره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء الى الارض • ثم قالت او لم تسمع ان الله تعالى يقول ( لاتدركه الابصار ) وقرأت الآيتين•واخرجه ابن مردويه من طريق أخرى باسناد مسلم فقالت أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليهوسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : لا انما رأيت جبريل منهبطا • نعم خالف ابن عباس عائشة رضى الله عنهم باحتجاجها بالآية الكريمة فأخرج الترمذى من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول ( لا تدركه الابصار ) قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين• وقال شيخ الاسلامابن تيمية قدس الله روحه ما نقل عن الامام احمد رضى الله عنه من اثبات رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه انما يعنى رؤية المنام فانه سئل عن ذلك قال نعم رآه فان رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعين رأسه • وقال شيخ الاسلام ايضا ابن عباس رضى الله عنهما لم يقل أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه يقظة ومنحكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه موجودة ليس فيها شىء من ذلك • قال ولفظ الامام أحمد كلفظ ابن عباس • قال وأهل السنة متفقون على ان الله تعالى لا يراه احد بعينهفى الدنيا لا نبى ولا غير نبى ولم يقع النزاع الا فى نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة مع أن الاحاديث المعروفة ليس فى شىء منها انه رآه وانما روى ذلك باسناد موضوع باتفاق اهل الحديث • انتهى •

واذا علم ما حررناه فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفى عائشة

رضى الله عنهم بأن يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب كماقاله الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى . ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه ان الرؤية التى حصلت له خلقت فى قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شىء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها فى العين وقد مر عن ابى ذر رضى الله عنه انه سأله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال « نور أنى أراه » ورواه الترمذى أيضا بهذا اللفظ ورواه الامام أحمد عنه قال « رأيت نورا » ولابن خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه . قال الحافظ ابن حجر وبهذا تبين مراد أبى ذر بذكر النور أى أن النور حال ( بينه و ) بين رؤيته له ببصره . وقال الامام المحقق ابن القيم فى عدة مواضع من كتبه كاعلام الموقعين والجيوش وغيرهما سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول معناه كان ثم نور وحال دون رؤيته نور فأنى اراه ، ويدل عليه ان فى بعض ألفاظ الصحيح هل رأيت ربك فقال رأيت نورا . قال المحقق ابن القيم وقد اعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال نورانى أراه على انها ياء النسبة والكلمة واحدة وهذا خطأ لفظا ومعنى وانما أوجب لهم هذا الفهم انهم لما اعتقدوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه وكان قوله «انى أراه» كالانكار للرؤية حاروا فى الحديث وبعضهم رده باضطراب لفظه وكل هذا عدول عن موجب الدليل . قال المحقق ابن القيم ويدل على ما قال شيخنا قوله صلى الله عليه وسلم حجابه النور ، فهذا النور والله أعلم هو النور المذكور فى حديث ابى ذر . انتهى . وذكر ابن الاثير فى حل ألفاظ جامع الاصول ان الامام احمد رضى الله عنه سئل عن حديث ابى ذر هذا فقال ما زلت منكرا لهذا الحديث وما أدرى ما وجهه . وقال ابن خزيمة : فى القلب من صحة هذا الخبر شىء . وقال بعض العلماء فى هذا الحديث قد أجمعنا على انه تعالى ليس بنور وخطأنا المجوس فى قولهم هو نور والانوار أجسام والبارى سبحانه وتعالى ليس بجسم والمراد بهذا الحديث أن حجابه سبحانه النور وكذلك روى فى حديث

أبى موسى رضى الله عنه فالمعنى كيف أراه وحجابه النور والله أعلم .

( الثالث ) الوقف عن القطع بالنفى أو الاثبات فى هذه المسئلة وقد رجح هذا جماعة منهم القرطبى فى المفهم فى شرح صحيح مسلم فانه قال الوقف فى هذه المسئلة ارجح وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس فى الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هى من المعتقدات فلا يكتفى فيها بالدليل القطعى . ومن استنار قلبه لاقتفاء الآثار وخلع ربقة التقليد التى هى مثار التغبير فى وجوه الاخبار علم ان السلامة فى التسليم وفوق كل ذى علم عليم وبالله التوفيق .

---

الباب الخامس فى النبوة

## (( الباب الخامس ))

( فى ذكر النبوة وذكر محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض الانبياء وفضله وفضل أصحابه وأمته صلى الله عليه وسائر الانبياء والمرسلين وسلم وعظم وكرم )

اعلم أن حاجة الخلق الى ارسال الرسل وبعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ضرورية ، لا ينتظم لهم حال ولا يصلح لهم دين ولا بال ، الا بذلك، فهم أشد احتياجا الى ذلك من ارسال المطر والهواء بل ومن النفس الذى لا بد لهم منه كما فى مفتاح دار السعادة للمحقق ابن القيم رحمه الله تعالى ، واحالت السمنية ارسال الرسل لتوقفه على علم المرسل بمن أرسله ولا طريق اليه الا الخبر وأعلى أنواعه المتواتر وهو لا يفيد عندهم علما فلعل القائل له أرسلناك الى قوم كذا شيطان مثلا . وزعمت البراهمة وهم طائفة من المجوس أن ارسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم لاغناء العقل عن الرسل لان ما جاء به الرسل ان كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله وان لم يأت به ، وان كان مخالفا له قبيحا فان احتاج اليه فعله والا تركه . وقالت المعتزلة بوجوب ذلك على الله تعالى بالنظر الى ذاته . والحق انه جائز عقلا فى حقه تعالى واجب سمعا وشرعا والى ذلك اشار بقوله :

(( ومن عظيم منـة السـلام ولطفــه بسائـر الانـام ))
( ان أرشد الخلق الى الوصول مبينـاً للحـق بالرسول )

(( ومن عظيم منة)) الرب (( السلام )) المنة مأخوذة من المن وهو الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه ومن اسماء الله المنان وهو المنعم المعطى من المن وهو العطاء وقد يقع المنان على الذى لا يعطى شيئا الا منه واعتد به على من أعطاه وهو مذموم لان المنة تفسد الصنيعة اذا كانت من غير البارى جل وعلا ، والسلام من أسمائه تعالى ومعناه ذو السلامة من كل عيب ونقيصة فيكون من أسماء التنزيه ، وقيل معناه مالك تسليم العباد من المهالك فيرجع الى معنى القادر ، وقيل ذو السلام على المؤمنين فى الجنان فيرجع الى الكلام القديم الازلى(١) قال تعالى ( سلام قولا من رب رحيم ) والفرق بين القدوس والسلام ان القدوس فيه اشارة الى انه برىء من جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر ، والسلام فيه اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من ذلك فى المستقبل (( و )) من عظيم (( لطفه )) تعالى اى رفقه (( بسائر )) اى جميع (( الانام )) كسحاب والآنام بالمد والانيم كأمير الخلق او الانس والجن وجميع ما على وجه الارض أى من رفقه تعـــالى بهم فى الفعل والعلم بدقائق المصالح وايصالها الى من قدرها له من خلقه ، يقال لطف به وله بالفتح يلطف لطفا اذا رفق به ، وأما لطف بالضم يلطف فمعناه صغر ودق ، ومن أسماء الله تعالى اللطيف وهو الذى اجتمع له الرفـــق فى الفعل والعلم . وانما عدل عن قوله منة المنان ولطفه بسائر الانسان لعدم شمول نحو الجن فبسبب عموم الانام على الانسان عدل اليه لان الانسان كالانس البشر والمنة بارسال الرسل شاملة للثقلين بل لكل الخلق والله أعلم .

(( ان )) بفتح الهمزة وسكون النون حرف مصدرى تسبك مع ما بعدها بمصدر (( أرشد )) أى هدى ودل ودعا سبحانه وتعالى يقال رشـد كنصر وفرح رشدا ورشادا هدى واسترشد طلب الرشد ، والرشد الاستقـــامة على طريق الحق مع تصلب فيه ، والرشيد من أسماء الله تعالى الهادى الى

( ١ ) راجع بحث القــرآن والتعليق عليه

سواء الصراط والذى حسن تقديره فيما قدر ، وان ومابعـــدها فى تأويل مصدر مبتدأ والخبر قوله فى البيت قبله ومن عظيم الخ والتقدير رشـــد الخلق الى الوصول كائن من عظيم منة الســـلام (( الخلق )) من الثقلين الانس والجن (( الى الوصول )) الى معرفة الله تعالى وعبادته والقيام بمـا شرعه من التكليف الذى ثمرته الفوز بالسلامة الابدية والســـــعادة السرمدية والنعيم المقيم فى جنات النعيم ورضى الرب الرحمن والنظر اليه فى دار القرار مع الاتقياء الاخيار والاولياء الابرار حال كونه تعـــــالى ( مبينا ) أى مظهرا وموضحا (( لـ )) نهج ا (( لحق )) وهو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ، ويقابله الباطل ، ومن اسمائه تعالى الحق أو من صـــفاته ، واما الصدق فقد شاع فى الاقوال ويقابله الكذب، ويفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر فى الحق من جانب الواقع ، والصدق من جانب الحكم فعلى هذا معنى صدق الحكم مطابقة الواقع ، ومعنى حقيته مطابقة الواقع اياه ، والمشهور فيهما مطابقة كل واحد منهما للواقع ((بالرسول)) متعلق بمبين والرسول انسان اوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه فان لم يؤمر بتبليغه فنبى فقط ، وتقدم فى صدر الكتاب ، وسئل نبينا محمد صلى الله عليه وســـلم كما فى صحيح ابن حبان عن عدد الانبياء فقال : مائة ألف وأربعة وعشرون الفا ، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر • وفى رواية واربعة عشر • والاولى عدم حصرهم فى عدد معين لان الحديث ضعيف وربما خالف قوله تعالى ( منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليـــك ) فلا يؤمن من دخول من ليس منهم فيهم وخروج بعضهم عنهم، واولو العزم منهم خمسة محمد وابراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام

## ( تنبيهات )

**تنبيهات الاول ارسال الرسل فضل منه تعالى**

( الاول ) فى قوله ومن عظيم منة السلام الى آخر البيتين اشارة الى أن ارسال الرسل وانزال الكتب وشرع الشرائع منة من الله تعالى وفضـــل لاواجب عليه ذلك وانما هو على سبيل اللطف بالخلق والفضل عليهـــم فبعثه تعالى جميع الرسل من آدم الى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين

الى المكلفين لطف من الله بهم ليبلغوهم عنه سبحانه أمره ونهيء ووعده ووعيده ويبينوا لهم عنه سبحانه مايحتاجون اليه من أمور المعاش والمعاد مما جاءوا به من شرائعهم واحكامهم التى انزلها الله تعالى فى كتبه عليهم اختصاصا كالقرآن العظيم واشتراكا كالتوراة لموسى وهارون ويوشع ومن بعدهم الى عيسى عليه وعليهم السلام حتى تقوم الحجة عليهم بالبينات وينقطع عنهم سائر التعالات كما قال تعالى ( ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى ) وقوله تعالى ( وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا ) وقوله ( رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) فلولا اعذاره تعالى اليهم على ألسنة الرسل واقامة الحجة عليهم ببعثه أهل خيرته من ذوى النبوة والفضل لتوهموا ان لهم حجة سائغة ومعذرة بالغة لوجوه ( أحدها ) أن يقولوا انما خلقنا ربنا لعبادته ومابين لنا العبادة التى يريدها منا ماهى ولا كم هى ولا كيف هى ( ثانيها ) ان يقولوا قد ركبنا ربنا فى هياكل واجسام تقبل السهو والغفلة وسلط علينا الشيطان والشهوة والهوى فكان ينبغى ان يؤيدنا بما اذا سهونا نبهنا واذا مال بنا الهوى ردنا واذا وسوس الينا الشيطان منعنا بما يرشدنا اليه من الاذكار وغيرها ( ثالثها ) ان يقولوا هب انا نعلم بعقولنا حسن الايمان وقبح الكفر والعصيان لكنا لم يصل ادراك عقولنا الى ان من فعل القبيح عذب مع انا نحس ان لنا فى معاطاة القبيح لذة وليس على البارى فيه مضرة ولم نعلم ان من آمن وعمل صالحا استحق الثواب مع ادراكنا بعقولنا عدم العود بمنفعة له تعالى فلا جرم تقاضتنا الشهوات واقدمنا على ما فيه لنا اللذات • فارسال الرسل لمعاضدة العقل أمر جائز فى حقه وواجب وقوعا وسمعا • يزيد هذا وضوحا

**الثانى الرسالة ضرورية للعباد**

( التنبيه الثانى ) ان الرسالة ضرورية للعباد لاغنى لهم عنها وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شيء فان الرسالة روح العالم ونوره وحياته فأى صلاح للعالم اذا عدم الروح والحياة والنور ؟ والدنيا مظلمة ملعونة كلها الا ماطلعت عليه شمس الرسالة ، وكذلك العبد مالم تشرق فى قلبه شمس الرسالة

وتناله حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الاموات قال الله تعالى ( أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ) فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالةوبنور الايمان وجعل له نورا يمشي به في الناس. واما في الكافر فميت القلب في الظلمات ، وسمى الله تعالى رسالته روحا والروح اذا عدم فارقت الحياة قال تعالى ( وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ) الآية فالروح الحياة ، والنور الاضاءة المزيلة للظلمة ، فالكافر في ظلمات الكفر والشرك وهو ميت غير حي وان كان فيه حياة بهيمية لكنه عادم الحياة الروحانية العلوية الناشئة عن الايمان ، وبها يحصل للعبد الفوز والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، فان الله تعالى جعل الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ماينفعهم ومايضرهم وتكميل مايصلحهم في معاشهم ومعادهم ، فبعثوا جميعا بالدعوة الى الله تعالى وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعو الوصول اليه ، فأرشدوهم الى توحيده تعالى واثبات صفاته واثبات القدر ، وذكر أيام الله تعالى في اوليائه واعدائه وهي القصص التي قصها على العباد ، والامثال التي ضربها لهم ، وارشدوهم الى العلم بتفصيل الشرائع والامر والنهي والاباحة وبيان مايحبه الله ويكرهه ، وكذلك بينوا لهم وجوب الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب ، وعلى هذه الثلاثة أصول مدار الخلق والامر، والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولاسبيل الى معرفتها الا من جهة الرسل ، فان العقل لايهتدي الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وان كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذي يدرك الحاجة الى الطب ومن يداويه ولايهتدي الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه ، وحاجة العبد الى الرسالة اعظم بكثير من حاجة المريض الى الطبيب فان آخر مايعذب بعدم الطبيب موت الابدان، واما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لاترجى الحياة معه أبدا وشقي شقاوة لاسعادة معها أبدا فلا فلاح الا باتباع الرسول فان الله تعالى خص بالفلاح اتباعه المؤمنين به وانصاره كما قال تعالى ( فالذين آمنوا به وعزروه

ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون ) اى لامفلح الا هم فالهدى والفلاح دائر حول ربع الرسالة وجودا وعدما • قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى قاعدة وجوب الاعتصام بالرسالة : وهذا مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء وبعثت به جميع الرسل المرسلة • وقال : الرسالة ضرورية فى صلاح العبد فى معاشه ومعاده فكما انه لاصلاح فى آخرته الا باتباع الرسالة فكذلك لاصلاح له فى معاشه ودنياه الا باتباع الرسالة فالانسان مضطر الى الشرع فانه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه وحركة يدفع بها ما يضره والشرع هو النور الذى يبين ماينفعه ومايضره فهو نور الله فى ارضه وعدله بين عباده وحصنه الذى من دخله كان آمنا ، وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحسن فان ذلك يحصل للحيوانات العجم فان الحمار والجمل يفرق ويميز بين الشعير والتراب بل التمييز بين الافعال التى تضر فاعلها فى معاشه ومعاده ، والافعال التى تنفعهفى معاشهومعاده كنفع الايمان والتوحيد والعدل والبر والصدق والاحسان والامانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وصلة الارحام وبر الوالدين والاحسان الى الجيران والمماليك وأداء الحقوق واخلاص العمل والتوكل علىالله والاستعانة به والرضا بمواقع اقداره والتسليم لحكمه والتوكل عليه وتصديقرسله فى كل ماأخبروا به وغير ذلك مما هو نفع وصلاح للعبد فى دنياه وآخرته ، وفى ضد ذلك شقاوته ومضرته فى دنياه وآخرته ، ولولا الرسالة لم يهتد العقل الى تفاصيل المنافع والمضار فى المعاش فمن اعظم نعم الله على عباده وأشرف منته عليهم أن ارسل اليهم رسله وانزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم ، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الانعام واشر حالا منها ، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوأ حالا من الكلب والخنزير وأحقر من كلحقير ، فالحمد لله الذى أرسل الينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وان كنا من قبل لفى ضلال مبين ولا بقاء لأهل الارض مادامت آثار الرسالة موجودة فيهم

فاذا درست آثار الرسل من الارض وانمحت معالم هداهم اخرب الله العالم العلوى والسفلى وأقام القيامة ، وليست حاجة أهل الارض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر والرياح والمطر ، ولا كحاجة الانسان الى حياته ، ولاكحاجة العين الى ضوئها والجسم الى الطعام والشراب ، بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل مايقدر ويخطر بالبال ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه فى امره ونهيه ، وهم السفراء بينه وبين عباده ، وكان خاتمهم وسيدهم واكرمهم على ربه محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين يقول : يا أيها الناس انما أنا رحمة مهداة • وقال تعالى فى حقه ( وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ) وقال النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب • وقال شيخ الاسلام فى قاعدة وجوب الاعتصام بالنبى عليه أفضل الصلاة والسلام : وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه الله رحمة للعالمين ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين ، وافترض على العباد طاعته ومحبته وتوقيره وتعزيره والقيام باداء حقوقه ، وسد اليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد الا من طريقه واخذ العهود والمواثيق بالايمان به واتباعه على جميع الانبياء والمرسلين ، وامرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين ، أرسله بين يدى الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، فختم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة ، وفتح برسالته اعنا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ، فاشرقت برسالته الارض بعد ظلماتها وتألفت بها القلوب بعد شتاتها فأقام به الملة العوجاء واوضح به المحجة البيضاء ، وشرح له صدره ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، أرسله صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم الى ظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم النادة ، فهدى الله به الخلائق واوضح به الطرائق ، واخرج الناس به من

الظلمات الى النور وميز به بين نهج أهل الفلاح وأهل الفجور ، فمن اهتدى بهديه اهتدى ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى ، فصلى الله وسلم عليه وسائر الرسل والانبياء مالاح نجم وبدا وعلى آله وصحبه والتابعين ومن اقتدى

( التنبيــــه الثالث )

**الثالث وجوب الايمان بجميع الانبيــاء ـ وما جاء فى عددهم**

أعلم أن الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله مما اتفقت على وجوبه جميع الانبياء والمرسلين من لدن صفى الله ابى البشر آدم عليه الســــلام الى خاتمهم محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام فيجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين وتصديقهم فى كل ما أخبروا به من الغيب وطاعتهم فى كل ما أمروا به ونهوا عنه ، ولهذا أوجب سبحانه الايمان بكل ما أتوا به ولــــم يوجبه بما أتى به غيرهم قال تعالى ( قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مســـــلمون ) فاتفق علماء الملة على كفر من كذب نبيا معلوم النبوة وكذا من سب نبيا او انتقصه ، ويجب قتله لان الايمان واجب بجميع الانبياء وان لا نفرق بين أحد منهم وتصديقهم فيما أخبروا به واتباعهم على جميع ما جاءوا به فهو حق وصدق ، قال الله تعالى ( ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ) وتقدم أن جميع الانبياء عليهم السلام من لدن آدم الى خاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وان الرســـل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، ففى صحيح ابن حبان من حديث ابى ذر الغفارى رضى الله عنه قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده ـ فذكر حديثا طويلا وفيه ـ قلت يارسول الله كم الانبياء ؟ قال : مائة ألف وعشرون ألفا ، قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا ، قلت يا رسول الله من كان أولهم ؟ قال آدم عليه السلام ، قلت يا رسول الله أنبى مرسل ؟ قال نعم خلقه الله بيده ونفـخ فيه من روحه وكلمه قبلا • ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيـث

وأخنوخ - وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم - ونوح، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين . قلت يا رسول الله كم كتابا أنزله الله ؟ قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسون صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة وأنزل على ابراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان - الحديث - وقد تكلم عليه الولى العراقى ورد على ابن حبان جماعة من الحفاظ لادخاله هذا الحديث فى الصحيح . وفى كتاب شرح الايمان والاسلام لشيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه فى قول الامام أحمد رضى الله عنه فى الرسل وعددهم وانه يجب الايمان بهم ويصح الاقرار بهم فى الجملة مع الكف عن عددهم وكذلك ذكر محمد بن نصر المروزى وغيرهما من أئمة السلف ، قال وهذا يبين انهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل وان حديث ابى ذر فى ذلك لم يثبت عندهم . انتهى - والامام احمد رضى الله عنه ذكر ذلك الزاما لمن لم يقل بزيادة الايمان من اجل انهم لا يدرون ما زيادته وانها غير محدودة فقال : ما تقولون فى انبياء الله وكتبه ورسله ؟ هل تقرون بهم فى الجملة وتزعمون انه من الايمان ؟ فاذا قالوا نعم قيل لهم هل تحدونهم وتعرفون عددهم أليس انما تصيرون فى ذلك الى الاقرار بهم فى الجملة ثم تكفون عن عددهم . وهذا ظاهر فى عدم معرفة عدد الانبياء والرسل والكتب . وقد ذكر اهل العقائد فى عقائدهم هذا العدد معتمدين على حديث ابى ذر على ما فيه وقد روى ان الانبياء ألف ألف ومائة ألف ، والمشهور فى الكتب انهم مائة ألف واربعة عشر ألفا ، وتقدم ان الواجب الايمان بهم جملة لقوله تعالى ( منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ) فالواجب الايمان بجميعهم اجمالا وتفصيلا فيمن ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز . وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ان بنى اسرائيل كانوا أكثر الامم أنبياء بعث اليهم موسى ابن عمران عليه السلام بشريعة التوراة وبعث اليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل أنهم ألف نبى كلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئا

الى أن جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غير فيها بعض شريعة التوراة بأمر الله عزوجل .

**الاوصاف اللازمة للنبوة**

(( وشرط من أكرم بالنبوة حرية ذكوره كقوة ))

(( وشرط)) مبتدأ (( من )) اى كل انسان (( اكرم )) بضم الهمزة مبنيا لما لم يسم فاعله اى أكرمه الله تعالى (( بالنبوة )) بضم النون والباء الموحدة وتشديد الواو ويجوز فيه تحقيق الهمزة وتخفيفه يقال نبأ وأنبأ ، فان قيل روى النسائى ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا نبىء الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تنبر باسمى فانما أنا نبى ، فالجواب ماحكاه الجوهرى أنه يقال نبأت على القوم اذا طلعت عليهم ونبأت من أرض الى أرض كذا اذا خرجت الى هذه وهذا المعنى أراد الاعرابى بقوله يانبىء الله لانه خرج من مكة الى المدينة فأنكر عليه الهمز لانه ليس من لغة قريش . والحاصل ان النبى اما مشتق من النبأ أى الخبر لانه ينبىء عن الله تعالى أى يخبر قال سيبويه ليس أحد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمز فى النبى كما تركوه فى الذرية والبرية والخبية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها ويخالفون العرب فى ذلك. واما مشتق من النبوة وهى الشيء المرتفع لان النبى مرتفع الرتبة على سائر الخلق ، قال فى القاموس : والنبى المخبر عن الله وترك الهمز المختار والجمع أنبياء ( ونبآء ) وأنباء والنبيؤن والاسم النبؤة . ذكره فى باب الهمزة وقال فى باب المعتل : والنباوة ما ارتفع من الارض كالنبوه والنبى . انتهى .

( حرية ) خبر المبتدأ الذى هو شرط من أكرم الخ وذلك لان الرق وصف نقص لا يليق بمقام النبوة والنبى يكون داعيا للناس آناء الليل وأطراف النهار والرقيق لا يتيسر له ذلك ، وأيضا الرقية وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وان يكون اماما لهم وقدوة ، وهى اثر الكفر والانبياء منزهون عن ذلك ، وشرط من أكرمه الله بالنبوة ايضا (( ذكورة )) اى ان يتصف بالذكورية لقوله تعالى ( وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم ) فأثبت الرسالة للرجال الموحى

اليهم وأشعر بنفى ذلك عن غيرهم فلا تكون انثى نبية خلافا لاهل التوراة الزاعمين بنبوة مريم بنت عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام ، وقد خالف فى اشتراط الذكورة ابو الحسن الاشعرى ثم القرطبى وتبعهما على ذلك اناس من العلماء ، والحق اعتبار الذكورية لان الرسالة تقتـــضى الاشتهار بالدعوة ، والانوثة تقتضى التستر وتنافى الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع ، وقد حكى العلامة ابن الملقن فى شرحه على عمدة الاحكام خلافا فى نبوة مريم وآسيةوسارة وهاجر وأم موسى عليه السلام واسمها يخابذ بنت لاوى بن يعقوب كما قال شيخ السنة البغوى والحافظ ابن الجوزى فى تبصرته • قال الحافظ برهان الدين الناجى قيد هذا الاسم ( يوخابذ ) على شيخنا الحافظ ابن ناصر الدين حال قراءة التبصرة عليه بمثناة تحتية مضمومة فواو ساكنة فخاء معجمة مفتوحة فألف مقصورة فباء موحدة مفتوحة فذال معجمه ، وهو غير مصروف للعجمة والتأنيب اى مع العلمية• قلت فى كتب اهل الكتاب ورأيته فى التوراة يوكابد بكاف بدل الخا' وبدال مهملة بدل المعجمة والنطق بالكاف مفخما ومعناه بالعربيةجليلة ورأيت الحافظ جلال الدين السيوطى ضبطه بحاء مهملة بدل الخاءالمعجمة وبنون بدل الباء الموحدة كما هو فى تاريخ الانبيا' له• وقوله (( كقوة ))اى كما يعتبر فيمن اكرمه الله تعالى بالنبوة ان يكونقويا بأعباء ما حمل مـن ثقل النبوة ، والقوة الطاقة والجمع قوى بالضم وبالكسر ، قال فىالقاموس: القوة بالضم ضد الضعف يقال قوى كرضى فهو قوى والقوى بالضم العقل وطاقات الحبل • ذا عقل صحيح وفهم رجيح وعلم بالامور الدينية حسن الخلق والخلق ليسهل عليه تحمل الخلق فى مخالطاتهم وتعليمهم لامور الديانة فان الانبياء منزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن واللهو واللغو وسائر الاخلاق الذميمة كما انهم مبرءون من لؤم النسب وشره القلب وحرص النفس على الدنيا ، ولهذا لم يبعث الله نبيا الا فى أشرف منسب أمته فلم يبعث نبيا من ذى نسب مبذول كما لم يبعث نبيا عبـدا ولا لئيما ولا امرأة لعلو مرتبة الذكورة على الانوثة مع طلب عدم الاشتهار مع النساء المطلوب للدعوة ولكون النفوس مائلة فى ذواتهن بحسب الطبـــع

فيغفلون عن مقالهن • والحاصل اختصاص النبوة بأشرف افراد النوع الانسانى من كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأى ولو فى الصبى كعيسى ويحيي عليهما السلام والسلامة من كل ما نفر عن الاتباع كدناءة الآباء وعهر الامهات والغلظة ، والعيوب المنفرة للطباع كالبرص والجذام ، والامور المخلة بالمروءة كاكل على الطريق والحرف الدنية كالحجامة وكل ما يخل بحكمة البعثة ونحو ذلك وبالله التوفيق

ولما ذكر ما اشعر بانفراد كمل النوع الانسانى بالنبوة واختصاص الذكور الاحرار المنزهين عن النقائص بها خشى ان يتوهم متوهم بأن ذلك يدرك بالرياضة والتهذيب والجد والاجتهاد والتأديب فنفى ذلك بقوله :

النبوة غير مكتسبة

(( ولا تنال رتبة النبوه بالكسب والتهذيب والفتوة ))
((لكنها فضل من المولى الاجل لمن يشا من خلقه الى الاجل ))

(( ولا تنال )) بضم التاء المثناة فوق مبنيا لما لم يسم فاعله اى لم تعط (( رتبة )) بالرفع نائب الفاعل يقال ناله ينوله اذا اعطاه ، قال فى القاموس النوال والنائل العطاء ونلته ونلت له وبه أنوله وأنلته اياه ونولته اعطيته • والرتبة بالضم والمرتبة المنزلة (( النبوة )) بالجر لاضافتها الى الرتبة وهى عبارة عن صفة عالية ينكشف بها من الغيوب التى هى مطلوبات الله من عباده وأحكامه التى يكلفهم بها انكشافا يناسب انكشاف النار للدهن برؤية الدخان وانكشاف رائحة المسك بجذب النفس الى الانف(١) والمراد بها هنا ما يعم الرسالة كما لا يخفى (( بالكسب )) متعلق بلا تنال ((و)) لا تنال رتبة النبوة ودرجة الرسالة ايضا بـ (( التهذيب )) أى تنقية البدن وتصفية الاخلاق وخلوص البنية من الاخلاق الرذيلة وتبقية الاوصاف الجميلة والنعوت الجليلة (( و )) لا تنال رتبة النبوة ايضا بـ (( الفتوة )) اى كرم النفس وتخليصها من الاوصاف المذمومة الى الاوصاف الممدوحة ، قال فى القاموس: الفتوة الكرم وقد تفتى وتفاتى يعنى تعاطى اوصاف الفتوة وتخلق بها وراض نفسه حتى صار من ذويها وفتوتهم اذا غلبتهم فيها • فمذهب اهل الحق أن النبوة لا تنال بمجرد الكسب بالجد والاجتهاد وتكلف أنواع العبادات واقتحام أشق الطاعات وتدأب فى تهذيب نفسه وتنقية خواطره

( ١ ) فى هذا رائحة فلسفية

وتطهير أخلاقه ورياضة نفسه وبدنه وتهذيب ذلك (( لكنها )) اى النبوة والرسالة (( فضل من المولى الاجل )) سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء ممن سبق علمه وارادته الازليان باصطفائه لها فالله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وهذا خلاف قول الفلاسفة المشائين المجوزين اكتساب النبوة بزعمهم ان من لازم الخلوة والعبادة ودوام المراقبة وتناول الحلال واخلاء نفسه من الشواغل العائقة عن المشاهدة بعد كمال ظاهره وباطنه بالتهذيب والرياضة انصقلت مرآة باطنه وفتحت بصيرة لبه وتهيأ لما لا يتهيأله غيره من التحلى بالنبوة ، لان النبوة عندهم عبارة عن اجتماع ثلاث خواص فى الانسان ( احداها ) الاطلاع على المغيبات لصفاء جوهر نفسه وشدة اتصاله بالروحانيات العالية من غير سابقة كسب ولا تعلم ولا تعليم

( الثانية ) ظهور خوارق العادات بحيث تطيعه الهيولى العنصرية القابلة للصور المفارقة الى بدن .

( الثالثة ) مشاهدة الملائكة على صور متخيلة ويسمع كلام الله تعالى . هذا محصل مذهبهم الفاسد وملخص مسلكهم الباطل فيجعلون كلام الله ما يفيض على نفس النبى من غير أن يثبتوا لله كلاما خارجا عما فى نفس النبى ، وعند التحقيق فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبى وسائر النفوس الا من جهة كونها أصفى ، وأكمل وعندهم ان القرآن كلام النبى . وهذا من أعظم الكفر . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وهؤلاء عندهم النبوة مكتسبة ، وكان جماعة من زنادقة الاسلام يطلبون ان يصيروا أنبياء . والحاصل ان النبوة فضل من الله وموهبة ونعمة من الله تعالى يمن بها سبحانه ويعطيها (( لمن يشاء )) ان يكرمه بالنبوة فلا يبلغها أحد بعلمه ولا يستحقها بكسبه ولا ينالها عن استعداد ولايته بل يخص بها من يشاء (( من خلقه )) ومن زعم انها مكتسبة فهو زنديق يجب قتله لانه يقتضى كلامه واعتقاده ان لا تنقطع وهو مخالف للنص القرآنى والاحاديث المتواترة بأن نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين عليهم السلام ولهذا قال : (( الى الاجل )) يعنى ان النبوة فضل من الله ونعمة يمن بها الرب الحكيم والعليم الكريم على من يشاء ويريد اكرامه بها وكان ذلك ممتدا من عهد الاب

الاول الصفى آدم عليه الصلاة والسلام الى ان بعث الخاتم النبى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال :

(( ولم تزل فيما مضا الانباء من فضله تأتى لمن يشاء ))

(( حتى أتى بالخاتم الذى ختم به وأعلانا على كل الامم ))

**خاتم النبيين**

(( ولم تزل فيما )) أى فى الزمن الذى (( مضى )) أى فى سائر الازمان الماضية (( الانباء )) جمع نبى كالانبياء والنبيين (( من فضله )) أى من فضل الله سبحانه وتعالى ورأفته ولطفه لا من حيث انه واجب عليه تعالى - كما تقدم بيانه (( تأتى )) بابلاغ الشرائع وبيان الحق وايضاح السبيل (( لمن )) أى لكل أهل زمن من الامم الماضية والقرون الخالية (( يشا )) الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما يشاء على ألسنة من شاء من أنبيائه لمن شاء من مكلفى عباده فلم تخل الارض من داع يدعو الى الله تعالى من لدن آدم عليه السلام الى أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيجب الايمان بجميع الانبياء والرسل وانهم صادقون فى ما أخبروا به عن الله تعالى اجمالا فى من لم يعينوا كما دل على ذلك قوله تعالى ( آمن الرسول بما أنزل الله من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ) فدلت الآية الكريمة على الاكتفاء بذلك فى الايمان بهم من غير تفصيل الا من تثبت تسميته فيجب الايمان به على التعين وكان مجيء الرسل والانبياء فى القرون الماضية والازمان الخالية معروفا مستمرا من لدن الاب الاول الصفى عليه السلام (( حتى )) أى الى ان (( أتى بـ ))النبى ((الخاتم)) والرسول القائم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أى الى ان ارسله بخير كتاب وأتم شريعة وأفضل ملة وأكمل دين (( الذى ختم )) الله (( به )) النبين والمرسلين وأكمل بدينه كل دين قال الله تعالى فى محكم الذكر المبين : ( ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) أى الذى ختمهم وختموا به فلا نبى بعده وأخرج الامام احمد من حديث العرباض بن سارية السلمى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « انى عند الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين وان ادم لمنجدل فى طينته » الحديث وأخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد ، وروى معناه من حديث أبى امامة الباهلى رضى الله عنه ومن

وجوه أخر مرسلة ، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلون ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة – زاد مسلم – فجئت فختمت الانبياء » وفي الصحيحين أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه معناه وفيه : فجعل الناس يطوفون به ويقولون هلا وضعت اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » وفي صحيح الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقالوا لا نعلمه فقال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة لها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمه فقالوا اخرجي لنا ابنك فأخرجوه وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك ؟ قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل . وهذا الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم ولد بخاتم النبوة بين كتفيه ، وخاتم النبوة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم التي كان يعرفه بها أهل الكتاب ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها . وقد روى ان هرقل ملك الروم من النصارى ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم من ينظر له خاتم النبوة . وفي نبوة شعيا ان سلطانه – يعني النبي صلى الله عليه وسلم – على كتفه يريد علامة نبوته . وفي الجواب الصحيح لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ما نصه : قال أشعيا النبي عليه السلام ونص على خاتم النبوة : ولدلنا غلام يكون عجبا وبشرا والشامة على كتفه أركون السلام وسلطانه سلطان السلام يجلس على كرسي داود . فالاركون هو المعظم بلغة الانجيل والاراكنة المعظمون فشهد اشعياء بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ووصفه بأخص علاماته وأوضحها وهي شامته فلعمري لم تكن الشامة لسليمان ولا للمسيح ، ووصفه بأنه يجلس على كرسي داود يعني انه سيرث من بني اسرائيل نبوتهم وملكهم ويبتزهم رياستهم . قال العلماء رحمهم الله في حكمة وجود الخاتم بين كتفيه أو على نغض كتفه

الايسر : هو على جهة الاعتبار انه صلى الله عليه وسلم لما ملىء قلبه من الايمان والانوار وجمع له اجزاء النبوة وحواشيها ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أو درا فلم تجد نفسه ولا عدوه سبيلا اليه من أجل ذلك الختم لان الشيء المختوم محروس كما بين لنا انا اذا وجدنا الشيء بختمه زال الشك وانقطع الخصام فيما بين الآدميين فلذلك ختم رب العالمين في قلبه ختما يطمئن له القلب القى النور فيه ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كبيضة الحجلة كما أشار اليه أبو القاسم السهيلي رحمه الله تعالى .

**فضل الامة**

وقوله : ((واعلانا)) - معشر أمة هذا النبى الكريم والرسول الرؤوف الرحيم - الرب الرحيم والاله الحكيم به صلى الله عليه وسلم (( على كل الامم )) الماضية والملل الخالية بشاهد قوله تعالى ( كنتم خير أمة اخرجت للناس - وكذلك جعلناكم أمة وسطا ) وروى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى قوله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال : خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الاسلام . وفى الصحيحين وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولا يزال أناس من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » وروى مسلم وأبو داود والترمذى من حديث ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » وروى هذا من حديث سعد رواه مسلم ، ومن حديث معاوية رواه البخارى ومسلم ، ومن حديث عمران بن حصين رواه أبو داود ، ومن حديث غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين . وروى الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله » وقال حديث حسن غريب . وروى النسائى من حديث ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عصابتان من أمتى احرزهما الله من النار عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليه السلام ، وأخرج أبو داود من حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « أمتى أمة مرحومة ليس عليها عذاب فى الآخرة عذابها فى الفتن والزلازل والقتل » ورواه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الشعب • وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ـ وفى رواية لمسلم ـ نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة ـ وفى رواية فى الضحيحين : نحن الآخرون السابقون بيد ـ أى غير ـ انهم أوتوا الكتاب من قبلنا » وفى الصحيحين وغيرهما من حديث أنس رضى الله عنه : « أنتم شهداء الله فى الارض أنتم شهداء الله فى الارض » وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول‌الله صلى الله عليه وسلم : « أما ترضون ان تكونوا ربع أهل الجنة ، فكبرنا ، ثم قال أما ترضون ان تكونوا ثلث أهل الجنة ، قال فكبرنا ، ثم قال‌انى‌لارجو أن تكونوا شطر أهل الجنة وسأخبركم عن ذلك ما المسلمون فى الكفار الا كشعرة بيضاء فى ثور اسود أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض » هذا لفظ مسلم وعند البخارى وكشعرة سوداء بغير ألف يعنى قبل الواو • وروى الامام احمد والترمذى باسناد على شرط الصحيح من حديث بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الامة منها ثمانون صفا » ورواه الطبرانى فى معجمه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما • وروى نحوه من حديث ابن مسعود رواه الطبرانى • وروى عبد الله بن الامام احمد من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت ( ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم ربع أهل الجنة ، أنتم ثلث أهل الجنة ، أنتم نصف أهل الجنة ، أنتم ثلثا أهل الجنة » قال الطبرانى تفرد برفعه عبد الله بن المبارك عن الثورى • وروى ايضا من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا • رواه خيثمة بن سليمان القرشى • قال المحقق ابن القيم : وهذه الاحاديث

قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها فلا تنافي بينها وبين حديث الشطر لانه عليه السلام رجا أولا ان يكونوا شطر أهل الجنـــة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاده عليه شيئا آخر ، وقد أخرج الامام أحمد فى مسنده من حديث أبيالزبير انه سمع جابرا رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرجو أن يكون من يتبعنى من أمتى يوم القيامة ربع أهل الجنة » قال فكبرنا قال : « فأرجـو ان يكونوا الشطر » واسناده على شرط مسلم • وروى الدار قطنى من حديث أمـير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : « ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها ، وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتى » قال المحقق ابن القيم فى كتابه حادي الارواح : فهذه الامة أسبق الامم خروجا من الارض وأسبقهم الىمكان فى الموقف وأسبقهم الى ظل العرش وأسبقهم الى الفصل والقضاء بينهم وأسـبقهم الى الجواز على الصراط وأسبقهم الى دخول الجنة ، فالجنة محرمة على الانبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم ومحرمة على الامم حتى تدخلها أمته •

**أول من يدخل الجنة من هـذه الامة**

وأول من يدخل الجنة من هذه الامة من بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق كما رواه أبو داود فى سننه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه • وروى الامام احمد فى المسند والترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن حيدة رضى الله عنه عن النبى صلىالله عليه وسلم انه قال : « انكم تتمون ـ وفى لفظ ـ أنكم توفون ـ سبعين أمة أنتم خـيرها وأكرمها على الله تعالى » وأخرج الترمذى من حديث أبى امامة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله فضلنى على الانبياء ـ أو قال أمتى على الامم ـ وأحل لنا الغنائم » وقال حديث حسن صحيح • وفى صحيح مسلم عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه رفعه « يجىء يـــوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفـــرها الله ويضعها على اليهود والنصاري » وقد روى معنى هذا الحديث عن أبى موسى أيضـــا الطبراني والحاكم وصححه وكذا ابن ماجه والطبرانى • وروى أيضـا

من حديث أنس رضى الله عنه أخرجه ابن ماجه والنسائى • وأخرجه مسلم عن أبى موسى من وجه آخر بلفظ : « اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار » قال العلامة القرطبى قال علماؤنا : هذه الاحاديث ليست على عمومها انما هى فى أناس مذنبين تفضل الله عليهم برحمته فاعطى كل واحد منهم فكاكا من النار •

وقال معنى قوله يضعها على اليهود والنصارى انه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبى المسلمين لو أخذوا بذلك لانه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد كما قال تعالى : ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) وله تعالى ان يضاعف على من يشاء العذاب ويخفف عن من يشاء بحكم ارادته ومشيئته • ويقال فى الرواية الاخرى وهى قوله لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه يهوديا او نصرانيا النار معناه ان المسلم المذنب لما كان يستحق مكانا فى النار بسبب ذنوبه وعفا الله عنه بمنه ورحمته بقى مكانه خاليا منه أضاف ذلك المكان الى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره • وقد جاءت أحاديث دالة على ان لكل مسلم من هذه الامة مذنبا كان أولا منزلين منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار وكذا الكافر وذلك معنى قوله تعالى : ( اولئك هم الوارثون ) أى يرث المؤمنون منازل الكفار من الجنة والكفار منازل المؤمنين فى النار الا ان هذه الوراثة تختلف فمنهم من يرث بلا حساب ومنهم من يرث بحساب ومناقشة • وقال الإمام البيهقى يحتمل ان يكون الفداء فى قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم فى حياتهم ، أو فى من أخرج من النار يقال لهم ذلك بعد الخروج • وقال بعضهم بل يحتمل ان يكون الفداء مجازا عن رؤية المنزلة التى تقدمت الاشارة اليها • ورجحه النووى وغيره • وقيل المراد بالذنوب التى توضع على الكفار ذنوب كان الكفار سببا فيها بأن سنوها فلما غفرت سيئات المؤمنين بقيت سيئات الذى سن تلك البدعة السيئة باقية على أربابها الكفرة لان الكفار لا يغفر لهم فيكون الوضع كناية عن ابقاء الذنب الذى لحق الكافر بما سنه من عمله السيىء الذى عمل به المؤمن • وقواه الحافظ ابن حجر • وبالله التوفيق •

وقد روى ان لكل واحد من مؤمنى هذه الامة نورين كالانبياء السالفة روى أبو نعيم وابن الجوزى فى ( الوفاء ) عن كعب الاحبار رحمه الله تعالى انه سمع رجلا يقول رأيت فى المنام كأن الناس جمعوا للحساب فدعى الانبياء فجاء مع كل نبى أمته ورأى لكل نبى نورين ولكل ممن اتبعه نور يمشى به فدعى محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل شعرة فى رأسه ووجهه نور ولكل من اتبعه نوران يمشى بهما - فقال كعب - وهو لا يشعر انها رؤيا - من حدثك هذا ، قال انا والله الذى لا اله الا هو لقد رأيت هذا فى المنام فقال بالله الذى لا اله الا هو لقد رأيت هذا فى منامك ؟ قال نعم قال والذى نفس كعب بيده انها لصفة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته وصفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأممها فى كتاب الله كانما قرأه من التوراة • وروى الحافظ أبو نعيم والحافظ ابن الجوزى فى الوفاء عن كعب الاحبار أيضا انه رأى حبرا من أحبار اليهود يبكى فقال له ما يبكيك قال ذكرت بعض الامر فقال كعب أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقنى ؟ قال نعم ، قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال قال فقال موسى رب اجعلهم أمتى ، قال هم أمة أحمد يا موسى ، قال الحبر : نعم - الحديث وفيه فقال موسى عليه السلام ليتنى من أمته او من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام فأوحى الله تعالى اليه ( يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ) الحديث • وروينا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الامة قال يارب انى أجد فى الالواح أمة هم الآخرون السابقون المشفوع لهم فاجعلها أمتى قال تلك أمة أحمد الحديث ، وفيه قال يارب فاجعلنى من أمة أحمد فاعطى عند ذلك خصلتين فقال : ( يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين ) قال رضيت يارب • وذكره الامام المحقق ابن القيم فى كتابه جلاء الافهام •

وذكر الحافظ ابن الجوزى فى تبصرته فى قوله تعالى : ( كنتم خير أمة اخرجت للناس ) فى كنتم قولان أحدهما كان وصفكم فى البشارة قبل وجودكم قاله الحسن ، الثانى كنتم فى سابق علم الله تعالى وحكمه أو فى اللوح المحفوظ • وقال ابن الانبارى أى ما زلتم ، وقيل ان معنى كنتم أى أنتم مثل قوله تعالى ( وكان الله غفورا رحيما ) قال ابن قتيبة قد يأتى الفعل على بنية الماضى وهو ذاهب أو مستقبل كقوله كنتم ومعناه أنتم ومثله ( واذ قال الله ) أى واذ يقول الله ومثله (أتى أمر الله) ونظائره والله أعلم• قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى :

**سبب فضل هذه الامة**

واعلم أن فضيلة هذه الامة على الامم المتقدمة وان كان ذلك باختيار الحق لها وتقديمه اياها الا انه سبحانه جعل لذلك سببا كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم عليه السلام علمه بما جهلوه فكذلك جعل لتقديم هذه الامة سببا هو الفطنة والفهم واليقين وتسليم النفوس فاعتبر حالهم بمن قبلهم فان قوم موسى رأوا قدرة الخالق فى شق البحر ثم قالوا اجعل لنا الها ثم مال كثير منهم الى عبادة العجل ، وعرضت لهم غزاة فقالوا اذهب انت وربك فقاتلا ، ولم يقبلوا التوراة حتى نتق عليهم الجبل ، ولما اختار موسى سبعين منهم وقع فى نفوسهم ما أوجب تزلزل الجبل بهم ، ولهذا لما صعد نبينا صلى الله عليه وسلم على جبل حرا فى جماعة من اصحابه تزلزل فقال اسكن فما عليك الا نبى أو صديق او شهيد • فكانه أشار الى انه ليس عليك من يشك كقوم موسى • ومن تأمل حال بنى اسرائيل رآهم قد أمروا بقول حطة فقالوا : حنطة ،وقيل لهم ادخلوا الباب سجدا فدخلوا زحفا،وآذوا نبيهم فقالوا : آدر • ومن مذهبهم التشبيه والتجسيم وهذا من اعظم التغفيل لان الجسم مؤلف ولابد للمؤلف من مؤلف • ومن غفلة النصارى اعتقادهم ان الله تعالى جوهر والجواهر تتماثل ولا مثل للخالق ، ثم مقالاتهم فى عيسى وتثليثهم ودعواهم فيه الالهية وانه ابن الله تعالى تقشعر منه الابدان وتنفر منه النفوس وتحيله العقول وليس للقوم فهوم ، ولهذا قال بعض فضلاء أمتنا انهم عار على بنى آدم من بين سائر الامم • هذا وقد علم يقين هذه الامة وبذلهم انفسهم فى الحروب وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

وحفظهم لكتاب الله فلهذا ونظائره كانوا يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله تعالى وكل هذا انما هو بسبب كرامة نبينا على الله وجزيل فضله عند الله وقربه من الله والحمد لله على ما أنعم وفضل وكرم والله أعلم .

## فصل

**فصل فى بعض الخصائص النبوية**

فى بعض خصائص النبى الكريم والرسول السيد السند العظيم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه التى اختصه الحق بها جل شأنه على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأشار الى اولها بقوله )) :

(( وخصه بذاك كالمقام  وبعثه لسائر الأنام ))

(( ومعجز القرآن والمعراج  حقا بلامين ولا اعوجاج ))

**الاولى خاتم النبيين**

(( وخصه )) أى خص الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء (( بذاك )) أى بكونه ختم به النبوة والرسالة فلا نبى بعده لقوله تعالى ( وخاتم النبيين ) وذلك يستلزم ختم المرسلين لان ختم الاعم يستلزم ختم الاخص بلا عكس ، ومعنى ختم النبوة بنبوته عليه الصلاة والسلام انه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته واما نزول عيسى عليه السلام وكونه متصفا بنبوته السابقة فلا ينافى ذلك على ان عيسى عليه السلام اذا نزل انما يتعبد بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم دون شريعته المتقدمة لانها منسوخة فلا يتعبد الا بهذه الشريعة أصولا وفروعا فيكون خليفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وحاكما من حكام ملته بين أمته بما علمه الله تعالى فى السماء قبل نزوله وبنظره فى كتاب الله الذى هو القرآن وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يقصر عن رتبة الاجتهاد المؤدى الى استنباط ما يحتاج اليه ايام مكثه فى الارض من الاحكام ، وكسر الصلبان وقتل الخنزير ووضع الجزية وعدم قبولها مما علم من شريعتنا لا يقال هذا نسخ لشرعة محمد صلى الله عليه وسلم لانا نقول بل هذا من شرعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مغيى الى نزول عيسى عليه السلام فاذا نزل انتهى ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم « ينزل عيسى بن مريم حكما عدلا » فنزوله غاية لاقرار الكفار ببذل تلك الاموال ثم لا يقبل

الا الاسلام فلا نسخ لها وقد قدمنا ذلك قريبا •

**الثانية المقام المحمود**

( والثانية ) ما أشار اليها بقوله (( ك )) ما خصه الله سبحانه وتعالى ب (( المقام )) المحمود وهو الشفاعة العظمى كما تقدم الكلام على ذلك ، وروي النسائي باسناد صحيح من حديث حذيفة رضى الله عنه قال : يجمع الناس فى صعيد واحد فأول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك المهدى من هديت عبدك وابن عبديك وبك واليك ولا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت – فهذا قوله : ( عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ) وصححه الحاكم : قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر رضى الله عنهما الذى فى صحيح البخارى ولفظه قال ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا • وأخرج البخارى أيضا عنه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ثم بمحمد فيشفع فيقضى الله بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم » وذلك لان ما رواه النسائى من حديث حذيفة رضى الله عنه كان مقدمة الشفاعة • قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى وروى ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن أبى هلال انه بلغه ان المقام المحمود الذى ذكره الله تعالى ان النبى صلى الله عليه وسلم يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل فيغبطه لمقامه ذلك أهل الجمع ورجاله ثقات لكنه مرسل ، قال الحافظ ابن حجر فى شرح تفسير سورة الاسرا من صحيح البخارى : وقيل المراد بالمقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة وقيل اعطاؤه لواء الحمد ، وقيل جلوسه على العرش أخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد ، وقيل شفاعته رابع أربعة • انتهى • وتقدم فى الشفاعة مافيه كفاية والله تعالى أعلم

**الثالثة عمـــوم بعثته**

(( و )) الثالثة انه سبحانه وتعالى خص نبيه صلى الله عليه وســـــلم : بـ (( بعثه )) نبيا ورسولا (( لســـائر )) أى جميـــــع (( الانام )) كسحاب الخلق من الانس والجن بالاجماع ، واختلف فى ارســـاله الى الملائكة على قولين أحدهما انه لم يكن مرسلا اليهم وبهذا جزم جمـع محققون وهو ظاهر كلام علمائنا ، قال ابن حمدان فى نهاية المبتـــدين ونجزم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله حقا الى الانس والجن كافة ، قال القاضى أبو يعلى وانه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيـــــاء وأفضلهم نص عليه الامام احمد • انتهى • ونقل الاجماع على ذلك غير واحد والقول الثانى بأنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الملائكة أيضـــا ورجحه الجلال السيوطى فى الخصائص والسبكى قبله وزاد انه صلى الله عليه وسلم مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وزعم ان قوله صـــلى الله عليه وسلم بعثت للناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة ورجح هذا القول البارزى وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات واستدل على ذلك بشهادة الضب له بالرسالة وبشهادة الحجر والشجر له أيضـــا بذلك ، قال الحافظ السيوطى وأزيد الى ذلك أنه مرسل الى نفســـــه وتقدم كلام صاحب الفروع وغيره فى التنبيهات الملحقة تحت قوله

وكل انسان وكل جنة فى دار نار أو نعيم جنة

فعاوده • فان قلت قد علم يقينا ان قوم نوح بعد الطوفان كانوا جميـع أهل الارض ورسالة نوح عليه السلام عامة لهم فالجواب ان عمومهـــا أمر اتفاقى اذ لم يسلم من الهلاك الا من كان معه فى السفينة فالعموم صار ثانيا وبالعرض على أنه لم يبعث للجن ، والحاصل ان نبينا محمدا صـــلى الله عليه وسلم مبعوث الى الثقلين بالاجماع ورسالته مطبقة جميع الاكوان ولا التفات لزعم بعض ملحدى اهل الكتاب من خصوص رسالته للعرب لان هذا مكابرة باطلة ومغالطة عاطلة لوجوه بديهية البرهان منهـــا ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يكذب وقد أنزل عليه فى محكم القرآن ( قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ـ وما أرسلناك الا كافة للناس ) ثم مقاتلته لاهل الكتاب وسبى ذراريهم واستباحة دمائهم وضرب الجـــزية

عليهم أمر معلوم بالتواتر والضرورة فالمتعلق بهذا هذاء والله تعالى الموفق

**الرابعة القرآن**

(( و )) الرابعة المشار اليها بقوله وخصه بـ (( معجز القرآن )) الذى اذعن لاعجازه الثقلان وأحجم عن معارضته مصاقيع الانس والجن واعترف بالعجز عن الاتيان بأقصر سورة من مثله أهل الفصاحة والبلاغة من سائر الاديان كما تقدم الكلام على ذلك مستوفيا فى مبحث القرآن من الباب الاول فراجعه تظفر بمقصودك والله أعلم

**الخامسة المعراج**

( الخامسة ) من خصائصه صلى الله عليه وسلم ماأشار اليها بقوله (( ك )) مما اختصه الله سبحانه وتعالى : (( المعراج )) الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام فكان كقاب قوسين أو أدنى قال الواقدى عن رجاله : كان المسرى والمعراج فى ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فى السنة الثانية عشرة من المبعث قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا • وروى ايضا عن اشياخ له قالوا اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة • وادعى ابو محمد بن حزم فيه الاجماع وهذا قول ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم • قال الحافظ ابن الجوزى فى الوفاء سمعت شيخنا ابا الفضل يقول قال قوم كان الاسراء قبل الهجرة بسنة ، وقال آخرون كان الاسراء قبل الهجرة بثمانية أشهر ، وقال آخرون بستة أشهر ، فمن قال بسنة فيكون ذلك فى ربيع الاول ، ومن قال بثمانية أشهر فيكون ذلك فى رجب ، ومن قال بستة أشهر فيكون ذلك فى رمضان • قال ابن الجوزى وقد قيل انه ليلة سبعة وعشرين من شهر رجب • قلت واختار هذا القول الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى وعليه عمل الناس ، وكان المعراج الى السماء بجسده الشريف وروحه المقدسة كالاسراء من مكة المشرفة الى المسجد الاقصى ثم عرج به من بيت المقدس الى السماء ، أحق هذا ((حقا)) ثابتا وأجزم جزما باتا (( بلامين )) أى بلا امتراء ولا كذب ولاريب يقال مان يمين كذب فهو مائن وميون وميان (( ولا اعوجاج )) يقال اعوج اعوجاجا اذا كان غير مستقيم قال فى

النهاية قد تكرر ذكر العوج فى الحديث اسما وفعلا ومصـــدرا وفاعلا ومفعولا وهو بفتح العين المهملة مختص بكل شخص مرئى كالاجســـام وبالكسر فيما يلس بمرئي كالرأى والقول ، وقيل الكسر فيهما معا والاول أكثر ومنه الحديث « حتى يقيم به الملة العوجاء » يعنى ملة ابراهيم التى غيرتها العرب عن استقامتها

واعلم ان الاسراء لاخلاف فيه اذ هو نص القرآن العظيم على ســـبيل الاجمال وجاءت السنة الثابتة بتفصيله وشرح اعاجيبه فورد عن عدة من الصحابة الكرام من الرجال والنساء نحو الثلاثين رضى الله عنهم اجمعين، وأما ليلة المعراج فاختلف فيها فقيل ليلة الجمعة وقيل ليلة السبت كمـــا تقدم عن الواقدى وقال ابن دحية تسفر تلك الليـــلة عن يوم الاثنين ان شاء الله تعالى لتوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فانه صلى الله عليـه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وهاجـــر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين • وقد أخرج الامام أحمـــد والبخارى ومسلم وغيرهم من حديث أنس رضى الله عنـــه أن مالك بن صعصعة رضى الله عنه حدثه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة الاسراء قال « بينما انا نائم فى الحطيم - وربما قال قتادة فى الحجر - مضطجع اذ أتانى آت فجعل يقول لصاحبه : الاوسط بين الثـلاثة قال فأتانى فقد - وقال مرة فشق - مابين هذه الى هذه ، قال قتادة فقلت للجارود وهو الى جنبى مايعنى ؟ فقال : من ثغرة نحره الى شعرته وقد ســـمعته يقول من قصه الى شعرته ، قال فاستخرج قلبى فأتيت بطســـت من ذهب مملوء ايمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشى - وفي لفظ فافرغه في صدره وملأه علما وحلما ويقينا واسلاما ثم أطبقه ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغـــل وفوق الحمار أبيض - قال فقال الجارود هو البراق ياأباحمزة قال نعم - يقع خطوه عند أقصى طرفه قال فحملت عليه • ولما أراد صلى الله عليه وسلم العروج الى السماء بعد وصوله الى البيت المقدس وصلاته بالانبياء عليهم السلام أتي بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح الاتقياء من بنى آدم فلم تـــر الخلائق أحسن منه له مرقاة فضة ومرقاة من ذهب وهو من جنه الفردوس منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فارتقى عليه هووجبريل

عليهما الصلاة والسلام من عند القبة التى يقال لها قبة المعراج عن يمين الصخرة ، قال بعض اهل العلم انه لم يختلف انه عرج من ثم وظاهر صنيع الحافظ ابن الجوزى فى الوفاء ان البراق ترقى به أى النبى صلى الله عليه وسلم كما قال ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار يقع خطوه عند أقصى طرفه قال فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى بى السماء الدنيا فاستفتح ـ الحديث بطوله وهو فى الصحيحين وغيرهما . وقال بعضهم قد صحت الاحاديث بأنه استمر على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه وظاهره انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس .وجمع بعضهم بأن الراوى اختصر فلم يذكر بيت المقدس ، وبعضهم انه لما وصل فى العروج الى السماء الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها الى ان وصل الى سدرة المنتهى ، ثم بعد سؤاله صلى الله عليه وسلم ربه ومراجعته له فى التخفيف عن أمته حتى انتهى ذلك من الخمسين الى الخمس صلوات وسماع النداء من العلى الاعلى قد أمضيت فريضتي وشفعت نبيى وخففت عن عبادى هن خمس صلوات كل يوم وليلة وهن خمسون فى الاجر لان الحسنة بعشر أمثالها ، وسمع قوله ( ما يبدل القول لدى ) ولا ينسخ كتابي ، وكانت المراجعة ما بين الحق جل جلاله وبين موسى عليه افضل الصلاة واتم التسليم فانه الذى حث النبى الكريم على مراجعة الرب الرحيم سؤاله التخفيف عن هذا الخلق الضعيف ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى موسى عليه الصلاة والسلام : ونعم الصاحب كان لكم . اى معشر الإمة ثم قال له موسى عليه السلام اهبط باسم الله . ولما دنا المصطفى من العلى الاعلى وحل فى مستوى سمع فيه صريف الاقلام وكلمه الجليل جل جلاله فقال يا محمد ، قال لبيك يا رب قال سل قال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن

للشيطان عليهما سبيل • فقال الله سبحانه وتعالى : وقد اتخذتك حبيبا ـ قال الراوى : وهو مكتوب فى التوراة حبيب الله ـ وأرسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت له صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك لا أذكر الا تذكر معي وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى وجعلت من أمتك اقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأول من يقضى له وأعطيتك سبعا من المثانى لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا من قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة والصلاة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وانى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ـ كل هذا الخطاب فى حال قربه من رب العالمين ثم ان الله تعالى خفف عن عباده الفعل من خمسين الى خمس وابقى لهم ثواب الخمسين تفضلا منه تعالى وتكرما على نبيه المصطفى وعلى أمته ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لما وصل الى سدرة المنتهى غشيته سحابة فيها من كل لون فتأخر جبريل ثم عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى وصل لمستوى سمع فيه صرير الاقلام فدنا من الحضرة الالهية حتى كان كقاب قوسين أو أدنى أى أو أقرب أى بل أقرب من ذلك ثم انجلت عنه السحابة فأخذ جبريل بيده فانصرف سريعا فمر على ابراهيم فلم يقل شيئا ثم أتى على موسى قال النبى صلى الله عليه وسلم ونعم الصاحب كان لكم فقال ماصنعت يا محمد ؟ ما فرض عليك ربك وعلى أمتك ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم فرض على وعلى أمتى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف عنك وعن أمتك فان أمتك لا تطيق ذلك فانى خبرت الناس قبلك وبلوت بنى اسرائيل وعالجتهم اشد المعالجة على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه فأمتك أضعف أجسادا وأبدانا وقلوبا وأبصارا وأسماعا فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم الى جبريل يستشيره فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت ، فرجع سريعا حتى انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر

ساجدا وقال رب خفف عن أمتى فانها أضعف الامم، قال وضعت عنكم خمسا وهكذا الى أن بقيت الخمس . وهذا فى صحيح مسلم من حديث أنس رضى الله عنه والذى فى المسند والصحيحين وغيرهما عن أنس عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه تعالى حط عنه عشرا ثم عاد فحط عنه عشرا ثم عاد فحط عنه عشرا ، وكذلك هو فى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه . وقال الامام الحافظ ابن الجوزى فى الوفاء وهذا أصح لاتفاق البخارى ومسلم عليه من حديث أنس عن مالك ومن حديث أنس نفسه أيضا وذكر المراجعة خمس مرات وقال عن رواية انه حط خمسا غلط من الراوى . انتهى . وقال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى كون الحط كان خمسا خمسا اصح ، ولفظه : قد حققت رواية ثابتة أن التخفيف كان خمسا خمسا وهى زيادة معتمدة يتعين حمل باقى الروايات عليها . انتهى . قلت ولمناقشته وجه وجيه من أمور احدها ان كون التخفيف عشرا عشرا أليق بكرم الكريم ، الثانى اتفاق الصحيحين عليه من حديث أنس ومن حديث مالك بن صعصعة وأما كونه خمسا خمسا فمن افراد مسلم وما اتفق عليه الصحيحان اصح . الثالث كونه عشرا عشرا أقل مراجعة . الرابع ان حديث أنس من كونه كان خمسا صادق بأن الحط فى الخامسة خمس فيصدق عليه بأن الحط كان خمسا فى الجملة والحاصل ان كون الحط كان عشرا عشرا اصح وبالله التوفيق .

**تنبيهات الاول رؤية الله فى الدنيا ممكنة**

( تنبيهات )

( الاول ) تقدم الكلام على رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لذى العزة والجبروت والانعام واختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم فى ذلك ومما ينبغى أن يعلم ان الخلاف المذكور انما هو في وقوعها لا في امكانها وجوازها اذ هى جائزة عقلا ونقلا أما العقل فواضح وأما النقل فما كان كليم الرحمن ليسأل المستحيل، هذا مما لا يظنه من عرف منصب النبوة فضلا عن الرسول فضلا عن احد أولى العزم من الرسل ، ليت شعرى من جهل الواجب والجائز والمستحيل على الله تعالى ما علم ؟ هذا مما لا يتصوره مؤمن بالله ورسله يرى الحق ويتبعه أبدا ، ثم ان رؤية البارى جل شأنه

واقعة للمؤمنين فى الآخرة قطعا كما مر واما من ادعاها فى الدنيا يقظة لغير نبينا صلى الله عليه وسلم على ما فى ذلك من الخلاف فهو ضال بل قال الكواشي فى تفسيره فى سورة النجم : ومعتقد رؤية الله تعالى هنا يعنى فى الدنيا بالعين لغير محمد صلى الله عليه وسلم فزنديق فلو قال انى أرى الله عيانا فى الدنيا ويكلمنى شفاها كفر • انتهى • ونقل عن المهدوى المفسر انه كفر مدعى الرؤية • هذا وقد نقل جماعة الاجماع على أنها لا تحصل للأولياء فى الدنيا • قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وأبو شامة أنه لا يصدق مدعى الرؤية فى الدنيا يقظة فان شيئا منع منه موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام واختلف فى حصوله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كيف يسمح به لمن لم يصل لمقامهما مما لا يتوقف فيه أنه لا يحصل لآحاد الناس • وقد اختلف فى رؤية الله تعالى مناما والحق جوازها وبالله التوفيق •

**الثانى معنى فكان قاب قوسين أو ادنى**

(الثانى) اختلف فى المراد من قوله تعالى ( فكان قاب قوسين أو أدنى ) أى حيث الوتر من القوس قاله مجاهد وقال أبو عبيدة قاب قوسين أى مقدار قوسين أو أدنى أو أقرب والقاب مابين القبضة والسية من القوس قال الواحدى هذا قول الجمهور من المفسرين أن المراد بالقوس التى يرمى بها • قال وقيل المراد بها الذراع لأنه يقاس بها الشىء • قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : وينبغى أن يكون هذا القول هو الراجح فقد أخرج ابن مردويه باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال القاب القدر والقوسين الذراعان • ويؤيده أنه لو كان المراد به القوس التى يرمى بها لم يمثل بذلك ليحتاج الى التثنية فكان يقال مثلا قاب رمح أو نحو ذلك وقد قيل أنه على القلب والمراد فكان قابى قوس لأن القاب ما بين المقبض الى السية فلكل قوس قابان بالنسبة الى خالفته • وقوله أو أدنى أى أقرب قال الزجاج خاطب الله العرب بما ألفوا والمعنى فيما تقدرون أنتم والله تعالى عالم بالاشياء على ما هى عليه لا تردد عنده ، وقيل أو بمعنى بل والتقدير بل هو أقرب من القدر المذكور وسية القوس هى الفرضة التى يوضع فيها الوتر والمراد به جبريل عليه السلام • قال الحافظ ابن كثير : هـذا هو الصحيح فى التفسير كما دل عليه كلام الصحابة رضى الله عنهم

وقد روى الشعبى عن مسروق قال قلت لعائشة رضى الله عنها ( ثم دنا فتدلى .فكان قاب قوسين أو أدنى ) قالت ذاك جبريل • قال المحقق ابن القيم لأن جبريل هو الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله ( ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ) هكذا فسره النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لعائشة قالت عائشة رضى الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال ذلك جبريل لم أره فى صورته التى خلق عليها الامرتين • رواه مسلم • قال ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك ثم ساق سبعة وجوه دالة على ذلك ، قال واماما وقع فى البخارى من رواية شريك عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فقد تكلم الناس فيه وقالوا ان شريكا غلط فيه وذكر فيه أمورا منكرة ، لكن قال المحقق أن الدنو والتدلى الذى فى حديث شريك غير هذا ، وجزم ابن كثير بأن الدنو والتدلى فى حديث شريك غير الذى فى الآية ، ولذا قال الرازى فى تفسيره فكان قاب قوسين أى فكان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين أو أقل وهذا على استعمال العرب وعادتهم فان الاميرين منهم أو الكبيرين اذا اصطلحا وتعاقدا أخرجا بقوسيهما فجعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما من الرعية يكون كفه بكف صاحبه فيمدان باعيهما كذلك فسمى مبايعة • انتهى • وقوله أو أدنى قال المحقق ابن القيم أو هنا ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة فانها لاتزيد على قوسين البتة كما قال تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ) تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة ألف رجلا واحدا ونظيره قوله تعالى ( ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ) أى لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل ان لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها قال وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل أوفى هذا الموضع بمعنى بل ومن قول من جعلها للشك بالنسبة الى الرائى ومن قول من جعلها بمعنى الواو فتأمله • انتهى •

**الثالث سدرة المنتهى**

( الثالث سدرة المنتهى ) السدر شجر النبق واحده سدرة وانما قيل لها سدرة المنتهى لانه ينتهى اليها ما يهبط من فوقها فيقبض منها واليها ينتهى

ما يعرج من الارض كما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقيل غير ذلك • قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لأن فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمـــان الذى يجمع القول والعمل والنية ، وقد وقع عند مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن السدرة في السماء السادسة وظاهر حديث أنس رضي الله عنه أنها في السابعة ،قال القرطبي وهو تعارض لا شك فيه وحديث أنس قول الاكثر وهو الذى يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهى اليها علم كل نبي مرسل وكل ملك مقرب ، ويترجح حديث أنس أيضا بأنه مرفوع وحديث ابن مسعود موقوف • قال الحافظ بن حجر كذا قال يعنى القرطبي ولم يعرج على الجمع بل جزم بالتعارض ولا يعارض أنها في السماء السادسة ما دلت عليه الاخبار أنه وصل اليها بعد أن دخل في السماء السابعة لانه يحمل على أن أصلها في السادسة وأغصانها وفروعهـــا في السابعة وليس في السادسة الا أصل ساقها ، قال ابن حجر والاظهر أن سدرة المنتهى مغروسة بالارض بدليل قوله ونهران باطنان ، ولا يطلق هذا اللفظ وما أشبهه الا على ما يفهم والباطن لا بد أن يكون سريانه تحت شيء وحينئذ يطلق عليه اسم الباطن • وقال القاضي عياض دل الحديث على أن أصل شجرة المنتهى في الارض لكونه قال ان النيل والفرات يجـــريان من أصلها وهما بالمشاهدة يجريان من الارض فيلزم منه أن يكون أصـــل السدرة في الارض ، وتعقبه النووي بأن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الارض ، والحاصل أن أصلهما من الجنة وهما يخرجان أولا من أصل السدرة ثم يسيران الى أن يستقرا في الارض ثم ينبعان • وفي أصل القصة فاذا في أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وقال جبريل لما سئل عنها اما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات • قال ابن أبي جمرة هذا يدل على أن النيل والفرات ليسا من الجنة وسدرة المنتهى ليست في الجنة حتى يقال أنهما يخرجان منها بعد نبعهما من السدرة وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة والجمـــع بينهما والله أعلم أن الفرات والنيل منبعهما من السدرة واذا أنزلا الى الارض

يسلكان أولا على الجنة فيدخلانها ثم بعد ذلك ينزلان الى الارض •انتهى• قلت اذا قلنا سدرة المنتهى فى السابعة تعين أنها فى الجنة لأن الجنة ليس سقفها سوى عرش الرحمن والله أعلم •

**الرابع المستوى المسموع منه صريف الاقلام**

( الرابع ) المستوى الذى سمع فيه صلى الله عليه وسلم صريف الاقلام هو المصعد ، وقيل المكان المستوى ، وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة وكسر الراء وبالفاء هو صوت حركة الاقلام وهو جريانها على المكتوب فيه من الاقضية الالهية والوحى وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ماشاء الله من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده تعالى من أوامره وتدبيره وفيه حجة لأهل السنة فى الايمان بصحة كتابة الوحى والمقادير فى كتب الله من اللوح المحفوظ بالاقلام الذى هو تعالى يعلم جنسها وكيفيتها على ماجاءت به الآيات والاحاديث الصحيحة فكل ماجاء من ذلك فهو حق يبقى على ظاهره، نعم كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه الا الله تعالى ومن أطلعه الله تعالى على شىء من ذلك من الملائكة والمرسلين ، وما يتأول هذا أو يحيله الا ضعيف الايمان اذ جاءت به الشريعة والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو الغنى الحميد والله تعالى أعلم

**الخامس الاسراء والمعراج فى ليلة واحدة**

( الخامس ) الصحيح المعتمد أن الاسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة هذا الذى اعتمده أكثر أهل العلم ، وقيل كان الاسراء وحده فى ليلة ثم كان هو والمعراج فى ليلة أخرى ، والاول هو الذى ذهب اليه أكثر أهل العلم من المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين • وانهما كانا يقظة بالروح والجسد جميعا ــ لا فى المنام ــ من مكة الى المسجد الاقصى الذى هو فى بيت المقدس ، الى السموات العلى الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله العلى الاعلى • قال أهل الحق وهذا هو الحق من غير امتراء وعليه يدل القرآن نصا وصحيح الاخبار الى السموات استفاض استفاضة تكاد تبلغ التواتر أو بلغته ولا يعدل عن الظاهر فى الاخبار الواردة فى ذلك ولا عن الحقيقة المتبادرة الى الاذهان من ألفاظها الى التأويل الا عند الاستحالة وتعذر حمل اللفظ على حقيقته وليس ثم استحالة تؤذن بالتأويل

فلا جرم وجب اعتقاده على ظاهره مع تفويض علم ما دق الى الحق وبالله التوفيق •

السادس هل تكرر المعراج

( السادس ) زعم بعض الصوفية أن المعراج وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة ، وقال بعضهم أربعة وثلاثين مرة ، واحدة منها بجسمه الشريف، والباقى بروحه • ورد المحقق تعدد ذلك مع تعدد فرض الصلاة والمراجعة فى الحط والتخفيف ، قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى وما أظن أحدا ممن قال بالتعدد يلتزم اعادة مثل ذلك والله تعالى أعلم

(( فكم حباه ربه وفضله وخصه سبحانه وخـــوله ))

(( فكم حباه ربه )) سبحانه وتعالى بمكرمة ((و)) كم ((فضله)) على غيره بمزية من المزايا التى لا تحصى والمكرمات التى لا تستقصى فان كم هذه خبرية بمعنى كثير فهى تفيد كثرة ما حباه ربه به من المكرمات والمزايا والحباء بمعنى الاعطاء يقال حبا فلانا أعطاه بلا جزاء ولامن ، أوعام،والاسم الحباء ككتاب كما فى القاموس ((و)) كم (( خصه )) الله ((سبحانه)) وتعالى بخصوصية يقال خصه خصا وخصوصا وخصوصية ويفتح وخصيصى ويمد وخصية وتخصة فضله ، والخاص والخاصة ضد العامة ((وخوله)) بمعنى أعطاه قال فى القاموس خوله الله المال أعطاه اياه تفضلا • والمعنى انه جل وعلا خص نبيه المصطفى بخصائص كثيرة ومزايا غير ما ذكرنا حتى ان أبا سعيد (١) فى كتابه شرف المصطفى أوصل الخصائص التى اختص الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بها عن سائر الانبياء والمرسلين الى ستين ، وبعض متأخرى الحفاظ أوصلها الى ثلاث مائة ، وقال بعض الحفاظ الحق عدم حصرها غير أنه لم يتعرض فى النظم الا لبعض المهم منها على أنها أفردت بالتأليف فلا حاجة الى تعدادها هنا

فصل فى بعض المعجزات

(( فصـــــل ))

(( فى التنبيه على بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة جدا ))

وتعريف المعجزة هى اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة وفى القاموس معجزة النبى ما أعجز به الخصم عند التحدى والهاء للمبالغة •

(١) هو الخركوشى ، راجع كشف الظنون ، ووقع فى الاصلين :ابن سعد

انتهى • وقال ابن حمدان فى نهاية المبتدئين : المعجزة هى ماحرق العادة من قول أو فعل اذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدى ابتداء بحيث لا يقدر أحد عليها ولا على مثلها ولا على مايقاربها • وقال الفخر الرازى : المعجزة عرفا أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة • قال العلامة التفتازانى : انما قال أمر ليتناول الفعل كانفجار الماء من بين أصابع النبى صلى الله عليه وسلم ويتناول عدمه أى عدم الفعل كعدم احراق النار ابراهيم عليه السلام • واحترزوا بقيد المقارنة للتحدى عن كرامات الأولياء والعلامات الارهاصية التى تتقدم البعثة النبوية وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من مضى من الانبياء أو ما تقدم له فى السنين الماضية حجة لنفسه ، وبقيد عدم المعارضة عن السحر والشعبذة ، وقول ابن حمدان وطابقها ليخرج ما اذا قال معجزتى نطق هذا الحجر فنطق بأنه كذاب مفتر ، وكما تفل مسيلمة فى بئر فغار ماؤها ومسح على رأس غلام فصار أقرع ونحو ذلك • اذا عرفت هذا فقد أشار الى التنبيه على أن معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فلا يمكن استقصاء عدها بقوله :

(( ومعجزات خاتم الانبياء  كثيرة تجل عن احصائى ))

(( ومعجزات )) جمع معجزة وتقدم تعريفها آنفا (( خاتم الانباء )) يعنى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم والانباء جمع نبى وتقدم الكلام على كونه خاتم النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (( كثيرة )) جدا (( تجل )) أى تعظم وتكبر (( عن احصائى )) أى عن عدى وحفظى لكثرة افرادها وتنوعها من الاقوال والافعال التى ما سبقت لمثله من الانبياء ولم يبلغ أحد من الانبياء من كثرة المعجزات ما بلغه نبينا صلى الله عليه وسلم وهو دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء والاهتمام بشأنه والاحتفال بأمر نبوته ، وأيضا لما كان نبينا خاتم النبيين والمرسلين وشريعته خاتمة الشرائع أجمعين ناسب كثرة المعجزات وترادف الآيات البينات والمعجزات • قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه فى كتابه الجواب الصحيح : الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة وهى أكثر وأعظم من آيات غيره من الانبياء قال ويسميها

النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك ، قال وهذه الالفاظ اذا سميت بها آيات الانبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا فى الكتاب ولا فى السنة وانما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان ، وأهل الكلام لايسمون معجزا الاما كان للأنبياء فقط واما ما يثبت للأولياء من خرق عادة يسمونها كرامة ، قال والسلف كالامام احمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ويقولون لخوارق الاولياء انها معجزات اذ لم يكن فى اللفظ ما يقتضى اختصاص الانبيـــاء بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبى فان هذا يجب اختصاصه ، وربما سموا الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه الولى فان الدليـــــل يستلزم المدلول فيمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ماكان آية وبرهانا وهو الدليل والعلم على نبوة النبى يمتنع أن يكون لغير النبى ، وقد يقال أنهم سموها معجزات لأن كرامات الاولياء دليل على نبوة النبى الذى اتبعوه أو لأنها تعجز غيرهم وهى آية على صحة طريقتهم • انتهى • قال بعض العلماء معجزات نبينا كثيرة لا تنحصر ،وفى كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم أعطى ثلاثة آلاف معجزة يعنى غير القرآن فان فيه ستين أو سبعين ألف معجزة تقريبا ولهذا قال :

**القرآن وانشقاق القمر**

(( منها كلام الله معجز الورى    كذا انشقاق البدر فى غير امترا ))

((منها)) أى من معجزات نبينا خاتم النبيين والمرسلين بل أعظمها وأجلها (( كلام الله )) المنزل على النبى المرسل (( معجز الورى )) كفتى الخلق جميعهم انسهم وجنهم وأولهم وآخرهم فهو معجز بنفسه ليس فى وســـع البشر الاتيان بسورة من مثله كما تقدم ذلك موضحا و (( كذا )) من غرر معجزاته صلى الله عليه وسلم (( انشقاق البدر )) أى القمـــر قال فى القاموس : والبدر القمر الممتلىء • انتهى • وهو أحد الكواكب السيارة التى هى الشمس والقمر والزهرة وعطارد والمريخ والمشترى وزحـــل فانشقاق القمر نصفين ثابت (( من غير امترا )) أى من غير شك ولا جدل مأخوذ من المرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مماراة ومراء وامترى فيه وتمارى شك كما فى القاموس • وفى النهاية المراء الجدال

والتمارى والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة • انتهى • وانما قال من غير امترا لثبوت ذلك وظهوره لكل أحد ظهورا تاما وثبوتا جازما وقصة ذلك كما فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما •وقال‌شيبان عن قتادة فأراهم انشقاق القمر مرتين • وفى حديث ابن‌مسعود عند البخارى ومسلم‌وغيرهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا • وقال ابن عباس رضى الله عنهما اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنون ؟ قالوا نعم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل ان يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى يا فلان يا فلان اشهدوا وذلك‌بمكة قبل الهجرة • وقال مجاهد انشق القمر فبقيت فرقة من وراء الجبل • وقال ابن زيد لما انشق القمر كان يرى بجبل قعيقعان النصف وبأبي قبيس النصف‌الآخر.قال في النهاية قعيقعان جبل‌بمكة قيل سمى بذلك لأن‌جرهما لما تحاربوا كثرت‌قعقعة‌السلاح‌هناك‌وجبل‌أبى‌قبيس‌مشهور معلوم بمكة • وروى الامام‌احمد من حديث جبير‌بن‌مطعم رضى الله عنه قال انشق القمر‌على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد وقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فاسألوا فان شهدوا بما أبصرتموه فهو حق وليس هو سحرا فسألوا من كان مسافرا عن مكة من أهلها ومن غيرهم فأخبروهم أنهم رأوا ذلك فتمادوا فى كفرهم وعتوهم ولم يؤمنوا • وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هذا سحر سحركم ابن أبى كبشة فاسألوا السفار يقدمون عليكم فان كان مثل ما رأيتم فقد صدق والا فهو سحر فقدم السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رأينا قد انشق القمر • وأخرج أبو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( اقتربت الساعة وانشق القمر ) قال

انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم • (قلت) قد ثبت انشقاق القمر بنص القرآن العظيم وبالسنة الصحيحة الصريحة عن الرسول الكريم وقد بلغت الاحاديث بذلك مبلغ التواتر وأجمع على ذلك أهل الحق • وهذا الانشقاق الواقع للقمر من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التى اختص بها عن سائر النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلم يشركه فى ذلك غيره ولم يقع لأحد سواه وهو من أمهات معجزاته التى لا يكاد يعدلها بعد القرآن شيء ولا يعدلها آية من آيات الانبياء عليهم السلام لظهور ذلك فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع مافى هذا العالم المركب من الطبائع فهو آية ومعجزة جسيمة ولهذا قرنها بمعجزة القرآن واقتصر عليهما من المعجزات لأن فيهما كفاية عما سواهما والا فمعجزاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى ودلائل نبوته لا تستقصى •

( تنبيهات )

**تنبيهات الاول رواة انشقاق القمر**

( الاول ) قد روى انشقاق القمر عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم منهم ابن مسعود وأنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم وغيرهم رضى الله عنهم

**الثانى او ما قيل أنه دخل فى جيبه الخ**

( الثانى ) الثابت من قصة انشقاق القمر ما ذكرناه من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة وأما ما قيل أن القمر دخل فى جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فلا أصل له

**الثالث آياته ( ص ) أنواع**

( الثالث ) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى الجواب الصحيح : آياته صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع ( منها ) ما هو فى العالم العلوى كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة ومعراجه الى السماء ، قال وانما جعل الآية فى انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب لانه أقرب الى الارض من الشمس والنجوم ، وكان الانشقاق فيه دون أجزاء الفلك لأنه جسم مستنير فيظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهورا لا يتمارى فيه ، واذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك ، قال وفيه حكمتان عظيمتان احداهما كونه من آيات النبوة ، والثانية أن فيه دلالة على جواز انشقاق الفلك وان ذلك دليل واضح على ما أخبرت به

الرسل عليهم الصلاة والسلام من انشقاق السموات خلافا للفلاسفة فى زعمهم أن الفلك لا يقبل الخرق والالتئام والله أعلم ( ومنها ) ما هو فى الجو كاستسقائه واستصحائه صلى الله عليه وسلم وطاعة السحاب فى حصوله وذهابه ( ومنها ) تصرفه فى الحيوانات الانس والجن والبهائم ( ومنها ) تصرفه فى الاشجار والخشب والاحجار ( ومنها ) تأييده بملائكة السماء ( ومنها ) كفاية الله تعالى له أعداءه وعصمته من الناس ( ومنها ) اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ( ومنها ) اعلامه بالمغيبات الماضية والمستقبلة ( ومنها ) تأثيره فى تكثير الماء والشراب والطعام والثمار وغير ذلك من دلائل نبوته واعلام رسالته ومعجزاته الظاهرة وآياته الباهرة

**الرابع من آيات صدقه ( ص ) صورته وهيأته**

( الرابع ) أن نفس صورة النبى صلى الله عليه وسلم الشريفة الباهرة وهيئته وطلعته الظاهرة وسمته ودله يدل العقلاء على صدقه ولهذا قال عبدالله ابن سلام رضى الله عنه : فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب . ومن سمع كلامه ورأى آدابه لم يدخله شك فى نبوته . قال الحافظ ابن الجوزى وغيره من الحفاظ : وثبت فى عدة أخبار أنه صلى الله عليه وسلم كان فى صغره يعرف بالامانة والصدق وجميل الاخلاق ، وقد قال هرقل فى حديث أبى سفيان : ماكان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى الجواب الصحيح قال نفطويه فى قوله تعالى ( يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ) هو مثل ضربه الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

لو لم تكن فيه آيات مبينة　كانت بديهته تأتيك بالخبر

وذكره القاضى عياض فى كتابه الشفاء وذكر من هذا القبيل طرفا صالحا وبالله التوفيق

★ ( فصل ) ★

فى ذكر فضيلة نبينا وأولى العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(( وأفضل العالم من غير امترا　نبينا المبعوث فى أم القرى ))

(( وأفضل العالم )) العلوى والسفلى من ملك وبشر وجن فى الدنيــا والآخرة فى سائر خلال الخير وخصال الكمال ونعوت المكارم والجمال (( من غير امترا )) أى من غير شك ولاريب قال في القاموس : العالم الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك ((نبينا)) خبرا المبتدا الذى هو أفضل العالم محمد (( المبعوث )) رسولا لكافة الناس بل للثقلين الانس والجن قيل والملائكة وتقدم ذلك (( فى أم القرى )) مكة المشرفة وبكة المعظمة قال تعالى ( لتنذر أم القرى ) يعنى مكة قال الحافظ ابن الجوزى فى كتابه مثير الغرام الساكن الى أشرف الاماكن : فى تسميتها بذلك أربعة أقوال ( أحدها ) لأن الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقال ابن قتيبة لأنها أقدمها ( الثانى ) لأنها قبلة يؤمها جميع الناس ( الثالث ) لانها أعظم القرى شأنا ( الرابع ) لأن فيها بيت الله عز وجل ولما اطردت العادة بأن بلد الملك وبيته هو المتقدم على الاماكن سمي أما لأن الأم متقدمة • وانما كان أفضل خلق الله تعالى لأن الله تعالى أيده بأبهر المعجزات وأظهــر الدلالات وأشهر المكرمات فمعجزاته أشهر المعجزات وأبهرها وأمته أزكى الامم وأطهرها وشريعته أتم الشرائع وأشهرها وصفاته أكمل الصفــات وأشرفها وأخلاقه أحسن الاخلاق وأعرفها وأوسعها وشيمه أعلى الشيــم وأنفعها

ومن أعظم ما يدل على تعظيم نبينا وفضله على سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن الله سبحانه وتعالى أقسم بحياته وفى شرعه انما تنعقد الايمان بأسماء الله تعالى وصفاته وكلامه لا بدون ذلك ، قال الامام الحافظ ابن الجوزى فى الوفاء أقسم الحق عز وجل بحياته وانما يقع القسم بالمعظم وبالمحبوب قال تعالى ( لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ) وأخرج الرمذى وغيره من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال :ماخلق الله وما ذرأ نفسا هى أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وماسمعته أقسم بحياة أحد غيره فقال ( لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون ) •قال الامام ابن عقيل رحمه الله تعالى وأعظم من قوله تعالى لموسى ( واصطنعتك لنفسى) قوله تعالى ( ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ) وبيان ذلك أنه جعل

اللام فى قوله واصطنعتك لنفسى التى هى للملك أو الاختصاص بينه وبينه ولم يجعل بينه تعالى وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة بل قال ( ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ) وقوله تعالى ( لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) المعنى أقسم بك لا بالبلد فان أقسمت بالبلد فلأنك فيه ، ثم قال ابن عقيل : يا موسى اخلع نعليك ولا تجىء الا ماشيا ، يا محمد اركب البراق ولا تجىء الا راكبا (١) ،وأخرج الطبرانى وصححه وابن حبان من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعا « أتانى جبريل فقال يقول لك ربك أتدرى كيف رفعت لك ذكرك ؟قال الله اعلم ،قال اذا ذكرت ذكرت معى » وأخرجه الشافعى وسعيد بن منصور وعبد الرزاق من طريق مجاهد قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ، قال ولو أن عبدا عبد الله وصدقه فى كل شىء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشىء وكان كافرا . وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة ولا أذان الا ينادى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وفيه يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الآله اسم النبى الى اسمه ... اذا قال فى الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن مزاياه على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه تعالى دعاهم بأسمائهم ( يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ـ واذكر فى الكتاب ادريس ـ يا نوح اهبط بسلام منا ـ يا ابراهيم اعرض عن هذا ـ يا موسى انى اصطفيتك ـ ياداود انا جعلناك خليفة ـ يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى ـ يا زكريا انا نبشرك ـ يا يحيى خذ الكتاب ) ودعا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والتفخيم فقال ( يا أيها النبى ـ يا أيها الرسول ) ولما ذكر اسمه قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى ( وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ـ محمد رسول الله والذين معه ـ وآمنوا بما نزل على

---

(١) ثبتت أحاديث فى النهى عن التفضيل بين الانبياء سيأتى ذكرها ومهما قيل فى توجيهها فان مثل هذا الكلام يخالفها

محمد ـ ماكان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله ) ولما ذكر الخليل وسيدنا رسول الله ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى ( ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى ) • وقال ابن الجوزى رحمه الله تعالى وكان الانبياء عليهم السلام يجادلون أممهم عن أنفسهم كقول قوم نوح ( انا لنراك فى ضلالة ) فقال دافعا عن نفسه : ليس بى ضلالة ـ وقال قوم هود انا لنراك فى سفاهة فقال ليس بى سفاهة ـ وقال فرعون انى لأظنك يا موسى مسحورا ـ فقال موسى ـ انى لأظنك يا فرعون مثبورا أى مصروفا عن الحق مطبوعا على قلبك وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فتولى الحق سبحانه المجادلة عنه فلما قالوا هذا شاعر قال تعالى ( وما علمناه الشعر ) ولما قالوا كاهن قال تعالى ( وما هو بقول كاهن ) وقالوا ضل فقال ( ما ضل صاحبكم وما غوى ) وقالوا مجنون فقال ( ماأنت بنعمة ربك بمجنون ) حتى قال تعالى ( لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ) قال الواحدى أعلمهم الله بفضل النبى صلى الله عليه وسلم على سائر البرية فى المخاطبة وأمرهم أن يفخموه ويشرفوه ولا يقولوا له عند دعائه يا محمد يا ابن عبد الله كما يدعون بعضهم بعضا بل يقولون يا رسول الله يا نبى الله فى لين وتواضع وخفض • وذكر ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول الآية قال كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله تعالى عن ذلك اعظاما لنبيه فقالوا يا نبى الله يا رسول الله • وحكى عن الحسن نحوه رواه أبو نعيم، وهذا بخلاف الامم السالفة فانهم كانوا يخاطبون أنبياءهم باسمائهم

وفضائله ومزاياه صلى الله عليه وسلم كثيرة شهيرة فهو أفضل خلق الله تعالى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه •وفى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع » وفى الترمذى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا ، لواء الحمد بيدى وأنا أكرم

ولد آدم على ربى ولا فخر » قال ابن الانبارى أراد لا أتبجح بهـــذه الاوصاف لكن أقولها شكرا ومنبها على انعام ربى على • وفى حديث جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى »

**التفضيــل بين الانبياء**

فان قيل قد قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له ياخير البرية: ذاك ابراهيم وقال : لا تخيروني على موسى • وقال : لا تفاضلوا بين الانبياء • وقال صلى الله عليه وسلم : ماينبغي لعبد أن يقول انى خير من يونس بن متى • فالجواب انه صلى الله عليه وسلم اما أن يكون قال ذلك قبل أن يعلمه الله تعالى انه سيد الاولين والآخرين فلما أعلمه الله سبحانه وتعالى بذلك أخبر به وأما أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا (١) واحتراما لخلة ابراهيم عليه السلام ، واما أنه أراد برية عصر ابراهيم أو ان النهى انما هو عن تفضيل يؤدى الى تنقيص المفضول ( ٢ ) أو يؤدى الى الخصومة والفتنة كما هو المشهور فى سبب ورود تلك الاحاديث ، أو لأن النهى عن التفضيل فى النبوة نفسها وذلك قد لا يتصور فيها بل فى خصائصها وتوابعها ، والحق أنه ورد النص بتفضيل (٣) بعض الرسل على بعض فقد قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ) والحاصل انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل العلم بتفضيل الله له على سائر الانبياء والرسل مع مراعاته لعلو مراتبهم الباذخة وجلالة مناصبهم الشامخة ثم أعلمه الله تعالى بأنه سيد الاولين والآخرين وأفضل جميع الانبياء والمرسلين وأمر بتبليغ ذلك فبلغه كما أمر لأن اعتقاد ذلك حق لازم وفرض جازم مع مجانبة التفضيل المؤدى الى تنقيص المفضول ومراعاة علو تلك المراتب التى لا تدرك كنه حقائقها أكثر العقول فالنبى المصطفى أفضل الخلق جميعا بلا خفاء صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

---

(١) كان صلى الله عليه وسلم يتواضع ويتأدب ولا يقول الا حقا

(٢) هذا أشف الاجوبة عن أحاديث النهى عن التفضيل

(٣) أما تفضيل الله تعالى بعض الانبياء فثابت ، وأما التفضيل الذى جاء النهى عنه فهو تفضيل الناس بين الانبياء يعنى خوضهم فى ذلك وكلامهم فيه تفصيلا ، والنهى عن هذا لا ينفى ذاك

(( وبعده الافضل أهل العزم فالرسل ثم الانبيا بالجزم ))

(( وبعده )) أى بعد النبى صلى الله عليه وسلم (( الافضل )) من سائر الخلق هم (( أهل العزم )) أى أهل الثبات والجد من الرسل وهم على المشهور ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الروح ونوح النجى فيكونون خمسة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم المذكورون فى قوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ) فانهم أصحاب الشرائع وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم تعظيما له وتكريما لشأنه ، وهؤلاء الذين اجتهدوا فى تأسيس الشرائع وتقريرها وصبروا على تحمل المشاق من قومهم ومعاداة الطاغين فيها ، وقيل انما كانوا هم أولى العزم لصبرهم على البلاء من الله تعالى فنوح صبر على أذى قومه فانهم كانوا يضربونه حتى يغشى عليه ، وابراهيم صبر على النار وذبح ولده • وقد قيل كل الرسل من أولى العزم فمن للتبيين لا للتبعيض ، وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ) ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد والصبر قال ابن زيد كل الرسل كانوا أولى عزم لم يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل وانما ادخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز • وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس عليه السلام لعجلة كانت منه الا ترى انه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم (ولا تكن كصاحب الحوت) وقال قوم أولو العزم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) وقال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة نوح وابراهيم الخ • وهو المشهور كما قدمنا آنفا • وأخرج البغوى فى تفسيره وأبو الشيخ بن حيان عن مسروق قال قالت لى عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياعائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة ان الله لم يرض من أولى العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن [1] محبوبها فلم يرض الا أن كلفنى ما كلفهم فقال

---

(١) هكذا فى تفسير البغوى ووقع فى مط «على» وفى مخ « ع »

(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وانى والله لا بد لى من طاعته والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن ( كماجهدوا -١)ولا قوة الا بالله ،

وقد اختلف العلماء في من يلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الفضيلة منهم والمشهور واختاره الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى انه ابراهيم خليل الرحمن لما ورد أن ابراهيم عليه السلام خير البرية خص منه محمد صلى الله عليه وسلم باجماع فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليهم السلام والثلاثة بعد ابراهيم أفضل من سائر الانبياء والمرسلين ، قال الحافظ ابن حجر ولم أقف على نقل أيهم أفضل ، والذى ينقدح فى النفس تفضيل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام ، قال بعض العلماء لعل تقديم موسى عليه السلام لانه كلمه الله ثم عيسى عليه السلام لانه كلمة الله وقال بعض المحققين: الواجب اعتقاده أفضلية الافضل على طبق مورد الحكم به تفصيلا فى التفصيلى واجمالا فى الاجمالى ثم ان تعين لنا نص من الشارع على الوجه الذى جعله سببا لأفضليته قلنا به والا أمسكنا عنه لأن التفضيل راجع لاختيار البارى سبحانه وتعالى لا لعلة موجبة وجدت فى الفاضل وفقدت من المفضول ولله تعالى أن يفضل من عبيده من يشاء بما يشاء على من يشاء منهم وان كان كل واحد منهم كاملا فى نفسه بالغا من ذلك الغاية التى تليق به من غير أن يحمله على ذلك وصف يكون فيهم وذلك مما يجب له سبحانه بحق ربوبيته وسيادته ، ولا شك أن الفاضل لا يجب أن يفضل بما لم يجعله الله سببا لتفضيله وأن المفضول لا يجب أن يجعل مفضولا لسبب لم يجعله الله تعالى سببا لمفضوليته وأن الله تعالى لا يحب أن يفاضل أحد بين احبابه بما لم يجعله سببا للمفاضلة فتعين أن الصواب ما أشير اليه من الوقوف على المنقول بالنص القرآنى والثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه تفصيلا واجمالا وبالله التوفيق • ثم بعد أولى العزم (( فـ )) الواجب اعتقاده أن يليهم فى الافضلية سائر (( الرسل ))المكرمين بالرسالة فهم أفضل من الانبياء عليهم السلام غير الرسل وبه يعلم ان الرسالة أفضل من النبوة ولو فى شخص واحد خلافا للعز ابن عبدالسلام

---

(١) من تفسير البغوى

فى قوله أن نبوة النبى أفضل من رسالته لقصرها على الحق تعالى اذ هى الايحاء بما يتعلق بالبارى جل شأنه من غير ارتباط له بالخلق اما مع تعدد المحل فلا خلاف فى أفضلية الرسالة على النبوة ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة على أن الصحيح المعتمد أفضلية الرسالة مطلقا والله تعالى أعلم (( ثم )) الافضل بعد الرسل الكرام (( الانبيا )) عليهم أفضل الصلاة والسلام وهم متفاوتون فى الفضيلة فبعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى (( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض )) فهذا واجب الاعتقاد تفصيلا فيمن علم منهم وعلم حكمه تفصيلا ولو بدليل ظنى صحيح واجمالا فيما علم منهم وعام حكمه اجمالا ولهذا قال (( بالجزم )) السديد والقطع المفيد للحكم المذكور من غير شك ولا ترديد حسبما تقدم على النهج السديد الا قوم ، وعلم مما ذكر ولا سيما من قوله بالجزم رد زعم من زعم ان الولى قد يبلغ درجة النبى كما يحكى عن الكرامية ، بل زعم بعض الصوفية أن الولاية أفضل من النبوة ، قالوا لأنها تنبىء عن القرب والكرامة كما هو شأن خواص الملك والمقربين منه والنبوة عن الانباء والتبليغ كما هو حال من أرسله الملك الى الرعايا لتبليغ الاحكام ، قالوا الا أن الولى لا يبلغ درجة النبى بخلاف العكس لأن نبوة النبى لا تكون بدون الولاية • وقد شنع شيخ الاسلام ابن تيمية على من يزعم ذلك فى محلات من كتبه وقال ان ذلك مخالف لدين الاسلام واليهود والنصارى، وقال فى جواب المسائل الاسكندرية بعد ماذكر شنيع مقالاتهم وزيف ترهاتهم : ولهذا يقولون ان الولاية أعظم من النبوة والنبوة أعظم من الرسالة وينشدون

**رد بعض المزاعم فى فضل الولاية وختمها وحقيقة النبوة**

مقام النبوة فى برزخ      فويق الرسول ودون الولى

**ويقولون أن ولاية النبى أعظم من نبوته ونبوته أعظم من رسالته ، ثم قد يدعي أحدهم أن ولايته وولاية سائر الاولياء تابعة لولاية خاتم الاولياء وأن جميع الانبياء والرسل من حيث ولايتهم ( التى ) هى أعظم عندهم من نبوتهم ورسالتهم انما يستفيدون العلم بالله الذى هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة خاتم الاولياء ، وشبهتهم فى أصل ذلك ان قالوا**

الولى يأخذ عن الله بغير واسطة والنبى والرسول يأخذ بواسطة ، ولهذا جعلوا ما يلقى فى نفوسهم ويجعلونه من باب المخاطبات الالهية والمكاشفات الربانية أعظم من تكليم موسى بن عمران عليه السلام ، قال وهى فى الحقيقة ايحاءات شيطانية ووساوس نفسانية ( وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ) ولو هدوا لعلموا أن أفضل ما عند الولى ما يأخذه عن الرسول لا ما يأخذه عن قلبه ، وأن أفضل الاولياء الصديقون وأفضلهم أبو بكر رضى الله عنه وكان هو أفضل من عمر مع أن عمر كان محدثا كما ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « قد كان قبلكم فى الامم محدثون فان يكن فى أمتى أحد فعمر » وفى الترمذى « لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر » وقال « ان الله تعالى ضرب الحق على لسان عمر وقلبه » ومع هذا فالصديق الذى تلقى من مشكاة النبوة مطلقا أفضل لأن مأخذه معصوم من الخطأ والمحدث ليس معصوما بل يقع له الصواب والخطأ ، ولهذا يحتاج أن يزنه بميزان النبوة المعصومة ، وقال أبو مجلز فى قوله تعالى ( ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ) قال ان يسأل منازل الانبياء . ثم تكلم على زعمهم ما زعموا فى خاتم الاولياء وان هذه كلمة لا حقيقة لفضلها ومزيتها وانما تكلم أبو عبد الله الحكيم الترمذى بشىء من ذلك غلطا لم يسبق اليه ولم يتابع عليه ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن تقى يكون وليس ذلك أفضل الاولياء باتفاق المسلمين بل أفضل الاولياء سابقهم وأقربهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أبوبكر ثم عمر رضى الله عنهما كما يأتى اذ الاولياء يستفيدون من الانبياء كما يأتى فأقربهم الى الرسول أفضلهم بخلاف خاتم الرسل فان الله تعالى أرسله بالرسالة لم يحله على غيره فقياس مسمى أحد اللفظين على الآخر فى وجوب كونه أفضل من أفسد القياس . وقال شيخ الاسلام روح الله روحه فى مكان آخر فى التنكيت على من جعل خاتم الاولياء أفضل من الرسل والانبياء : وزعم هؤلاء أن الرسل جميعهم والانبياء يستفيدون علم المعرفة بالله تعالى من مشكاة الذى جعلوه خاتم الاولياء وجعلوه أفضل من خاتم الرسل من جهة الحقيقة والعلم به وأنه يأخذ عن الاصل من حيث

يأخذ الملك الذى يوحى الى خاتم الرسل فان خاتم الرسل انما هـو سيد فى الشفاعة فسيادته فى هذا المقام الخاص لا على العموم ، قال هؤلاء وليس هذا العلم الا لخاتم الرسل وخاتم الاولياء وما يراه أحد من الاولياء الا من مشكاة الولى الخاتم حتى أن الرسل لا يرونه متى رأوه الا من مشكاة خاتم الاولياء فان الرسالة والنبوة أعنى نبوة التشريع ورسالتـه ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدا فالمرسلون من ( حيث ) كونهم أوليـاء لا يرون ما ذكرناه يعنى من الحقيقة والعلم بالله ومعرفته الا من مشكاة خاتم الاولياء فكيف من دونهم من الاولياء وان كان خاتم الاولياء تابعـا فى الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لا يقدح فى مقامه ولا يناقض ما ذهب اليه هؤلاء فى مايزعمون، قالوا فانه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى • وذكر شيخ الاسلام عنهم من مثل هذه الترهات أشياء كثيرة ينبو عنها السمع وناقشهم عليها مناقشة تامة ، ولا يخفى على أحد من أهل الملة أن أفضل الخلق الرسل فالانبياء فالصحـابة فالاولياء وان دخل بعضهم فى بعض فى الجملة والله تعالى الموفق

**فصل فيما يجب ويجوز ويستحيل فى حق الانبياء (ص)**

(( فصـــل

فيما يجب للأنبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم وما يستحيل فى حقهم ))

قد تقدم فى أول الباب شروط من يكرمه الله بالنبوة من الذكـــورة والحرية والقوة على أعباء ما حملوه ونحو ذلك وذكر هنا ما يجب اعتقاده فى حقهم

(( وان كل واحد منهم سـلم      من كل مانقص ومن كفرعصم))
(( كذاك من افك ومن خيانه      لوصفهم بالصـدق والامانه ))

((و)) هو ان يعرف كل مسلم (( أن كل واحد منهم )) أى من الانبياء الكرام والرسل العظام (( سلم )) وتنزه (( من كل ما )) زائدة لاقامة الوزن ومزيد التأكيد عما سلموا منه ونزهوا عنه (( نقص )) يؤدى الى ازالة الحشمة واسقاط المروءة وألحقت بفاعلها الازراء والخسة كسرقـة لقمة وتطفيف بحبة لقيام الاجماع على عصمتهم من كل ما يؤدى الى الازراء والدناءة لأن الله تعالى يقول ( لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة )وقال

﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ ومن المعلوم عموم ذلك وليس فى شىء من فعل ما يزرى مايوجب حب الله ولا حسن التأسى والاقتداء فى ذلك فوجب تنزيههم عنه وعن كل عيب وسلامتهم من كل ما يوجب الريب ((و)) ان كل واحد منهم (( من كفر )) بجميع أنواعه (( عصم )) قبل النبوة وبعدها والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامى والاعتصام الامتساك بالشىء افتعال منه ومنه شعر أبى طالب * ثمال اليتامى عصمة للأرامل * أى يمنعهم من الضياع والحاجة قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : الناس متفقون على أن الانبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله فلا يستقر فى ذلك خطأ باتفاق المسلمين ولكن هل يصدر منهم ما يستدركه الله تعالى فينسخ ما يلقى الشيطان ويحكم الله آياته ؟ هذا فيه قولان ، قال والمأثور عن السلف يوافق القول بذلك ، قال واما العصمة فى غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع ومتنازعون فى العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها أو هل العصمة انما هو فى الاقرار عليها لا فى فعلها ، وقيل لا يجب القول فى العصمة الا بالتبليغ فقط قال وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا ؟ قال والذى عليه الجمهور الموافق للآثاراثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا ، قال ووقوع الذنب اذا لم يقر عليه لم يحصل منه تنفير ولا نقص فان التوبة النصوح يرفع بها صاحبها أكثر مما كان أولا ، وكذلك التأسى بهم انما هو فيما أقروا عليه بدليل النسخ ونحوه . انتهى . وقال ابن حمدان فى نهاية المبتدئين: وانهم معصومون فيما يؤدون عن الله تعالى وليسوا معصومين فى غير ذلك من الخطأ والنسيان والسهو والصغائر فى الاشهر ، لكن لا يقرون على ذلك ، وقال ابن عقيل فى الارشاد انهم عليهم الصلاة والسلام لم يعتصموا فى الافعال بل فى نفس الأداء ، قال ولا يجوز عليهم الكذب فى الاقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى . انتهى . وقال الحافظ زين الدين العراقى :النبى صلى الله عليه وسلم معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالاجماع ولا يعتد بخلاف بعض الخوارج والحشوية الذين نقل عنهم تجويز ذلك ، ولا بقول من

قـال مـن الروافض بجوازها تقية وانما اختلفوا في جواز وقوع الصغيرة سهوا فمنعه الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني والقاضي عياض واختاره تقي الدين السبكي قال وهو الذي ندين الله به وأجازه كثير من المتكلمين قال القاضي عياض اجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر والموبقات قال وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا انتهى • وقال العلامة السعد التفتازاني وفي عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحي وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية وانما الخلاف في ان امتناعه بدليل السمع او العقل واما سهوا فجوز الاكثرون قال واما الصغائر فيجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائي واتباعه ويجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة لكن المحققين شرطوا ان ينهوا عنه فينتهوا منه هذا كله بعد الوحي قال واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها لانها توجب النفرة المانعة من اتباعهم فتفوت مصلحة البعثة قال السعد والحق منع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة ومنع الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة منهم قبل الوحي وبعده لكنهم جوزوا اظهار الكفر تقية انتهى •

## ( تنبيه )

لم يكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على دين قومه بل ولد مسلما مؤمنا كما قال ابن عقيل وغيره قال في نهاية المبتدئين قال ابن عقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم على دين سوى الاسلام ولا كان على دين قومه قط بل ولد نبينا مؤمنا صالحا على ما كتبه الله وعلمه من حاله انتهى وقـال الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف وقد استدل الامام احمد رضي الله عنه بحديث العرباض بن سارية السلمي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « اني عند الله في ام الكتاب لخاتم النبيين وان آدم عليه السلام لمنجدل في طينته » رواه الامام احمد وروى معناه من حديث ابي امامة الباهلي رضي الله عنه ومن وجوه اخر مرسلة وخرج الحاكم ايضا حديث العرباض وقال صحيح الاسناد على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل على

التوحيد مذ نشأ ورد بذلك على من زعم غير ذلك قال الحافظ بل يستدل بذلك على انه صلى الله عليه وسلم ولد نبيا فان نبوته وجبت له من حين اخذ الميثاق حيث استخرج من صلب آدم فكان نبيا من حينئذ لكن كانت مدة خروجه الى الدنيا متأخرة عن ذلك وذلك لا يمنع كونه نبيا قبل خروجه كمن يولى ولاية ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته وان كان تصرفه متأخرا الى حين مجيء الوقت قال الحافظ قال حنبل قلت لابي عبدالله يعني الامام احمد رضي الله عنه من زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه قبل ان يبعث قال هذا قول سوء ينبغي لصاحب هذه المقالة ان يحذر كلامه ولا يجالس قلت ان جارنا الناقد ابا العباس يقول هذه المقالة قال قاتله الله وأي شيء أبقى اذا زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وهم لا يعبدون الاصنام قال الله تعالى مخبرا عن عيسى عليه السلام ( ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ) ثم قال الامام احمد رضي الله عنه ماذا يحدث الناس من الكلام هؤلاء اصحاب الكلام من احب الكلام لم يفلح سبحان الله لهذا القول واحتج الامام احمد برؤيا امه النور عند ولادته حتى اضاءت له قصور الشام قال وليس ذلك عندما ولدت رأت ذلك • وقيل وقبل ان يبعث كان طاهرا مطهرا من الاوثان ثم قال الامام احمد احذروا الكلام فان اصحاب الكلام لا يؤل امرهم الى خير خرجه ابو بكر عبد العزيز في كتاب السنة قال الحافظ ابن رجب ومراد الامام احمد بالاستدلال ٧ بتقديم البشارة بنبوته من الانبياء من قبل خروجه الى الدنيا وولادته وهذا هو الذي يدل عليه حديث العرباض انتهى كلام الحافظ ابن رجب ملخصا وقد صرح فيه بنص الامام ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد على الاسلام والله اعلم •

(كذلك) كل واحد من الانبياء والمرسلين قد عصم (من أفك) أي من كذب قال في النهاية الأفك في الاصل الكذب قال في القاموس أفك كضرب وعلم افكا بالكسر والفتح افوكا كذب كافك فهو افاك وافيك وافوك وفي حديث عرض نفسه صلى الله عليه وسلم على قبائل العرب لقد افك قوم كذبوك وظاهروا عليك أي صرفوا عن الحق ومنعوا منه يقال افكه يأفكه

افكا اذا صرفه عن الشيء والحاصل ان انبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب (و) معصومون ( من خيانة ) ولو قالت ( ا ) وجوب ( وصفهم ) عليهم الصلاة والسلام ( بالصدق ) الذي هو ضد الكذب ( و ) وجوب وصفهم بـ ( الامانة ) التي هي ضد الخيانة والضدان لا يجتمعان فالصدق واجب في حقهم عقلا وشرعا وهو مطابقة اخبارهم للواقع ايجابا وسلبا اذ لو جاز عليهم الكذب الذي هو عدم مطابقة الواقع لجاز الكذب في خبره تعالى لتصديقه اياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله تعالى صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب والكذب على الله تعالى محال فلزومه كذلك وقد اجمعت الامة على ان ما كان طريقه الابلاغ فالانبياء والرسل معصومون فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف الواقع لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا على تفصيل في بعض ذلك يعلم مما مر وقال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله سره يجب على الخلق الاقرار بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فما جاء به القرآن العزيز او السنة المعلومة وجب على الخلق الاقرار به جملة وتفصيلا عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يقر بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهو تحقيق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمن شهد انه رسول الله شهد انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فان هذه حقيقة الشهادة بالرسالة اذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال تعالى : ( ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ) وهو عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام لا يحتاج الى تقريره ٠ وفي قصة هرقل مع ابي سفيان كما في الصحيح عند سؤال هرقل عظيم الروم ابا سفيان عن اوصاف النبي صلى الله عليه وسلم قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب أي على الناس؟قال: لا وان كان ليدعى فينا بالامين فقال : لقد علمت انه لم يكن ليدعي الكذب على الناس ثم ليكذب على الله تعالى فيشعر هذا ان عقلاء الامم مطبقون على استحالة كذب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ٠

وقوله والامانة أي يجب لهم الامانة وهي ضد الخيانة وقوله تعالى : ( انا عرضنا الامانة ) اي الفرائض المفروضة او النية التي يعقدها فيما يظهره باللسان من الايمان ويؤديه من جميع الفرائض في الظاهر لأن الله تعالى ائتمنه عليها ولم يظهرها لاحد من خلقه فيما اضمر من التوحيد مثل ما اظهر فقد ادى الامانة كما في القاموس وقال في النهاية : الامانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والامان والمراد بها في حق رسل الله تعالى وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام اتصافهم بحفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة عند بعض العلماء اي كونهم لا يتصوران يكونوا الا كذلك اذ لو جاز عليهم ان يخونوا الله تعالى بفعل محرم او مكروه على قول لجا زان يكون ذلك المنهي عنه من حيث انه منهي منه مأمورا به لان الله تعالى امرنا باتباعهم في اقوالهم وافعالهم من غير تفصيل وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه فقد قال تعالى : ( ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) .

والمراد ما لم تقم قرينة على الخصوصية كنكاح ازيد من اربع فتختص بهم دون اممهم وفي الآية الكريمة : ( يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ) . قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما امر ولم يكتم منها شيئا فان كتمان ما انزله الله تعالى اليه يناقض موجب الرسالة كما ان الكذب يناقض موجب الرسالة قال: ومن المعلوم في دين المسلمين انه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما انه معصوم من الكذب فيها والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمر الله تعالى وبين ما انزل اليه من ربه وقد وجب على كل مسلم تصديقه في كل ما أخبر به .

( تتمة ) ذكر ابو الفضل القاضي عياض رحمه الله تعالى في كتابه الشفا انه يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب توقيره وتعظيمه ويراقب حال

بيانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه عليه السلام من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه النصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله وأقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشع ذلك وهجر من تلك العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة وتجنب لفظه الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال : هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول بجهل لقبح لفظه وشناعته واذا تكلم في الافعال قال: هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي وموافقة بعض الصغائر فهو ادب واولى من قوله هل يجوز ان يعصي او ان يذنب او ان يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه الصلاة والسلام وما يجب له من توقير واعظام قدر واما ما يورده على جهة النفي والتنزيه عنه فلا حرج في شرح العبارة وتصريحها كقوله : لا يجوز عليه عليه السلام الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجهه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف يظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا ومثله في ذلك جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد فهم مما تقدم الواجب في حقهم والمستحيل عليهم مما عصموا منه صلوات الله وسلامه عليهم وأشار الى الجائز في حقهم بقوله :

وجائز في حق كل الرسل　　　النوم والنكاح مثل الأكل

( وجائز ) عقلا وشرعا ( في حق كل ) الانبياء و ( الرسل ) عليهم الصلاة والسلام وهذا القسم وان فهم من ذكر ما يجب لهم وما يستحيل عليهم فان ما لم يكن واجب الثبوت لهم ولا واجب النفي عنهم فوجوده وعدمه جائز في حقهم لكن نبه بما ذكره لايضاح قسم الجائز عليهم صلوات

الله وسلامه عليهم ( النوم ) وهو رحمة من الله تعالى على عباده لتستريح ابدانهم عند تعبهم وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع لمعرفة الاشياء لكن نبينا صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه بل قلبه صلى الله عليه وسلم كان ابدا مستيقظا متهيئا لادراك ما يلقى اليه من ربه ومثل النوم مما هو جائز في حق الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين الجلوس والمشي والبكاء والضحك وكل ما هو من الخواص البشرية المباحة على ما هو الحق من جواز وقوع المباح منهم ( والنكاح ) والتسري وجماع النساء فيجوز عليهم وطء النساء بالملك بشرط كونهن مسلمات او مطلقا على المعتمد ونحو ذلك ( مثل الاكل ) والشرب للحلال وكذا يجوز عليهم كل عرض بشري ليس بمحرم ولا مكروه ولا مباح مزر ولا مزمن ولا مما تعافه الأنفس ولا مما يؤدي الى النفرة حتى انه لا يجوز عليهم الاحتلام والحاصل انهم عليهم الصلاة والسلام من البشر وارسلوا الى البشر فظواهرهم خالصة للبشر يجوز عليها من الآفات والتغييرات والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر مما لا نقيصة فيه فان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يمرض ويتألم ويتشكى وكان يصيبه الحر والقر والجوع والعطش والغضب والضجر والنصب والتعب ونحو ذلك مما لا نقص عليه فيه ولا يوجب الاتصاف به نوع نفرة عند كل نبيه والله تعالى اعلم •

## فصل

### ( في ذكر الصحابة الكرام رضي الله عنهم )

اعلم انه لما كان افضل خلق الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم بقية اولي العزم ثم الرسل ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بعد الانبياء افضل البشر الصحابة رضي الله عنهم ويأتي ذكر الخلاف في التفاضل بينهم وبين الملائكة اعقب ذكر الانبياء بالصحابة حسب اصطلاح اصحابنا ومن وافقهم وبدأ بأفضلهم الامام علي التحقيق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصديق الصديق الاعظم ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال :

( وليس في الامة بالتحقيق        في الفضل والمعروف كالصديق )

( وليس في الامة ) اي امة الاسلام وهم امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال فيها للعهد الذهني وتقدم انها افضل الامم فيكون الصديق افضل البشر بعد سائر الانبياء (بالتحقيق) الثابت المنصوص والتدقيق البات المخصوص ( في الفضل ) بجميع انواع الفضائل ( و ) بذل ( المعروف ) من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ( كا ) بي بكر وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة كما قاله ابن عبد البر فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله ولقبه با ( لصديق ) قال ابن قتيبة ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم عتيقا لجمال وجهه وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يحلف بالله ان الله تعالى انزل اسم ابي بكر رضي الله عنه من السماء الصديق فهو ابو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأم الصديق ام الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بنت عم ابيه ماتت هي وأبوه ابو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو مسلمين رضوان الله عليهم فان الصديق رضي الله عنه جاء بأبيه يوم الفتح الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وتوفي بعد موت ابي بكر رضي الله عنهما في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول الناس ايمانا بالنبي صلى الله عليه وسلم على قول جمع من اهل العلم وفي سنن الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال ابو بكر رضي الله عنه ألست اول من اسلم؟ألست صاحب كذا؟ألست صاحب كذا؟الحديث. وقيل: بل اول من آمن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ونقل الحاكم اتفاق المؤرخين عليه واستنكر هذا منه وقيل زيد بن حارثة وقيل خديجة وادعى الثعلبي الاجماع فيه وان الخلاف انما هو في من بعدها وصوبه كثير واستظهره البرماوي وغيره وقيل اولهم بلال بن حمامة وقيل خباب بن الارت حكاهما المسعودي وقيل خالد بن سعيد بن العاصي ونقل الماوردي في اعلام النبوة عن ابن قتيبة ان اول من آمن به ابو بكر بن اسعد الحميري ونقل ابن سبع في الخصائص عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه قال :

كنت اولهم اسلاما ويروى عن ابي حنيفة الامــام رضي الله عنه انه قال : الا ورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصــبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال وهذا من احسن ما قيل لجمعه الاقوال • وأسلم على يد الصديــق عثمــان بن عفان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص •

قال الحافظ ابن الجوزي في منتخب المنتخب وهو اول مــن جمــع القرآن وقا تحرجا من الشبهات واول من سمى القرآن مصحفا واول مــن سمى خليفة وأخرج الامام احمد عن ابن ابي مليكة قال : قيل لابي بكر : يا خليفة الله فقال : انا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انا راض بــه واول من ولي الخلافة وابوه حي واول خليفة مات وابوه حي واول مــن اتخــذ بيت المــال ومناقبه رضي الله عنه لا تحصــى ومــزاياه ومآثره لا تستقصى وهو افضل الصحابة وخيرهم باجماع اهل السنة فقد اجمع اهل السنة والجماعة على ان افضل الصحابة والناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم سائر العشرة ثم باقي الصحابة هكذا اجماع اهل الحق فأبو بكر الصديق افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم لا ينازع في ذلك الا زائغ وقد اخرج الامام احمد وغــيره عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال : خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر • قال الحافظ الذهبي : هذا متواتر عن علي رضي الله عنه فلعن الله الرافضة ماجهلهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فــي الفتاوى المصرية قد نقل عن علي رضي الله عنه من نحــو ثمانين وجها خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر نحو ذلك لابــن الحنفية كما في البخاري والرافضة تكذبه فهم مع علي كالنصارى مــع المسيح واليهود مع موسى عليهما السلام وأخرج الحاكم عن النــزال بــن ميسرة قال : قلنا لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين اخبرنا عن ابي بكر فقال : ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلــى لســان محمد كان خليفة رســول الله صلى الله عليه وســلم رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا اسناده جيد وأخرج الدارقطني والحاكم عن ابي دحي قال: لا احصي كم سمعت عليا يقول على المنبر : ان الله سمى ابا بكر على لسان

نبيه صديقا وأخرجه الطبراني بسند صحيح عن حكيم بن سعد قال :سمعت عليا يحلف بالله لأنزل الله اسم ابي بكر من السماء الصديق وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى : ( والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون ) هو ابو بكر فأخرج البزار وابن عساكر ان عليا رضي الله عنه قال في تفسيرها : ان الذي جاء بالحق هو محمد والذي صدق به هو ابو بكر قال ابن عساكر : هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعلي انتهى • وقيل: انه انما سمي صديقا لانه اول من صدق بناء على انه اول من آمن ولهذا قال ابو محجن الثقفي فيه :

وسميت صديقا وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر
سبقت الى الاسلام والله شاهد وكنت جليسا في العريش المشهر

وأول ما اشتهر ابو بكر بهذا الاسم صبيحة ليلة الاسراء فقد أخرج الحاكم في المستدرك عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : جاء المشركون الى ابي بكر فقالوا : هل لك الى صاحبك يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس ؟ قال : اوقال ذلك ؟ قالوا : نعم وقال : لقد صدق اني لأصدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة ولذلك سمي ابو بكر الصديق : اسناده جيد وقد ورد ذلك من حديث أنس بن مالك وابي هريرة عند ابن عساكر ومن حديث ام هانيء اخرجه الطبراني وأخرج سعيد بن منصور في سننه ثنا ابو معشر عن ابن وهب مولى ابي هريرة قال :لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى قال : يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال : يصدقك ابو بكر وهو الصديق واخرجه الطبراني في الاوسط موصولا عن ابن وهب عن ابي هريرة رضي الله عنه وقد اخرج عبد الله بن الامام احمد في زوايد الزهد والطبراني في الكبير عن الشعبي قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما اي الناس كان اول اسلاما ؟ قال : ابو بكر الصديق ألم تسمع قول حسان :

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا

وأخرج ابو نعيم عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون بن مهران قلت علي افضل أم ابو بكر وعمر ؟ قال : فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ما كنت اظن اني ابقى الى زمان يعدل بهما لله درهما كانا رأس الاسلام قلت : فأبو بكر كان اول اسلاما ام علي ؟ قال : والله لقد آمن ابو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين امر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى نكحها اياه وذلك كله قبل ان يولد علي • واخرج ابن اسحق عن ميسرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا برز سمع من يناديه : يا محمد فاذا سمع الصوت انطلق هاربا فأسر ذلك الى ابي بكر وكان صديقا له في الجاهلية وفي صحيح البخاري عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« هل انتم تاركون لي صاحبي اني قلت يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت » •

قال الحافظ الذهبي وغيره من حفاظ الاسلام وأئمتهم : صحب ابو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم من حين اسلم الى ان توفي لم يفارقه سفرا ولا حضرا الا فيما اذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج او غزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رفيقه في الغار قال تعالى :

( ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا )• وانفق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أجود الصحابة قال تعالى : ( وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله ) الى آخر السورة قال الحافظ ابن الجوزي : اجمعوا انها نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه وأخرج الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر الصديق » فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال : هل انا ومالي الا لك يا رسول الله وأخرج ابو يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا مثله قال الحافظ ابن كثير رويناه ايضا من حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وابي سعيد الخدري رضي الله عنهم واخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب

مرسلا وزاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه وقد اخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة ابن الزبير ان ابا بكر رضي الله عنه اسلم يوم اسلم وله اربعون الف دينار فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن محمد ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال : قلت لأبي اي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ابو بكر قلت : ثم من ؟ قال : عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت : ثم انت قال : ما انا الا رجل من المسلمين وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك ؟ قال : عائشة قلت : من الرجال ؟ قال : ابوها قلت : ثم ؟ قال : عمر بن الخطاب وقد ورد هذا الحديث بدون عمر من رواية أنس وابن عباس رضي الله عنهم واخرج ابن سعد عن الزهري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : هل قلت في ابي بكر شيئا ؟ قال : نعم قال : قل وانا اسمع فقال :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال : صدقت يا حسان هو كما قلت وقد اجمع المسلمون ان المراد بقوله تعالى :

( ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا )

ان الصاحب المذكور هو ابو بكر وفي سنن ابي داود من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من أمتي » . وفي الصحيحين من حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر ولكن اخوة الاسلام » . وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس وابن الزبير وابن مسعود وجندب بن عبد الله والبراء بن عازب وكعب بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس وابي

واقد الليثي وابي العلاء وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم فهو من الاحاديث المتواترة واخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار » وأخرج عبد الله بن الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ابو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار » وأخرج ابن عساكر من طريق مجمع بن يعقوب الانصاري عن ابيه قال : كانت حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تشتبك حتى تصير كالسوار وان مجلس ابي بكر منها لفارغ ما يطمع فيه احد من الناس فاذا جاء ابو بكر جلس ذلك المجلس وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه وألقى اليه حديثه وسمع الناس وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حب ابي بكر وشكره واجب على أمتي » وخرج مثله من حديث سهل بن سعد وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا « الناس كلهم يحاسبون الا ابا بكر » والاحاديث في فضائله كثيرة شهيرة يعسر استقصاؤها وقد اشرنا بقطرة من بحر لجي وبذرة من رمل عالج وقد افردت مناقبه بالتصنيف فدع المخادع والمعالج وبالله التوفيق •

قال الامام الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي وهو من ذريته كان ابو بكر رضي الله عنه ابيض نحيفا خفيف العارضين احنالا يستمسك أزاره يسترخي عن حقويه معروق الوجه غائر العينين ناتيء الجبهة عاري الاشاجع وله من الولد عبد الله وأسماء وأمهما قتيلة وعبد الرحمن وعائشة وأمهما ام رومان ومحمد وأمه اسماء بنت عميس وأم كلثوم وأمها حبيبة بنت خارجة وهي التي قال في حقها لعائشة انما هو اخواك واختاك وتوفي الصديق رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين واربعة اشهر الا عشر ليال وقيل : وثلاثة اشهر وتسع ليال وغسلته زوجته اسماء بنت عميس بوصية منه رضي الله عنها وصلى عليه عمر بن الخطاب

وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنيـــن واربعين حديثا منها في الصحيحين ثمانية عشر حديثا المتفق عليه منها ستة وانفرد البخاري بأحد عشر ومسلم بحديث وسبب قلة روايته رضي الله عنه انـه تقدمت وفاته قبل انتشار الاحاديث واعتناء التابعين بسماعها وقد ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في قصة بيعة الصديق انه لم يترك شيئـا انـزل في الانصار الا ذكره ولا شيئا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فـي شأنهم الا ذكره وهذا يدل على كثرة محفوظه من السنة وسعة علمه بالقرآن وقد روى عنه من الصحابة عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عـــوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت والبراء بـن عازب وابو هريرة وابن عمر وابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العـاص وابـن عباس وأنس وابو سعيد الخدري وعتبة بن عامر الجهني وعمران بن حصين وابو برزة الاسلمي وجابر بن عبد الله وبلال وعائشة وأسماء رضي اللـه عنهم ومن التابعين خلائق ودفن رضي الله عنه في الحجرة الشريفة الـــى جانب النبي صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه قد اغتسل فـي يوم بارد فحم خمسة عشر يوما ومات وقيل سبب موته غير ذلك .

وبعده الفاروق من غير افترا وبعده عثمـان فاترك المـرا

( وبعده ) اي بعد ابي بكر الصديق الاعظم اي يليه في الفضيلة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ( الفاروق ) سماه بهذا الاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسلم لان الله فرق به بين الحق والباطـل فهو عمر بن الخطاب ابن فضيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وبالياء التحتية فحاء مهمـلة ابن عبد الله بن قرط بضم القاف سكون الراء فطاء مهملة ابن رزاح بفتـح الراء والزاي فحاء مهملة بعد الالف بن عدي بن كعب بن لؤي بـن غالب القرشي العدوي وأمه حنتمة بفتح الحاء المهملة فنون ساكـنة فتاء مثنـاة فوقية مفتوحة فميم فتاء تأنيث بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بـن عمر ابن مخزوم وقال ابن الاثير بنت هاشم قال : وقال ويعـرف هاشـم بذي الرمحين قال : وقال الامير ابن ماكولا ومن قال بنت هشام فقد اخطأ كـذا

قال وقد قال ابن الجوزي في منتخب المنتخب : انها بنت هشام وهي اخت ابي جهل عمرو بن هشام فأبو جهل خال عمر رضي الله عنه كنيته ابو حفص كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر لما نهى عن قتل رجال بني هاشم فانهم انما خرجوا مكرهين فقال ابو حذيفة : والله لئن لقيت العباس لألجمنه السيف فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : « يا ابا حفص يضرب وجه عم النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف» فقال: والله انه لأول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص رواه ابن الجوزي وغيره . والحفص في اللغة ولد الاسد وسبب تلقيبه بالفاروق ما رواه الحافظ ابن الجوزي في سيرة العمرين عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : سألت عمر رضي الله عنه : لأي شيء سميت بالفاروق ؟ فذكر حديث اسلامه واخرج ابو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سألت عمر لأي شيء سميت الفاروق ؟ قال : اسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام وسبب اسلام حمزة ان ابا جهل اسرع الى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه ويؤذيه فأخبر حمزة بذلك فأخذ قوسه وعمد المسجد الى حلقة قريش التي فيها ابو جهل فاتكيء على قوسه مقابل ابي جهل فنظر اليه نعرف ابو جهل الشر في وجهه فقال : ما لك يا ابا عمارة فرفع القوس وضربه به فشجه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مختف في دار الارقم المخزومي فانطلق حمزة فأسلم قال عمر رضي الله عنه : وخرجت بعده بثلاثة ايام فاذا فلان المخزومي فقلت : أرغبت انت عن دين آبائك واتبعت دين محمد ؟ قال : ان فعلت فقد فعله من هو اعظم عليك حقا قلت : ومن ؟ قال : اختك وختنك فانطلقت فوجدت هينمة فدخلت فقلت : ماذا فما زال الكلام بيننا حتى اخذت برأس اختي فضربته وأدميته فقامت الي اختي فأخذت برأسي وقالت : قد كان ذلك على رغم أنفك وقد ادميت رأسها فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت : اروني هذا الكتاب فقالت : ( لا يمسه الا المطهرون ) فقمت واغتسلت فأخرجوا لي صحيفة فاذا فيها ( بسم الله الرحمن الرحيم ) قلت:

اسماء طيبة طاهرة فيها : ( طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ـ الى قوله تعالى ـ له الاسماء الحسنى ) فعظمت في صدري وقلت : من هذا نفرت قريش فأسلمت وفي حديث انس بن مالك رضي الله عنه عند ابي يعلى والحاكم والبيهقي قال : خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال : الى اين تعمد يا عمر ؟ فقال : اريد ان اقتل محمدا قال : وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا ؟ قال : ما اراك الا وقد صبوت قال : أفلا ادلك على العجب ان ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك فمشى عمر فأتاهما وعندهما خباب فلما سمع بحس عمر توارى في البيت فدخل عمر فقال : ما هذه الهينمة وكانوا يقرءون طه قالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا قال : فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنه : يا عمر ان كان الحق في غير دينك فوثب عليه عمر فوطأه وطأ شديدا فجاءت اخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمي وجهها فقالت وهي غضبى : وكان الحق في غير دينك اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال عمر : اعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه وكان يقرأ الكتاب فقالت اخته : انك رجس وانه لا يمسه الا المطهرون فقم واغتسل او توضأ فقام وتوضأ ثم اخذ الكتاب فقرأ ( طه ) حتى انتهى الى ( انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ) فقال عمر : دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج وقال ابشر يا عمر فاني ارجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس « اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في اصل الصفا فانطلق عمر حتى اتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس فقال حمزة : هذا عمر ان يرد الله به خيرا يسلم وان يكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال : والنبي صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فخرج حتى اتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال : اما انت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة فقال عمر : اشهد ان لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله .

وفي حديث البزار والطبراني وابي نعيم والبيهقي في الدلائل عن اسلم نحوه وفيه فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة فجئت خالي ابا جهل بن هشام وكان شريفا فقرعت عليه الباب فقال : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب وقد صبوت قال : لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دوني • وفي حديث ابن عباس عند ابي نعيم في الدلائل وابن عساكر فقلت : يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ قال : بلى قلت : ففيم الاختفاء فخرجنا صفين انا في احدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق بين الحق والباطل وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال : قلت لعائشة رضي الله عنها من سمى عمر الفاروق ؟ قالت : النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما اسلم عمر نزل جبريل فقال : يا محمد لقد استبشر اهل السماء باسلام عمر وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما اسلم عمر قال المشركون : قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله تعالى : ( يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ) وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وأخرج ابن سعد عنه ايضا قال : كان اسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت امامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع ان نصل الى البيت حتى اسلم عمر قاتلهم حتى تركوا سبيلنا وقال حذيفة : لما اسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة ولما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد الا بعدا وكان اسلام امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة وكان اسلامه بعد تسعة وثلاثين رجلا او اربعين او خمسة واربعين واحدى عشرة امرأة ففرح المسلمون باسلامه وظهر الاسلام بمكة عقب اسلامه •

وقد وردت الاحاديث الكثيرة والاخبار الشهيرة بفضائله ففي الصحيحين عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم « يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك » وفى صحيح البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صى الله عليه وسلم « لقد كان فى من كان قبلكم من الامم محدثون فان يكن فى أمتى احد فانه عمر » اى ملهمون . واخرجه مسلم ايضا من حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه قالت قال رسول الله صلى الله عليهوسلم « قد كان يكون فى الامم محدثون فان يكن فى أمتى آحد فعمر بن الخطاب » ورواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . قالابن عيينةمحدثون أىمفهمون . وقالابنوهب تفسير محدثون ملهمون . واخرج الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر . واخرج الترمذى ايضا عن عقبةبن عامر رضىالله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كان بعدى نبى لكان عمر » واخرج من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى لأنظر الى شياطين الجن والانس فروا من عمر » وفى الصحيحين والترمذى والنسائى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بينا انا نائم رأيت الناس يعرضون عليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ـ قالوا فما اولته يا رسول الله ؟ قال : الدين »وفى الصحيحين وغيرهما من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا انا نائم رأيتنى فى الجنة فاذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فوليت مدبرا » فبكى عمر رضى الله عنهوقال عليك أغار يارسول الله؟» وفى الترمذى عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « دخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا قالوا لشاب من قريش ، فظننت انى انا هو قالوا : عمر بن الخطاب » وقد قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ما على وجه الارض احد احب الى من عمر . اخرجه ابن عساكر وقيل لابى بكر

ماذا تقول لربك وقد وليت عمر ؟ قال أقول له وليت عليهم خيرهم • اخرجه ابن سعد • وقال على رضى الله عنه اذا ذكر الصالحون فحى هلا بعمر ، ما كنا نعد ان السكينة لا تنزل الا على لسان عمر •اخرجه الطبرانى فى الاوسط (١) وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو ان علم عمر وضع فى كفة ووضع علم احياء الارض فى كفة لرجح علم عمر ، ولقد كانوا يرون انه ذهب بتسعة اعشار العلم • اخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم • وقال حذيفة رضى الله عنه : والله ما اعرف رجلا لا تأخذه فى الله لومة لائم الا عمر • وعلى كل حال فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد الصديق الاعظم افضل هذه الامة (( من غير افترا )) أى من غير كذب يقال فرى يفرى فريا وافترى يفترى افتراً أى كذب فهو افتعال منه وفى الآية الكريمة ( ولا يأتين ببهتان يفترينه ) وفى الحديث « من أفرى الفرى ان يرى الرجل عينيه ما لم تريا » فالفرى جمع فرية وهى الكذبة وافرى افعل منه للتفضيل وتقدم الكلام على ذلك فى الكلام على الحوض عند قوله : ( عنه يذاد المفترى كما ورد ) ولما كان الحكم بأفضلية ابى بكر ثم عمر الفاروق رضى الله عنهما بالنص والاجماع صرح بقوله من غير افترا اشارة لرد قول الخطابية الزاعمين بأن عمر رضى الله عنه افضل الخلفاء وهذا الزعم بالنسبة للصديق زور وافتراء وكذب وضلال من زاعميه ، نعم بالنسبة الى من بعد الصديق حق لا مرية فيه ، وكذلك فيه اشارة الى رد قول الراوندية فى زعمهم ان افضل الصحابة العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، والرد على الشيعة فى زعمهم ان افضلهم على رضى الله عنه كما يأتى الكلام عليه قريبا •

وقد اخرج الحاكم فى الكنى وابن عدى فى الكامل والخطيب فى تاريخه عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أبو بكر وعمر خير الاولين والآخرين وخير أهل السموات وخير أهل الارض الا النبيين والمرسلين » • واخرج الترمذى عن ابى سعيد

(١) كذا والذى فى الاوسط كما فى مجمع البحرين وغيره « ما كنا نبعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - ان السكينة تنطق على لسان عمر فى غضبه ورضاه »

الخدري رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما من نبى الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من اهل الارض فأما وزيراى من اهل السماء فجبريل وميكائيل واما وزيراى من اهل الارض فأبو بكر وعمر » واخرج الامام احمد والترمذى عن على رضى الله عنه وابن ماجه عنه ايضا وعن ابى جحيفة رضى الله عنه وابو يعلى فى مسنده والضياء فى المختارة عن أنس والطبرانى فى الاوسط عن جابر وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنهم اجمعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذان سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والا خرين الا النبيين والمرسلين» يعنى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما • وفى الباب عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم • وهاجر عمر رضى الله عنه الى المدينة جهرا وذلك انه تقلد سيفه واخذ بيده اسهما واتى الكعبة واشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من أراد تثكله أمه وييتم ولده وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى • فما تبعه منهم أحد • وشدة عمر وشجاعته لا تخفى حتى أنه وصف فى التوراة بأنه قرن من حديد ، شهد المشاهد كلها وكان شديدا على الكفار والمنافقين ، ومناقبه كثيرة وفضائله شهيرة وقد وافق ربه فى عدة احكام مأثورة وموافقات فى الآيات القرآنية مخبورة •

ولى الخلافة بعهد من خليفة رسول الله الصديق الاكبر ابى بكر رضى الله عنه يوم توفى وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة فقام بالامر أتم قيام ، وكثرت الفتوحات فى أيامه ففى سنة اربع عشرة فتحت دمشق بين الصلح والعنوة ، وحمص وبعلبك صلحا ، وأيلة عنوة ، وفيها جمع الناس على صلاة التراويح ، وفى الخامسة عشرة فتحت الاردن عنوة الاطبرية فانها فتحت صلحا ، وفيها كانت وقعة اليرموك والقادسية ، وفيها حاصر عمرو مصر ومصر سعد الكوفة ، وفيها فرض عمر الفروض ودون الدواوين واعطى العطايا ، وفى السادسة عشرة فتحت الاهواز والمدائن ، وأقام بها سعد الجمعة فى ايوان كسرى وهى اول جمعة جمعت بالعراق ، وفيها كانت وقعة جلولا وهرمز ويزدجرد بن كسرى

وتقهقر الى الرى وفيها فتحت تكريت ، وفيها سار بنفسه رضى الله عنه ففتح بيت المقدس صلحا وخطب بالجابية خطبته المشهورة ، وفيها فتحت قنسرين عنوة ، وحلب وانطاكية ومنبج صلحا ، وفيها كتب التاريخ فى ربيع الاول من الهجرة بمشورة على رضى‌الله عنه ، وفى السابعة عشرة زاد عمر رضى الله عنه فى المسجد النبوى ، وفيها كان القحط بالحجاز فسمى عام الرمادة واستسقى عمر بالعباس فأخذ عمر رضى الله عنه بيد العباس رضى الله عنه ثم رفعها فقال اللهم انا نستشفع اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ان تذهب عنا المحل وان تسقينا الغيث ، فلم‌يبرحوا حتى‌سقوا فاطبقت‌السماء عليهم اياما ، وفى الثامنة عشرة فتحت جند يسابور صلحا وحلوان عنوة ، وفيها وقع طاعون عمواس ، وفيها فتحت‌الرها‌وشميساط وحران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وكذا الموصل ونواحيها ، وفى سنة تسع عشرة فتحت قيسارية ، وفى سنة عشرين فتحت مصر عنوة وقيل صلحا ، واسكندرية عنوة ، والمغرب كله عنوة ، وفيها فتحت تستر ، وفيها هلك قيصر ملك الروم ، وفيها اجلى عمر اليهود عن خيبر وعن نجران وقسم خيبر ووادى القرى ، وفى سنة احدى وعشرين فتحت نهاوند عنوة ولم يكن للاعاجم بعدها جماعة ، وفى سنة اثنتين وعشرين فتحت كرمان وسجستان ومكران من بلاد الجبل واصبهان ونواحيها . وفى آخرها كانت وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك بعد رجوعه من الحج ، قال ابن المسيب لما نفر عمر من منى اناخ بالابطح ثم استلقى ورفع يديه الى السماء وقال اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط ، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل شهيدا وكان قال له كعب الاحبار : انى اجدك فى الكتاب الاول تقتل شهيدا فقال وأنى لى بالشهادة فى جزيرة العرب ثم قال عمر رضى الله عنه اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل‌موتى فى بلد نبيك‌وكان قد قال فى خطبته رأيت كأن ديكا نقرنى نقرة او نقرتين وانى لأراه حضور اجلى وان قوما يأمرونى ان استخلف وان الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل بى أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو عنهم راض • قال الزهرى كان عمر رضى الله عنه لا يأذن لكافر قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاما عنده صنائع يستأذنه ان يدخل المدينة ويقول ان عنده اعمالا كثيرة فيها منافع للناس وانه حداد ونقاش ونجار فاذن له ان يرسـله الى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى كل شهر فجاء الى عمر يشتكى شدة الخراج فقال له ما خراجك بكثير فانصرف ساخطا ثم قال له عمر رضى الله عنه ألم اخبر انك تقول لو اشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال لاضعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى قال لاصحابه اوعدنى العبد وهو ابو لؤلؤة ثم انه الخبيث اشتمل على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى الغلس فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة فلما دنا منه طعنه ثلاث طعنات كما اخرجه الحاكم وطعن معه اثنى عشر رجلا مات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه ــ قال ابو رافع كان ابـو لؤلؤة عبدا للمغيرة يصنع الارحاء ــ وحمل عمر رضى الله عنه الى أهله وكادت تطلع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بالناس بأقصر سورتين وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسـقوه لبنا فخرج ثانيا فقالوا لا بأس عليك فقال ان يكن فى القتل بأس فقـد قتلت فجعل الناس يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال اما واللـه وددت انى خرجت منها كفافا لا على ولا لى وان صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لى فاثنى عليه ابن عباس فقال لو ان لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وقد جعلتها شورى فى عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وأجلهم ثلاثة أيام ، وقال يشهد عبد الله بن عمر معهـم وليس له من الامر شىء فان اصابت الامرة سعدا فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فانى لم اعزله من عجز ولا خيانة وأمر صهيبا أن يصلى بالناس • قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان ابو لؤلؤة مجوسيا وكان اسمه فيروز • وقال عمر رضى الله عنه الحمد لله الذى جعل منيتى بيد رجل لا يدعى الاسلام • وكانت اصابته يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة

ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد وصح (١) ان الشمس كسفت يوم موته وناحت الجن عليه • ثم قال عمر رضى الله عنه لابنه عبد الله رضي الله عنه انظر ما على من الدين ، فحسبوه فوجدوه ثلاثين الفا أو نحوها فقال ان وفى مال آل عمر أده من أموالهم والا فاسأل فى بنى عدى فان لم تف أموالهم فاسأل فى قريش ، واذهب الى أم المؤمنين عائشة وقل يستأذن عمر ان يدفن عند صاحبيه ، فذهب اليها فقالت كنت أريده - تعنى المكان - لنفسى والله لأوثرنه اليوم على نفسى فأتى عبد الله فقال قد أذنت فحمد الله تعالى ثم قال رضى الله عنه اوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين والانصار واوصيه بالامصار خيرا فلما توفى رضى الله عنه صلى عليه صهيب فى المسجد وخرج الناس يمشون وعبد الله امامهم فسلم عبد الله وقال عمر يستأذن فقالت عائشة رضى الله عنها ادخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه • رضى الله عن ابى بكر وعمر وصلوات الله وسلامه على رسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم • روى لامير المؤمنين من الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا أخرج له فى الصحيحين منها احد وثمانون اتفقا على ستة وعشرين وانفرد البخارى بأربعة وثلاثين ومسلم بأحد وعشرين •

**تنبيه خلافة الفاروق تبع لخلافة الصديق**

( تنبيه )

اعلم ان خلافة سيدنا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضى الله عنه مرتبة ولازمة لحقية خلافة الصديق الاعظم أبى بكر رضى الله عنه وقد قام الاجماع واشارات الكتاب والسنة على حقية خلافته فما ثبت للاصل الذى هو الصديق من حقية الخلافة يثبت لفرعه الذى هو عمر بن الخطاب فيها فلا مطمع لاحد من فرق الضلال فى الطعن والنزاع فى حقية الخلافة وقد علم أهل العلم علما باتا ضروريا ان الصحابة الكرام اجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن شذ لا يقدح فى ذلك من غير مرية فقد اخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سىء وقد رأى

(١) كذا ولم يكن الوقت وقت كسوف وفى الصحيحين وغيرهما قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الشمس والقمر انهما « لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته »

الصحابة رضى الله عنهم ان يستخلف ابو بكر » فهذا صح عن ابن مسعود رضى الله عنه وهو من أكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم فحكى الاجماع عن الصحابة على خلافة أبى بكر ولذلك كان هو أحق بها عند جميع أهل السنة والجماعة في كل عصر ومصر وكذلك عند المعتزلة وأكثر فرق الامة على انه أحق بها من جميع الصحابة روي البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي رضى الله عنه يقول : أجمع الناس على خلافة أبي بكر رضى الله عنه وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم • وأخرج أسد السنة عن معاوية بن قرة قال : ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون ان أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمونه الا خليفة رسول الله • وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا على ضلالة . وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما مما بلغ التواتر وعلم من الدين بالضرورة ان أمير الميرمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه بايعه واعتذر اليه عن تأخره لعدم مشورته وان له حقا في الشورى حتى ان سيدنا عليا رضى الله عنه بايع أبا بكر على المنبر لازالة شبهة التخلف وفرح الناس بذلك . والنصوص المشيرة الى خلافة الصديق كثيرة .

ومن أعظم فضائل الصديق وأتم فراسته على التحقيق وأكمل نصحه لهذا الدين القويم استخلافه أمير المؤمنين عمر الفاروق لما حصل به من عموم النفع وفتح البلاد وظهور الاسلام الظهور التام وقمع أهل الكفر وعبدة الأصنام فان أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما ثقل به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسألني عن أمر أنت أعلم به مني ، فقال أبو بكر وان كان ، فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من وراءك ورأيك فيه أتم رأي ، فدعا عثمان بن عفان فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به ، وقال لعلي كذلك فقال علمك في ذلك ؟ فقال للصديق : علمي به ان سريرته خير من علانيته وانه ليس فينا مثله ، وشاور معهما زيدا وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال اللهم علمه الخير (؟) ثم دعا عثمان فكتب عهده لعمر ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر

رضى الله عنه عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال اللهم اني لم أرد بذلك الا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلح ولايته واجعله من خلائفك الراشدين وأصلح له رعيته . وقد قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة أبو بكر استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره ، والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه . وأخرج ابن عساكر عن يسار بن حمزة[١] قال لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس اني قد عهدت عهداً أفترضون به ؟ فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي رضى الله عنه فقال : لا نرضى الا أن يكون عمر ، قال انه عمر ، رضى الله عنهم أجمعين .

**عثمان ذو النورين**

(( وبعده )) أي بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أي يليه في الأفضلية أمير الميرمنين أبو عمرو وأبو عبد الله ذو النورين ((عثمان)) ابن عفان بن أبي العاص واسمه الحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب القرشي الاموي ، قال ابن الاثير يقال كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو فلما ولدت له رقية رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله اكتنى به وأمه أروى وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو أروى أم عثمان كريز بضم الكاف وفتح الراء فزاي مصغر كرز وهو كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وولد عثمان رضى الله عنه في السنة السادسة من الفيل وأسلم قديما على يد الصديق الاعظم قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر الهجرتين الى الحبشة وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ماتت عنده في الثانية من الهجرة عند رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر العظمى ولم يشهد عثمان رضى الله عنه بدراً لتخلفه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمرض رقية رضى الله عنها فجاء البشير بنصر المؤمنين عند دفنها فضرب له رسول الله

(١) لعله « عن سيار ابى حمزة » وهو من اتباع التابعين

صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ، ولما ماتت رقية زوجه رسول اللهصلى الله عليه وسلم أختها أم كلثوم وتوفيت عنده أيضا سنة تسع من الهجرة ، قال العلماء ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذلك سمي بذي النورين فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ، ومر أن الصديق جمعه أيضا وانما تميز عثمان بجمعه في المصحف على هذا الترتيب اليوم ، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة ذات الرقاع ، وكان رضى الله عنه ذا جمال مفرط ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وستة وأربعون حديثا ، وروى عنه من الصحابة زيد بن خالد الجهني وابن الزبير والسائب بن يزيد وأنس بن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الاكوع وأبو امامة وأبو قتادة وأبو هريرة وغيرهم رضى الله عنهموخلائق من التابعين • وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان رضى الله عنه الا انه كان رجلا يهاب الحديث • وأخرج عن محمد بن سيرين قال كان أعلمهم بالمناسك عثمان وبعده ابن عمر رضى الله عنهم • وأخرج ابن عساكر أن عثمان رضى الله عنه كان رجلا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل أبيض مشربا بحمرة بوجهه نكتات جدري كبير اللحية عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين جزل الساقين طويل الذراعين شعره قد كسا ذراعيه جعد الرأس أصلع أحسن الناس ثغرا جمته أسفل من أذنيه يخضب بالصفرة وكان قد شد أسنانه بالذهب•وقال بعضهم رأيت عثمان فما رأيتقط ذكرا ولا أنثىأحسن وجها منه • وأخرج ابن عدي عن عائشة رضى الله عنها قالت لما زوج النبى صلى الله عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان قال لها « ان بعلك أشبه الناس بجدك ابراهيم وأبيك محمد » صلى الله عليه وسلم • وأخرج ابن عدي أيضا وابن عساكر عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انا لنشبه عثمان بأبينا ابراهيم » •وأخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان

وقال : « ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة »وأخرج البخارى أن عثمان رضى الله عنه حين حوصر أشرف عليهم وقال أنشـــدكم الله ولا أنشد الا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم ؟ ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها ؟ فصدقوه بما قال • وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عنــه بيساره فكانت يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من يمين نفسه • وأخرج الترمذي عن ابن عمـــر رضى الله عنهما قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما ـ لعثمان قال الترمذى حديث حسن غريب من هذا الوجه • وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر رضى الله عنهما انرسول اللهصلى الله عليه وسلم قال: عثمان أحيا أمتي وأكرمها. وأخرج عن أبي امامة رضى الله عنه مرفوعا : ان أشد هذه الامة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان • وأخرج الطبرانى عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان عثمان لأول من هاجر بأهله الى الله بعد لوط » وأخرج الامام أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعثمان يا عثمان ان الله ـ وفي لفظ لعل الله ـ مقمصك ـ وفي لفظ يقمصك ـ قميصا فان أرادوك ( على ) خلعه فلا تخلعه حتى يخلعوه ـ وفي لفظ ـ فلا تخلعه حتى تلقـــاني • وأخرج الترمذى عن أبي سهلة قال سمعت عثمان رضى الله عنه يقول يوم الدار : ان رسول اللهصلىالله عليه وسلم عهد الى عهدا فأنا ممتثل لهوصابر عليه ان شاء الله فصبر حتى قتل رضى الله عنه شهيدا • قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وأخـــرج الترمذى عن طلحة بن عبيد الله وقال غريب وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعا « لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان » وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه والحـــاكم وصححه عن أبى الاشعث الصنعاني ان خطباء قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام آخرهم رجل يقال له مرة بن كعب فقال لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قمت وذكر الفتن فقربها ومر رجل مقنع في ثوب فقال « هذا يومئذ على الهدى »

فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فأقبلت عليه بوجهه فقلت هذا ؟ قال نعم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مظلوم وانه يومئذ على الهدى .

وأما ذكر خلافته رضى الله عنه فتقدم ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جعلها شورى بين الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فلما فرغ الناس من دفن عمر رضى الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمري الى علي ، وقال سعد قد جعلت أمري الى عبد الرحمن ، وقال طلحة قد جعلت أمري الى عثمان . فقال عبد الرحمن ابن عوف أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الامر ونجعله اليه والله عليه والاسلام لينظر أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الامة فسكت الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن اجعلوه الي والله علي ان لا آلوكم عن أفضلكم، قالا نعم ، فخلا بعلي وقال له لك من القدم في الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن ؟ قال نعم ، ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه علي وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال وكان عبد الرحمن بن عوف قبل أن يتخلى عنها أحد قد خلا بعثمان فقال له فان لم نبايعك فمن تشير علي ؟ قال : علي ، وقال لعلي ان لم نبايعك فمن تشير علي ؟ قال : عثمان ، ثم دعا الزبير فقال ان لم نبايعك فمن تشير علي ؟ قال : علي أو عثمان ، ثم دعا سعدا فقال له من تشير علي ؟ فأما أنا وأنت فلا نريدها فقال : عثمان ، ثم استشار عبد الرحمن أعيان المهاجرين والانصار فرأى هوى أكثرهم عثمان فبايعوه جميعا فثبتت بيعة عثمان باجماع الصحابة عليها ولهذا قال (( فاترك المرا )) أي الجدال والشك قال في القاموس : المرية بالضم والكسر الشك والجدل يقال ماراه مماراة ومراء وامترى فيه وتمارى شك وفي الحديث « لا تماروا في القرآن فان مراء فيه كفر » المراء والجدال والتماري والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة كما في نهاية ابن الاثير وتقدم ، فان أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضى الله عنه من جملة من بايعه وقد غزا معه وكان يقيم الحد بين يديه كما أخبر بذلك عن نفسه رضوان الله عليه ، وخلافة عثمان فرع عن

خلافة عمر التى هى فرع عن خلافة الصديق رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، واستشهد عثمان بن عفان رضى الله عنه في داره سنة خمس وثلاثين في أوسط أيام التشريق ، وصلى عليه الزبير وكان أوصى اليه ودفن في حش كوكب بالبقيع وهو أول من دفن به والحش بالحاء المهملة والشين المعجمة البستان وضم الحاء أجود من كسرها وكوكب رجل من الانصار . وولى الخلافة احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ومدة حصاره في داره الى أن قتل سبعة وأربعون يوما وقيل شهران وعشرون يوما واستشهد وهو يومئذ صائم ، وهذا يؤيد كون قتله بعد أيام التشريق أو قبلها فقد قيل كان قتله لثمان عشرة خلت من ذى الحجة أو لسبع عشرة وقيل لثمان خلون منه يوم التروية وقيل لليلتين بقيتا منه وقدم في جامع الاصول وفي الزهر البسام انه قتل في ثمانية عشر من ذي الحجة . واختلف في من باشر قتله فقال كثير انه لا يعرف قاتله وقيل الاسود التجيبي من أهل مصر وقيل جبلة بن الايهم من مصر أيضا وقيل سودان بن حمران وقيل رومان اليمانى ، وقيل سوادن بن رومان ، وقيل رومان بن سرحان رجل أزرق قصير وقيل قتله رجل من أهل مصر يقال له حمار أزرق أشقر وقيل قتله اثنان وقيل غير ذلك وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وقيل تسعون ، ويروى انه كان المصحف بين يديه يقرأ فيه فوقعت قطرة من دمه أو قطرات على قوله تعالى ( فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ) وأخرج الحاكم عن الشعبي رحمه الله قال ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك رضى الله عنه :

فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن ان الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم ال ... عداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن الناس ادبار الرياح الجوافل

وأخرج الامام أحمد عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه انه دخل على عثمان رضى الله عنه وهو محصور فقال انك امام العامة وقد نزل بك ما ترى واني أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر احداهن اما أن تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل ، واما أن

تخرق لك بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وأنت بها ، واما ان تلحق بالشام فان أهل الشام فيهم معاوية • فقال عثمان رضى الله عنه فاما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء ، واما أن أخرج الى مكة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم » فلن أكون أنا ، واما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمى[1] قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربي عشرا اني لرابع أربعة في الاسلام وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فأنكحني الاخرى وما تغنيت وما تمنيت ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعتق فيها رقبة الا أن لا تكون عندي فاعتقها بعد ذلك ولا سرقت في جاهلية ولا اسلام ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام ولقد جمعت القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم • ويضم الى هذه العشرة تجهيزه جيش العسرة فقد قال صلى الله عليه وسلم لما جاءه بالمال وكان ألف دينار فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » مرتين رواه الترمذي وقال حديث حسن • ويضم اليها أيضا ما أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي عن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت يوم الدار حين أشرف عليهم عثمان رضى الله عنه فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألبا علي فجيء بهما فقال أنشدكم بالله والاسلام ـ زاد رزين ولا أنشد الا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب الا بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من مالى وأنا اليوم أمنع أن أشرب منها حتى أشرب من ماء الملح ؟ قالوا اللهم نعم • قال أنشدكم الله والاسلام أتعلمون ان المسجد ضاق بأهله فقال صلى الله عليه وسلم من يشترى بقعة

---

(١) فى الاصلين « التميمى خطأ »

آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالى وأنا اليوم أمنع ان أصلى فيه ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم • قال وأنشدكم بالله هل تعلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة وجبت له الجنة وجهزته ؟ قالوا اللهم نعم • قال وأنشدكم بالله هل تعلمون اني كنت على ثبير مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه رسول الله صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيد • قالوا اللهم نعم • فقال الله أكبر شهدوا لى بالجنة ورب الكعبة ثلاثا ـ وفي رواية شهدوا لى ورب الكعبة انى شهيد ثلاثا . وفيه يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

من سره الموت صرفا لا مزاج له ... فليأت مأدبة في دار عثمانا
ضحوا باشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
ليسمعن وشيكا في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثمانا

وعلى كل حال قتل عثمان رضى الله عنه ظلما بلا محال وهو واحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد السابقين الأولين الى الاسلام وأحد الخلفاء الراشدين وأحد المهاجرين المقربين وأحد أختان سيد الاولين والآخرين ومناقبه كثيرة ومآثره غزيرة وأياديه شهيرة فرضوان الله تعالى عليه وعلى جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم • روي لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثة وأربعون حديثا منها في الصحيحين ستة عشر اتفقا على ثلاثة وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بخمسة •

علي أبو السبطين

(( وبعد فالفضل حقيقا فاسمع نظامي هذا للبطين الانزع ))
(( مجدل الابطال ماضى العزم مفرج الاوجال وافي الحزم ))
(( وافي الندى مبدي الهدى مردى العدا
مجلى الصدى يا ويل من فيه اعتدى ))

(( وبعد )) ببنائها على الضم لحذف المضاف اليه ونية ثبوت معناه أي وبعد عثمان بن عفان رضى الله عنه على القول الرجيح والمذهب الصحيح (( فالفضل )) الشامخ والقرب الراسخ والمجد الباذخ من سائر الأمة واتفاق

الأئمة (( حقيقا )) أي في حقيقة الأمر من غير شك ولا نكر (( فاسمع )) فعل أمر مبني على السكون وحـــرك بالكسر للقافية مني (( نظامي )) أي منظومي (( هذا )) الذي أدرجت فيه عقيدة السلف الصـــالح وضمنته ما يقتفيه كل محقق فالح ثابت ذلك الفضل ومستقر (( ل )) لامام الهمـــام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (( البطين الانزع )) قال ابن الاثير في نهايته وفي صفة علي رضى الله عنه البطين الانزع أي العظيم البطن وفي حديث علي أيضا رضى الله عنه : أبيت مبطانا وحولى بطون غرثى ؟ المبطان الكثير الاكل والعظيم البطن ذكر ذلك على سبيل الاستفهام الانكاري والمراد بكونه بطينا ان باطنه عظيم لتضلعه من العلوم والمعارف ، والمراد بالانزع المنحسر شعر رأسه مما فوق الجبين ، والنزعتان عن جانبي الرأس مما لا شعر عليه، قال في النهاية كان الامام علي رضى الله عنه أنزع الشعر له بطن ، وقيل معناه الانزع من الشرك المملوء البطن من العلم والايمان (( مجدل الابطال )) قال في القاموس جدله فانجدل وتجدل صرعه على الجدالة كسحابة الارض مطلقا أو ذات رمل دقيق وتقدم حديث « أنا خاتم النبيين في أم الكتاب وان آدم لمنجدل في طينته » أي ملقى على الجدالة وهي الارض، وفي حديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه حين وقف على طلحة رضى الله عنه يوم الجمل وهو قتيل فقال اعزز علي أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء • أي مرميا ملقى على الارض قتيلا ، والابطال جمع بطـــل بفتح الموحدة والطاء المهملة وكشداد بين البطالة أو البطولة الرجـــــل الشجاع سمي بذلك لأنه يبطل جراحته فلا يكترث بها أو يبطل عنده دماء الاقران كما في القاموس ولا شك ان عليا رضى الله عنه قتل من الابطـال عدة مثل الوليد بن عتبة يوم بدر وعمرو بن عبدود يوم الخندق ومرحب من أبطال خيبر وغيرهم وقوله (( ماضى العزم )) اشارة الى شدة قـــوته ووفور شدته والماضى من مضى في الأمر مضاء ومضوا نفذ ومضى السيف أي قطع والمضو كالعلو التقدم والعزم الجد والصبر ومنه قوله تعالى ( فاصبر كمـــا صبر أولو العـــزم من الرسل ) وقوله (( مفرج )) أي كاشـــف (( الأوجال )) يقال فرج الله الغم يفرجه كشفه كفرجه والاوجال جمع وجل بفتح الواو والجيم الخوف ورجل وجل كفرح ياجل وييجل ويوجل

ويبجل بكسر أوله وجلا وموجلا كمقعد ويجمع أيضا على وجلين والمرأة وجلة اشارة الى ما كان عليه من كشف الغموم وتفريج الهموم والاقدام في المواقف الصعبة والبروز الى الاقران المستصعبة وفي الصحيحين وغيرهما من حديث سهل بن سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر « لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » فبات الناس يدوكون أي يخوضون ويتحدثون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبى طالب ؟ فقيل يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية - الحديث وقوله (( وافي الحزم )) اشارة الى وفور عقله وغزارة فطنته وفضله والحزم ضبط الرجل أمره والحذر من فواته مأخوذ من قولهم حزمت الشيء اذا شددته وفي الحديث « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن » يعنى النساء أي اذهب لعقل الرجل المحترز فى الامور المستظهر فيها • وفى حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم سئل ما الحزم فقال « تستشير أهل الرأي ثم تطيعهم » وفي القاموس الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة كالحزامة والحزومة يقال حزم ككرم فهو حازم وحزيم والجمع حزمة وحزماء وفي قوله (( وافي )) أي كثير (( الندى )) أي السخاء والكرم يقال فلان يندى على أصحابه أي يسخى كما فى النهاية وفى القاموس تندى تسخى وأفضل كأندى فهو ندي الكف والندى الثرى والشحم والمطر والبلل ( والكلأ ) وشيء يتطيب به كالبخور • وفي محل آخر أندى كثر عطاياه . انتهى . اشارة الى غزارة كرمه وجزالة عطاياه وحزمه (( مبدي )) أي مظهر (( الهدى )) أعنى العلوم الغامضة والفهوم الرائضة والهدى بضم الهاء وفتح الدال المهملة الرشاد والدلالة (( مردي العدى )) اسم فاعل من أرداه اذا أهلكه وكسره وأوقع أعداه في الردى والتلف والهلاك (( مجلى )) أي مزيل ومفرق وكاشف (( الصدى )) أي العطش والظمأ والمراد به كاشف الكرب ومجلى النوب (( ياويل )) هذه يراد بها الدعاء بالحزن والهلاك والمشقة ومعنى

النداء فيها أي يا حزن ويا هلاك ويا عذاب احضر فهذا وقتـــك وأوانك ل (( من )) أي انسان مكلف من ذكر وأنثى (( فيه )) أي في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (( اعتدى )) بانتقاصه وانحطاطه عن منزلته الشامخة ودرجته الباذخة وهضم من حقوقه الظاهرة وفضائله الطاهرة أو غلا فيه غلوا خارجا عن طوره ونسب اليه ما ليس له من نحو الوهية كغلاة أهـل الرفض أو نبوة أو أفضليته على من هو نفسه اعترف بأنه أفضل منه • وقد أخرج البزار عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ان فيك مثلا من عيسى بن مريم عليه السلام أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس به » ألا وانه يهلك في اثنان محب يقرظني بما ليس في ومبغض يحمله شنآني على ان يبهتني • ورواه أبو يعلى والحاكم أيضا • وأخرج الامام أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى « أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا علي على هذه – يعنى قرنه – حتى يبل منه هذه » يعنى لحيته • وقد ورد ذلك أيضا من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم رضى الله عنهم • وروى الطبراني وأبو يعـلى بسند رجاله ثقات الا واحدا منهم وقد وثق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوما من أشقى الأولين ؟ قال : الذي عقر الناقة يا رسول الله. قال : صدقت ، قال : فمن أشقى الآخرين ؟ قال : لا علم لى يا رسول الله • قال : الذى يضربك على هذه – وأشار صلى الله عليه وسلم الى يافوخه، فكان علي رضى الله عنه يقول لأهل العراق يعني عند ضجره منهم وددت انه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه – يعنى لحيته – من هذه – ووضع يده على مقدم رأسه • وصح أيضا ان عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال لعلى لا تقدم العراق فانى أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف • فقال على وأيم الله لقد أخبرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال أبو الاسود الدؤلى فمـا رأيت كاليوم ، محارب يخبر بذا عن نفسه •

اذا علمت هذا فاعلم ان أمير المؤمنين على (؟) الا نزع البطـين ابن أبى طالب ، واسمه عبد مناف وقيل اسمه كنيته ، ابن عبد المطلب ، واسـمه

شيبة الحمد قاله ابن اسحق وقيل عامر قاله ابن قتيبة قال ابن عبد البر ولا يصح ، وكنيته أبو الحارث والحارث أكبر أولاده ، ويكنى أيضاً أبا البطحاء وانما قيل له عبد المطلب لأن عمه المطلب أردفه حين أتى به من المدينة صغيرا فكان يقال له من هذا ؟فيقول: عبدي، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى الخ النسب الشريف فعلي رضى الله تعالى عنه ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت هاشميا في الاسلام وقد أسلمت وهاجرت ، وأمير المؤمنين علي رضى الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة وصهره على سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأحد السابقين الى الاسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين وأحد الخلفاء الراشدين وأحد من جمع القرآن المبين وأول خليفة من بنى هاشم وأبو السبطين السعيدين، أسلم على رضى الله عنه قديما قال ابن عباس وأنس بن مالك وزيد بن أرقم وسلمان الفارسى وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم انه أول من أسلم حتى نقل بعضهم الاجماع عليه وقد ورد في ذلك عدة أخبار وتقدم في ذكر الصديق ما يجمع الاقوال على التحقيق ، ويدل لهذا ماقاله أمير المؤمنين على رضى الله عنه لما بلغه افتخار معاوية فقال لغلامه اكتب اليه ثم أملى عليه رضى الله عنه قوله :

محمد النبي أخي وصهري … وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسى ويضحي … يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسى … منوط لحمها بدمي ولحمى[١]
وسبطا أحمد ابناي منها … فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طرا … غلاما ما بلغت أوان حلمي

قال الامام الحافظ البيهقي ان هذا الشعر مما يجب على كل متوان في على رضى الله عنه حفظه ليعلم مفاخره فى الاسلام • انتهى •

واعلم ان مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه كثيرة •

---

(١) المحفوظ « مسوط » أى مخلوط

ومآثره غزيرة وفضائله شهيرة حتى قال سيدنا الامام احمد رضى الله عنه : ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي رضوان الله عليه • وكذا قال اسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري : لم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي رضى الله عنه • قال بعض العلماء وسبب ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون بعده مما ابتلى به علي وما وقع من الاختلاف لما آل اليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الامة باشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ، ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحا للأمة أيضا ،ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه حتى على المنابر ووافقهم على ذلك الخوارج اشتغلت جهابذة العلماء والحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت (١) نصحا للأمة ونصرة للحق •

وقد أخرج السلفي في الطيوريات عن عبدالله ابن الامام احمد رضى الله عنهما قال سألت أبي عن علي ومعاوية فقال : اعلم أن عليا كان كثير الاعداء ففتش له أعداؤه شيئا فلم يجدوا فجاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيادا منهم له رضى الله عنه • وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : الكل مقر بأن معاوية ليس كفؤا لعلي رضى الله عنهما في الخلافة ولا يجوز أن يكون معاوية خليفة مع امكان استخلاف علي لسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله فانها كانت عندهم ظاهرة معروفة كفضل اخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولم يكن بقى من أهل الشورى غيره وغير سعد لكن سعدا كان قد ترك هذا الامر وكان الامر قد انحصر في علي وفي عثمان رضى الله عنهما فلما توفي عثمان لم يبق لها معين الا علي رضى الله عنه وانما وقع ما وقع من الشر بسبب قتل عثمان رضى الله عنه • وقال شيخ الاسلام : ومعاوية لم يدع الخلافة ولم يبايع له بها حين قاتل عليا ولم يقاتله علي رضى الله عنه على انه خليفة ولا انه

---

(١) يعني حتى حفظ الكثير منها • ومع هذا عني الجهلة والغلاة بوضع أخباره كثيرة جدا في اطرائه والغض من غيره •

يستحق الخلافة ولا كانوا يرون ان يبدؤوا عليا بقتال بل لما رأى علي ان لهؤلاء شوكة وهم خارجون عن طاعته رأى ان يقاتلهم حتى يردوا الى الواجب ، وهم رأوا أن عثمان رضى الله عنه قتل مظلوما باتفاق وقتلته في عسكر علي رضى الله عنه وهم غالبون لهم شوكة وعلي رضى الله عنه لم يمكنه دفعهم كما لم يمكنه الدفع عن عثمان فرأوا : من الآراء الفاسدة أن نبايع خليفة (لا) يقدر على أن ينصفنا ويبذل الانصاف، وكان في جهال الفريقين من يظن بالامامين علي وعثمان رضى الله عنهما ظنونا كاذبة منهم من يزعم ان عليا رضى الله عنه أمر بقتل عثمان رضى الله عنه ، وكان علي رضي الله عنه يحلف وهو البار الصادق بلا يمين انه لم يقتله ولا رضى بقتله ولم يمالىء على قتله . قال شيخ الاسلام : وهذا معلوم بلا ريب من علي رضوان الله عليه فكان أناس من محبي علي ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه فمحبوه يقصدون الطعن على عثمان وانه كان يستحق القتل وان عليا أمر بقتله ، ومبغضوه يقصدون الطعن على علي رضى الله عنه وانه أعان على قتل الخليفة المظلوم الشهيد الذى صبر نفسه ولم يدفع عنها ولم يسفك دم مسلم في الدفع عنه فكيف في طلب طاعته . وأمثال هذه الامور التى تنسب الى المشنعين العثمانية والعلوية وكل من الطائفتين مقر بأن معاوية ليس بكفء لعلى رضي‌الله عنه . وولى (على) الخلافة ووقعت له المبايعة بها الغد من قتل عثمان فقال لها من قتل عثمان ؟ قالت : لا أدرى دخل عليه رجلان اليه فقالوا له نبايعك فمد يدك فلا بد للناس من أمير فقال علي رضى الله عنه ليس ذلك اليكم انما ذلك الى أهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا فقالوا ما نرى أحدا أحق بها منك مد يدك نبايعك فبايعوه وهرب مروان وولده وجاء علي الى امرأة امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبى بكر ، وأخبرت عليا والناس بما صنع فدعا محمدا فسأله عماذ كرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لى أبي فقمت عنه وأنا تائب الى الله سبحانه وتعالى والله ما قتلته ولا أمسكته . فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه أدخلهما، وذلك ان محمد بن أبي بكر رضى الله عنهما دخل كما ذكر فأخذ بلحية عثمان

فقال له عثمان رضى الله عنه والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل عليه الرجلان فتوجياه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وخرجت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان فى الدار من الجلبة وصعدت الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل ، فدخل الناس فوجدوه مذبوحا وبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهلت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا عليه فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وضرب على الحسن وصدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وكان أرسلهم يذبون عن عثمان وقال لابنيه كيف قتل وأنتما على الباب ؟ وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله فهرع الناس أليه فبايعوه جميعا • وزعم بعض الناس ان طلحة والزبير انما بايعا كارهين غير طائعين ثم خرجا الى مكة وأم المؤمنين عائشة بها فأخذاها وخرجا الى البصرة يطلبون بدم عثمان فبلغ ذلك عليا فخرج الى العراق فلقي طلحة والزبير ومن معهما وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقتل بها طلحة والزبير وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا وأقام علي رضى الله عنه بالبصرة خمسة عشر ليلة ثم انصرف الى الكوفة ، ثم خرج عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتال بها أياما فرفع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص وكتبوا بينهم كتابا ان يوافوا رأس الحول بأذرح فينظروا في أمر الأمة فافترق الناس ورجع علي الى الكوفة ومعاوية الى الشام وبلغت القتلى ثلاثين ألفا . قال القرطبي في التذكرة وكان مقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاثة أشهر وقيل بل قتل في ثلاثة أيام وهي الايام البيض ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ثلاثة وسبعون ألفا من الفريقين ذكره الثقة العدل أبو اسحق • ومن تلك الليالى ليلة الهرير جعل يهر بعضهم الى بعض والهرير الصوت بشبه النباح لأنهم تراموا بالنبل حتى فنيت وتطاعنوا بالرماح حتى اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقضبت حتى نزل القوم يمشي بعضهم الى بعض وقد كسروا أجفان سيوفهم وتضاربوا بما بقي من من السيوف وعمد الحديد فلا يسمع الا غمغمة القوم والحديد في الهام ثم تراموا بالاحجار ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب ثم تكادموا بالافواه

وكسفت الشمس وثار القتام وارتفع الغبار وضلت الألوية والرايات ومرت مواقيت أربع صلوات لأن القتال كان من بعد صلاة الصبح الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك في ربيع الأول من سنة سبع وثلاثين كما في تاريخ الامام أحمد رضى الله عنه وغيره وكان عدة أهل الشام الذين مع معاوية مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفا وكان أهل العراق الذين مع علي رضوان الله عليه عشرين أو ثلاثين ومائةألف ذكر ذلك الزبير بن بكار • واستشهد فى صفين أبو اليقظان عمار بن ياسر رضى الله عنه وكان مع علي رضوان الله عليه وكان عمار يومئذ ابن ثلاث وتسعين سنة وكان قد سماه رسول الله الطيب المطيب فقد روى الترمذى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال جاء عمار بن ياسر يستأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال « ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب » قال الترمذى حديث حسن صحيح • وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال أخبرني من هو خير مني أبو قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمار « تقتلك فئة باغية » وأخرجه مسلم أيضا من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار « تقتلك الفئة الباغية » وفي الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار « أبشر تقتلك الفئة الباغية » واستسقى يوم صفين فأتي بقعب فيه لبن فلما نظر اليه كبر ثم قال أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخر رزقي من الدنيا ضياح لبن في مثل هذا القعب ثم حمل فلم يثن حتى قتل أخرج الترمذى المسند منه وقال حسن صحيح والباقى ذكره رزين • وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل ينفض التراب عن عمار وهم يبنون المسجد النبوى ويقول « ويح عمار يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار » قال وجعل عمار يقول أعوذ بالله من الفتن وفي رواية « ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار » ولم يذكر البخارى هذه الزيادة يعنى تقتله الفئة الباغية وهذه الزيادة صحيحة ثابتة وهي في صحيح مسلم وغيره وكذلك في بعض نسخ البخاري كما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم • قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله

روحه : ومن رضى بقتل عمار رضى الله عنه كان حكمه حكمها أى حكم الفئة الباغية التى قتلته ، ويروى أن معاوية تأول أن الذى قتله هو الذى جاء به الى منون مقاتله فما قتله الا الذي أخرجه فألزمه علي رضى الله عنه بقوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة حين أخرجه لقتال المشركين ، ولا يخفى أن حجة معاوية هذه أوهى من بيت العنكبوت ومن ثم قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : ولا ريب أن قول علي رضى الله عنه هذا هو الصواب . انتهى . ولا يرتاب ذوو الالباب ان الحق والصواب مع أمير المؤمنين أبى السبطين وزوج سيدة نساء العالمين على بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما معاوية رضى الله عنه فهو مجتهد مخطىء وليس له يومئذ في الخلافة حق ومن ثم قال له أبو مسلم الخولانى أنت تنازع عليا فى الخلافة وأنت مثله ؟ قال : لا وانى لأعلم أنه أفضل ولكن ألستم تعلمون ان عثمان قتل مظلوما ؟ وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه ، فأتوا عليا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان فأجاب معاوية أهل الشام فأرسل الى على أبا مسلم يطلب بدم عثمان وانه وليه وابن عمه فقال أمير المؤمنين على يدخل فى البيعة كما فعل الناس ثم يحاكم المدعى عليهم عندى فاحكم بما أنزل الله ،فأبى معاوية حتى جرى ماجرى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان أهل الشام يسمون قتل عمار فتح الفتوح وفى قتله يقول الحجاج بن غزية الانصارى

قال النبى له تقتلك شرذمة ... سيطت لحومهم بالبغى فجار
فاليوم يعلم أهل الشام انهم ... أصحاب ذاك ومنهم شبت النار

وقال ابن عبدون فى عمار رضى الله عنه

وما رعت لأبى اليقظان صحبته ... ولم تزوده الا الضيح فى العمر

قال فى النهاية الضياح والضيح بالفتح اللبن الخاثر يصب فيه الماء ثم يخلط وهو بفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية فحاء مهملة . وفى القاموس اللبن الرقيق الممزوج وكذا الضياح بفتح الضاد المعجمة . ولما رفع أهل الشام المصاحف يدعون الى ما فيها قال على رضى الله عنه نعم نحن

أحق بالاجابة الى كتاب الله تعالى فقال القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج خوانا يا أمير المؤمنين ما تنظر الى هؤلاء ألا نمشى عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا فقال سهل بن حنيف يا أيها الناس اتهموا رأيكم فآل الامر الى أن كتبوا بينهم كتابا أن يوافوا رأس الحول بأذرح كما تقدم فخرجت عن طاعة أمير المؤمنين الخوارج وهم القراء فقالوا كفر على وكفر معاوية ، فاعتزلوا عليا رضى الله عنه ونزلوا حروراء وهم بضعة عشر ألفا فأرسل على اليهم ابن عباس رضى الله عنهم فناشدهم الله ارجعوا الى خليفتكم فيم نقمتم عليه أفى قسمة أو قضاء قالوا نخاف أن ندخل فى الفتنة قال فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة العام القابل فرجع بعضهم الى الطاعة وقال آحرون نكون ناحية فان قبل القضية يعنى التحكيم قاتلناه على ماقاتلنا عليه أهل الشام بصفين وان نقضها قاتلنا معه فساروا حتى قطعوا النهر وافترقت منهم فرقة يقتلون الناس فقال أصحابهم ما على هذا فارقنا عليا فلما بلغ أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه صنعهم وكان متجهزا لقتال أهل الشام بعد التحكيم فان الناس اجتمعوا باذرح فى شعبان من سنة ثمان وثلاثين وحضر فى هذه القضية سعد بن أبى وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة رضى الله عنهم فقدم عمرو بن العاص أبا موسى الاشعرى مكيدة منه فتكلم فاتفقا على خلع الاثنين على ومعاوية ويصير الامر شورى فمن رضيه أهل بدر من المهاجرين والانصار فهو الخليفة فتقدم أبو موسى فقال قد خلعت عليا فقام عمرو فقال ان أبا موسى قد خلع عليا وانى نصبت معاوية فاختلف الناس وأخذ أبوموسى يسب عمرا ويقول انك غدرت فرجع على الى الكوفة ومعاوية الى الشام وصار خلاف من أصحابه حتى صار رضى الله عنه يعض على أصبعه ويقول أعصى ويطاع معاوية ؟ وربما قال ويطاع ابن آكلة الاكباد • اشارة الى أكل هند بنت عتبة أم معاوية من كبد حمزة رضى الله عنه يوم أحد فلما تجهز على رضى الله عنه لقتال أهل الشام شغله أمر الخوارج وما ارتكبوه من المفاسد فقال لأصحابه أتسيرون الى عدوكم أو ترجعون الى هؤلاء الذين خلفوكم فى دياركم ؟ فقالوا بل نرجع اليهم فقال رضى الله عنه اسطوا عليهم

فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يفر منهم عشرة فكان كذلك فقال اطلبوا في القتلى رجلا صفته كذا وكذا وذكر من نعته ان له ثديا كثدى المرأة فطلبوه فوجدوه على النعت الذى ذكره أمير المؤمنين لهم فقال رجل الحمد لله الذى أبادهم وأراحنا منهم فقال على رضى الله عنه كلا والدى نفسى بيده ان منهم لمن فى اصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد • وهؤلاء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين فيقتلها أولى الطائفتين الى الحق » رواه مسلم فى صحيحه فقتلهم على رضى الله عنه وفرح على بقتال الخوارج بخلاف وقعة الجمل وغيرها فانه كان يظهر منه الحزن والكآبة والاسف • ومن بقايا الخوارج القرامطة وهم الباطنية والاسماعيلية والملاحدة واضرابهم

( غريبة عجيبة ) ذكر الجلال السيوطى فى لقط المرجان قال ذكر فى كتاب نزهة المذاكرة من طريق الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حضرت مع على بن أبى طالب رضى الله عنه قتل الحرورية بالنهراون فالتمس على ذا الثدية فلم يجدوه فقال اطلبوه فوجدوه بعد ذلك فقال على رضى الله عنه من يعرف هذا فقال رجل من القوم نحن نعرفه هذا قوص وأمه ههنا فأرسل على الى أمه فقال لها من أبو هذا قالت ما أدرى الا انى كنت أرعى غنما لأهلى فى الجاهلية بالمدينة فغشينى شيء كهيئة الظلة فحبلت منه فولدت هذا • انتهى• تعنى أن أباه من الجن وهذا غريب جدا والله أعلم

( تنبيـــه )

**تنبيه على أحق الناس بالخلافة بعد الثلاثة**

علم مما تقدم ان أحق الناس بالخلافة بعد الثلاثة المتقدمة أعنى أبا بكر وعمر وعثمان على بن أبى طالب رضى الله عنهم باتفاق أهل الحل والعقد كطلحة والزبير وأبى موسى الاشعرى وابن عباس وخزيمة بن ثابت وأبى الهيثم بن التيهان ومحمد بن مسلمة وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين • قال بعض محققى علمائنا قد اتفق على بيعة على رضى الله عنه عامة من حضر المدينة من البدريين والانصار كاجتماع أهل السقيفة على بيعة أبى بكر رضى الله عنه • قال الحسن البصرى رضى الله عنه

والله ماكانت بيعة على رضى الله عنه الا كبيعة أبى بكر وعمر رضى الله عنهم • وقال أبو عبد الله بن بطة من علمائنا كانت بيعة على رضى الله عنه ( بيعة ) اجتماع ورحمة لم يدع الى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه ولم يغلبهم بعشيرته ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره ولقد أباها فأجبروه وتقاعس عنها فأكرهوه وقال سيدنا الامام احمد رضى الله عنه ان عليا رضوان الله عليه لم تزنه الخلافة ولكن على زانها • وروى الشعبى قال دخل اعرابى على على رضى الله عنه حين أفضت اليه الخلافة فقال والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ولهى كانت أحوج اليك منك اليها • قال أبو عبد الله بن بطة رحمه الله تعالى قد أحسن الاعرابى وصدق فى ماقال فان عليا ومن تقدمه من الخلفاء رضى الله عنهم زينوا الخلافة وجملوا أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأتموا الدين وأظهروه وأسسوا الاسلام وأشهروه ، وأنشد الامام الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى بصرته فى حق على رضى الله عنه

مازانه الملك اذ حواه ، بل كل شيء به يزان • جرى ففات الملوك سبقاء
فليس قدامه غيان • نالت يداه ذرى معالى ، يعجز عن مثلها العيان

وفى شرح المقاصد عن بعض المتكلمين انعقد على بيعة على رضى الله عنه الاجماع ووجه انعقاده ما انحصر الامر فيه وفى عثمان زمن الشورى على انها له أو لعثمان وهذا اجماع على على رضى الله عنه لولا عثمان فلما توفى عثمان رضى الله عنه بقيت لعلى اجماعا ، ومن ثم قال بعض محققى علماء الكلام لا اكتراث بقول من قال لا اجماع على امامة على رضى الله عنه وقد تقدم فى كلام شيخ الاسلام ما يفهمنه هذا المقام والله ولى الانعام

ولما قتل على رضى الله عنه الخوارج بالنهروان واستأصل جمهورهم ولم ينج منهم الا القليل انتدب من بقاياهم عبد الرحمن بن ملجم المرادى والحجاج بن عبد الله الصريمى ويعرف بالبرك وداذويه مولى بنى العنبر ابن عمرو بن تميم فأجمعوا رأيهم على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص وأن يكون قتلهم فى ليلة واحدة وهى ليلة سبعة عشر من رمضان أو احدى

عشر وقيل ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان وكان تعاقدهم وتعاهدهم على ذلك بمكة المشرفة فضمن ابن ملجم قتل على فقيل له وكيف ، لك بذلك قال : أغتاله ، وضمن البرك قتل معاويةوضمن داذويه قتل عمرو بن العاص وزعموا أن هؤلاء الثلاثة قد أفسدوا أمر هذه الامة ولو قتلوا لعاد الامر الى مستحقيه كذا زعموا لعنهم الله تعالى فتوجه كل واحد منهم الى صاحبه فاما البرك الصريمى فقدم على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته وهو فى الصلاة ويقال انه قطع عرق النسل منه فما أحبل النساء بعد تلك الضربة ، وأما داذويه بن حذافة العنبرى فقدم مصر لقتل عمرو بن العاص فاتفق انه تلك الليلة استخلف على صلاة الفجر خارجة بن حذافة بن غانم ابن عبد الله بن عوف بن عتبة بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى شهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد الذين أمد بهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص فى فتح مصر وكان على شرط مصر فى امرة عمرو بن العاص لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهم ، قال فى جامع الاصول كان خارجة بن حذافة هذا أحد فرسان قريش فيقال أنه كان يعدل بألف فارس قاله ابن عبد البر وكان كتب عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يستمده بثلاثة آلاف فارس فأمده بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضى الله عنهم . فأراد الخارجى داذويه قتل عمرو بن العاص فقتل خارجة ابن حذافة فلما قتله الخارجى أخذ وأدخل على عمرو فقال الخارجى من هذا الذى أدخلتمونى عليه قالوا عمرو بن العاص قال ومن قتلت قالوا خارجة فقال : أردت عمرا وأراد الله خارجة . فذهبت مثلا والى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الاندلسى فى قصيدته الرائية التى رثى بها بنى الافطس ملوك بطليوس بقوله :

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة ... فدت عليا بمن شاءت من البشر

وأما أشقى الآخر بن عبد الرحمن بن ملجم اللعين فقدم الكوفة ولقى بها من اخوانه الخوارج فسارهم بما أراد فاشترى سيفا فيما زعموا بألف وسقاه السم حتى لفظه وكان فى خلال ذلك يأتى عليا رضى الله عنه فيسأله

فوقعت عينه على قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت خارجية ترى رأى الخوارج وكانت جميلة رائعة فى الجمال فأعجبته فخطبها فقالت آليت ان لا أتزوج الا على مهر لا أريد سواه فقال ما هو؟ فقالت ثلاثة آلاف وعبد وجارية وقتل على بن أبى طالب فقال والله ما أتيت الا للفتك به ولا أقدمنى هذا المصر غير ذلك ولكن لما رأيتك أردت تزويجك فقالت ليس الا الذى قلت لك ، فقال وما يغنينى منك اذا أنا قتلت عليا اعلم انى لم أفلت ، فقالت ان قتلته ونجوت فهو الذى أردت تبلغ شفاء نفسك ويهنيك العيش معى وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا ، فقال لهالك ما اشترطت ثم قال لعنه الله تعالى

ثلاثة آلاف وعبد وقينـــــة وضرب على بالحسام المسمـــم

فلا مهر أغلى من على وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملحم

فقالت له ورائى من يشد ظهرك فبعثت الى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها ولقى ابن ملجم شبيب بن شجرة الاشجعى فقال يا شبيب هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال ماهو؟ فقال تساعدنى على قتل على بن أبى طالب فقال ثكلتك أمك لقد جئت شيئا ادا كيف تقدر على ذلك ؟ قال ان رجل لا حرس له ويخرج الى المسجد منفردا فنتمكن منه وقد كمنا له فى المسجد فنقلته فان نجونا نجونا وان قتلنا فقد سعدنا بالذكر فى الدنيا وبالجنة فى الآخرة ، فقال ويلك ان عليا ذو سابقة فى الاسلام مع النبى صلى الله عليه وسلم وما تنشرح نفسى لقتله قال ويلك انه حكم الرجال فى دين الله وقتل اخواننا الصالحين فنقتله ببعض من قتل فلا تشكن فى دينك، فأجابه وأقبلا حتى دخلا على قطام وهى معتكفة فى المسجد الاعظم فى قبة ضربتها لنفسها فدعت لهما وأخذا سيفيهما وجلسا قبـــالة السدة التى يخرج منها أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فخرج الى صلاة الصبح فبدره شبيب فضربه فأخطأه وضربه عبد الرحمن على رأسه وقال : الحكم لله يا على لا لك ولا لأصحابك ، فقال على رضى الله عنه فزت ورب الكعبة لا يفر منكم الكلب وشد الناس عليه من كل جانب فحمل عليهم ابن ملجم فأفرجوا له فتلقاه المغيرة بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب

فرمى عليه قطيفة كانت عنده واحتمله وضرب به الارض وقعد على صدره وأما شبيب فانتزع السيف من يده رجل من حضرموت وصرعه وقعد على صدره فجعل الناس يصيحون عليكم بصاحب السيف فخاف الحضرمى على نفسه فرمى بالسيف وانسل شبيب من بين الناس • فأخذ ابن ملجم فدخل به على أمير المؤمنين على رضى الله عنه فقال ان أعش فالامر لى وان أمت فالامر لكم فالعفو أو القصاص واجتمع الاطباء عنده وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السكونى وكان من أطباء كسرى فأخذ رئة شاة حارة فتتبع عرقا منها فأخرجه فأدخله فى جراحة على رضى الله عنه ثم نفخ العرق فاستخرجه فاذا عليه بياض دماغ واذا الضربة قد وصلت الى أم رأسه فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدك فأنت ميت وسمع ابن ملجم لعنه الله الرنة من الدار فقال له من حضره أى عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين رضى الله عنه فقال ابن ملجم فعلى من تبكى أم كلثوم؟ أعلى ؟ اما والله لقد اشتريت سيفى بألف وما زلت أعرضه فما يعيبه أحد الا أصلحت ذلك العيب ولقد سقيته السم حتى لفظه ولقد ضربته ضربة لو قسمت على من بالمشرق لأتت عليهم ثم مات أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ليلة الاحد لتسع عشرة مضت من رمضان سنة أربعين وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم وصلى عليه الحسن ودفن بدار الامارة بالكوفة ثم احضر ابن ملجم وجاء الناس بالنفط والبوارى وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه بمسامير الحديد محماة ثم قطع لسانه ثم أحرق فى قوصرة وقيل انه قطعت أطرافه لعنه الله ولم يتأوه بل ( كان ) يتلو القرآن فلما أرادوا قطع لسانه امتنع من اخراجه فتعبوا فى ذلك فقيل له قطعت يداك ورجلاك فما تمانعت فما هذا التمانع عند قطع لسانك ؟ قال لئلا يفوتنى من تلاوة القرآن شىء وانا حى فشقوا شدقه واخرجوا لسانه بكلاب فقطعوه ، وكان عمر أمير المؤمنين لما مات ثلاثا وستين سنة كأبى بكر وعمر كعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم •

ولما بلغ عائشة رضى الله عنها موت أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى

الله عنه قالت لتصنع العرب ما شاءت بعده فليس لها من ينهاها • وكان عبد الرحمن بن ملجم قد قرأ القرآن على معاذ بن جبل رضى الله عنه وكان من العباد المعدودين قبل خروجه حتى يقال ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله ان يوسع دار عبد الرحمن بن ملجم ليعلم الناس الفقه والقرآن ثم كان من شيعة أمير المؤمنين على رضى الله عنه وشهد معه صفين ثم فعل بعد هذا ما فعل فنسأل الله حسن الخاتمة فى عافية • وعند الخوارج ان ابن ملجم افضل الامة وكذلك النصيرية يعظمونه • قال أبو محمد بن حزم يقولون انه أفضل اهل الارض لانه خلص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره • وعند الروافض انه اشقى الخلق فى الآخرة قلت ولا يخفى انه استحل قتل أمير المؤمنين على بن ابى طالب بل عد قتله من اعظم القرب وهذا كفر بلا ريب حتى ان عمران بن حطان الخارجى قبحه الله تعالى قال يمدح ابن ملجم لعنه الله :

ياضربة من تقى ما أراد بهـا
الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره يوما فاحسبه
أو فى البرية عند الله ميزانا

وعارضه بعض أهل الحق بقوله

قل لابن ملجم والاقدار غالبة
هدمت ويلك للاسلام اركانا
قتلت أفضل من يمشى على قدم
وأول الناس اسلاما وايمانا
واعلم الناس بالايمان ثم بما
سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبى ومولاه وناصره
أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له
مكان هارون من موسى بن عمرانا

وكان فى الحرب سيفا مصيا ذكرا
ليثا اذا لقى الاقران اقـــرانا
ذكرت قاتله والدمع منحـــدر
فقلت سبحان رب العرش سبحانا
انى لاحسـبه ما كان من بشر
يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد اذا عـدت قبائلها
وأبخس الناس عند الله ميزانا
كعاقر النـاقة الاولى التى جلبت
على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم ان سوف يخضبها
قبل المنيـــــة ازمانا وازمانا
فلا عفا الله عنـــــه ما تحمله
ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله فى شقى ظـــــل مجترما
ونال ما ناله ظلما وعـــــدوانا
ياضربة من تقى مـــا أراد بها
الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
بل ضربة من غوى أورثته لظى
فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصـــــدا بضربته
الا ليصلى عذاب الخلـــد نيرانا

وما أحسن ما قال عمارة اليمنى فى الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم :

أردت عليـــــا وعثمانا بمخلبها
ولم يفتها أبو بكر ولا عمـــر
ومن أراد التأسى فى مصـــيبته
فللورى فى رسـول الله معتبر

واعلم ان مناقب على رضوان الله تعالى عليه كثيرة ومآثره شهيرة ولقد قال فيه ابن عباس رضى الله عنهم ، كان لعلى ضرس قاطع فى العلم وكان له القدم فى الاسلام والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه فى السنة والنجدة فى الحرب والجود فى المال • وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو حسن - يعنى عليا رضى الله عنه• واخرج الامام الحافظ ابو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى فى تبصرته بسنده عن أبى صالح قال : قال معاوية بن أبى سفيان لضرار بن ضمرة صف لى عليا قال أو تعفينى ياأمير المؤمنين قال بل تصفه لى ، قال أو تعفينى ، قال لا اعفيك ، قال اما اذ لابد فانه والله كان بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ، ويبتدئنا اذا أتيناه ، ويأتينا اذا دعوناه ، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتدئه لعظمته ، كان اذا تبسم فعن مثل اللؤلؤة المنظوم ، يعظم اهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، فاشهد بالله لرأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سجوفه ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، فلكأنى اسمعه وهو يقول يا دنيا يا دنيا ألى تعرضت ؟ أم لى تشوفت ؟ هيهات ، غرى غيرى ، قد بتتك ثلاثا لا رجعة لى فيك ولا مثنوية فعمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كبير ، ويروى انه قال حلالك حساب وحرامك عذاب ، ثم انشد رضى الله عنه :

دنيا تخادعنى كأنى لست اعرف حالها
مدت الى يمينها فرددتها وشمالها
حظر الاله حرامها وأنا اجتنبت حلالها
وعلمتها خداعه ، فتركت جملتها لها

آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق• قال فذرفت دموع معاوية

فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ، ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ، ولا تسكن حسرتها • وأنشد الحافظ ابن الجوزى فى التبصرة من نظم الامام امير المؤمنين على رضى الله عنه ووصف نفسه

اذا المشكلات تصدين لى     كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت فى محل الصوا     ب عمياء لا يجتليها البصر
مقنعة بغيوب الامور     وضعت عليها صحيح الفكر
لسانى كشقشقة الارحبى     أو كالحسام اليمانى الذكر

وفى الطيوريات قال قال رجل لعلى رضى الله عنه نسمعك تقول فى الخطبة اللهم أصلحنا بما اصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم ؟ فاغرورقت عيناه قال هم أحبائى ابو بكر وعمر اما ما الهدى وشيخا الاسلام رجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ، ومن اتبع آثارهما هدى الى الصراط المستقيم ، ومن تمسك بهما فهو فى حزب الله

**وضعه النحو**

والامام على أمير المؤمنين رضى الله عنه اول من وضع علم النحو ، قال أبو القاسم الزجاجى فى أماليه عن أبى الاسود الدؤلى قال : دخلت على أمير المؤمنين فرأيته مفكرا قلت فيم تفكر ؟ قال انى سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أضع كتابا فى أصول العربية فقلت ان فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة • ثم أتيته بعد ثلاث فألقى الى صحيفة فيها ، بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما انبأ عن المسمى ؛ والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ، ثم قال واعلم يا أبا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشىء ليس بظاهر ولا مضمر ، ثم قال تتبعه وانح نحوه وزد فيه • وهذا مشهور وما تحيط الدفاتر بالبحر الخضم ، والشىء الاعم والسواد الاعظم ، فكل ما ذكرناه بالنسبة لما تركناه كقطرة ماء من بحر لجى ، أو كرملة واحدة من رمال فيحة ، وروى له عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا فى الصحيحين أربعة وأربعون حديثا اتفقا منها على عشرين وانفرد البخارى بتسعة ومسلم بخمسة عشر والله ولى التوفيق ثم قال فى نظمه

(( فحبه كحبهم حتما وجب ومن تعدى او قلى فقد كذب ))

(( فحبه )) اى حب أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه (( كحبهم )) اى الخلفاء الراشدين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق الامام المبجل على التحقيق المسمى بعبد الله والملقب بعتيق فمن أحبه فهو مؤمن ومن أبغضه فهو زنديق ، وكذلك عمر بن الخطاب الملقب بالفاروق ، وكذلك عثمان بن عفان الذى بكل مكرمة مرموق ، فان كنت مؤمنا فاحبهم جميعا وحتم ذلك على نفسك وعلى كل أبناء جنسك (( حتما )) اى خالصا محكم الامر (( وجب )) على جميع الامة باتفاق الائمة لا يزوغ عن حبهم الا هالك ، ولا يروغ عن وجوب ذلك الا آفك ، ومن ثم قال (( ومن )) اى مكلف من هذه الامة المحمدية ((تعدى)) فى حبه او لم يقل بفضل الخلفاء الراشدين على ترتيب الخلافة (( او قلى )) هم أو أحدا منهم اى أبغضهم أو أحدا منهم، يقال قلاه كرماه رفضه قلى وقلاء اذا أبغضه وكرهه غاية الكراهة وتركه وهجره ، وقال الامام أبو المظفر عون الدين بن هبيرة القلى بغض بعد حب (( فقد )) الفاء فى جواب من وقد حرف تحقيق (( كذب )) فى كل واحدة من الخصلتين من تعديه فى الحب او بغضه لهم او لأحد منهم رضى الله عنهم أجمعين

( تنبيهات )

**تنبيهات الاول افضلية الاربعة**

( الاول ) أعلم أن الواجب اعتقاده أن أفضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون الاربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ، فهم الذين ولوا الخلافة التى هى النيابة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى عموم مصالح المؤمنين من اقامة الدين وصيانة المسلمين بحيث يجب على كافة الخلق الاتباع ويحرم عليهم المخالفة ، وقد بين صلى الله عليه وسلم مدة الخلافة بعده بأنها ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا ، فكانت مدة خلافتهم فأخرج الامام احمد من حديث سفينة رضى الله عنه

مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون من بعد ذلك الملك » ورواه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره ، ولم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم الا الخلفاء الاربعة وأيام الحسن رضى الله عنهم •

وأخرج البزار بسنن حسن من حديث ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول دينكم نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا وجبرية • فثبت بالنص ان مدة الخلفاء الاربعة خلافة ورحمة وكذا مدة سيدنا الحسن رضى الله عنه وكانت ستة أشهر وأياما والله أعلم

**الثانى فى ترتيبهم**

( الثانى ) ترتيبهم فى الافضلية على ترتيبهم فى الخلافة وهذا قول عامة أهل السنة من أهل الحديث والفقه والكلام من الاثرية والاشعرية والماتريدية وغيرهم ، قال الامام أحمد رضى الله عنه : علي رضوان الله عليه رابعهم فيالخلافة والتفضيل . وقال : من فضل عليا على أبي بكر وعمر أو قدمه عليهما في الفضيلة والامامة دون النسب فهو رافضى مبتدع فاسق. ذكره القاضى أبو يعلى . قال ابن حمدان في نهاية المبتدئين : فان فضله - يعنى عليا رضى الله عنه على عثمان رضى الله عنه فكذلك ، يعنى انه يكون رافضيا مبتدعا فاسقا ، وفي رواية أخرى لا يكون رافضيا مبتدعا بتفضيل علي على عثمان رضى الله عنهما ، وتبرأ الامام أحمد رضى الله عنه ممن ضللهم أو أحدا منهم ا هـ .

**الثالث ذكر بعض الخلاف**

( الثالث ) اعلم ان الذى أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الامة ورؤساء الأئمة ان أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم الصديق الأعظم أبو بكر بن أبي قحافة، ثم عمر الفاروق بن الخطاب رضى الله عنهما ، ثم اختلفوا فالأكثرون ومنهم الامام أحمد والامام الشافعي وهو المشهور عن الامام مالك رضى الله عنهم ان الافضل بعد أبي بكر وعمر رضى الله عنهما عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ، وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثوري بتفضيل علي على عثمان ، وقيل بالوقف عن التفضيل بينهما وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو عبد الله المازري عن المدونة أن مالكا

سئل أي الناس أفضل بعد نبيهم ؟ فقال : أبو بكر ثم عمر ، ثم قال : أو في ذلك شك ؟ فقيل له وعلي وعثمان ؟ فقال ما أدركت أحدا ممن أقتدى به يفضل أحدهما على الآخر ، انتهى .

وقوله : أو فيذلك شك ؟ يريد ما سنحرره أن تفضيلأبيبكر وعمر على بقية الامة قطعى ، نعم حكى القاضي عياض عن الامام مالك انه رجـــع عن التوقف الى تفضيل عثمان ، قال القرطبي وهو الاصح ان شاء الله تعالى ، وقد نقل التوقف ابن عبد البر عن جماعة من السلف منهـــم الامام مالك ويحيى القطان وابن معين ، قال الامام يحيى بن معين : ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة ، ولاشك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم ، ومن ثم يعلم ان حكاية الاجماع على أن عثمان أفضل من على رضى الله عنهما مدخول بل الخلاف معلوم ، نعم معتمد محققي أهل السنة أن الخلفاء الراشدين فى ترتيب الافضلية على نسق ترتيب الخلافة وهذا منصوص الامام أحمد وغيره من أئمة الاسلام لكن التفضيل في طرف أبي بكر وعمر رضى الله عنهمـا قطعي على المعتمد وقيل ظني كما عند الباقلانى وغيره •

**الرابع تلازم المحبة الدينية واعتقادالافضلية**

( الرابع ) سئل الامام أبو زرعة الولى العراقى عمن اعتقد فى الخلفـاء الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن يحب أحدهم أكثر هل يأثم أو لا ؟ فأجاب بأن المحبة قد تكون لأمر دينى وقد تكون لأمر دنيوي ، فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضا ، نعم ان أحببنا غير الافضل أكثر من محبة الافضل لأمر دنيـوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع ، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه أحب عليا أكثر من أبي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضلية أبي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه أحبه محبة دينيـــة زائدة على محبة أبي بكر وهذا لا يجوز ، وان كانت المحبة المذكورة محبة

دنيوية لكونه من ذرية علي أو لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه . انتهى .
وعلى كل حال المحبة الدينية لازمة للافضلية على حسب زيادتها ونقصهـــا وبالله التوفيق

(( وبعد فالأفضل باقي العشرة فأهل بدر ثم أهل الشجرة ))

(( وبعد )) أي بعد الخلفاء الراشدين (( فالأفضل )) من سائر الصحابة المكرمين (( باقي العشرة )) المشهود لهم بالجنة على لسان سيد العالمين وخاتم المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وهم الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

**باقى العشرة**

**طلحـــــة**

( أحدهم ) أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشى التيمي ، وأمه الصعبة بنت عبد الله بن عماد الحضرمي أخت العلاء بن الحضرمي أسلمت وأسلم طلحة قديما على يد أبي بكر الصديق ، وشهد المشاهد كلها غير بدر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان أنفذه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التى كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء ببدر ، وثبت مـع النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ووقاه بيده فشلت أصبعه ، وجـــرح يومئذ أربعة وعشرين جراحة ، وقيل كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية كما في جامع الاصول وسماه النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد طلحة الخير ، وسماه يوم غزوة ذات العشيرة طلحة الفياض ، ويوم حنين طلحة الجود . وكان آدم كثير الشعر ليس بالجعـــــد القطط ولا بالسبط ، حسن الوجه دقيق العرنين لا يغير شعره . قتل رضى الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشرين بقين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، ويقال ان مروان بن الحكم قتله وقيل أصابه سهم في حلقه ودفن بالبصرة وله أربع وستون سنة ، وقيل اثنتان وستون ، يلتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ، وروى له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثون حديثا منها في الصحيحين سبعة المتفق عليـه منها حديثـان وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بثلاثة ، وروى عنه الســـائب بن يزيد

وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي وأبو عثمان النهدي وقيس بن أبي حازم وموسى بن طلحة وغيرهم •

الزبير

( الثانى ) أبو عبـــد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أســـد بن عبد العـــزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب لؤى بن غالب القرشى الاسدي وأمه صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضى الله عنهم وهو ابن ست عشرة سنة فعذبه عمه بالدخان ليترك الاسلام فلم يفعل وهاجر الى أرض الحبشة الهجرتين ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وهو أول من سل السيف في سبيل الله وثبت مـــع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وكان أبيض طويلا ، ويقال لم يكن بالطويل ولا بالقصير يميل الى الخفة في اللحم ، ويقال كان أسمر خفيف العارضين ، قتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة فى وقعـــة الجمل سنة ست وثلاثين وله أربع وستون سنة ، ودفن بوادى السباع ثم حول الى البصرة وقبره بها مشهور ، يجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم في قصى ، روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانيـــة وثلاثون حديثا ، منها في الصحيحين تسعة المتفق عليه منها حديثان وباقيها للبخارى ، روي عنه ابناه عبد الله وعروة وغيرهما ، وهو أحد الشجعان المشـــهورة وحواري رسولا لله صلى الله عليه وسلم •

سعـــــد

( الثالث ) أبو اسحاق سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب ويقال أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى الزهري وأمه حمنة بنت سفيان وقيل بنت أبيسفيان ابن عبد شمس بن عبد مناف أسلم قديما على يد أبى بكر الصديق رضىالله عنهما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال كنت ثالثا في الاسلام وأنا أول من رمي بسهم في سبيل الله ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قصيرا غليظا ذا هامة شثن الاصابع آدم أفطس أشعر الجسد وفداه النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد بأبويه أى قال له « ارم فداك أبي وأمي » مات رضى الله عنه في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي

المدينة من قبل معاوية ودفن بالبقيع وذلك سنة خمس وخمسين وقيل سبع وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل اثنان وثمانون ، وهو آخر العشرة موتا وكان قد اعتزل الفتنة ، وكف بصره فى آخر عمره رضى الله عنه ، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتان وسبعون حديثا منها فى الصحيحين ثمانية وثلاثون حديثا اتفقا منها على خمسة عشر وانفرد البخارى بخمسة ومسلم بثمانية عشر ، روى عنه عبد الله بن عمر وجابر بن سمرة وعامر ومحمد ومصعب بنوه وابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وابن المسيب وأبو عثمان النهدي وقيس بن أبى حازم وغيرهم •

**سعيد**

( الرابع ) أبو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى وباقى نسبه معروف من نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشى العدوى وأمه فاطمة بنت بعجة بفتح الموحدة وسكون العين المهملة وبالجيم ابن أمية من خزاعة أسلم قديما قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم ، شهد المشاهد كلها مع النبى صلى الله عليه وسلم غير بدر فانه كان مع طلحة بن عبيد الله يطلبان خبر عير قريش كما تقدم آنفا وضرب لهما النبي صلى الله عليه وسلم بسهميهما في الغنيمة والاجر ، كان آدم طويلا أشعر مات بالعقيق قريبا من المدينة فحمل اليها ودفن بها سنة احدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين وله بضع وسبعون سنة وقيل مات بالكوفة ودفن بها يجتمع مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في لؤي ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وأربعون حديثا منها فى الصحيحين ثلاثة المتفق عليه منها اثنان والثالث للبخارى •

**عبد الرحمن بن عوف**

( الخامس ) أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشى الزهري كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة أسلمت وهاجرت ، وفي الزهر السام أمه صفية بنت عبد مناف بن زهرة ويقال الشفاء بكسر الشين المعجمة وبالفاء بنت عوف وأسلم هو قديما على يد أبي بكر الصديق رضى الله عنهما ، وهاجر الى الحبشة الهجرتين ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد وصلى

النبى صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك وأتم ما فاته • كان طويلا رقيق البشرة أبيض مشربا بحمرة ضخم الكفين أقنى ، وقيل كان ساقط الثنيتين أعرج أصيب يوم أحد وجرح عشرين جراحة أو أكثر فأصابه بعضها في رجله فعرج • ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن في البقيع وله ثنتان وسبعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة ، ويلقى نسب النبى صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وستون حديثا منها في الصحيحين سبعة أحاديث المتفق عليه منها حديثان وباقيها للبخاري روي عنه ابن عباس وابنه ابراهيم وبجالة بن عبد وغيرهم رضى الله عنهم •

( السادس ) أمين الامة أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجــراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى الفهرى أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع النبى صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحــد من حلق المغفر بفيه فوقعت ثنيتاه فكان أحسن الناس هتما ، كان رضى الله عنه طوالا معروق الوجه خفيف اللحية مات فى طاعون عمواس بالاردن سنة ثمانى عشرة ودفن هناك وقبره مشهور يزار ويتبرك به ، وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا ولم يخرج له البخارى في صحيحه شيئا ولا أخرج له مسلم الا في حديث العنبر من رواية أبى الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم وهو قوله يعنى قول أبى عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معنى تام فسموه حديثا • فهؤلاء العشرة المذكورون فى حديث عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيــدة بن الجراح فى الجنة » رواه الترمذى وأخرج أبو داود والترمذى عن رباح بن الحارث

قال كنت قاعدا عند فلان فى الكوفة فى المسجد وعنده اهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعده على السرير فجاء رجل من اهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد من يسب هذا الرجل ؟ فقال يسب عليا ، فقال لا أرى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وانى لغنى ان أقول عليه ما لم يقل فيسألنى عنه غدا اذا لقيته - « أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وسعد فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » وسكت عن العاشر ، قالوا ومن هو العاشر ؟ قال: سعيد بن زيد - يعنى نفسه - ثم قال يعنى سعيد بن زيد رضى الله عنه : والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير من عمل احدكم ولو عمر نوح . زادرزين ثم قال لا جرم لما انقطعت اعمالهم أراد الله تعالى ان لا ينقطع الاجر عنهم الى يوم القيامة والشقى من أبغضهم والسعيد من أحبهم .ولفظ الترمذى : أشهد على التسعة انهم فى الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم قال : عبد الله بن ظالم المازنى قلت لسعيد بن زيد رضى الله عنه من التسعة ؟فذكرهم ،قلت ومن العاشر ؟ فتلكأهنيهة ثم قال: أنا.وللترمذى فى رواية أخرى عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عشرة فى الجنة » فعد التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله يا أبا الاعور من العاشر ؟ قال : نشدتمونى بالله ، أبو الاعور فى الجنة .أبو الاعور هو سعيد بن زيد والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة ويكفى ما أخرجه الترمذى عن عقبة بن علقمة اليشكرى قال سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول يعنى بعد وقعة الجمل سمعت اذنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : طلحة والزبير جاراى فى الجنة . وبعد العشرة أى الذين يلونهم فى الافضلية .

**أهل بدر**

(( فأهل )) غزوة (( بدر )) العظمى وهى البطشة الكبرى ويقال لها بدر القتال ويوم الفرقان كما رواه ابن جرير وابن المنذر وصححه الحاكم

ء ن ابن عباس رضى الله عنهما قال لان الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهي التي أعز الله بها الاسلام وقمع بها عبدة الاصنام ، وبدر قرية مشهورة ولم تزل من يومئذ بأهل الاسلام معمورة على نحو أربعة مراحل من المدينة النبوية قيل نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة وقيل الى بدر بن الحارث ، وقيل الى بدر بن كلدة ، وقيل بل بدر اسم للبئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها أو لصفائها فكأن البدر يرى فيها ، وقيل بل هو علم على البلد المذكور كغيرها من أسماء البلاد ، قال البغوى وهو قول الاكثر • وكانت وقعة بدر نهار الجمعة لسبع عشر خلت من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، روى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث ان عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر ولم يجاوزه معه الا مؤمن ، بضعة عشر وثلاثمائة • وفي حديث أبى أيوب الانصاري رضى الله عنه عند ابن جرير وابن ابى حاتم والطبرانى والبيهقى قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعتد فعفلنا فاذا نحن ثلثمائة وثلاثة عشر فأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدتنا فسر بذلك وحمد الله تعالى وقال :عدة أصحاب طالوت • وروى الامام احمد وابن أبى شيبة ومسلم وأبو داود والترمذى وأبو عوانة وابن حبان من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر - ولفظ مسلم تسعة عشر رجلا ، ونظر الى المشركين فاذا هم ألف وزيادة ، الحديث • وروى البزار بسند حسن عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال : كانت عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت يوم جالوت، ثلثمائة وسبعة عشر • وفى الفتح ثلاثة عشر بدل سبعة عشر • وفى الصحيح عن موسى بن عقبة عن الزهرى قال : جميع من شهد بدرا من قريش من ضرب لهسهمه احد وثمانون مع ان البخارى واسحاق بن راهويه اخرجا عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال كان المهاجرون يوم بدر نيفا على الستين والانصار نيفا وأربعين ومائتين،

قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذين الحديثين ان حديث البراء فى من شهد بدرا حسا وقول الزهرى فى من شهدها بالعدد حكما ممن ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم له بسهمه وأجره ، او المراد بالعدد الاول الاحرار وبالثانى بانضمام مواليهم واتباعهم • واذا تحرر هذا فجميع من شهد القتال ثلاثمائة وخمسة او ستة فقد عد ثمانية أنفس من اهل بدر ولم يشهدوها وانما ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بسهامهم لكونهم تخلفوا لضرورات لهم وهم عثمان بن عفان وطلحة وسعيد والحارث ابن حاطب والحارث بن الصمة وخوات بن جبير وعاصم بن عدى وأبو لبابة رضى الله عنهم • واستشهد من المسلمين فى وقعة بدر أربعة عشر نفسا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضى الله عنهم أجمعين • وقتل من الكفار سبعون وأسر سبعون • وقد روى الطبرانى بسند رجاله ثقات عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان الثمانية عشر الذين قتلوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله تعالى ارواحهم فى الجنة فى طير خضر تسرح فى الجنة فبينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادى ماذا تشتهون ؟ فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شيء قال فيقول عبادى ماذا تشتهون فيقولون فى الرابعة ترد أرواحنا فى أجسادنا فنقتل كما كما قتلنا • وروي البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي رضى الله عنه وكان من أهل بدر قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها، قال كذلك من شهد بدرا من الملائكة • وروى نحوه الامام أحمد من حديث رافع بن خديج ، قال الحافظ ابن الجوزى فى جامع المسانيد كذا وقع فى مسند الامام أحمد والظاهر انه غلط من بعض الرواة وانما هو حديث رافع بن رفاعة(؟) الزرقى لا ابن خديج ويحتمل أن يكون سمعه ابن خديج من رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأخرج الامام أحمد بسند صحيح على شرط مسلم عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية • وروى أبو داود وابن ماجه والطبرانى بسند جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلع

الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وروى الامام احمد عن ام المؤمنين حفصة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انى لأرجو أن لا يدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية » قالت قلت أليس الله تعالى يقول ﴿ وان منكم الا واردها ﴾ قال فسمعته يقول ( ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ) وأخرج مسلم والترمذى من حديث جابر رضى الله عنه ان عبدا لحاطب جاء يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال « كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية » وفى الصحيح عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قصة كتاب حاطب وان عمر بن الخطاب قال يا رسول الله دعنى اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أليس من أهل بدر ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم - أو قال - قد وجبت لكم الجنة » وفى المعنى أحاديث غير ما ذكرنا •

تنبيه فى معنى اعملوا ما شئتم

( تنبيه )

قد استشكل جمع قوله « اعملوا ما شئتم » فان ظاهره انه للاباحة وهو خلاف عقد الشرع وأجيب بأنه اخبار عن الماضى اى كل عمل كان لكم فهو مغفور ويؤيده انه لو كان لما يستقبلونه من العمل لم يقع بلفظ الماضى ولقال فسأغفره لكم وتعقب بأنه لو كان للماضى لما حسن الاستدلال به فى قصة حاطب لانه صلى الله عليه وسلم خاطب بذلك عمر رضى الله عنه منكرا عليه ما قال فى أمر حاطب وهذه القصة كانت بعد بدر بست سنين فدل على أن المراد ما سيأتى وأورده بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه فان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه قال لحاطب قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم ؟ دعنى يارسول الله أضرب عنقه فان الرجل قد نافق • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك يا عمر أن الله عزوجل اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فاغرورقت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم • حين سمعه يقول في أهل بدر ما قال وأنزل الله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا

لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء - الى قوله - والله بما تعملون بصير)وقيل ان صيغة الامر فى قوله اعملوا للتشريف والتكريم فالمراد عدم المؤاخذة بما يصدر عنهم وانهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التى اقتضت محو ذنوبهم السالفه وتأهلوا لان يغفر لهم الذنوب اللاحقة اى كلما عملتموه بعد هذه الوقعة من أى عمل كان فهو مغفور ، وقيل المراد أن ذنوبهم تقع اذا وقعت مغفورة ، وقيل هى شهادة بعدم وقوع الذنوب منهم ، وفيه نظر ظاهر لما ثبت فى قصة قدامة بن مظعون حين شرب الخمر فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه متأولا فحده عمر ثم هاجره بسبب ذلك فرأى عمر فى المنام من يأمره بمصالحته وكان قدامة بدريا •والذى يفهم من سياق القصة الاحتمال الثانى واتفق العلماء على أن البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا فيما يتعلق بأحكام الدنيا من اقامة الحدود ونحوها والله أعلم على أنه زعم أناس أن قوله تعالى ( ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله ) الآية وفيها ( فأعقبهم نفاقا ) الآية نزلت فى ثعلبة بن حاطب او ابن ابى حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن عوف الانصارى الاوسى وقد ذكروه من البدريين وقدعده الحافظ ابن الجوزى فى منتخب المنتخب من أهل بدر ثم عده فى الكتاب المذكور من جملةالمنافقين ثمقال قالابنعباس رضىالله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين • قال ابن الجوزى وقد كانفيهممن شهد بدرا فتغيرت حاله كثعلبة ومعتب بن قشير نعوذ بالله من الخذلان • انتهى • وقال ابن الكلبى ان ثعلبة البدرى قتل بأحد وقال الحافظ ابنحجر فى الاصابة فى ترجمة ثعلبة بن حاطب او ابن ابى حاطب الانصارى ذكره ابن اسحق فى من بنى مسجد الضرار ، قال الحافظ ابن حجر وفى كون صاحب القصة ان صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدرى المذكور قبله نظر وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبى ان البدرى استشهدبأحد،ويقوى ذلك أيضا ان ابن مردويه روى فى تفسيره من طريق عطية عنابن عباس رضى الله عنهما فى الآية المذكورة يعنى ( ومنهم منعاهد الله ) قال نزل ذلك فى رجل يقال له ثعلبة بن أبى حاطب من الانصار أتى مجلسا

فأشهدهم فقال لئن آتانا الله من فضله ـ الآية فذكر القصة مطولة فقال انه ثعلبة بن أبى حاطب والبدرى اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية وحكى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله تعالى نفاقا فى قلبه وينزل فيه ما نزل ، فالظاهر أنه غيره والله تعالى أعلم •

**أهل الشجرة**

(( ثم )) بعد أهل بدر فالافضلية لـ (( أهل )) بيعة الرضوان تحت (( الشجرة )) المعهودة وتسمى شجرة البيعة وشجرة الرضوان وهى شجرة خضراء سمرة بفتح المهملة وضم الميم من شجر الطلح وهو نوع من العضاه أو من سدر كما رواه مسلم عن جابر ، ولما كانت خلافة أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بلغه ان ناسا يذهبون الى الشجرة فيصلون تحتها ويتبركون بها فأمر رضى الله عنه بها فقطعت وأخفى مكانها خشية الافتتان بها ولما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن من تعظيم أهل الجهل لها حتى ربما أفضى بهم جهلهم الى أن بها قوة نفع وضر كما هو مشاهد من شأن الناس فى هذه الازمان ومذ أزمان من تعظيم ما هو دونها من الشجر والبقاع ، ومن ثم قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت رحمة من الله يعنى اخفاءها بعد ذلك او كانت موضع رحمة من الله ومحل رضوانه لانزاله الرضى على المؤمنين عندها •

(( وقيل اهل أحد المقدمة     والأول أولى للنصوص المحكمة ))

**أهل أحد**

وقوله (( وقيل اهل )) غزوة جبل (( أحد المقدمة )) أى فى الزمن والافضلية اشارة الى أن الاصح الافضل اهل بدر فأهل أحد فأهل البيعة وقوله (( والأول )) وهو تقديم أهل البيعة فى الافضلية على أهل غزوة أحد ((أولى)) وأحق وأحرى بذلك وذلك ((لـ)) ورود (( النصوص المحكمة )) من الكتاب والسنة من أحاديث نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم وكانت غزوة أحد فى نصف شوال سنة ثلاث أول نهار السبت وفى الفتح لاحدى عشر خلت منه وقيل لتسع وقيل لثمان وقيل لسبع • وأحد بضم الهمزة والحاء والدال المهملتين هو جبل أحمر ليس بذى شناخب بينه وبين المدينة

أقل من فرسخ وهو فى شمالها الى الشرق ، روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه وابن ابى شيبة والطبرانى بسند جيد عن سويد بن عامر الانصارى، والبخارى عن ابى حميد الساعدى، والبخارى عن سهل بن سعد ،والطبرانى عن ابى هريرة وغيرهم رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له « هذا جبل يحبنا ونحبه » وتكرر منه صلى الله عليه وسلم هذا القول مرات ، وفى الطبرانى عن سهل بن سعد مرفوعا « أحد ركن من أركان الجنة » قال ياقوت أحد اسم مرتجل لهذا الجبل . وقال السهيلى سمى أحدا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هناك أو لما وقع من أهله من نصرة التوحيد ولا أحسن من اسم مشتق من الأحدية وأهله هم الانصار نصروا التوحيد والمبعوث بدين التوحيد عنده استقر حيا وميتا. اذا علمت هذا فظاهر كلام متكلمى الاشاعرة ان أهل غزوة أحد يلون أهل بدر فى الافضلية وكان عدة أهل غزوة أحد بعد انخزال ابن ابى سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف وعدة من استشهد يومئذ من المسلمين سبعون رجلا منهم أربعة من المهاجرين وهم سيد الشهداء حمزة ومصعب وعبدالله ابن جحش وشماس بن عثمان ، وسائرهم من الانصار وزاد بعضهم من المهاجرين سعد مولى حاطب بن أبى بلتعة وثقف بن عمرو الاسلمى حليف بنى عبد شمس ، وهذا يوافق ما رواه ابن حبان والحاكم عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال أصيب يوم أحد من الانصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة . والذى يظهر لى والله أعلم أنه ان أريد شهداء أحد فنعم والافيحتاج الى توقيف فتفطن له . فقد وردت الاحاديث فى فضل شهداء أحد كقوله صلى الله عليه وسلم فى حق عبد الله والد جابر رضى الله عنهما « ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه » رواه البخارى وأخرج ابن المنذر عن أنس رضى الله عنه قال لما قتل حمزة واصحابه يوم أحد قالوا يا ليت لنا مخبرا يخبر اخواننا بالذى صرنا اليه من كرامة الله تعالى لنا فأوحى اليهم سبحانه وتعالى أنا رسولكم الى اخوانكم فأنزل الله عزوجل ( ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ) الى قوله ( لا يضيع أجر المؤمنين ) وأخرج الامام أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن عباس رضى الله عنهما قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله تعالى أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا - وفى لفظ - قالوا من يبلغ اخواننا انا أحياء فى الجنة نرزق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل انا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى هؤلاء الآيات ( ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ) الى آخر الآيات » وروى نحوه عبد الرزاق فى المصنف وابن أبى شيبة والامام أحمد في المسند ومسلم في الصحيح من حديث ابن مسعود . وكان صلى الله عليه وسلم يزور شهداء أحد فاذا بلغ فرضة الشعب يقول «السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ثم كان أبو بكر رضى الله عنه بعد النبى صلى الله عليه وسلم يفعله وكذا عمر وعثمان رضى الله عنهما ، ولما أجرى معاوية رضى الله عنه العين فمرت على الشهداء فأخرجهم طرايا تنثنى أطرافهم وجدوا والد جابر ويده على جرحه فأميطت يده عن جرحه فانبعث الـــدم فردت الى مكانها فسكن الدم قال جابر فرأيت أبى فى حفرته كأنه نائم والنمرة التى كفن فيها كما هى وكان ذلك بعد أحد بست وأربعين سنة وأصابت المسحاة رجل رجل منهم وهو حمزة فانبعث الدم فقال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه لا ينكر بعد هذا منكر ، وكانوا وهم يحفرون يفيح عليهم من القبور ريح المسك . وروى الحارث فى مسنده عن سعد بن ابى وقاص والحاكم عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر اصحاب أحد يقول « أما والله لوددت انى غودرت مع أصحابى بنحض الجبل » يعنى شهداء أحد والاحاديث فى ذلك كثيرة جدا .

وأما أهل الشجرة يعنى أهل البيعة وهم أصحاب الحديبية فقد وردت النصوص المحكمة في فضلهم كما سنذكر طرفا من ذلك والحديبية بحـاء مضمومة فدال مهملتين والدال مفتوحة فموحدة مكسورة فنحتنة مفتـوحة بالتخفيف والتشديد قال النحاس سألت كل من لقيت ممن أثق به من أهل

العلم عن الحديبية فلم يختلفوا على قراءتها مخففة ونص فى البــــارع على التخفيف وحكى التشديد عن ابن سيده فى المحكم قال فى تهذيب المطالع ولم أره لغيره وزعم بعضهم ان التشديد لم يسمع فى فصيح ، وقال الامــام النووى هما وجهان مشهوران ، قال البكرى قريبة من مكة اكثرهـــا من الحرم وفى صحيح البخارى عن البراء رضى الله عنه والحديبية بئر ، قال الحافظ ابن حجر يشير الى المكان المسمى بالحديبية سمى ببئر كانت هناك هذا اسمها ثم عرف المكان كله بذلك ، وبينها وبين مكة نحو مرحـــلة واحدة ومن المدينة تسع مراحل ، وكانت فى ذى القعدة من الســـنة السادسة وكان عدة المسلمين الذين مع رسول الله عليه وسلم ورضى عنهم أربعة عشر مائة واكثر من ذلك ، ولعل الزائد على الالف واربع مائة من الخدام والاتباع واما نفس المقاتلة فأربعة عشر مائة ، واما قول ابن اسحق كانوا سبعمائة فغلط لم يوافق عليه وكان سبب البيعة ان قريشا لما صـدت النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن المسجد الحرام فبعث عثمـــان بن عثمان رضى الله عنه وقال له اذهب الى قريش وأخبرهم أنا لم نأت لقتـــال. وانما جئنا عمارا وادعهم الى الاسلام ثم بلغه أن عثمان رضي الله عنه قـــد فتلته قريش فدعا الناس الى البيعة وقال : « لانبرح حتى نناجز القـــوم » روى ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سلمة بن الاكوع رضى الله عنه والبيهقى عن عروة وابن اسحاق عن الزهرى ومحمد بن عمـــر عن شيوخه قال سلمة رضى الله عنه : بينا نحن قائلون اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القـــدس فاخرجوا على اسم الله قال سلمة فسرنا الى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمر فبايعناه . وفى صحيح مسلم قال فبايعته أول الناس ثم بايعته وسط الناس ثم بايعته آخر الناس . والصحيح أن الذى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الناس فى تلك البيعة أبو سنان الاسدى فقال ابسط يدك ابايعك فقال صلى الله عليه وسلم علام تبايعنى ؟ قال على مافى نفسك ، قال ومافى نفسى ؟ قال : اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله أو اقتل . فبايعه وبايعه الناس على بيعة أبى سنان، وضرب

رسول الله صلى الله عليه وسلم باحدى يديه على الاخرى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه وقال اللهم ان عثمان فى حاجتك وحاجة رسولك فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمثان خيرا من أيديهم لأنفسهم ، ثم تبين كذب الخبر بقتل عثمان رضى الله عنه فقدم على النبى صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وكانوا عشرة وذلك بعد البيعة ، ثم كانت الهدنة بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين قريش • وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنا فى الحديبية ألفا واربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم خير اهل الارض • وروى الامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى عن جابر بن عبد الله ايضا رضى الله عنهما ومسلم عن ام بشر رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » وأخرج الامام أحمد أيضا بسند رجاله ثقات عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لاهل الحديبية « لايدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم » وسأل ابو الزبير جابرا كم كانوا يوم الحديبية قال : كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهى سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصارى اختفى تحت بطن بعير ، وقال بايعناه على أن لانفر ، وعند ابن اسحاق قال جابر رضى الله عنه فكأنى انظر اليه يعنى الى الجد بن قيس لاصقا بابط ناقته قد ضبأ اليها ـ وهو بفتح الضاد والموحدة مهموزا أى اختبأ بها يستتر بها من الناس ـ فبايعناه على أن لانفر ولم نبايعه على الموت • وهذا الجد بن قيس الذى لم يبايع كان يرمى بالنفاق وعده الحافظ ابن الجوزى فى منتخب المنتخب من المنافقين وقد نزل فى حقه فى غزوة تبوك ما يشعر بذلك وهو ابن عمة البراء بن معرور وكان سيد بنى سلمة بكسر اللام فى الجاهلية فسود النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن الجموح وقيل سود عليهم بشر بن البراء بن معرور ومال اليه ابن عبد البر ، واخرج الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر » ومن ثم قال ابن

عبد البر ليس فى غزواته صلى الله عليه وسلم مايعدل بدرا أو يقرب منها الا غزوة الحديبية ، وقيل صاحب الجمل الاحمر غير الجد بن قيس يدل له ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لقد غفر للركب اجمعين الا رويكبا واحدا على جمل أحمر التفت عليه رحال القوم ليس منهم » وقال صلى الله عليه وسلم « كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر » قال أبو سعيد رضى الله عنه فطلب فى العسكر فاذا هو عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل والرجل من بنى صمرة من أهل سيف البحر يظن انه من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقيل لسعيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذا وكذا فقال له سعيد ويحك اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك وقال جابر فقلنا له تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لان أجد ضالتى أحب الى من أن يستغفر لى ، واذا هو قد أضل بعيرا له فانطلق يطلب بعيره بعد ان استبرأ العسكر وطلبه فيهم فبينما هو فى جبال سراوع اذ زلقت به نعله فتردى فمات فما علم به حتى اكلته السباع • وقصة هذا قبل البيعة اذ هذا ليس من عسكر المسلمين بخلاف الجد بن قيس والله اعلم

## ( تنبيهات )

**تنبيهات الاول فى تلخيص التفضيل**

( الاول ) ظاهر كلام علمائنا ان أفضل الصحابة بعد العشرة أهل بدر من المهاجرين ثم الانصار على قدر الهجرة اولا فأولا ثم سائر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم رتب ، وهذا الدى قدمه ابن حمدان فى نهاية المبتدئين ثم ذكر ان امة محمد خير الامم وأفضلهم القرن الذى صحبوه وشاهدوه وآمنوا به وصدقوه ونصروه وأفضل القرن الذى صحبوه اربع عشرة مائة الذين بايعوا بيعة الرضوان وافضلهم أهل بدر الذين نصروه وأفضلهم أربعون فى الدار كنفوه يعنى السابقين الاولين وأفضلهم عشرة عزروه ووقروه وشهد لهم بالجنة ومات وهو عنهم راض وافضل هؤلاء العشرة الخلفاء الاربعة وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وهذا

موافق لما حررنا من تقديم أهل البيعة على أهل غزوة أحد ، فالتحقيق ان أهل بيعة الرضوان يلون أهل بدر فى الافضلية لما قدمنا من النصوص ولان الله تعالى قال فى أهل بيعة الرضوان ( لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ) وقال فى أهل غزوة أحد ( ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ) وفى الآية الاخرى ( ثم صرفهم عنكم ليبتليكم ولقد عفا عنكم ) فوصفهم فى الموضعين بالعفو ووصف أهل البيعة بالرضى وهو أعلى وأسنى وأفضل من العفو وهذا ظاهر والله تعالى أعلم

**الثانى السابقون قبل فتح الحديبية**

( الثانى ) المراد بالسابقين الاولين الذين أنفقوا قبل الفتح وقاتلوا والمراد بالفتح أمر الحديبية ، قال تعالى ( لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ) قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى الفتاوى المصرية : المراد بالفتح فتح الحديبية لما بايع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه تحت الشجرة وكان الذين بايعوه أكثر من ألف وأربع مائة وهم الذين فتحوا خيبر وقال صلى الله عليه وسلم « لايدخل النار احد بايع تحت الشجرة » وسورة الفتح أنزلها الله تعالى قبل فتح مكة وكانت البيعة تحت الشجرة سنة ست من الهجرة كما تقدم وبذلك الصلح الذى كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فى الحديبية حصل الفتح والخير الكثير الذى لايعلمه الا الله تعالى مع كونه كان قد كرهه خلق من المسلمين ولم يعلموا مافيه من حسن العاقبة ثم فتح الله تعالى على نبيه وعباده المسلمين مكة فى شهر رمضان فى العام الثامن وكان قد أنزل فى سورة الفتح ( لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين ) الى قوله ( فجعل من دون ذلك فتحا قريبا )

**الثالث تفضيل نوع على نوع لايقتضى تفضيل كل فرد**

( الثالث ) المراد بالافضلية من حيث الجملة ولايلزم تفضيل كل فرد مثلا من المهاجرين على كل فرد من الانصار وانما نقول الصحبة أفضل من غيرها ولا أحد من غير الصحابة يساوى أحدا من الصحابة ، وكذلك

الهجرة وكذلك كل ماامتازت به جملة على غيرها من غير هضم للمفضول من الفضائل والكمالات التى امتاز بها على غيره من غير تلك الحيثية التى فضله فيها غيره كما يأتى بيان ذلك وتحريره والله أعلم

خديجةوعائشة

(( وعائشة فى العلم مع خديجة

فى السبق فافهم نكتة النتيجة ))

(( وعائشة )) الصديقة بنت الصديق رضى الله عنهما أم عبد الله أم المؤمنين وحبيبة رسول رب العالمين عقد عليها وهى بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وبنى بها بالمدينة أول مقدمه فى السنة الاولى وهى بنت تسع ومات عنها وهى بنت ثمان عشرة وتوفيت بالمدينةودفنت بالبقيع وأوصتأن يصلى عليها أبو هريرةرضى الله عنهسنهثمان وخمسين فهى رضى الله عنها وعن ابيها افضل نسائه صلى الله عليه وسلم (( فى العلم )) النافع والفقه الناصع فلها ( من ) الفضل فى ذلك ماليس لغيرها من سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم حتى كان الاكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم اذا أشكل عليهم أمر من الدين استفتوها فيجدون علمه عندها ، وقد وقع الخلاف بين علماء السلف فى التفضيل بينها وبين أم المؤمنين خديجة فقدمالبلبانى من متأخرى علمائنا تبعا لابن حمدان فى نهاية المبتدئين ان عائشة أفضل النساء ، وقال الامام موفق الدين أفضل النساء خديجة • قال المحقق ابن القيم فى كتابه جلاء الافهام : وقد اختلف فى تفضيل خديجة على عائشة على ثلاثة اقوال ثالثها الوقف قال وسألت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية قدسروحه عنهما فقال اختص كل واحدة منهما بخاصة والى هذا أشرت بقولى (( مع خديجة )) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب أم المؤمنين وأول أزواج رسول رب العالمين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وعشرين سنة وبقيت معه الى أن أكرمه الله تعالى برسالته فآمنت به وصدقته ونصرته وكانت له وزير صدق وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين فى الاصح وقيل بأربع وقيل بخمس ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم عليها غيرها وكل أولاده منها الذكور والاناث

الا ابراهيم عليه السلام فانه من سريته مارية القبطية ، فخديجة المذكورة أفضل نساء النبى صلى الله عليه وسلم (( فى السبق )) الى الاسلام ومؤازرة خير الانام قال شيخ الاسلام فى جوابه للمحقق ابن القيم : خديجة كان تأثيرها فى أول الاسلام وكانت تسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبته وتبذل دونه مالها فادركت غرة الاسلام واحتملت الاذى فى الله وفى رسوله وكانت نصرتها للرسول صلى الله عليه وسلم فى أعظم الحاجة فلها من النصرة والبذل ماليس لغيرها ، قال وعائشة رضى الله عنها تأثيرها فى آخر أوقات الاسلام فلها من التفقه فى الدين وتبليغه الى الامة وانتفاع بنيها بما أدت اليهم من العلم ماليس لغيرها فلعائشة رضى الله عنها فى آخر الاسلام من حمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من العلم مالم تشركها فيه خديجة ولاغيرها ماتميزت به عن غيرها • وقال المحقق فى كتابه بدائع الفوائد : الخلاف فى كون عائشة رضى الله عنها أفضل من فاطمة عليها السلام أو فاطمة أفضل اذا حرر محل التفضيل لايستقيم اى الخلاف فان اريد بالفضل كثرة الثواب عند الله فذلك أمر لا يطلع عليه الا بالنص لانه بحسب تفاضل اعمال القلوب لا بمجرد اعمال الجوارح وكم من عاملين أحدهما أكثر عملا بجوارحه والآخر أرفع درجة منه فى الجنة ، وان أريد بالتفضيل التفضيل بالعلم فلاريب ان عائشة اعلم وأنفع للامة وأدت من العلم مالم يؤد غيرها واحتاج الى علمها خواص الامة وعامتها ، وان أريد بالتفضيل شرف الاصل وجلالة النسب فلا ريب ان فاطمة أفضل فانها بضعة من النبى صلى الله عليه وسلم وذلك اختصاص لم يشركها فيه غير اخواتها وان أريد السيادة ففاطمة سيدة نساء الامة واذا تبينت وجوه التفضيل وموارد الفضل وأسبابه صار الكلام بعلم وعدل واكثر الناس اذا تكلم فى التفضيل لم يفصل جهات الفضل ولم يوازن بينها فيبخس الحق وان انضاف الى ذلك نوع تعصب وهوى لمن يفضله تكلم بالجهل والظلم ، قال وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن مسائل عديدة من مسائل التفضيل فأجاب فيها بالتفصيل الشافى والى هذا التفصيل اشرنا بقولنا (( فافهم )) فهم تحقيق واذعان وتدقيق واتقان

(( نكتة النتيجة )) أى اثر فائدة الخلاف فان النكتة أثر قليل كالنقطة شبه الاثر الذى يكون فى المرآة والسيف ومنه حديث الجمعة فاذا فيهـــا نكتة سوداء أى أثر قليل كالنقطة شبه الوسخ وأصله من النكت بالحصى ونكت التراب والارض بالقضيب ، والنتيجة المراد بها هنا الحكم المتولد من القضيتين بالتفصيل فى التفضيل وأصله من نتجت الناقة اذا ولـــدت فهى منتوجة وانتجت اذا حملت فهى نتوج ولايقال منتج ونتجت الناقة انتجهـا اذا ولدتها ، والحكم الناتج مما نحن فيه ان خديجة أفضل بحسب السبق والمؤازرة وانفاقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسليته وحمـــل المشاق بسببه ونحو ذلك وعائشة أفضل بحسب تحملها للعلوم وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فانها أحد المكثرين ونشرها لسنته صلى اللـــه عليه وسلم ونفعها للامة فانها كانت عالمة فقيهة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم عارفة بأمر العرب وأشعارها وفضـــائلها ومناقبها كثيره لا تحصى ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم اياها وتفضيلهاعلى سائر زوجاته صلى الله عليه وسلم مما لا يخفى • قال الامام المحقق ابن القيم فى جلاء الافهام : ومن خصائص خديجة رضى الله عنها ان اللـــه سبحانه وتعالى بعث اليهاالسلام مع جبريل فبلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها اناء فيه ادام أو طعام أو شراب فاذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب•ورواه مسلم أيضا وهذه لعمر الله خاصة لم تكن لسواها وأما عائشة رضى الله عنها فان جبريل سلم عليها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم فأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن أم المؤمنين عائشة رضى اللـــه عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليهوسلم « يوما يا عائش هذاجبريل يقرئك السلام » فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته قالت وهو يرى مالا أرى • قال ابن القيممن خواص خديجة رضى الله عنها انها لم تسؤه قط ولم تغاضبه ولم ينلها منه ايلاء ولا عتب قط ولا هجر وكفى بهـــذه

منقبة ، ومن خواصها أنها أول امرأة آمنت بالله من هذه الامة ، ومن خصائص عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وانها كانت ينزل الوحى على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى لحافها ولما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فخيرها وقال لها « فلا عليك ان لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك » فقالت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة فاستن بها بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم وقلن كما قالت ، ومن أعظم خصائصها انها كانت أحب أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه كما ثبت عنه ذلك فى الصحاح والمسانيد والسنن وقد قال صلى الله عليه وسلم « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » رواه البخارى ومسلم وغيرهما، ومن أعظم خصائصها أن الله تعالى برأها مما رماها به أهل الافك وأنزل فى برائتها وحيا يتلى فى محاريب المسلمين وصلواتهم الى يوم القيامة وشهد لها بأنها من الطيبات فلله من حصان عظمت فضائلها وجلت مناقبها ورسخت قدمها فى الدين وعظم شأنها عند سائر المسلمين واحتاج لعلمها أئمة الصحابة وشهد لها أهل التحقيق بالتقدم والاصابة فقد أخرج الترمذى عن أبي موسى الاشعرى رضى الله عنه قال ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة ألا وجدنا عندها منه علما • قال الترمذي حديث حسن صحيح • وأخرج الترمذي عن أنس رضى الله عنه وصححه ان رجلا نال من عائشة رضى الله عنها عند عمار بن ياسر رضى الله عنه فقال اغرب مقبوحا منبوحا أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وأخرج الترمذي عن عبد الله بن زياد الاسدى قال سمعت عمار بن ياسر رضى الله عنه يقول : هي زوجته في الدنيا والآخرة • يعني عائشة رضى الله عنها • وقال حديث حسن صحيح • ومناقبها كثيرة وفضائلها غزيرة رضى الله عنها وعن سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم •

(( فصل ))

**فصل في فضل الصحابة جملة وحقهم**

في ذكر الصحابة الكرام بطريق الاجمال وبيان مزاياهم على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل والترضى والتفضيل على سائر

الامة وتقبيح من آذاهم وشناهم والكف عما جرى بينهم مما لعله لم يصح عنهم وما صح فله تأويلات سائغة واذا كان لأحد منهم هنات تقع مكفرة مستهلكة في عظيم حسناتهم وجسيم مجاهداتهم ثم التابعين لهم باحسان ولهذا قال :

(( وليس في الامة كالصحابة      في الفضل والمعروف والاصابة ))

(( وليس في الامة )) المحمدية المفضلة على سائر الامم بأفضلية نبيها صلى الله عليه وسلم وافضلية ما جاء به الذكر الحكيم والدين القويم والصراط المستقيم فيكون الصحابة أفضل خلق الله تعالى بعد أنبياء الله تعالى ورسله (( كالصحابة )) الكرام الذين فازوا بصحبة خير الانام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، وتقدم في صدر الكتاب تعريف الصحابة وطريق ثبوت الصحبة وبيان عدالة الصحابة وبيان عدتهم ودرجاتهم ومعتمد القول عند أئمة السنة أن الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول بالكتاب والسنة واجماع أهل الحق المعتبرين قال الله تعالى ( كنتم خير أمة أخرجت للناس ) قيل اتفق المفسرون أن ذلك في الصحابة لكن الخلاف في التفاسير مشـــهور ورجح كثير عمومها في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ،وكذلك قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ) وهذا خطاب للموجودين حينئذ وقال تعالى ( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ) الآيات فليس في سائر الامة المحمدية مثل الصحابة الكرام (( في الفضل )) بشاهد ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » وهذا وان ورد على سبب وهو ماجرى بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد رضي الله عنهما فالعبرة بعموم اللفظ ولا ينافي ذلك كون الخطاب لاصحابه فان المراد لا يسبب غير اصحابي أصحابي ولا يسب بعضهم بعضا فالمراد النهي عن حصول السب لهم مطلقا ، وقوله أن أحدكم بالخطاب يمكن حمله على أن المراد من جاء من غيرهم ينزل نفسه منزلتهم وقد يأتي الخطاب لقوم تعريضا بغـــيرهم كثيرا اعتمادا على القرائن وهذا الموضع منه ، والنصيف أحد اللغات الاربع

فى النصف فانه يقال نصف بكسر النون وفتحها وضمها ونصيف بفتح النون وزيادة الياء ، والمعنى لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ ثوابه فى ذلك نفقة اصحابى مدا ولا نصف مد لان انفاقهم كان فى نصرته صلى الله عليه وسلم وحمايته وذلك معدوم بعده فتضمن ذلك أفضليتهم على غيرهم مطلقا وان فضيلة نفقتهم على نفقة غيرهم باعتبار ذواتهم • وفى الصحيحين وغيرهما عن عمران بن حصين رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ قال عمران فلا أدرى اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ـ ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن ـ زاد فى رواية ـ ويحلفون ولا يستحلفون » ورواه ابو داود ولفظه « خير أمتى القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم » والله اعلم أذكر الثالث أم لا الحديث ، ورواه النسائى بنحوه ، ورواه الشيخان من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، ورواه مسلم من حديث ابى هريرة رضى الله عنه بنحوه وفيه : والله أعلم أذكر الثالث أم لا • وأخرجه مسلم أيضا من حديث عائشة رضى الله عنها ، وأخرج الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يبلغ الحاضر الغائب الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه ومن يأخذه الله فيوشك أن لا يفلته » وأخرج الترمذى أيضا من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا رأيتم الذين يسبون اصحابى فقولوا لعنة الله على شركم » وأخرج مسلم عن عائشه رضى الله عنها انها قالت لعروة بن الزبير يا ابن اختى أمروا أن يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم • وأخرج الترمذى من حديث بريدة رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أحد من أصحابى يموت بأرض الا بعث لهم نورا وقائدا يوم القيامة » وذكر سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أن عمر بن

الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سألت ربى عن اختلاف أصحابى من بعدى فأوحى الى يا محمـــــد ان اصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء بعضها أقوى من بعض ولكل نور فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى » قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ذكره فى جامع الاصول

(( و )) ليس فى الامة كالصحابة الكرام فى (( المعروف )) وهو اســم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات وهو من الصفات الغالبة أى أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس ضد المنكر فى ذلك جميعه وفى حديث « اهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة » أى من بذل معروفه للناس فى الدنيا آتاه الله جزاء معروفه فى الآخرة ، وقيل أراد من بذل جاهـــه لاصحاب الجرائم التى لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم شفعه الله فى أهل التوحيد فى الآخرة ، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى ذلك قال يأتى اصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيـــامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم جامة فيعطونها لمن زادت سيئاته على حســناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان الى الناس فى الدنيا والآخرة. ولا يرتاب أحد من ذوى الالباب ان الصحابة الكرام هم الذين حــازوا قصبات السبق واستولوا على معالى الامور من الفضل والمعروف والصدق فالسعيد من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهجهم القويم ، والتعيس من عدل عن طريقهم ولم يتحقق بتحقيقهم ، فأى خطة رشد لم يستولوا عليها واى خصلة خير لم يسبقوا اليها ، تالله لقد وردوا ينبوع الحياة عذبا صافيا زلالا ووطدوا قواعد الدين والمعروف فلم يدعوا لاحد بعدهم مقالا ، فتحوا القلوب بالقرآن والذكر والايمان والقرى بالسيف والسنان وبذل النفوس النفيسة فى مرضاة الرحيم الرحمن ، فلا معروف الا ما عنهم عرف ولا برهان الا ما بعلومهم كشف ، ولا سبيل نجاة الا ما سلكوه ولا خير سعادة

الا ما حققوه وحكوه ، فرضوان الله تعالى عليهم ما تحلت المجالس بنشر ذكرهم وما تنمقت الطروس بعرف مدحهم وشكرهم •

(( و )) ليس في الامة أيضا كالصحابة رضى الله عنهم في ((الاصابة )) للحكم المشروع والهدى المتبوع فهم أحق الامة باصابة الحق والصواب وأجدر الخلق بموافقة السنة والكتاب ، ويشهد لهذا ما رواه الامام أحمد وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه قال من كان متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم أبر هذه الامة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم • فأحق الامة باصابة الصواب أبرها قلوبا وأعمقها علوما وأقومها هديا من غير شك ولا ارتياب • وروى أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ان الله نظر في قلوب العباد فنظر قلب محمد خير قلوب العباد فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب اصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح • فخير قلوب العباد أحق الخلق باصابة الصواب فكل خير واصابة وحكمة وعلم ومعارف ومكارم انما عرفت لدينا ووصلت الينا من الرعيل الاول والسرب الذى عليه المعول فهم الذين نقلوا العلوم والمعارف عن ينبوع الهدى ومنبع الاهتدا ، وفي حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له « وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه • قال الترمذى : حديث حسن صحيح • وقال الحافظ ابو نعيم حديث جيد صحيح ، فدل الحديث على أن سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع سنته صلى الله عليه وسلم بخلاف غيرهم من ولاة الامور • وأخرج الامام أحمد والترمذى عن حذيفة رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا فقال « انى

لا أدرى ما قدر بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى - وأشار الى ابى بكر وعمر - وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه » وفى رواية وتمسكوا بعهد ابن ام عبد واهتدوا بهدى عمار فنص صلى الله عليه وسلم فى آخر عمره على من يقتدى به من بعده والخلفاء الراشدون الذين أمر بالاقتداء بهم هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فان فى حديث سفينة رضى الله عنه « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » وصححه الامام احمد وغيره وتقدم ، فكل ما اجتمع عليه الصحابة مما أجمعوا عليه أو جمعهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه فاجتمعوا فهو الحق لا شك فيه ولو خالف فيه بعد ذلك من خالف ومن ثم نحتج بقول الصحابى حيث لا نص نبوى ان لم يخالف فيه مثله على معتمد المذهب وأخرج أبو يعلى الموصلى عن أنس رضى الله عنه « مثل اصحابى مثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح »

وعلى كل حال لا يرتاب ذوو الالباب من ذوى الافضال ان الصحابة الكرام حازوا قصبات السبق بصحبة خير الانام واستولوا على الامد فلا مطمع لاحد من الامة بعدهم فى اللحاق ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم واقتفى منهاجهم القويم والمتخلف من عدل عن طريقهم ذات اليمين وذات الشمال فذاك المنقطع التائه فى بيداء المهالك والضلال • وقوله صلى الله عليه وسلم « مثل أصحابى كمثل الملح فى الطعام » يعنى كما ان الملح صلاح الطعام فأصحابى صلاح الانام ، قال فى ( اعلام الموقعين ) كما ان الملح به صلاح الطعام فالصواب به صلاح الانام فلو أخطأ الصحابة فيما افتوا به لاحتاج ذلك الى ملح يصلحه فاذا أفتى من بعدهم بالحق كان قد أصلح خطأهم فكان ملحا لهم • انتهى • أى والحال انهم هم الملح المصلح فكيف يكون غيرهم مصلحا لهم فهذا خلف • وروى الطبرانى وأبو نعيم وغيرهما عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما انه قال يا معشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا • قال فى اعلام الموقعين : ومن المحال أن يكون الصواب فى غير طريق من سبق الى كل خير على الاطلاق • وقال

**رجحان قول الصحابى عند الاختلاف**

فيه أيضا : من تأمل المسائل الفقهية والحوادث الفرعية وتدرب بمسالكها وتصرف في مداركها وسلك سبلها ذللا وارتوى من موردها عللا ونهلا علم قطعا أن كثيرا منها قد يشتبه فيها وجوه الرأى بحيث لا يوقف فيها بظاهر مراد او قياس صحيح تنشرح له الصدور ويثلج له الفـــؤاد بل تتعارض فيها الظواهر والاقيسة على وجه يقف المجتهد في أكثر المواضع حتى لا يبقى للظن رجحان بين لا سيما اذا اختلف الفقهاء فان عقـــولهم من أكمل العقول وأوفرها فاذا تلددوا وتوقفوا ولم يتقدموا ولم يتأخروا لم يكن ذلك وفي المسألة طريقة واضحة ولا حجة لائحة فاذا وجد فيها قولا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم سادات الامــة وقدوة الائمة وأعلم الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم وقد شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل ونسبة من بعدهم في العلم اليهم نسبتهم اليهم في الفضل والدين كان الظن والحالة هذه بأن الصواب في وجهتهم والحق في جانبهم من اقوى الظنون وهو اقوى من الظن المستفاد من كثير من الاقيسة ، هذا مما لا يمترى فيه عاقل منصف ، وكان الرأى الذى يوافق رأيهم هــو الرأي السديد الذي لا رأي سواه ، واذا كان المطلوب في الحادثة انما هو ظن راجح ولو استند الى استصحاب أو قياس علة أو دلالة أو شبه أو عموم أو خصوص أو محفوظ مطلق او وارد على سبب فلا شك ان الظن الذى يحصل لنا بقول الصحابى الذى لم يخالف ارجح من كثير من الظنـــون المستندة الى هذه الامور أو اكثرها • فظهر بهذا أن الصحابة رضى الله عنهم اولى الامة بالاصابة فيما ثبت عنهم فانهم رضى الله عنهم كانوا أبر قلوبـــا وأعمق علما وأقل تكلفا وأقرب الى أن يوفقوا للصواب من غيرهم لما خصهم الله به من توقد الاذهان وفصاحة اللسان وسعة العلم وسهولة الاخذ وحسن الادراك وسرعته وقلة المعارض أو عدمه وحسن القصد وتقوى الــرب ، فالعربية طريقتهم وسليقتهم والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم ولا حاجة بهم الى النظر في الاسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ولا الى النظر في قواعد الاصول وأوضاع الاصوليين فقد أغنوا عن ذلك كله فليس في حقهم الا أمران احدهما قال الله تعالى كذا وقال

رسوله كذا والثاني معناه كذا وكذا وهم اسعد الناس بهاتين المقدمتين وأحظى الامة بهما فقواهم متوافرة مجتمعة عليهما وبالله التوفيق •

ولهذا نقول في النظم

(( فانهم قد شاهدوا المختارا وعاينوا الاسرار والانوارا ))
(( وجاهدوا في الله حتى بانا دين الهدى وقد سما الاديانا ))
(( وقد أتى في محكم التنزيل من فضلهم ما يشفى للغليل ))
(( وفي الاحاديث وفي الآثار وفي كلام القوم والاشعار ))
(( ما قد ربا من أن يحيط نظمي عن بعضه فاقنع وخذ عن علم ))

(( فانهم )) أي الصحابة الكرام عليهم الرضوان من الملك السلام (( قد شاهدوا )) وصحبوا (( المختارا )) بألف الاطلاق في المختار من سائر الانام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام (( وعاينوا )) في صحبتهم للنبي المختار (( الاسرار )) القرآنية وعلموها من الحضرة النبوية وعلموا التنزيل والتأويل وآدابه ((و)) عاينوا (( الانوارا )) القرآنية والاشعة المصطفوية فهم أسعد الامة باصابة الصواب وأجدر الائمة بعلم فقه السنة والكتاب لفوزهم بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومشاهدة نزول الوحي ومعرفة الاسباب فلا يجاروا في علمهم ولا يباروا في فهمهم فكل علم وفهم وخير عنهم وصل ، وكل سعادة وسيادة وفقه من علمهم وبسببهم حصل ، فرضوان الله عليهم مازين ذكرهم الدفاتر وشرف نشرهم المنابر (( وجاهدوا في )) سبيل (( الله )) لاعلاء كلمة الله وبذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاة الله (( حتى بانا )) بألف الاطلاق أي ظهر ووضح واستعلن (( دين الهدى )) أي دين الاسلام الذي به الهدى والدلالة الموصلة والفوز والفلاح ، وأشرق نور الاهتدا وشعاع الوصول فلاح (( وقد سما )) أي علا دين الاسلام ولله الحمد (( الاديانا )) أي سائر الاديان التي كانت قبله ، وتقدم تعريف الدين لغة واصطلاحا فسائر الاديان غير دين الاسلام الذي جاء به سيد ولد عدنان منسوخة وكل عبادة لم يأت بها فهي باطلة ممسوخة ، كما قال تعالى ( ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ) وقال ( ان الدين عند الله الاسلام )

(( وقد أتى في محكم التنزيل )) من الكتاب العظيم والذكر الحكيم (( من فضلهم )) أى الصحابة الكرام عليهم الرضوان والسلام (( ما )) أى الذى يعنى من الآيات المحكمات والكلمات الباهرات (( يشفى )) من شفى يشفى اى يبرىء (( للغليل )) بالغين المعجمة كامير العطش أو شدته أو حرارة الجوف كما فى القاموس والمراد مايطفىء حرارة الجهل بمقاماتهم الباذخة وينفي الوهم والغل عن اطواد علومهم الراسخة كقوله تعالى ( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ورحماء بينهم ) الآيات وقوله تعالى ( أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ) وكقوله ( والسابقون الاولون ) الآيات وكقوله تعالى ( قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ) وقوله ( قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ) وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والدليل عليه قوله تعالى ( ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ) وقوله ( كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) وقوله تعالى ( يا ايها الذين آمنو اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ) قال غير واحد من السلف هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولاريب أنهم أئمة الصادقين وكل صادق بعدهم فبهم يأتم فى صدقه بل حقيقة صدقه اتباعه لهم وكونه معهم وقوله ( وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ) أى أمة خيارا عدولا فان هذا حقيقة الوسط ، فهم خير الامم وأعد لها فى أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم ، وبهذا استحقوا ان يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة والله تعالى يقبل شهادتهم عليهم فهم شهداؤه ، ولهذا نوه بهم ورفع ذكرهم وأثنى عليهم وقال تعالى ( وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ) الآية الى غير ذلك من الآيات القرآنية والكلمات الرحمانية

(( و )) قد اتى أيضا (( فى الاحاديث )) النبوية (( وفى الآثار ))

السلفية (( و )) قد أتى (( فى كلام القوم )) من المحدثين والفقهـــاء والصوفية وأهل المعارف والحقائق والهمم الوفية والعـــلوم الشرعية والافهام الذكية (( و )) فى (( الاشعار )) المرصية من العرب والمولدين من مدحهم والثناء عليهم (( ما )) أى شىء (( قد ربا )) أى زاد وعــلا ونما (( من ان يحيط نظمى )) فى هذه الارجوزة ويضـــيق (( عن بعضه )) فضلا عن غالبه وكله (( فاقنــــع )) بما ذكرته لك من الآيات الباتة والاحاديث الثابتة عن سيد بنى آدم وصفوة جميع العالم ســيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (( وخذ )) ذلك واعتمد عليه وصره اليك واعتصم به واستند اليه فانه (( عن علم )) ويقين وايضاح وتبيين ومعرفة وتمكين ، وقوله واقنع من القنوع وهو الرضا باليسير من العطــاء وقد قنع بالكسر يقنع قنوعا وقناعة اذا رضى ، وقنع بالفتح قنوعا اذا ســأل ، ومنه حديث « القناعة كنز لايفنى » لان الانفاق منها لاينقطع فكلما تعذر عليه شىء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضى ، وحديث « عز من قنع وذل من طمع » لان القانع لايذله الطلب فلا يزال عزيزا وعلى كل حــال فلا مقام بعد مقام النبوة أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرة دينه القويم وصراطه المستقيم قال تعــالى ( محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحمــــاء بينهم ) الآيات وقال ( والسابقون الاولون من المهاجرين والانصــــار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ) فمن تأمل فيمـــا ذكرناه حق التأمل وأعطى المقام حقه نجا من قبيح ماانتحلت الرافضـــــــة وفضيح ماذهب اليه من الالحاد فى آيات الله وأحاديث رسول الله صــلى الله عليه وسلم من الافك والمناقضة فالحذر الحذر من ادنى شائبة تزرى بتلك المناصب الشامخة والعلوم الراسخة ولهذا نقول .

**التحذير من الازراء بفضل الصحابة**

(( واحذر من الخوض الذى قد يزرى
بفضـــلهم مما جـــرى لو تدرى ))
(( فانه عن اجتهـــاد قد صـــدر
فاسلم أذل اللــه من لهم هجــــر ))

(( واحذر )) حذر اذعان وتسليم مع سلامة صدر وامتثـــــال أمر النبى الكريم (( من الخوض )) المفضى الى التوسع والتنقيب والتبجـــح والتأنيب (( الذى قد يزرى )) وينقص ويحط (( بفضلهم )) المعلوم من الكتاب والسنة عند ذوى العلوم مما ذكرنا فى ماتقدم شذرة صالحة منه (( مما )) أى من الاختلاف والتخاصم والتشاجر الذى (( جرى )) بينهم (( لو )) كنت (( تدرى )) غب ذلك الخوض المفصى الى توليـــد الاحن وحزازات القلوب والحقد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من اعظم الذنوب فانهم خير القرون وهم السابقون الاولون وذلك

أنه جرى بين على ومعاوية وقبلهما وبعدهما من المنازعات والمقاتلات مالو صدرت من سواهم أو كانت من غيرهم لم تقصر عن التفسق (؟) فضلا عن غيره والجواب عن ذلك ماأشير اليه بقوله (( فانه )) أى التخاصـــــم والنزاع والتقاتل والدفاع الذى جرى بينهم كان (( عن اجتهاد قد صدر)) من كل واحد، من رؤس الفريقين ومقصد سائغ لكل فرقة من الطائفتين وان كان المصيب فى ذلك للصواب واحدا وهو على رضوان الله عليـــه ومن والاه والمخطي هو من نازعه وعاداه غير أن للمخطىء فى الاجتهـــاد أجرا وثوابا خلافا لاهل الجفاء والعناد فكل ماصح مما جرى بين الصحابة الكرام وجب حمله على وجه ينفى عنهم الذنوب والآثام فمقـــاولة على مع العباس رضى الله عنهما لاتفضى الى شين ، وتقاعد على رضوان الله عليه عن

مبايعة الصديق الاعظم فى بدء الامر كان لاحد أمرين اما لعدم مشورته كما عتب عليه بذلك واما وقوفا مع خاطر سيدة نساء العالم فاطمة البتـــول عليها السلام مما ظنت انه لها وليس الامر كما هنالك ثم ان عليـــا بايع الصديق رضى الله عنهما على رؤوس الاشهاد فاتحدت الكلمة ولله الحمد وحصل المراد ، وتوقف على رضى الله عنه عن الاقتصاص من قتلة عثمان اما لعدم العلم بالقاتل واما خشية تزايد الفساد والطغيان ، وكانت عائشـــة وطلحة والزبير ومعاوية رضى الله عنهم ومن اتبعهم مابين مجتهد ومقـــلد فى جواز محاربة أمير ألمؤمنين سيدنا أبى الحسنين الأنزع البطين رضوان الله عليه ، وقد اتفق أهل الحق ان المصيب فى تلك الحروب والتنازع

أمير ألمؤمنين على رضوان الله عليه من غير شك ولا تدافع ، والحق الذى ليس عنه نزول أنهم كلهم رضوان الله عليهم عدول ، لانهم متأولون فى تلك المخاصمات مجتهدون فى هاتيك المقاتلات ، فانه وان كان الحق على المعتمد عند أهل الحق واحدا فالمخطىء مع بذل الوسع وعدم التقصير مأجور لا مأزور ، وسبب تلك الحروب اشتباه القضايا فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام قسم ظهر لهم اجتهادا ان الحق فى هذا الطرف وان مخالفه باغ فوجب عليهم نصرة المحق وقتال الباغى عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة الامام العادل فى قتال البغاة فى اعتقاده ، وقسم عكسه سواء بسواء وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية فلم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين وكان هذا الاعتزال هو الواجب فى حقهم لانه لايحل الاقدام على قتال مسلم حتى يظهر مايوجب ذلك ، وبالجملة فكلهم معذورون ومأجورون لا مأزورون ، ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتد به فى الاجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وثبوت عدالتهم ، ولهذا قال علماؤنا كغيرهم من أهل السنة ومنهم ابن حمدان فى نهاية المبتدئين : يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة واقراء وسماعا وتسميعا ، ويجب ذكر محاسنهم والترضى عنهم والمحبة لهم وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وانهم انما فعلوا مافعلوا باجتهاد سائغ لايوجب كفرا ولا فسقا بل ربما يثابون عليه لانه اجتهاد سائغ ، ثم قال : وقيل المصيب على ، ومن قاتله فخطاؤه معفو عنه . وانما نهى عن الخوض فى النظم لان الامام أحمد كان ينكر على من خاض ويسلم أحاديث الفضائل وقد تبرأ رضى الله عنه ممن ضللهم أو كفرهم وقال : السكوت عما جرى بينهم . وقال بعض المحققين : البحث عن احوال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وعما جرى بينهم من الموافقة والمخالفة ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس هو مما ينتفع به فى الدين بل ربما أضر باليقين وانما ذكر العلماء منها نتفا فى كتبهم صونا للقاصرين عن التأويل عن اعتقاد ظواهر حكايات الرافضة ورواياتها ليتجنبها من لايصل الى

حقيقة علمها ولان الخوض فى ذلك انما يصلح للتعــــليم وللرد على المتعصبين أو لتدريس كتب تشتمل على تلك الآثار فيؤول ذلك ويبينــه للعوام لفرط جهلهم بالتأويل مع ان غالب او كل مايحكيه الرافضة موضوع واكثره باطل مصنوع فلا جرم السلامة فى التسليم وكف اللسان عن هذا المدخل الضيق العظيم ، ولهذا قال (( فاسلم )) من الخوض فى تلك البحور واحذر من العثار فى ذلك الغطش الديجور • فان من قارف الفتنة افتتن ومن تعرض بدينه للشبهات والشهوات اختبن ، ثم ان الناظم دعا على طائفة الجفاء والفجور واهل الرفض والضلال ممن حاد عن الامر المأمور فقــال (( اذل الله )) سبحانه وتعالى وقد فعل (( من )) كل مبتدع من الرافضة ومن وافقهم (( لهم )) أى للصحابة الكرام أو لبعضهم (( هجر )) وعادى ولم يوال ويحب ، وقد روى الديلمى عن أنس رضى الله تعالى عنه « اذا أراد الله تعالى برجل من أمتى خيرا ألقى حب أصحابى فى قلبه » وأخرج الترمذى من حديث عبد الله بن مغفل رضى الله عنه مرفوعا « الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » والذى أجمع عليه اهل السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم فقد اثنى الله سبحانه عليهم فى عدة آيات من كتابـه العزيز ، على أنه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شىء لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الدين وبذل المهج والاموال وقتل الآباء والاولاد والمناصحة فى الدين وقوة الايمان واليقين القطــع بتعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم أفضل جميع الامة بعد نبيهم ، هذا مذهب كافة الامة ومن عليه المعول من الائمة ، وأما من شذ من اهل الزيــغ والابتداع ممن ضل وأضل فلا التفات اليهم ولا معول عليهم ، ولهذا قال الامام أبو زرعة(١) العراقى ، من أجل شيوخ مسلم(٢) اذا رأيت الرجل ينتقص

---

( ١ ) زاد فى مخ « الرازى »ثم ضرب عليها (٢) كـذا وأبوزرعـة العراقى متأخر جدا عن مسلم

احدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه زنديق وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق وما أدى الينا ذلك كله الا الصحابة فمن جرحهم انما أراد ابطال الكتاب والسنة فيكون الجرح بـه أليق والحكم عليه بالزندقةوالضلال أقوم وأحق • وقال ابن حزم :الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا قال تعالى ( لا يستوى منكم من أنفق من قبـل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ) وقال تعالى ( ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ) فثبت أن جميعهم من أهل الجنة • والحاصل انه لا يهجـر الصحابة ويعاديهم الا عدو لله مبعود(؟)من رحمة الله خبيث زنديقوالله ولى التوفيق • قال العلامة ابن حمدانفى نهايةالمبتدئين : من سب أحدا من الصحابة مستحلا كفر وان لم يستحل فسق ، وعنه : يكفر مطلقا ، وان فسقهم او طعن فى دينهم او كفرهم كفر ، واللهتعالىأعلم • ولماأنهىالكلام على الصحابة الكرام حسبما يقتضيه المقام وان كان ما ذكر فى جنب مـا سكت عنه كقطرة من بحر طام وذبالة من نور عام ذكر التابعين لهمباحسان ثم تابعيهم كما قاله خير الانام فقال

**التابعون وافضلهم**

(( وبعدهم فالتابعون أحرى   بالفضل ثم تابعوهم طرا ))

(( وبعدهم )) أى بعد الصحابة المخصوصين بالفضل والعدالة العامـة والاصابة (( فالتابعون )) لهم باحسان (( أحرى )) أى أحق وأجـدر (( بالفضل )) والاتقان والتقديم على غيرهم منسائر أهل الايمان،وتعريف التابعى هو كل من صحب الصحابى ومطلقه مخصوص بالتابعى باحسان ويقال للواحد تابع وتابعى ولا بد فى التابعى من زيادة على ما تعتبر بـه الصحبة فى الصحابى كما تقدم لان الصحبة خصوصية كما بيناه ولهم طبقات بالنسبة الى من اجتمع بعشرة او ثلاثة من الصحابة وبالعلم والزهد وغـير ذلك • وقد اختلف فى أفضل التابعين ، قال سيدنا الامام أحمد وغيره من أهل العلم : أفضل التابعين سعيد بن المسيب ، وقال قوم افضلالتابعينأويس ابن عامرويقال عمرو وكنيته أبو عمرو وهو القرنى ، واستدلوا لهبحديث « خير التابعين او يس » رواه الحاكم عنعلىبن ابى طالبعن النبى صلى

الله عليه وسلم وفى صحيح مسلم « ان خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه ، فليستغفر لكم « قال النووى هو أويس ابن عامر كذا رواه مسلم وهو المشهور ، وقال ابن ماكولا ويقال أويس بن عمرو وهو القرنى بفتح القاف والراء وهو بطن من مراد وهو قرن بن ردمان وغلطوا من نسبه الى قرن المنازل الجبل المعروف ميقات أهل نجد فى الاحرام ، وفيه طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وان كان الطالب أفضل منهم ، فان قيل كيف استجاز الامام أحمد ومن نحا نحوه تفضيل سعيد بن المسيب على سائر التابعين مع وجود النص الصريح بالنقل الصحيح فى تفضيل اويس القرنى ، فالجواب أن مراد سيدنا الامام أحمد واضرابه أفضلية سعيد فى العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونفع الامة بذلك وبما بلغه عن الصحابة الكرام عن النبى عليه أفضل الصلاة والسلام فانه الامام الحافظ الثقة المأمون حتى قيل فيه أعلم أمة محمد بدين محمد بعد محمد سعيد بن المسيب رحمه الله ورضى الله عنه ، والدليل على أفضلية التابعين قول النبى صلى الله عليه وسلم « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - قال عمران فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » زاد فى رواية ويحلفون ولا يستحلفون. رواه البخارى ومسلم والترمذى من حديث عمران بن حصين رضى الله عنه ، ورواه أبو داود ولفظه « خير أمتى القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، والله أعلم أذكر الثالث أم لا » ورواه مسلم من حديث ابى هريرة وفيه : والله اعلم اذكر الثالث ام لا . وقد قال صلى الله عليه وسلم : لا تمس النار مسلما رآنى او رأى من رآنى . رواه الترمذى من حديث جابر قال طلحة فقد رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وقال موسى قد رأيت طلحة وقال يحى وقال لى موسى وقد رأيتنى ونحن نرجو الله تعالى . قال الامام المحقق ابن القيم فى أول كتابه اعلام الموقعين ألقى الصحابة الكرام الى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا وكان سندهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب

العالمين سندا صحيحا عاليا وقالوا هذا عهد نبينا الينا وقد عهدناه اليكم وهذه وصية ربنا وفرضه علينا وهى وصيته وفرضه عليكم فجرى التابعون لهم باحسان على منهاجهم واقتفوا آثار صراطهم المستقيم ولهذا قال (( ثم )) الافضل بعد التابعين (( تابعوهم )) اى اتباع التابعين لما تقدم من صحيح الاخبار وصريح الآثار (( طرا )) أى جميعا وهو منصوب على المصدر أو الحال لانهم سلكوا مسلكهم الرشيد ( وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ) وكانوا بالنسبة الى من قبلهم كما قال أصدق القائلين ( ثلة من الاولين وقليل من الآخرين ) ثم جاء الائمة من القرن الرابع المفضل فى احدى الروايتين كما ثبت فى الصحيح من حديث أبى سعيد وابن مسعود وأبى هريرة وعائشة وعمران بن حصين رضى الله عنهم اجمعين من قوله صلى الله عليه وسلم خير الناس قرنى الحديث والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا فى أمر من الامور المقصودة والاصح انه لا ينضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم هم اصحابه وكانت مدتهم من المبعث الى آخر من مات من أصحابه وهو ابو الطفيل مائة وعشرين سنة وقرن التابعين من نحو مائة الى سبعين سنة وقرن اتباع التابعين من ثم الى حدود العشرين ومائتين وفى هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها وأظهرت الجهمية نحلتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتحنت أئمة الدين وعلماء المسلمين ليقولوا بخلق القرآن وكان المقصود الاعظم منهم امامنا الامام أحمد فقام بأمر السنة أتم قيام وعاضده عليها أئمة أعلام وحفاظ للدين فخام شكر الله سعيهم وثبتنا على نهجهم آمين ، وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم كما فى رواية : ثم يفشو الكذب ، قال فى النهاية خير الناس قرنى يعنى الصحابة ثم التابعين والقرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط فى أعمار كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه المقدار الذى يقترن فيه اهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل مائة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر قرن يقرن قرنا، قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى الدر المنثور القرن أهل كل زمان وهو المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان فى أعمارهم وأحوالهم

**اتباع التابعين**

فصل في كرامات الاولياء

## (( فصل ))

### في ذكر كرامات الاولياء واثباتهـا

وهذا من العقائد السنية التي يجب اعتقادها ولا يجوز نفيها واهمالهـا ولهذا قال :

(( وكل خارق أتى عن صـالح ... من تابع لشرعنا وناصح ))
(( فانها من الكرامـــات التي ... بها نقول فاقف للادلة ))
(( ومن نفاها من ذوي الضلال ... فقد أتى في ذاك بالمحال ))
(( فانهـا شـــهيرة ولم تـزل ... في كل عصر ياشقا أهل الزلل ))

انواع الخوارق

(( وكل خارق )) للعادة من الخوارق وهي ستة أنواع (الاول) المعجزة وتقدم الكلام عليها ( الثاني ) الارهاص وهو كل خارق تقدم النبوة فهو مقدمة لها فالمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة والارهاص المقدمة لها قبلها كقصة اصحاب الفيل ( الثالث ) الكرامة وهي أمر خارق للعادة غـير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علـم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم ( الرابع ) الاستدراج والمكر ( الخامس ) المعونة كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين وضعفاء أهل الدين تخليصا لهم من المحن والمكاره ( السادس ) الاهانة والاحتقار كما فعل مســيلمة الكذاب من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع ومن تفله في بئر عذبـة ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحا أجاجا ، ومن الخوارق الفاسدة الســحر والشعبذة ونحوهما

والحاصل أن الكرامة لا بد أن تكون أمرا خارقا للعادة (( اتى )) ذلك الخارق (( عن )) امرئ (( صالح )) وهو الولي العارف بالله وصفاتـه حسب ما يمكن ، المواظب على الطاعات المجتنب عن المعـاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات من ذكر وانثى ولا بد أن يكون صدور ذلك الخارق في زماننا وبعده وقبله منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسـلم (( من )) انسان (( تابع لشرعنا )) **معشر المسلمين لان سائر الشرائع سواه قد نسخت** وان يكون الخارق من قبل من ظهر على يديه غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا بالايمان والعمل الصالح يكون استدراجا ومـا

يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة كما تقدم آنفا ولاعتبار كون من صدرت عنه الخوارق عارفا مطيعا ظاهر الصلاح متابعا لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم أشار بقوله (( وناصح )) لله ولرسوله ولكتابه ولشريعة النبى صلى الله عليه وسلم التى أتى بها عن الله وناصح لأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم فان الدين النصيحة فما يصدر من الخوارق المؤكدة لكذب الكذابين وترهات المفترين من قبيل المكر والاستدراج والمحن والاعوجاج وأما اذا صدرت عمن ذكر من الصالح الناصح المتابع لشرعنا القويم وديننا المستقيم (( فانها )) تكون (( من الكرامات التى بها )) أى بجوازها ووقوعها (( نقول )) معشر أهل السنة من السلف والخلف قال ابن حمدان فى نهاية المبتدئين: وكرامة الاولياء حق،وأنكر الامام أحمد رضى الله عنه على من أنكرها وضلله ، قال وتوجد فى زمن النبوة واشراط الساعة وغيرهما ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى ولا على ولايته لجواز سلبها وان تكون استدراجا له يعنى أن مجرد الخارق لا يدل على ذلك ولذلك قال ولا يساكنها ولا يقطع هو بكرامته بها ولا يدعيها وتظهر بلا طلبه تشريفا له ظاهرا ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره انه ولى لله تعالى غالبا بذلك وقيل بلى ولا يلزم من صحة الكرامات ووجودها صدق من يدعيها بدون بينة او قرائن حالية تفيد الجزم بذلك وان مشى على الماء وفى الهواء او سخرت له الجن والسباع حتى تنظر خاتمته وموافقته للشرع فى الامر والنهى ، وان وجد الخارق من نحو جاهل فهو مخرقة ومكر من ابليس واغواء واضلال[1] ولا شىء على من ظن الخير بمن يراه منه وان كان فى الباطن شيطانا وحسن الظن بأهل الدين والصلاح حسن (٢) (( فاقف )) فى اعتقادك الصالح ونهجك أى اتبع (( للادلة ))

**حد الكرامة والولى**

**تفليس أولياء ابليس**

---

( ١ ) قد أحسن المؤلف بما قرره فى هذا الفصل ، ولشيخ الاسلام ابن تيمية كتاب ( الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ) فليراجع وقد اولع الناس بعد صفوة القرون المفضلة بالدعاوى والحكايات وراجت بينهم جدا حتى صارت الكرامات تدعى لمن يدع الفرائض ويرتكب الكبائر وربما عدت المجاهرة بالكبائر الفظيعة كرامة ، انظر طبقات الشعرانى ج٢ ص ١٣٥ فى ترجمة على وحيش والتى تليها

( ٢ ) هذا اذا لم يؤد حسن الظن بالشخص الى مخالفة الشرع والكذب عليه وانكار المعروف وقبول المنكر .

**ثبوت الكرامات في الجملة**

الشرعية والمشاهدات الحسية والقواطع العقلية فان كرامات الاولياء ثابتة بالعيان والبرهان أما أولا فان وجودها جائز عقلا واقع عيانا وشرعا فان حمل مريم بلا ذكر ووجود الرزق عندها بلا سبب من فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف من الخوارق وليستا معجزتين لعدم شرط المعجزة وهودعوى النبوة والتحدي فتعين كون ذلك كرامة لها ، وأيضاقصة آصف بن برخيا فان احضاره عرش بلقيس فى لحظة من مسيرة شهرخارق للعادة حتما ، وأيضا قصة اصحاب الكهف فان بقاءهم ثلاثمائة سنة بلا آفة من أعظم الخوارق ، وثانيا ما تواتر معناه وان كانت تفاصيله آحادا من كرامات الصحابةوالتابعين ومن بعدهم والى وقتنا هذا مما ذاع وشاع وملأ الآفاق والاسماع وضاقت عن احصائه الدفاتر وشهدت بوجوده الاكابر والاصاغر ولا ينكره الا معاند ومكابر فلا جرم فهو الحق الصراح الرادع لاهل الانكاروالكفاح. وهو مع كونه كرامة لمن ظهرت على يديه غالبا فهو دليل على صحة نبوة متبوع من ظهرت على يديه وحقية دينه واستقامة نهجه ومن ثم قلنا (( ومن )) أى أى انسان كائنا من كان (( نفاها )) أى كرامات الاولياء فلم يقل بجوازها فضلا عن وقوعها (( من ذوى )) أى أصحاب (( الضلال )) والزيغ عن نهج اهل السنة والاعتزال وكذا من نحا نحوهم من أهل السنة كالاستاذ أبى اسحاق الاسفراينىوابى عبد الله الحليمى من الاشاعرة (( فقد أتى فى ذاك )) النفى وعدم التحويز لها (( بالمحال )) المنابذ للبرهان والعيان وثبوتها فى السنن المتواترة ومحكم القرآن فمع هذه الادلة المتواترة والوقائع المتكاثرة فالانكار لها مكابرة غير منظور اليه ولا معول عليه ، وزعمهم ان الخوارق لو جاز ظهورها من الاولياء لالتبس النبى بغيره اذ الفرق ما بينهما انما هو بالمعجزة وبأنها لو ظهرت لكثرت لكثرة الاولياء وخرجت عن كونها خارقة للعادة والغرض كونها خارقا فاذا خرجت عن كونها خارقا لكثرتها نافت المقصود وخالفته ، ولانها لو ظهرت لا لغرض التصديق لانسد باب اثبات النبوة بالمعجزة لجواز أن يكون ما يظهر من النبى لغرض آخر غير التصديق ، وبأن مشاركة الاولياء للانبياء فى ظهور

الخوارق يخل بعظيم قدر الانبياء ووقعهم في النفوس ، باطل المأخذ غير صالح للتمسك به والتعويل عليه والالتفات له والمصير اليه حتى ولو لم تكن الادلة بكرامات الاولياء طافحة والعيان والبيان والبراهين بها واضحة ، فكيف والادلة القرآنية والسنن النبوية والآثار السلفية والمشاهدات العيانية أكثر من أن تحصى وأجل وأعظم من أن تستقصى . ولهذا قال معللا لما ارتكبوه في نفيها من المحال (( لانها )) أى كرامات الاولياء كثيرة (( شهيرة )) للعيان ثابتة بالبرهان (( ولم تزل)) تظهرعلى يد الاولياءالصالحين وأهل التحقيق العارفين (( في كل عصر )) من الاعصار الماضية والى الآن والعصر مثلثة وبضمتين الدهر ويجمع على اعصار وعصور وأعصر وعصر ويطلق العصر على اليوم والليلة والعشى الى احمرار الشمس ، وذلك كما تقدم من حكاية قصة مريم وعرش بلقيس وقصة اصحاب الكهف والمشى على الماء كما نقل عن كثير من الاولياء من الصحابة وغيرهم كما في قصة العلاء بن الحضرمى من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فانه لما ذهب الى البحرين سلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل فصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا على يا عظيم اسقنا ، فجاءت سحابة فأمطرت حتى ملأوا الآنية وسقوا الركاب ثم انطلقوا الى خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سفنا فصلى ركعتين ثم قال ياحليم ياعليم يا على يا عظيم أجزنا ، ثم اخذ بعنان فرسه ثم قال جوزوا باسم الله ، قال ابو هريرة فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش اربعة آلاف . والطيران في الهواء كما في قصة جعفر بن ابى طالب ذى الجناحين رضى الله عنه ، وكقصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ورؤيته لجيش سارية وهو على المنبر بالمدينة بنهاوند فنادى وهو على المنبر لامير الجيش سارية فقال : يا سارية الجبل : تحذيرا له من العدو ومكرهم له من وراء الجبل وسماع سارية مع بعد المسافة ، وكشرب خالد بن الوليد رضى الله عنه السم من غير أن يحصل له تضرر به وكجريان النيل بكتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأمثال ذلك من كرامات الصحابة رضى الله عنهم مما لا يحصى الا بكلفة ، وكذلك

كرامات التابعين ومن بعدهم ما هو طافح مشهور لا يمكن رد وانكاره فى غلية البيان والظهور ولذا قال لمن انتحل المحال (( يا شقا اهل الزلل )) بما ارتكبوه ويا خسارتهم لما انتحلوا من رد المحسوس وتكذيبهم للبرهان بوساوس النفوس ومكابر تهم لانكار العيان بمجرد الرهم والهوس وقد قال، علماؤناأن كرامة الولى وظهور الخارق على يده من (حيث) كونه من آحاد الامة معجزة للرسول الذى ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لانه يظهر بتلكالكرامة انهولى ولن يكون وليا الا بأنيكون محقا فى ديانته ، وديانته هى الاقرار بالقلب واللسان والانقياد بالجوارح والاركان لما جاء به نبيه المتبوع ورسوله الذى عليه المعول والى ما جاء به الرجوع والطاعة لأوامرهوالانتهاء عنزواجرهفى السروالاعلانحتىلو ادعىهذا الذىظهرت على يده الكرامة الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليا ولم يظهر الخارق على يده ، ولو فرض ظهوره فهو حينئذ من قبيل الاستدراج . والحاصل ان الامر الخارق للعادة فهو بالنسبة الى النبى معجزة سواء ظهر من قبله او من قبل آحاد أمته وهو بالنسبة للولى كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهرذلك من قبله ، فالنبىلا بد من علمه بكونه نبيا ومن قصد اظهار خوارق العادات وظهور المعجزات ، وأما الولى فلا يلزم ان يعلم بولايته ويستر كرامته ويسرها ويجتهد على اخفاء أمره كما تقدمت الاشارة الى ذلك كله .

## ( تنبيهات )

**تنبيهات الاول** ( الاول ) وافق ابو الحسين البصرى المعتزلى ومن نحا منحاه أهلالسنة

**الثانى** فى جواز كرامات الاولياء ووقوعها ( الثانى ) يجوز فى الكرامات أن تقع بسائر وجوه خوارق العادات على اختلاف أنواعها ولو كقلب العصاحية وكوجود ولد من غير أب لا بمثل ما اختص به النبى صلى الله عليهوسلم مثل القرآن العظيم الذى هو اعظم المعجزات وأخص الآيات . وقال قوم الكرامات تختص بمثل اجابة دعاء ونحوه . قال الامام النووى وهذا غلط من قائله وانكار للحس بل الصواب جريانها حتى فى قلب الاعيان .

**الثالث** ( الثالث ) الولاية موهبة من الله تعالى غير مكتسبة ولا يصل الولى ما دام

عاقلا بالغا الى مرتبة سقوط التكليف عنه بالاوامر والنواهى ، ومن زعم ذلك فهو الحاد وزندقة ، ومن الزندقة ما زعمه من زعمه من بعض الكرامية ومن نحا نحوهم من أن الولى قد يبلغ درجة النبى بل أعلى ، وقدمنا الكلام فى تزييف هذا المقام بما يحصل به المرام والله ولى الانعام. ( الرابع ) قال بعض المحققين للولى أربعة شروط ( أحدها ) أن يكون عارفا بأصول الدين حتى يفرق بين الخلق والخالق وبين النبى والمتنبى ( الثانى ) أن يكون عالما بأحكام الشريعة نقلا وفهما ليكتفى بنظره عن التقليد فى الاحكام الشرعية كما اكتفى عن ذلك فى أصول التوحيد فلو أذهب الله تعالى علماء أهل الارض لوجد عنده ما كان عندهم ولاقام قواعد الاسلام من أولها الى آخرها ( قلت ) وهذا غير معتبر ولا مشترط فى مطلق الولى من غير تردد ، نعم يعتبر هذا فى المجتهد دون مطلق الولى والله أعلم . ( الثالث ) ان يتخلق بالاخلاق المحمودة التى دل عليها الشرق والعقل من الورع عن المحرمات بل والمكروهات وامتثال المأمورات واخلاص العمل وحسن المتابعة والاقتداء . ( الرابع ) أن يلازمه الخوف أبدا واحتقار النفس سرمدا وأن ينظر الى الخلق بعين الرحمة والنصيحة وأن يبذل جهده فى مراقبة محاسن الشريعة ومطالعة عيوب النفس وآفاتها والخوف بملاحظة السابقة والخاتمة ويجمع ذلك كله ويزيد عليه قوله تعالى ( ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ) والله تعالى أعلم (١)

**الرابع**

---

( ١ ) قال فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع فى شرحه لهذه الارجوزة المسمى بالكواكب الدرية ص ٩٩ بعد ذكر نحو ما ذكره السفارينى من شروط الكرامة وصاحبها ما لفظه

« وبهذا يتبين أن من ظهر على يديه شيء من الخوارق التى يسمونها كرامات الاولياء ، وهو مصر على دعوة غير الله تعالى من الاحياء والاموات ، معتقدا أنهم ينفعونه أو يضرون ، فهو من الحيل والشعوذة لا من الكرامات، اذ من شروط حصولها صحة الاعتقاد ، وأى اعتقاد افسد من الاشراك بالله تعالى ؟ وكذا يتبين كذب من ادعى الولاية وهو تارك للصلوات مع المسلمين فى مساجدهم ، ويزعم أنه يصلى بمكة جميع الصلوات ولو كان بينه وبينها مسافة أيام . وينشد على ذلك :

**نماذج ممن يدعى أو تدعي له الولاية والكرامة كذبا**

## ( فصل )

**فصـــل فى المفاضلة بـين البشر والملائكة**

فى المفاضلة بين البشر والملائكةوهى مسألة عظيمة قد كثر فيهاالاختلاف وتشعبت فيها الاقوال وعظمت فيها المحن والجدال ولكثرة الخلاف شيها وتباين اقوال الائمة من المتكلمين وغيرهم فى تفاصيلها قلنا فى النظم

(( وعندنا تفضـــيل أعيـان البشر  على ملاك ربنـــا كما اشتهر ))
(( قال ومن قال سوى هذا افترى  وقد تعدى فى المقال واجترى ))

(( وعندنا )) معشر أهل السنة خصوصا أهل الاثر وسلف الامة وكبار الائمة فانهم يقولون ويعتقدون (( تفضيل أعيان البشر )) محركة الانسان ذكر أو انثى ويطلق البشر على الواحد والجمع وقد يثنى ويجمع ابشارا والمراد بأعيانهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء فالانبياء أفضل من الاولياء وهما أفضل من الملائكة وقيل كل صالح أفضل من الملائكة ، قال الامام أبو الوفا ابن عقيل : الصحيح تفضيل الانبياء والصالحين على الملائكة والملائكة أفضل من الفسقة • وقال تارة : الانبياء أفضل من الملائكة وجبريل واسرافيل وميكائيل أفضل من الاولياء • وقال سيدنا الامام أحمد رضى الله عنه بنو آدم أفضل من الملائكة • ولذا قلنا (( على ملاك ربنا )) تبارك وتعالى

---

وفى طنـــدتا قالواصلاتى تركتهـــا
ولم يعـــلموا أنى أصـــلى بمـــكة
اصـــلى صلاة الخمس فى البيت دائما
مع السادة الاقطاب اهل الطـــريقة

وكذلك من سالم الحيات وسالمنه فأمسكهن، فان ذلك ليس من الكرامات فى شىء ، لانه معصية لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهن ، كما فى سنن أبى داود عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف ثأرهن فليس منا • وفيها ايضا عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما سالمناهن منذ حاربناهن ، ومن ترك شيئا منهن خليفة فليس منا • فانظر الى قوله عليه الصلاة والسلام ما سالمناهن ، وهؤلاء الجهال سالموهن ، وادعوا أن ذلك كرامة وولاية • قال اهل الحق : والولى يكتمها — اى الولاية — ويسترها غالبا ، ويسرها ولا يساكنها • وهذا دليل على كذب المشعوذين الدجالين الذين جعلوا الكرامات سلاحا يحاربون به ضعاف لعقول من العـــوام بالترغيب والترهيب ، وهم بذلك أكذب من مسيلمة وسجاح • وقد نقل عن بعض الدجالين انه قال — قاتله الله ان صح عنه — ان الله اعطانى أن أقول لنشىء كن فيكون • فهذا المخدوع ادعى الالهية من حيث لا يشـــعر ( كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ) •

(( كما اشتهر )) ذلك من نصوص امامنا الامام أحمد رضى الله عنه ، والملاك هو الملك وجمعه ملائكة وحذفت همزة ملاك لكثرة الاستعمال وأصل وزنه مفعل فقيل ملك وقد تحذف الهاء من الجميع فيقال ملائك، وأصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة وهى الرسالة ثم قدمت اللام على الهمزة فى الجمع كما فى النهاية وغيرها (( قال )) امامنا الامام أحمد رضى الله عنه ((ومن)) أى انسان (( قال )) بلسانه أو اعتقد بجنانه (( سوى هذا )) أى غير القول بتفضيل بنى آدم على الملائكة (( افترى )) أى أتى بكلام خطأ يشعر بالافتراء (( وقد تعدى )) أى تجاوز الحد المنقول والثابت عن الرسول والسلف الفحول (( فى المقال )) الذى اعتمده (( واجترى )) أى افتات على الشارع بالاعتقاد الذى اعتقده، ولفظ النص : يخطىء من فضل الملائكة . وقيل كل مؤمن أفضل من الملائكة . قال ابن حمدان فى نهاية المبتدئين وقال الامام العلامة ابو بكر عبد العزيز بن جعفر المشهور بغلام الخلال رحمه الله تعالى من كان خيره أكثر من شره فهو خير من الملائكة ومن كان شره أكثر من خيره فالبهائم خير منه ، وقيل من غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته على عقله فالبهائم خير منه . هذا محصل قول جل أصحابنا . وقال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد : سئل شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه عن صالحى بنى آدم والملائكة أيهما أفضل ؟ فأجاب بأن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، والملائكة أفضل باعتبار البداية فان الملائكة الآن فى الرفيق الاعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون فى عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الاحوال الآن أكمل من أحوال البشر ، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحى البشر أكمل من حال الملائكة ، قال وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين وبصالح كل منهم على حقه . قال ابن القيم فعلى المتكلم فى هذا الباب - يعنى باب التفاضل بين الاشياء - أن يعرف أسباب الفضل أولا ، ثم درجاتها ونسبة بعضها الى بعض والموازنة بينها ثانيا ، ثم نسبتها الى من قامت به كثرة وقوة ثالثا ، ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعا ، فرب صفة هى كمال لشخص وليست كمالا لغيره بل كمال غيره بسواها فكمال خالد بن الوليد لشجاعته وحروبه ، وكمال ابن

عباس بفقهه وعلمه ، وكمال ابى ذر بزهده وتجرده عن الدنيا ، قال فهذه أربع مقامات يضطر اليها المتكلم فى درجات التفضيل وتفضيل الانواع على الانواع أسهل من تفضيل الاشخاص على الاشخاص وأبعد من الهـــوى والغرض . انتهى ملخصا .

تنبيهـــات الاولى تفضيل التفضيل والخلاف

تنبيهات

( الاول ) قد علمت أن هنا ثلاث صور ( الاولى ) التفضيل بين الانبياء والملائكة وفى هذه ثلاثة أقوال ( أحدها ) الانبياء أفضل وعليه جمهـور أهل الحق من أهل السنة وهو الصواب ( الثانى ) الملائكة افضل وهو قول المعتزلة واختاره من الاشاعرة ابو اسحاق الاسفراينى وأبو بكر الباقلانى والحاكم والحليمى وفخرالدين فى المعالم وأبو شامة واختار فخر الدين الاول فى الاربعين وفى المحصل ( الثالث ) الوقف عن القول بالتفضيـل لأحد النوعين على الآخر ، ومحل الخلاف على هذا القول فى غير نبينـا محمد صلى الله عليه وسلم أما هو فأفضل الخلق بلا خلاف لا يفضل عليه ملك مقرب ولا غيره كما ذكره غير واحد ممن حكى الخلاف كالسيوطى فى الحبائك والتاج السبكى فى منع الموانع والسراج البلقينى فى منهـــج الاصلين وبدر الدين الزركشى ونقل فخر الدين الرازى الاجماع على ذلك وكأنه أراد اجماع أهل السنة .

( الصورة الثانية ) التفاضل بين خواص الملائكة وأولياء البشر وهم من عدا الانبياء وهذه الصورة زعم بعضهم نفى الخلاف بان خواص الملائكة أفضل ونقل السعد التفتازانى فى شرح عقائد النسفى الاجماع عـــلى أن خواص الملائكة أفضل من أولياء البشر بعد الرسل والانبياء ، وهذا مردود ومدخول فقد قدمنا أن معتمد القول عند علمائنا ومن وافقهم أن الاوليـــاء أفضل من خواص الملائكة ، نعم ابن عقيل خالفهم فى ذلك فقال : خواص الملائكة من جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ملك الموت أفضل من الاولياء ، وقال : فى القول بخلاف هذا شناعة عظيمة على قائله . كذا قال مع انه هو نفسه صرح بأن الانبياء والاولياء أفضل من الملائكة وصحح ذلك

( االصورة الثالثة ) التفضيل بين أولياء البشر وغير الخواص من الملائكة

وفى هذه قولان ( أحدهما ) تفضيل جميع الملائكة على أولياء البسر وجزم به ابن السبكى فى جمع الجوامع وذكر البلقينى فى منهجه انه قول أكثر العلماء ، والثانى تفضيل اولياء البشر على الملائكة وجزم به الصفار من الحنفية وهو المختار عندهم ومال البلقينى الى بعضه وهو أنه قد يوجد من اولياء البشر من هو أفضل من غير الخواص من الملائكة ، وقال قوم من أهـــل السنة أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة والاولياء مـــن البشر أفضل من الاولياء من الملاكة ، وذهب آخرون الى أن المـلأ الاعلى مفضلون على سكان الارض ، وفصل جماعة من محققى الماتريدية ومـــن وافقهم فقالوا رسل البشر كموسى عليه الصلاة والسلام أفضل من رسل الملائكة كجبريل عليه السلام ، ورسل الملائكة كاسرافيل عليه الســـلام أفضل من عامة البشر وهم أولياؤهم غير الانبياء كأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وعامة البشر كأوليائهم غير الانبياء أفضل من عامة الملائـكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين ، وهذا نحو ما حكينا عن ابن عقيل ، واحتج اهل التفضيل بالاجماع وقد علمت انه مدخول بل ادعوا فيه الضرورة واحتجوا على تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة وعامة البشر على عامة الملائكة بوجوه سنذكرها ونقل البلقينى فى منهج الاصلين ان المختار عند الحنفية أن خواص البشر وهم الرسل أفضل من جملـــة الملائكة ، والملائكة الخواص افضل من الانبياء غير المرسلين، والانبياء أفضل من غير الخواص من الملائكة، قال ومنهم من وقف فى التفضيل بين صالحى البشر والملائكة . كذا قال والحق المعتمد عندهم أن خواص البشر كالانبياء افضل من خواص الملائكة كرسلهم ، وخواص الملائكة كرسلهم افضل من عوام البشر كالاولياء ، وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة وهم غـــير الرسل منهم والله أعلم

**الثانى بعض أدله تفضيل صالحى البشر عـــلى الملائكة**

( التنبيه الثانى ) فى بعض أدلة مذهب أهل الحق من تفضيل صالحى البشر على الملائكة خلافا للمعتزلة والفلاسفة ومن نحا نحوهم منها قوله تعالى ( واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ) فالمسجود له افضل من الساجد فان قيل لم لا يجوز أن يكون السجود لله تعـــالى وآدم كالقبـــلة ؟

فالجواب انه لو لم يكن السجود دالا على (علو) منصب المسجود له على الساجد لما قال ابليس ( أرأيتك هذا الذى كرمت على ) اذ لم يوجد ما يصرف هذا الكلام اليه سوى هذا السجود فدل ذلك السجود على ترجيح منصب المسجود له على الساجد ( ومنها ) ان آدم عليه السلام كان أعلم من الملائكة والاعلم أفضل لقوله تعالى ( هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ) وقد قال تعالى ( وعلم آدم الاسماء كلها - الى قوله - قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ) ( ومنها ) ان طاعة البشر أشق والاشق أفضل فان البشر مجبولون على الشهوة والحرص والغضب والهوى ونحوها وهذه من أكبر الموانع وهى مفقودة فى الملك ( ومنها ) قوله تعالى ( ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ) والعالم عبارة عما سوى الله تعالى والآل يراد به الرجل نفسه ويراد به اقاربه الادنون ويراد به اتباعه فان قيل يشكل هذا فى قوله تعالى فى بنى اسرائيل ( وانى فضلتكم على العالمين ) اذ يلزم على ظاهر هذا تفضيل انبياء بنى اسرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم ، فالجواب أولا الآية تحتمل التخصيص وثانيا من شرط المفضل عليه أن يكون موجودا حال وجود أنبياء بنى اسرايل (١) أما الملائكة فهم موجودون حال وجود محمد صلى الله عليه وسلم ( ومنها ) ان الملائكة لهم عقول بلا شهوة والبهائم لها شهوة بلا عقل والآدمى له عقل وشهوة ثم ان الآدمى ان رجحت شهوته على عقله كان أخس من البهائم كما قال تعالى (أولئك كالانعام) وقال : ( ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا ) واذا رجح عقله على شهوته كان أفضل من الملائكة فمن يطيع الله وأوامره وطينته معجونة بالشهوة والهوى ويقمع شهوته ويخالف هواه تكون عبادته أفضل ، ألا ترى من ابتلى من الملائكة بالشهوة كيف وقع فى المعصية على ما قيل . وذكر نحو هذا البيهقى وقال كما وقع لهاروت وماروت وساقها من ثلاثة طرق ، ثم اخرج البيهقى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه انه قال ان أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم صلى الله

---

( ١ ) يعنى ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم موجودا حينئذ

عليه وسلم ، قيل رحمك الله وأين الملائكة ؟ قال الملائكة خلق كخلق الارض وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلائق وان أكرم الخلق على الله أبو القاسم صلى الله عليه وسلم . وأخرج البيهقى ايضا عن ابن عباس رض الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا على اهل السماء وعلى الانبياء . قيل وما فضله على اهل السما ؟ قال ان الله قال لأهل السماء ( ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ( انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ) وأخرج أيضا عن ابن عمرو قال قال رسول الله صلى لله عليه وسلم « ما شيء أكرم على الله من بنى آدم . قيل يا رسول الله ولا الملائكة ؟ قال « الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر » قال البيهقى تفرد به عبيد الله بن غانم السلمى عن خالد الحذاء ، وعبيد الله قال البخارى عنده عجائب . قال ورواه غيره عن خالد الحذاء موقوفا على ابن عمرو وهو الصحيح . قال البيهقى ومن قال بالقول الآخر وهو تفصيل الملأ الاعلى على سكان الارض أشبه ان يقول اذا كان التوفيق للطاعة من الله تعالى وجب ان يكون الافضل من يكون توفيقه له وعصمته اياه اكثر ووجدنا الطاعة التى وجودها بتوفيقه وعصمته من الملائكة اكثر فوجب أن يكونوا بذلك افضل . وأخرج البيهقى أيضا حديث « لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال الله تبارك وتعالى لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان » قال وفى ثبوته نظر . انتهى . وقال العز بن عبد السلام فى أثناء كلام له فى أنواع التفاضل بين الحوادث من الجواهر والاجسام : لا يفضل الملائكة على الانبياء الاهجام بنى التفضيل على خيالات توهمها وأوهام فاسدة تعمدها ولم ينفوا الخيالات والتوهمات فى أمور يعلم أنه خلافها . انتهى . وقال الامام ابن عقيل من علمائنا فى كتابه الارشاد : مؤمنو أولاد آدم من الاولياء والزهاد والانبياء من طريق الاولى اشرف من الملائكة على قول أصحابنا ، قال : وعندى أن فيه تفصيلا وذلك أن فى الملائكة من لا يجوز أن يفضل عليه الاولياء مثل جبريل

وميكائيل وملك الموت والمقربين ولكنى افضل عليهم الانبياء ومنهم من يفضل عليه أولياء بنى آدم وهم من عدا المقربين من الملائكة السياحة وغير ذلك. قال والدلالة على أن خواص الملائكة المرسلين والمقربين خير من الاولياء خلافا لاصحابنا انهـؤلاء ساووهم فىالعبادةوفضلوا بالقربوالرسالةوسماع الكلام من الله تعالى الذى شرف بسماعه موسى عليه السلام على غيره ، وهذه الرتبة عظيمة لمن عقلها ، وفارق الانبياء لانهم فضلوهم بالرسالة والنبوة ومعاناة الامم والتعليم وجعل الملائكة خدما لهم ، ولان فى قولنا بأن صالحا من بنى آدم خير من جبريل شناعة عظيمة علينا من حيث سوينا بينه وبين رتبة الانبياء مع جلالة جبريل وعظمته وشرفه عند الله فان جبريل سفير الرحمن وحامل وحيه الى الانبياء . ثم قال : واستدل من قال بالعموم بما روى ابو هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قال « اوسعوا لمن خلفكم » فقلنا ولمن نوسع يا رسول اللهقال « للملائكة انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا من بين ايديكم ولامنخلفكموانما يكونون عن ايمانكم وشمائلكم » قالوا من فضلنا عليهم او من فضلهمعلينا قال « انتم افضل منهم » وأيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم « المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده » وأيضا اللفظ المشهور « ان الله تعالى يباهى ملائكته بأهل عرفات » ولا يباهى الابالافضل ، وأيضافانجبريل افتخر بأن يسمى من أهل البيت وسأل النبى صلى الله عليه وسلم انيدخله تحت الكساء وكان تحته فاطمة والحسن والحسين . انتهى. والجواب عن هذا اما حديث ابى هريرة الاول فموضوع لا تحل روايته فضلا عن الاحتجاج به وممن حكم بوضعه الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية وأورده الحافظ ابن الجوزى فى الموضوعات باختصار فلم يذكر قوله قالوا من فضلنا عليهم الخ وحكم بوضعه ، وأما حديث « المؤمن أكرم علىالله من الملائكة الذين عنده » فالمعروف من لفظ الحديث « المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته » كذا رواه ابن ماجه ( ١ ) وهذا اللفظ لا يدل على تفضيل الاولياء على جميع الملائكة بل علىبعضهم ، وحديث المباهاة لا يدل

---

( ١ ) من طريق ابى المهزم وهو واه

على الافضلية ، وأما حديث أن جبريل عليه السلام افتخر بأن يسمى من أهل البيت وسؤاله النبى صلى الله عليه وسلم ان يدخله تحت الكساء فلا أصل له قال الحافظ السيوطى لم أقف له على أصل فى شىء من كتب الحديث ، وكيف يجسر أحد على تفضيل غير الانبياء من البشر على جبريل وميكائيل واسرائيل وعزرائيل مع ما فى صحيح البخارى عن ابن ابى مليكة قال أدركت ثلاثين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على ايمان جبريل وميكائيل • وقال سراج الدين البلقينى : الاكثر من الاشاعرة على تفضيل الانبياء على الملائكة وذهب القاضى ابو بكر الباقلانى والحليمى • الى ان الملائكة العلوية افضل ، وينبغى أن يكون محل الخلاف فى غير النبى صلى الله عليه وسلم فهو أفضل خلق الله أجمعين ، قال وأما الصالحون من البشر غير الانبياء فأكثر العلماء على تفضيل الملائكة عليهم ، وعندنا أن من كان منهم تقيا نقيا موافيا الموت على ذلك فقد يفضل على الملك باعتبار المشقات فى عباداته مع ما فيه من الدواعى الى الشهوة وغيرها لا سيما من كان خليفة سيد الاولين والآخرين عليه أفضل الصلاة والسلام • وقال الشيخ بدر الدين الزركشى فى شرح جمع الجوامع أما تفضيل الانبياء على الملائكة فهو عقيدة الاشعرى وجمهور اصحابه وهو آخر اقوال ابى حنيفة فيما ذكره شمس الائمة لاجتماع العصمة مع التركيب المعرض للنوائب التى يجب الصبر عليها والشهوات التى يجب الصبر عنها ومن أحسن الادلة قوله تعالى بعد ذكره جماعة من الانبياء ( وكلا فضلنا على العالمين ) والملائكة من العالمين فدل على انهم أفضل منهم وقوله تعالى ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن ) وأراد بنى آدم لان الملائكة لا يجازون بل هم خدم اهل الجنة ولأن بالانبياء قامت حجة الله على خلقه بخلاف الملائكة حتى قال تعالى ( ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ) ولان آدم سجد له الملائكة والمسجود له أفضل من الساجد كما تقدم ثم فى الانبياء من هو أفضل من آدم ، ولأن الناس فى الموقف انما يتشفعون بالانبياء لا بالملائكة • وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا شك أن

للبشر طاعات لم يثبت مثلها ( للملائكة ) كالجهاد والغزو ومخالفة الهوى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على البلايا والمحن والرزايا وقد ثبت انهم يرون ربهم ويبشرهم باحلال رضوانه عليهم ولم يثبت مثل هذا للملائكة • وقال بعض المحققين اتفقوا على ان العصاة من المؤمنين دون الانبياء والملائكة ، فاما المطيعون فاختلفوا فى المفاضلة بينهم وبين الملائكة على قولين • وقال ابن يونس من الشافعية فى مختصره فى الاصول بعد ذكر القولين وقال الاكثرون منا المؤمن الطائع أفضل من الملائكة • وقال ابن المنير : مذهب اهل السنة ان الرسول أفضل من الملك باعتبار الرسالة لا باعتبار عموم الاوصاف البشرية ولو كانت البشرية بمجردها أفضل من الملائكة ( لكان كل البشر افضل من الملائكة - ١ ) ومعاذ الله • والله أعلم

**الثالث الجواب عن ادلة المخالفين**

( التنبيه الثالث ) قد أشرنا فيما تقدم ان المعتزلة ذهبت الى تفضيل الملائكة على البشر حتى على الرسل والانبياء واختاره من الاشاعرة القاضى ابو بكر الباقلانى وأبو اسحاق الاسفرائنى والحافظ ابو عبد الله الحاكم والحليمى والفخر الرازى فى المعالم دون الاربعين وأبو شامة ومن نحا نحوهم واحتجوا بحجج منها قوله تعالى ( لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ) قالوا فهذا يقتضى كون الملائكة افضل من المسيح ألا ترى أنه يقال ان فلانا لا يستنكف الوزير من خدمته ولا السلطان ولا يقال انه لا يستنكف السلطان من خدمته ولا الوزير فلما ذكر المسيح أولا والملائكة ثانيا علمنا أن الملائكة أفضل من المسيح • والجواب عنه من وجوه ( الاول ) ان محمدا صلى الله عليه وسلم وكذا ابراهيم الخليل افضل من المسيح عليه السلام فلا يلزم من كون الملائكة افضل من المسيح كونهم أفضل من محمد ولا من ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ( الثانى ) ان قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع فتناول الكل فهذا يقتضى كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح فلم قلتم انه يقتضى كون كل واحد من الملائكة أفضل من المسيح ( الثالث ) ان الواو فى قوله ولا الملائكة المقربون حرف عطف وهو انما يفيد الجمع المطلق لا الترتيب والمثال الذى ذكرتموه ليس

---
( ١ ) من مخ

بحجة لان الحكم الكلى لا يثبت بالمثال الجزئى ثم انه معارض بنحوقولك ما أعاننى على هذا الامر لا عمرو ولا زيد فهذا لا يفيد كون المتـــأخر فى الذكر افضل من المقدم ومنهقوله تعالى ( ولا الهدى ولاالقلائد ولا آمـين البيت ) ولما اختلفت الامة امتنع التعويل عليها ثم التحقيـق فى المسألة انه اذا قيل هــذا العالم لا يستنكف من خدمته الوزير ولا الســلطان فنحن نعلم بعقولنا أن الســـلطان أعظم درجة من الـــوزير فعرفنا ان الغرض من ذكر الثانى هو المبالغة فهذه المبالغة انما عرفناهـــا بهذا الطريق لا بمجرد الترتيب فى الذكر فلا يمكن ان نعرف ان المراد من قوله ولا الملائكة المقربون بيان المبالغة الاا اذا عرفنا قبل ذلك ان الملائكـة المقربين افضل من المسيح وحينئذ يتوقف صحة الدليل على صحة المطلوب وذلك دور ( الرابع ) هب أن الآية الكريمة دالة على أن منصب الملـــك أعلى وأزيد من منصب المسيح ولكن لا تدل على الزيادة من جميع الوجوه فالملك أزيد من جهة القوة والقدرة والبطش فان جبريل عليه الســـلام قلع مدائن قوم لوط والبشر لا يقدرون على مثل ذلك فلم قلتم ان الملك أفضل من البشر فى كثرة الثواب الحاصل بسبب مزيد الخشوع والعبودية، وتمام التحقيق ان الفضل المختلف فيه فى هذه المسألة هو كثرة الثواب ثم ان كثرة الثواب لا تحصل الا بنهاية التواضع والخضوع وكون العبـــد موصوفا بنهاية التواضع لله تعالى لا يلائم صيرورته مستنكفا من عبوديـــه الله تعالى بل يناقضها وينافيها فامتنع ان يكون المراد من الآية هذا المعنى ، وأما اتصاف الشخص بالقدرة الشديدة والقوة الكاملة فانه مناسب للتمرد وترك العبودية فالنصارى لما شاهدوا من المسيح احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص أخرجوه بسبب هذا القدر من القدرة عن عبودية الله تعـال فقال تعالى ان عيسى لا يستنكف بسبب هذا القدر عن عبوديتى ولاالملائكة المقربون الذين هم فوقه فى القدرة والبطش والاستيلاء على عالم السموات والارضين ، وعلى هذا الوجه تنتظم دلالة الآية على أن الملك أفضل مـــن البشر فى الشدة والقوة والبطش لكنها لا تدل البتة على أن الملك افضل من البشر فى كثرة الثواب ، ويقال أيضا انما ادعت النصارى الهية عيسى لانه

وجد لا من أب فقيل لهم الملك حصل ووجد لا من أب ولا من أم فكيف يستنكف المسيح عن العبودية لكونه وجد من أم لا من اب والملك الذى وجد لامن أب ولا من أم لا يستنكف عنها فالملائكة أعجب فى هذا من المسيح فى هذا الباب مع أنهم لا يستنكفون عن عبودية الله تعالى •

ومنها قوله تعالى ( ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ) والاستدلال بهذه الآية الكريمة من وجهين ( الاول ) أنه تعالى احتج بعدم استكبار الملائكة عن عبادته على أن البشر يجب أن لا يستكبر عنها ولو كان البشر أفضل من الملائكة لما تم هذا الاستدلال فان السلطان اذا أراد أن يقرر على رعيته وجوب طاعتهم له فانه يقول الملوك لا يستكبرون عن طاعتى فمن هؤلاء المساكين؟ وبالجملة فظاهر أن هذا الاستدلال لا يتم الا بالاقوى على الاضعف ( الثانى ) انه قال ومن عنده وهذه عندية الفضيلة والقربة • والجواب عن هذا فهم مما قبله وهو أن الملائكة مع تمام قوتهم وشدة بطشهم لا يتمردون عن طاعة الله تعالى ولا يستكبرون فما بال البشر يتمردون عن طاعة الله مع غاية ضعفهم وهذا يوجب كون الملك أقوى من البشر لا كونه افضل منه بمعنى كثرة الثواب ، ويجاب عن الثانى أنه معارض بقوله تعالى فى صفة البشر ( فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ) وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى « أنا عند المنكسرة قلوبهم » وهذا افضل لانه قال فى الملائكة انهم عند ربهم وقال فى وصف المنكسرة قلوبهم ان ربهم عندهم •

ومنها ان عبادات الملائكة أدوم وأشق فوجب ان تكون افضل بشاهد قوله تعالى (يسبحون الليل والنهار لا يفترون ) وعلى هذا التقدير لو كانت أعمارهم مساوية لاعمال البشر لكان طاعتهم أدوم وأكثر فكيف ولا نسبة لعمر كل البشر الى عمر الملائكة وانما فضل الادوم لانه اشق فكان أفضل وفى الحديث « خيركم من طال عمره وحسن عمله » والجواب عن هذه بأن لا حجة لهم فى شىء من ذلك ، أما كون عبادتهم أشق (فنقول) بل عبادة البشر أشق لما فيهم من دواعى التخلف والتقاعد والفتور وانما يدل جميع ذلك على قوة الملائكة وهذا مسلم ، ولا حجة لهم ايضا فى الحديث لانه خطاب لبشر خاصة ولا يلزم من تافضل أحد الانواع بشىء التفاضل به فى غيره كما

لا يخفى ، وأنت اذا تأملت ما تعلقوا به حق التأمل وجدته غير دال على مطلوبهم ، وقد قامت الادلة من الطرف الآخر على تفضيل الانبياء وكذلك من ألحقناهم بهم في التفضيل في الجملة ولا يذهب عليك أنه لا خلاف في فضيلة الملائكة وانما الخلاف في أفضليتهم على خواص بني آدم . هذا وقد قال بعض العلماء مسألة تفضيل البشر على الملك أو الملك على البشر ليست مما يضر (١) اعتقاده ويضر الجهل به ولو لقى العبد ربه ساذجا من المسألة بالكلية لم يكن عليه اثم فما هي مما كلف الناس بمعرفته .

وقال القاضي تاج الدين السبكي : الناس ثلاثة رجل عرف ان الانبياء أفضل من الملائكة واعتقده بالدليل ، وآخر جهل هذه المسألة ولم يشتغل بها بالكلية وهذان لا ضرر عليهما ، قال وثالث قضى بأن الملك افضل وهذا على خطر ، وهل يقال ان من قضى بتفضيل الانبياء على خطر فيكون الساذج اسلم منه أو أنه ناج لاصابة الحق من الخطر ؟ هذا موضع نظر ، قال والذى أفهمه عن الوالد السلامة في السكوت عن هذه المسألة وان الدخول في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير ورود دليل قاطع دخول في خطر عظيم وحكم في مكان لسنا أهلا للحكم فيه وقد جاءت أحاديث تحسم باشارتها مادة الدخول في ذلك فان قوله صلى الله عليه وسلم « لا تفضلوني على يونس بن متى » ونحوه ونحن على قطع بأنه صلى الله عليه وسلم أفضل من يونس عليه السلام ولم يختلف في ذلك أحد لعله اشارة الى أنكم لا تدخلوا في أمر لا يعنيكم وما للسوقة والدخول بين الملوك ؟ واعني بالسوقة في هذا أمثالنا وبالملوك الانبياء والملائكة عليهم السلام . وقد علمت مذاهب الناس مما أسلفنا والله أعلم .

**السلامة في السكوت عن التفضيل**

( التنبيه الرابع ) اختلف في تكليف الملائكة عليهم السلام وعدمه قال العلامة شمس الدين ابن مفلح في كتابه الفروع مانصه قال ابن حامد في كتابه : الجن كالانس في التكليف والعبادات ، قال ومذاهب العلماء اخراج الملائكة من التكليف والوعد والوعيد . انتهى . وتقدم بعض الكلام على الجن . وكذا قال في الفروع قبيل باب الامامة في كلام أبي المعالي ان كشف العورة

**الرابع في تكليف الملائكة**

( ١ ) الظاهر « يجب » او نحوه

خاليا هى مسألة سترها عن الملائكة والجن ، قال وكلام صاحب المحـرر وظاهر كلامهم يجب عن الجن لانهم مكلفون أجانب وكذا عن الملائكة مع عدم تكليفهم لان الآدمى مكلف وقد أمر الشارع فى خبر بهز بن حكيم بحفظها عن كل أحد الا من زوجته وأمته وهذا مع العلم بحضـورهم • انتهى ملخصا • ولعل مراده اخراجهم عن التكليف بما كلفنا به لا مطلقا والا فهم مكلفون قطعا قال ابن جماعة فى شرح بدء الامالى : المكلفون على ثلاثة أقسام قسم كلف من أول الفطرة قطعا وهم الملائكة وآدم وحـواء عليهم السلام ، وقسم لم يكلف من أول الفطرة وهم أولاد آدم ، وقسـم فيهم نزاع والظاهر انهم مكلفون من أول الفطرة وهم الجان • انتهى • قلت الكتاب والسنة ظاهرهما تكليف الملائكة اذ فيه ( لا يعصون الله مـا أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ـ ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ـ يسبحون الليل والنهار لا يفترون ـ يخافون ربهم من فوقهم ) وقال ( وهم من خشيته مشفقون ـ اذ اوحيت الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ) وهذا كله تكليف وناشىء عن التكليف والاحاديث طافحة ، بمعنى ذلك والله أعلم •

**الخامس فى سرد وجـوه التفضيل**

( الخامس ) فى ذكر بعض التفضيل بين المعلومات قال العز ابن عبـد السلام : الجواهر والاجسام كلها متساوية من جهة ذواتها وانما يفضل بعضها على بعض بصفاتها واعراضها وانتسابها الى الاوصاف الشريفة فى التفاضل النفيسة ، وأوصلها تلميذه القرافى فى كتابه انوار الفروق الى عشرين قاعدة ، أولها تفضيل المعلوم على غيره بذاته دون سبب يعرض له يوجب التفضيل له على غيره وله مثل ، أحدها الواجب لذاته المستغنى فى وجوده عن غيره كذات الله تعالى وصفاته ، الثانى العلم حسن لذاته وهو أفضل من الظن للقطع بعدم الجهل معه وتجويز الجهل مع الظن وذلك لذات العلم لا لصفة قامت به كما ان الجهل نقيصة لذاته لا لصفة قامت به أوجبت نقصه ، بخلاف الجاهل والعالم نقص الجاهل لصفة قامت به وهى الجهل وفضل العالم بصفة قامت به وهى العلم ، الثالث الحياة افضل من

الموت لذاتها لا لمعنى أوجب لها ذلك وسبب تفضيلها كونها تتأتى معها العلوم والقدر والارادات وغير ذلك من التصرفات وصفات الكمال كالنبوة والرسالة والولاية وغيرها وتعذر جميع ذلك مع الموت - يعنى ابتداء ذلك وان لم تنقطع هذه الاشياء بالموت ولا تفنى ولا تضمحل بل تدوم وتستمر - وتلك للحياة لذاتها لا لمعنى أوجب لها ذلك • ( القاعدة )الثانية التفضيل بالصفات الحقيقية القائمة بالمفضل كتفضيل العالم على الجاهل والفاعل المختار على الموجب بالذات بسبب الارادة والاختيار القائم به وتفضيل القادر على العاجز بسبب القدرة الوجودية القائمة به فهذا كله تفضيل بالصفات القائمة بالمفضل لذاته وبه خالف القاعدة الاولى ( القاعدة ) الثالثة التفضيل بطاعة الله تعالى كتفضيل المؤمن على الكافر ، وتفضيل اهل الكتاب على عبدة الاوثان فأحل تعالى ذبائحهم وأباح تزويجنا من نسائهم دون عبدة الاوثان فانه جعل ما ذبحوه كالميتة وتصرفهم فيه بالذكاة كتصرف الحيوان البهيم من السباع والكواسر فى الانعام لا أثر لذلك وجعل نساءهم كاناث الخيل والحمير محرمات الوطء كل ذلك اهتضام لهم لجحدهم الرسالة والرسل ، وكتفضيل الولى على آحاد المؤمنين المقصرين فى الطاعة ، وقيل لاقتصارهم على أصل الدين الواجب وكثرة طاعة الولى وبذلك سمى وليا أى تولى الله بطاعته ، وقيل لان الله تعالى تولاه بلطفه ، ولذلك ايضا تفاضل الاولياء بينهم بكثرة الطاعة فمن كان أكثر تقربا الى الله تعالى كانت رتبته فى الولاية أعظم ويتفضيل الشهيد على غيره من حيث الجملة لأنه أطاع الله تعالى ببذل نفسه وماله فى نصرة دينه وأعظم بذلك طاعة وكتفضيل العلماء على الشهداء كما جاء فى الحديث « ما جميع الاعمال فى الجهاد الا كنقطة فى بحر وما الجهاد وجميع الاعمال فى طلب العلم الا كنقطة فى بحر » وفى حديث آخر « لو وزن مداد العلماء ودم الشهداء لرجح » (١) بسبب طاعة العلماء لله تعالى بضبط شرائعه وتعظيم شعائره التى

---

(١) بهامش مط : لفظ المروى « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء » ذكره فى الاحياء وقال العراقى أخرجه ابن عبد البر بسند ضعيف وذكر له شارح الاحياء تخاريج أخرى ضعيفة وفيها زيادة « فيرجح مدد العلماء على دم الشهداء » اهـ مصححه

من جملتها الجهاد وهداية العباد الى الملك الجواد وتوصيل معالم الاديان الى يوم الدين ولولا سعيهم فى ذلك من فضل الله تعالى لانقطع الجهاد وغيره ولم يبق على وجه الارض من يقول « الله » وكل ذلك من نعم الله عليهم •
قلت هذا انتصار للقول بأفضلية العلم على الجهاد وهو مذهب أبى حنيفة ومالك رضى الله عنهما فعندهما العلم تعلمه وتعليمه أفضل من الجهاد وهى رواية عن الامام أحمد أيضا لان العلم هو الدليل المرشد ، وقد قال الامام أبو الوفاء بن عقيل ومما أنعم الله على أن حبب الى العلم فهو أسنى الاعمال وأشرفها • قال ابن مفلح في فروعه واختاره أي القول بأن العلم أفضل الأعمال غيره من علمائنا ولفظ الرواية: العلم أفضل الاعمال لمن صحت نيته ، قيل فأى شيء تصحيح النية ؟ قال ينوى أن يتواضع فيه وينفى عنه الجهل • نقله مهنا

الرابعة التفضيل بكثرة الثواب الواقع في العمل وله مثالات منها : الايمان أفضل من جميع الاعمال بكثرة ثوابه فان ثوابه الخلود فى الجنان والخلوص من النيران ومن غضب الديان ، ومنها صلاة الجماعة فانها أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين صلاة ، ومنها الصلاة فى أحد المساجد الثلاثة ، ومنها صلاة القصر أفضل للمسافر من الاتمام وان كان الاتمام أكثر عملا •

الخامسة التفضيل لشرف الموصوف، منها صفات الله تعالى من علمه وكلامه وقدرته وارادته وسائر الصفات المنسوبة الى الله تعالى أفضل من غيرها لوجوه منها شرف الموصوف ، ومنها صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم كعلمه وكرمه وشجاعته وحلمه وجميع ما هو صفة لنفسه الكريمة له الشرف والفضل على صفاتنا من وجوه أحدها شرف الموصوف

السادسة التفضيل بشرف (١) المدلول وله أمثلة منها تفضيل الاذكار الدالة على ذات البارى وصفاته العلى وأسمائه الحسنى ومنها تفضيل الآيات المتعلقة بالله كقل هو الله أحد على الآيات المتعلقة بأبى لهب كتبت يدا ابى

---

(١) هنا سقط والذى فى الفروق ج ٢ ص ٢٣٤ « القاعدة السادسة : التفضيل بشرف الصدور كشرف ألفاظ القرآن على غيرها من الالفاظ لكون الرب سبحانه وتعالى هو المتولى لرصفه ونظامه ٠٠ » ثم قال « القاعدة السابعة التفضيل بشرف المدلول ٠٠» بمعنى ما هنا

لهب ومنها الآيات الدالة على الوجوب والتحريم أفضل من الآيات الدالة على الاباحة والكراهة والندب لاشتمالها على الحث على أعلى رتب المصالح والزجر عن أعظم المفاسد

السابعة (١) التفضيل بشرف الدلالة لا بشرف المدلول كشرف الحروف الدالة على الاوصاف الدالة على كلام الله تعالى فان ذلك أوجب شرفها على جميع الحروف لهذه الدلالة وأمر الشرع بتعظيمها فلا تمسك الا على طهارة ويكفر من أهانها بالقاذورات وله وقع عظيم فى الدين فلا يجوز اخراجها عن بلاد المسلمين الى بلاد الكافرين خشية أن تنالها أيديهم • قلت وهذا على حسب اعتقاده من أنها مخلوقة وليست هى من كلام رب العالمين والحق أن مابين دفتى المصحف كلام رب العالمين وحبله المتين والله أعلم

الثامنة(٢) التفضيل بشرف التعلق كتفضيل العلم على الحياة فان الحياة لا تتعلق بشيء بل لها موصوف فقط والعلم له موصوف ومتعلق فله مزية شرف بذلك وكذلك القدرة والارادة والسمع بالاصوات والبصر بجميع الموجودات المبصرات

التاسعة (٣) التفضيل بشرف المتعلق كتفضيل ( العلم ) المتعلق بذات الله وصفاته على غيره من العلوم ، وكتفضيل الفقه على الطب لتعلقه بأحكام الله تعالى وهذا القسم عين المدلول فكل مدلول متعلق وليس كل متعلق مدلولا لأن الدلالة والمدلول من باب الالفاظ والحقائق الدالة كالصنعة على الصانع فانها تدل عليه وأما العلم ونحوه فلا يقال له دال بل هو مدلول فى نفسه وليس بدليل على غيره بل له متعلق خاصة وهو معلومه ، وكذلك الارادة المتعلقة بالخير أفضل من الارادة المتعلقة بالشرور ، والنية فى الصلاة أفضل من النية فى الطهارة لأنها متعلقة بالمقاصد والثانية بالوسائل ، والمقاصد أفضل من الوسائل والمتعلق بالافضل أفضل

العاشرة(٤) التفضيل بكثرة التعلق كتفضيل علم الله تعالى على قدرته وارادته وسمعه وبصره لتعلقه بجميع الواجبات والممكنات والمستحيلات

---

(١) فى الفروق « الثامنة » وقد عرفت السبب (٢) فى الفروق «التاسعة»
(٣) فى الفروق « العاشرة »
(٤) فيه « الحادية عشر »

واختصاص الارادة بالممكنات وجودا وعدما والقدرة بوجود الممكنات خاصة واختصاص السمع بالمسموعات على ما تقدم

الحادية عشرة (١) التفضيل بالمجاورة كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود

الثانية عشر (٢) التفضيل بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على جميع بقاع الارض وحكاه القاضي عياض اجماعا والمراد والاعضاء الشريفة فيه ، وفى بدائع الفوائد للمحقق ابن القيم قال ابن عقيل سألنى سائل أيما أفضل حجرة النبى صلى الله عليه وسلم أو الكعبة فقلت : ان أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل وان أردت وهو صلى الله عليه وسلم فيها فلا والله ولا العرش (٣) وحملته ولا جنة عدن ولا الافلاك الدائرة لان بالحجرة جسدا لو وزن بالكونين لرجح . انتهى .

الثالثة عشر (٤) التفضيل بسبب الاضافة كقوله تعالى (اولئك حزب الله) أضافهم اليه تعالى ليشرفهم بالاضافة اليه واضافة البيت اليه تعالى وكذا الناقة ونحوها

الرابعة عشر (٥) التفضيل بالانساب والاسباب كتفضيل ذريته على جميع الذرارى بسبب نسبهم المتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتفضيل نسائه على جميع النساء وان تفاوتن فى ذلك .

الخامسة عشر (٦) التفضيل بالثمرة والجدوى كتفضيل العالم على العابد لأن العلم يثمر صلاح الخلق وهدايتهم الى الحق بالتعليم والارشاد وأما العبادة فقاصرة على محلها ، ومن هذا الوجه تفضيل الرسالة على النبوة

السادسة عشر (٧) التفضيل بأكثرية الثمرة بأن تكون الحقيقتان لكل

---

(١) فيه « الثانية عشر »
(٢) فيه « الثالثة عشر »
(٣) يعنى بدون نظر الى استواء الله عليه
(٤) فيه « الرابعة عشر »
(٥) فيه « الخامسة عشر »
(٦) فيه « السادسة عشر »
(٧) فيه « السابعة عشر »

واحد منهما ثمرة لكن ثمرة احداهما اعظم وجدواها أكثر كثمرة علم الفقه وعلم الهندسة فان كلاهما مثمر أحكاما شرعية لان الهندسة يستعان بها فى الحساب والمساحات ، والحساب يدخل في المواريث وغيرها والمساحات تدخل فى الاجارات ونحوها من نوادر المسائل الفقهية الا أنها بالنسبة الى مسائل الفقه قليلة فثمرة الفقه أعظم وعلم النحو أنفع من علم المنطق وعلم الاصول أنفع من علم النحو وكل علم بحسب ثمرته والله أعلم

السابعة عشر (١) التفضيل بالتأثير كقدرة الله تعالى على العلم والكلام بالنسبة للتأثير فانها مؤثرة فى تحصيل وجود الممكنات والعلم تابع فمن حيث سعة المتعلق والعموم فالعلم أفضل ومن حيث التأثير فالقدرة والله أعلم، وكذلك الارادة بالنسبة الى الحياة فان الارادة مؤثرة للتخصيص فى الممكنات بزمانها وصفاتها الجائزة عليها والحياة لا تؤثر ايجادا ولا تخصيصا وليس فى صفات الله السبعة التى تثبتها الصفاتية الا القدرة والارادة فقط

الثامنة عشر (٢) التفضيل بجودة البنية والتركيب كتفضيل الملائكة الكرام عليهم السلام على الجان بسبب جودة أبنيتهم وحسن تركيبهم فانهم خلقوا من نور فجبريل يسير من العرش الى الفرش مسيرة سبعة آلاف سنة لحظة واحدة ويحمل مدائن قوم لوط الخمسة من تحت الارض على جناحه ولا يضطرب منها شىء بل يقتلعها من تحتها ويصعد بها الى الجو ثم يقلبها وهذا عظيم والملك الواحد من الملائكة يقهر الجمع العظيم من الجان ولهذا سأل سليمان عليه السلام ربه أن يولى على الجان الملائكة ففعل له ذلك فهم الزاجرون لهم عند العزائم وغيرها التى يتعاطاها أهل هذا العلم فيقسمون على الملائكة بتلك الاقسام التى تعظمها الملائكة فتفعل فى الجان ما يريده المقسم عليهم بتلك الاقسام التى تعظمها الملائكة فتفعل فى الجان ما يريده المقسم عليهم بتلك الاسماء العظيمة . كذا زعم القرافى (٣) قال وكانوا قبل زمن سليمان عليه السلام يخالطون الناس فى الاسواق ويعبثون بهم عبثا شديدا فلما رتب سليمان عليه السلام هذا الترتيب وساله من ربه انحازوا

---

(١) فى الفروق « الثامنة عشر »

(٢) فى الفروق « التاسعة عشر » (٣) للمؤلف الحق فى التبرؤ من هذا فانه قول بغير علم واسترسال مع دعاوى الخرافيين

الى الفلوات والخراب من الارض فقلت أذيتهم ، والملائكة عليهم السلام تراقبهم فى ذلك فمن عبث منهم وعثا ردوه أو قتلوه كما يفعل ولاة بنى آدم مع سفهائهم ، قال وما سبب اقتدار الملائكة على الجان الا فضل أبنيتهم ووفور قوتهم فهم مفضلون على الجان من هذا الوجه مضافا لبقية الوجوه ، ومن هذه الحيثية فضلت الملائكة على البشر • قال القرافي فان الصحيح أن البشر أفضل على تفصيل فيه فاذا ورد نص فى تفضيل الملك حمل ذلك التفضيل والثناء على الابنية وجودة التركيب اذا كان النص يحتمل ذلك فتندفع أكثر الاسئلة والنقوض عن المستدل على أفضلية الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا نزاع أن الملائكة (أفضل) فى أبنيتهم وأبنية بنى آدم ضعيفة بالنسبة الى أبنية الملائكة فتحمل نصوص التفضيل على ذلك ، وكذلك تفضيل الجان فى الابنية وجودة التركيب على بنى آدم ومن ثم الجان يعيشون الآلاف من السنين ولا تعرض لهم الامراض والاسقام التى تعرض لبنى آدم بسبب أن أجسادهم ليست مشتملة على الرطوبات وأجرام الاغذية فلا يحصل لهم التعفن والآفات الناشئة عن الرطوبات ، ومن حيث جودة العنصر وحسن التركيب فضل الذهب على الفضة

التاسعة عشر (١) التفضيل باختيار الله تعالى لمن يشاء على من يشاء ولما يشاء على مايشاء فيفضل أحد المتساويين على الآخر من كل وجه كتفضيل شاة الزكاة على شاة التطوع ، وكتفضيل فاتحة الكتاب داخل صلاة الفرض على الفاتحة خارج الصلاة • وقال ابن عبد السلام : الفضائل ضربان أحدهما فضل الجمادات كفضل الجوهر على الذهب وفضل الذهب على الفضة وفضل الفضة على الحديد وفضل الانوار على الظلمات وفضل الشفاف على غير الشفاف وفضل اللطيف على الكثيف والنير على المظلم والحسن على القبيح، والضرب الثانى فضائل الحيوان وهى أقسام أحدها حسن الصور ( الثانى ) قوة الاجسام كالقوى الجاذبة والممسكة والدافعة والغاذية والقوى على الجهاد والقتال وحمل الاعباء والاثقال (والثالث) الصفات الداعية الى الخير والوازعة عن الشر كالغيرة والنخوة والحياء والشجاعة والسخاء والحلم ( الرابع ) العقول ( الخامس ) الحواس ( السادس ) العلوم المكتسبة وهى أقسام كمعرفة

---

(١) فى الفروق « العشرون »

وجود الاله وصفاته الذاتية والسلبية والفعلية ومعرفة ارسال الرسل وانزال الكتب وتنبئة الانبياء ومعرفة ما شرع الله من الاحكام الخمسة وأسبابها وشروطها وموانعها ومعرفة الاحوال الناشئة مما ذكر من المعارف كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل والتعظيم والاجلال والقيام بطاعة الله تعالى فى كل ما أمر به ونهى عنه وما رتبه الله تعالى على هذه المعارف والاحوال والطاعات من لذات الآخرة وافراحها بالنعيم الجثمانى والروحانى كلذة الامن من عذاب الله والانس بقربه وجواره وسماع كلامه وسلامه مصحوبة بالرضا الدائم والنعيم المقيم والنظر الى وجهه الكريم مع الخلاص من العذاب الاليم،

فهذه فضائل بعضها من بعض فمن اتصف بأفضلها كان أفضل البرية ولا شك أن معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته ولذات رضاه والنظر الى وجهه الكريم أفضل مما عداهن وأفضل الملائكة من قام به أفضل هذه الصفات فان تساوى اثنان من الملائكة فى ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر وكذا أن تساوى الملك والبشر فى ذلك لم يفضل أحدهما على الآخر فان فضل الملك على البشر بشيء من ذلك كان أفضل منه وان فضل البشر على الملك بشيء من ذلك كان أفضل منه ، والفضل منحصر فى أوصاف الكمال والكمال اما بالمعارف والطاعات والاحوال واما بالافراح والملذات فاذا أحسن الله تعالى الى أجساد الانبياء بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأحسن الى أرواحهم بالمعارف الكاملة والاحوال المتوالية وأذاقهم لذة النظر اليه وسرور رضاه عنهم وكرامة تسليمه عليهم فأين للملك مثل هذا ؟ واعلم أن

الاجساد مساكن الارواح وللساكن والمسكن أحوال ، أحدها أن يكون الساكن أشرف من المسكن ، الثانية أن يكون المسكن أشرف من الساكن ، الثالثة أن يستويا فى الشرف فلا يفضل أحدهما على الآخر ، فاذا كان الشرف للساكن فلا مبالاة بخساسة المسكن واذا كان الشرف للمسكن فلا يشرف به الساكن — والاجساد مساكن الارواح ، ثم ذكر اختلاف الناس في التفضيل الواقع بين البشر والملك فقال : ان فاضل بينهما من جهة تفاوت الاجساد التى هى مساكن الارواح فأجساد الملائكة أشرف وأفضل من أجساد البشر المركبة من الاخلاط ، وان فاضل بين أرواح البشر وأرواح الملائكة

مع قطع النظر عن الاجساد التى هى مساكن الارواح فأرواح الانبياء أفضل من أرواح الملائكة لأنهم فضلوا عليهم بالارسال ورسل الملائكة قليل لأن رسول الملائكة يأتى الى نبى واحد ورسول البشر يأتى الى الامم والى أمة واحدة فيهديهم الله تعالى على يديه فيكون له أجر تبليغه ومثل أجر من اهتدى على يديه وليس مثل هذا للملائكة ، وبالجهاد فى سبيل الله وبالصبر على مصائب الدنيا ومحنها والله تعالى يحب الصابرين، ولا عبرة بفضل أجساد الملائكة على أجساد الانبياء لأن الاجساد مساكن ولا شرف بالمساكن وانما الشرف بالاوصاف القائمة بالساكن فالاعتبار بالساكنين دون المساكن فان الانبياء قد سكنوا فى بطون أمهاتهم مع القطع بأنهم أفضل من أمهاتهم فروح المسيح أفضل من جسد مريم وكذلك روح ابراهيم أفضل من جسد أمه وروح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جسد أمه

فاذا تقرر هذا فى أسباب التفضيل فاعلم أن هذه الاسباب الموجبة للتفضيل قد تتعارض فيكون الافضل من حاز أكثرها وأفضلها وقد يختص المفضول ببعض الصفات الفاضلة ولا يقدح ذلك فى التفضيل عليه كقوله صلى الله عليه وسلم أقضاكم علي وأفرضكم زيد وأقرؤكم أبى وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأزهدكم أبو ذر • رضى الله عنهم • مع أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أفضل من الجميع ، وكذلك الانبياء فخص سليمان بالملك العظيم ونوح بالانذار المئين من السنين ، وآدم أبا البشر مع تفضيل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، فلولا جواز تخصيص المفضول بما ليس للفاضل للزم التناقض ، فلا جرم علمنا أن التفاضل ما بين الملائكة والأنبياء عليهم السلام انما هو بالطاعات وكثرة المثوبات والاحوال السنيات وشرف النبوات والرسالات والدرجات العليات فكل من كان فيها أتم فهو أفضل ، وفيما ذكر من تعداد أسباب التفضيل الرد على المأمون بن هرون الرشيد الخليفة فى زعمه أن أسباب التفضيل أربعة وكلها فى على رضى الله عنه أكمل منها فى غيره فزعم أنه أفضل الصحابة وهى العلم والشجاعة والكرم وشرف النسب • وأخذ يرد على الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ويرد على أهل السنة فبطل بما ذكر دعوى هذا الحصر وكان المامون هذا

رافضيا معتزليا قدريا ، ومسائل التفضيل كثيرة بين الانبياء والصحابهوالملائكة والله تعالى أعلم • وقد بسطنا العبارة وذكرنا ما لعله يفيد المطلوب غير أن الاعراض عن كثير مما ذكر كان أليق بشرح هذه الارجوزة وبالله التوفيق

الباب السادس الامامةومتعلقاتها

(( البـــــاب السادس
في ذكر الامامة ومتعلقاتها ))

(( ولا غنى لأمة الاســــلام — في كل عصر كان عن امام ))
(( يذب عنها كل ذى جحــود — ويعتنى بالغـــزو والحدود ))
(( وفعل معـروف وترك نكر — ونصر مظلوم وقمع كفــــر ))
(( وأخذ مال الفيء والخراج — ونحوه والصرف فى منهاج ))

قال علماؤنا كغيرهم : نصب الامام الاعظم فرض كفاية لأن الصحـــابة رضى الله عنهم أجمعوا على أن نصبه واجب بعد انقراض زمنالنبوة بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلافهم فى تعيينه لا يقدح فى الاجماع المذكور ، ولتلك الاهمية لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت فلا بد لهذا الامر ممـــن يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم • قالوا صدقت ننظر فيه فلهذا قلنا (( ولا غنى )) ولا مندوحة ولا بد (( لأمة )) دين (( الاسلام )) وهى بالضم الجماعة أرسل اليهم رسول والجيل من كل حى ومن هو على الحق مخالف لسائر الاديان والرجل الجامع للخير • وفى نسخة لملة بدل أمة وهى بكسر الميم الشريعة أو الدين (( فى كل عصر )) من الاعصار وزمن من الازمان (( كان )) أى وجد وحصل واستمر (( عن امام )) متعلق بقوله لا غنى بل هو فرض لازم وواجب جازم ووجوبه عند أهل السنة وأكثر المعتزلة بالسمع يعنى التواتر والاجماع • وزعم جمهور المعتزلة أن وجـــوبه بالعقل ووجه وجوبه شرعا لمسيس الحاجة اليه فانه صلى الله عليه وسلم أمر باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد وحمايةالبيضة

والذب عن الحوزة ولذا قال ((يذب)) بفتح المثناة التحتية وضم الذال المعجمة وتشديد الموحدة أى يدفع ويمنع (( عنها )) أى عن ملة الاسلام وبيضة الدين (( كل )) ملك جبار وملحد مغوار ومعتد مهذار وظلوم كفار (( ذى )) أى صاحب (( جحود )) اى انكار يقال جحده حقه وبحقه كمنعه جحدا وجحودا انكره مع علمه ، والمراد به هنا الجاحد للدين القويم والضال عن الصراط المستقيم واضرابه (( ويعتنى )) ذلك الامام المنصوب - يقال عناه الامر يعنيه ويعنوه عناية وعنايةوعنيا أهمه واعتنى به اهتم (( بالغزو )) أى غزو الكفار وقهر أهل البغى والفجار، يقال غزاه غزوا أراده وطلبه وقصده كاغتزاه وغزا العدو سار الى قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوناه فهو غاز ، فيقاتل من عاند الاسلام بعدالدعوةحتى يسلم أو يدخل فى الذمة (( و )) يعتنى الامام المنصوب ايضا باقامة (( الحدود )) جمع حد وهو لغة المنع والفصل بين شيئين، وحدود اللهتعالى محارمه كقوله تعالى ( تلك حدود الله فلا تقربوها ) وحدود الله أيضا ما حده وقدره،والحدود العقوبات المقدرة سميت بذلك لانها تمنع من الوقوع فى مثل الذنب الذى رتبت تلك العقوبة عليه أو لكونها زواجر عنها أى المحارم التى حرمها الله تعالى ، فيقيم الحدود لتصان محارم اللهتعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق العباد من الاتلاف والاستهلاك (( و )) يعتنى أيضا بالامر بـ (( فعل معروف )) وقد تكرر ذكره فى الاحاديث النبوية والنصوص السماوية وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندباليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات ، وهو من الصفات الغالبة أى أمر معروف بين الناس اذا رأوه لا ينكرونه (( وترك نكر )) معطوف على ما قبله أي ويعتنى أيضا بالنهى عن كل منكر وهو ضد معروف فكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر (( و )) يعتنى المنصوب بـ (( نصر مظلوم )) من ظالمه بتخليصه من نحو سجنه وردظلامته عليه من ظالمه وأخذ حقه ممن هو عليه ونحو ذلك (( وقمع )) أهل (( كفر )) أى قهرهم وذلهم يقال قمعه كمنعهوأقمعه والمقموع المقهور لان ذلك من أجل المقاصد الشرعية والمصالح الاسلامية (( و )) يعتنى أيضا

« (( أخذ مال الفيء )) أصل الفيء مصدر فاء يفيء فيئا اذا رجع ثم أطلق على المال الحاصل من جهاته المذكورة في كتب الفقه سمي فيئا لانه راجع منها الى اهل الاسلام كأنه في الاصل لهم ثم رجع اليهم ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في السياسة الشرعية : سمي فيئا لأن الله تعالى افاءه على المسلمين أي رده عليهم من الكفار فان الاصل ان الله تعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه تعالى انما خلق لعبادته فالكافرون به أباح أنفسهم التي لم يعبدوه بها وأموالهم التي لم يستعينوا بها على عبادته لعباده المؤمنين الذين يعبدونه فأفاء اليهم ما يستحقونه كما يعاد على الرجل ما غصب من ميراثه وان لم يكن قبضه قبل ذلك. وهو ما اخذ من مال كافر بحق الكفر بلا قتال كالجزية (( والخراج )) وزكاة تغلبي وعشر مال تجارة حربي ونصفه من ذمي (( ونحوه )) أي نحو ما ذكر كالمال الذي تركه الكفار فزعا وهربوا وبذلوه فزعا منا في الهدنة وغيرها وخمس الخمس من الغنيمة ومال من مات من الكفار ولا وارث له ومال المرتد اذا مات على ردته بقتل أو غيره أو لحق بدار حرب (( و )) يعتني أيضا بـ (( الصرف )) لذلك المال المذكور (( في منهاج )) أي طريق وجهة مصرفه المعينة له شرعا فيصرف في مصالح أهل الاسلام ويبدأ من ذلك بالاهم فالاهم من المصالح العامة لاهل الدار التي بها حفظ المسلمين من وظائف جند الاسلام وعمارة الثغور وكفاية أهلها وما يحتاج اليه من يدفع عن المسلمين من السلاح والكراع وسد البثوق وكرى الانهار وعمل القناطر على الطرق والمساجد وأرزاق القضاة والأئمة والمؤذنين والفقهاء ومن يحتاج اليه المسلمون وكل ما يعود نفعه على المسلمين فان فضل منه شيء قسم بين المسلمين غنيهم وفقيرهم نعم لا يفرد العبد بالعطاء بل يزاد سيده ، واختار شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه أنه لاحظ للرافضة فيه ذكره المحقق ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد عن الامامين مالك وأحمد رضى الله عنهما .

وكل ما ذكر من اقامة الحدود وسد الثغور وحفظ بيضة الاسلام واجب وما لا يتم الواجب المطلق الا به فهو واجب فلهذا قلنا ولا غنى لملة الاسلام

عن اقامة امام فنصبه فرض كفاية اذ فى نصبه جلب منافع لا تحصى ودفع مضار لا تستقصى وكل ما كان كذلك فهو واجب فان جلب المنافع ودفع المضار المترتبة على نصب الامام تكاد تلحق بالضرورات بل بالمشاهدات بشهادة ما تراه من الفتن والفساد وانفصام أمور العباد بمجرد موت الامام وان لم يكن على ما ينبغى من الصلاح والسداد فاقامه الامام فرض كفاية عند أهل السنة ومن وافقهم بالاجماع ، وعند من قال بالوجوب عقلا من المعتزلة كأبى الحسين والجاحظ والخياط والكعبى فالبضرورة ،وأما مخالفة الخوارج ونحوهم فى الوجوب فلا اعتداد بها لان مخالفتهم كسائر المبتدعة غير قادح فى الاجماع ولا يخل بما يفيده من القطع بالحكم المجمع عليه ، ودعوى ان فى نصبه ضررا من حيث ان الزام من هو مثله بامتثال أو امره فيه اضرار به فيؤدى الى الفتنة ومن حيث انه غير معصوم من نحو الكفر والفسوق فان لم يعزل أضر بالناس وان عزل أدى الى محاربة وفيها ضرر باطلة لا ينظر اليها لان الاضرار اللازم من ترك نصبه أعظم وأقبح بل لا نسبة بينهما واذا اجتمع ضرران دفع اعظمهما بأخفهما وجوبا وفرض انتظام الناس بدون امام محال عادة كما هو مشاهد

**أوجه تولى الامامة وشروطه**

(( ونصبه بالنص والاجماع     وقهره فحل عن الخداع ))
(( وشرطه الاسلام والحريه     عدالة سمع مع الدريه ))
(( وان يكون من قريش عالما     مكلفا ذا خبرة وحاكما ))

(( و )) يثبت (( نصبه )) أى الامام الاعظم (( بالنص )) من الامام على استخلاف واحد من أهلها بأن يعهد الامام الى انسان ينص عليه بعد ولا يحتاج فى ذلك الى موافقة اهل الحل والعقد كما عهد ابو بكر الصديق بالخلافة الى عمر الفاروق رضى الله عنهما (( و )) يثبت نصبه أيضا بـ (( الاجماع )) من أهل الحل والعقد من المسلمين كامامة الصديق الاعظم أبى بكر رضى الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بايعه أهل الحل والعقد من العلماء ووجوه الناس الذين هم بصفة الشهود من العدالة وغيرها ثبتت امامته ، وكذا فى جعل الامر شورى فى عدد محصور ليتفق أهل البيعة على أحدهم فاذا اتفقوا على واحد منهم صار اماما

كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث جعل أمر الامامة بين ستة أنفار حتى وقع اتفاقهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنهم أجمعين (( و )) يثبت نصبه أيضا بـ (( قهره )) الناس بسيفه حتى يذعنوا لـه ويدعوه اماما فتثبت له الامامة • قال الامام أحمد رضى الله عنه فى رواية عبدوس بن مالك العطار : ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله يبيت ولا يراه اماما برا كان او فاجرا انتهى • لان عبد الملك بن مروان خرج على ابن الزبير رضى الله عنهما فقتله واستولى على البلاد وأهلها حتى بايعوه طوعا وكرها ودعوه اماما ، ولما فى الخروج عليه من شق عصا المسلمين واراقة دمائهم وذهاب أموالهم ولهذا قال (( فحل )) أمر ارشاد أى ابعد وزل ومنه ( لا يبغون عنهـا حولا ) (( عن الخداع )) متعلق بحل من خدعه كمنعه خدعا ويكسر ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم كاختدعه فانخدع والاسم الخديعة ، يعني اترك مخادعة اهل البدع وتزويق ما يظهرون من جواز الخروج على الامام وعن طاعته وزعمهم عدم وجوب نصبه فانهم ضالون ومن وافقـهم صار منهم* ثم أخذ فى ذكر شروط الامام المنصوب وما يعتبر أن يكون فيه ومتصفا به على سبيل الوجوب (( وشرطه )) أى يشترط فيه (( الاسلام )) لان غير المسلم لا يكون له على المسلمين سبيل (( والحرية )) لان الرقيق بجميع أنواعه عليه الولاية فلا يكون واليا على غيره فضلا عن عامـة المسلمين وخاصتهم وأما حديث « اسمعوا له وأطيعوا ولو ولى عليكم عبد أسود كان رأسه زبيبة » محمول على نحو أمير سريـة • وشرطه أى يشترط فيه أيضا (( عدالة )) لاشتراط ذلك فى ولاية القضاء وهى دون الامامة العظمى نعم ان قهر الناس غير عدل فهو امام كما تقدم نص الامام أحمد رضى الله عنه فى مثل ذلك • ويعتبر فيه ايضا (( سمع )) أى ان يكون سميعا بصيرا ناطقا لان غير المتصف بهذه الصفات لا يصلح لسياسة الخلق ((مع الدرية)) بفتح الدال المهملة وكسر الراء وتشديد التحتية فهاء تأنيث من الدراية وهى العلم والخبرة يقال دريت الشيء ودريت به دريـا ودريانا بالكسر ودريا كحبلى علمته او بضرب من الحيلة كما فى القاموس

وأريد به اعتبار كونه عالما بالاحكام المتعلقة بالسياسة والحروب ذا بصيرة قد علم بأحوال الناس ومكرهم وختلهم وخبر احوالهم لاحتياج الامام الى جميع ذلك بخلاف المغفل فلا يصلح للامامة العظمى (( و )) يعتبر ايضا (( أن يكون )) الامام (( من قريش )) وهو من كان من نسل فهر - بكسر الفاء وسكون الهاء - ابن مالك بن النضر - واسمه قيس بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة - واسمه عمرو بن الياس - واسمه حبيب بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ففهر جماع قريش فى قول الكلبى وغيره من العلماء فى أنساب العرب وسموا قريشا لانهم كانوا يقرشون عن خلة الناس بفتح الخاء المعجمة أى حاجتهم وفقرهم ومعناه ينقبون عنها ويستعلمونها ليغنوهم ويسدوا خلتهم، وكأن ذلك من قولهم تقارشت الرماح اذا تداخلت فى الحرب لان المستعلم المستخبر يداخل احوال الذى يطلب علم حاله ليحصل له مقصوده، وقيل أنه مأخوذ من التقريش وهو التعييش لانهم كانوا يعيشون الحاج فيطعمون الجائع ويكسون العارى ويحملون المنقطع قال الجوهرى القرش الكسب والجمع وقد قرش يقرش بالكسر قال الفراء وبه سميت قريش وقيل سموا بدابة عظيمة تأكل الدواب فى البحر وقيل غير ذلك ، وانما اشترط كونه من قريش لقوله صلى الله عليه وسلم « الائمة من قريش » رواه الامام أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى من حديث ابى برزة رضى الله عنه ، وروى الترمذى نحوه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ولفظه « الملك فى قريش » وسنده صحيح • وروى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال « الخلافة فى قريش » ورواه الطبرانى أيضا ، وروى البزار من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الامراء من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها » وفى الحديث « قدموا قريشا ولا تقدموها » وقول الصديق والمهاجرين للانصار ان العرب لا تدين الا لهذا الحى من قريش ورووا لهم فى ذلك الاخبار• ويعتبر أن يكون (( عالما )) بالاحكام الشرعية لاحتياجه الى مراعاتها فى أمره ونهيه وأن يكون (( مكلفا )) أى بالغا عاقلا لان غير البالغ العاقل يحتاج لمن يلى أمره فلا يكون واليا على أمر المسلمين

وان يكون ((ذا خبرة)) بتدبير الامور المذكورة فى البلاد والعباد ((و)) أن يكون (( حاكما )) أى قادرا على ايصال الحق الى مستحقه وكف ظـــلم المعتدى وقمع أهل الافتراء والاعتداء وقادرا على اقامة الحدود وقمع أهل الضلال والجحود لا تأخذه رأفة فى اقامة الحدود والذب عن الامة • فان عقدت لأكثر من واحد فهى للاول فان فسق الامام بعد العدالة المقارنـــة للعدل لم ينعزل على الاصح الاشهر ، ولا تشترط عصمته فى حال من الاحوال ولا كونه أفضل الامة ولا كونه هاشميا أو اظهار معجزة على يده يعلم بها صدقه خلافا للرافضة وهذا من خرافاتهم وجهالاتهم • ومن جهالاتهم أيضا زعمهم ان غير المعصوم يسمى ظالما فيتناوله قوله تعالى ( لا ينـــال عهدى الظالمين ) اذ الظالم لغة من يضع الشيء فى غير محله وشرعا العاصى ، ولا يلزم من كونه غير معصوم ان يكون عاصيا ولا ظالما لجواز كونه محفوظا فلا يصدر عنه ذنب او اذا صدر عنه ذنب تاب منه توبة نصوحا

(( وكن مطيعا أمره فيما أمــر  ما لم يكن بمنكـــر فيحتـذر ))

**وجوب طاعته بشرطه**

(( و )) اذا عقدت له الامامة فصار اماما للمسلمين ف (( كن مطيعا )) أنت وسائر رعيته (( امره فيما )) أى فى الشيء الذى (( أمر )) به ان كان طاعة والحاصل ان طاعته تجب فى الطاعة وتسن فى المسنون وتكره فى المكروه فاذا أمر بمعروف وجب امتثال أمره (( ما لم يكن )) أمره (( ب )) شيء (( منكر )) ضد المعروف (( ف )) لا يطاع فى ذلك بل (( يحتذر )) ويجتنب فلا تجب طاعته فى المعصية بل تحرم اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق • قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى صدر كتابه السياسة الشرعية ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير وجه انه قال « ان الله يرضى ثلاثا ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه أمركم » قال وآية الامراء فى كتاب الله تعالى هى قوله ( ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصـــــيرا * يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليـــوم

الآخرذلك خير وأحسن تأويلا ) قال نزلت الآية الاولى فى ولاة الامور وعليهم أن يؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ، ونزلت الآية الثانية فى الرعية من الجيوش وغيرهم أن يطيعوا أولى الامر الفاعلين لذلك فى قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك الا أن يأمروا بمعصية الله تعالى فاذا أمروا بمعصية الله تعالى فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فان تنازعوا فى شىء ردوه الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وان لم يفعل ولاة الامور ذلك أطيعوا فى ما يأمرون به من طاعة الله لان ذلك من طاعة الله ورسوله واديت حقوقهم اليهم كما أمر الله ورسوله وأعينوا على البر والتقوى ولا يعاونون على الاثم والعدوان ، فعلى ولى الامر ان يولى على كل عمل من اعمال المسلمين اصلح من يجده لذلك العمل فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » رواه الحاكم فى صحيحه وفى رواية « من قلد رجلا عملا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة او قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين . والله تعالى الموفق .

**فصل فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر**

(( فصل فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ))

ولما كان صلاح العباد فى المعاش والمعاد لا يتم ولا يصلح ولا يستقيم لهم حال الا بذلك قال :

(( واعلم بأن الامر والنهى معا    فرضا كفاية على من قد وعا ))<br>
(( وان يكن ذا واحدا تعينا    عليه لكن شرطه أن يأمنا ))<br>
(( فاصبر وزل باليد واللسان    لمنكر واحذر من النقصان ))

(( واعلم )) أيها المتبحر فى علم أصول الدين المحرر لدعائم الدين وقواعد الحق المبين (( بأن الامر )) أى بالمعروف وتقدم انه اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس كما تقدم قريبا (( والنهى )) عن المنكر وهو ضد المعروف (( معا )) أى كل واحد منهما

منفردا وكلاهما (( فرضا كفاية )) على جماعة المسلمين يخاطب بهالجميع ويسقط بمن يقوم به بخلاف فرض العين فانه يجب على كل واحد ولا يسقط عنه بفعل غيره (( على من )) أى انسان أو الذى (( قد وعا )) ه اى حفظ حكمه وعلمه وذلك لان اصلاح المعاش والمعاد انما هو بطاعة اللـــه ورسوله وامتثال أوامره والانتهاء عن زواجره ولا يتم ذلك الا بالامـــر بالمعروف والنهى عن المنكر وبه صارت هذه الامة خير أمة أخرجت للناس قال تعالى ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ) وقال تعالى ( ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ) وقال تعالى ( والمؤمنـــون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) وقال عن بنى اسرائيل ( كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وفى الحديث الثابت عن أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس اذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه » وفي لفظ من عنده رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والنسائي ولفظه : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان القوم اذا رأوا المنكر فلم يغيروهعمهم الله بعقاب » وفى رواية لأبى داود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرون على أن يغيرواثملايغيرواالا يوشك أن يعمهمالله منه بعقاب » وفى رواية « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » •

(( وان يكن ذا )) أى الذى علم بالمنكر وتحققه وشاهده وهو عارف بما ينكر (( واحدا )) أو كانوا عددا لكن لا يحصل المقصود الا بهم جميعـا (( تعينا )) أى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وصارا فرضعين ((عليه)) أو عليهم للزومه عليهم (( ولكن شرطه )) أى شرط افتراضه على الجماعة

أو الواحد سواء كانا فرض كفاية أو عين (( ان يأمنا )) بألف الاطلاق على نفسه وماله ولم يخف سوطا ولا عصا ولا أذى ولا فتنة تزيدعلى المنكر ، وقيل ان زادت وجب الكف وان تساويا سقط الانكار . قال الامام أحمد رضى الله عنه : يأمر بالرفق والخضوع فان اسمعود ما يكره لا يغضب فيكون يريد أن ينتصر .ولهذا قال « فاصبر » على الاذى ممن تأمره وتنهاه ولا تغضب لنفسك بل لله (( وزل )) المنكر وغيره من زاله عن مكانه يزيله زيلا وازالة وازالا (( باليد )) وهو أعلى درجات الانكاروازالة المنكر كاراقة الخمر وكسر أوانى الذهب والفضة والحيلولة بين الضارب والمضروب ونحوه ورد المغصوب الى مالكه (( و )) غير المنكر ب ((اللسان)) حيث لم تستطع تغييره باليد بان تعظه وتذكره بالله وأليم عقابه وتوبخه وتعنفه مع لين واغلاظ بحسب ما يقتضيه الحال وقد يحصل المقصود فى بعض المحال بالرفق والسياسة بأزيد وأتم مما يحصل بالعنف والرياسة كأن يقول لمن رآه متكشفا فى نحو حمام استر سترك الله ونحو ذلك

(( لمنكر )) متعلق بزل وفي نسخة بدل زل « ذد » أي اطرد وامنع للمنكر باليد واللسان (( واحذر )) من النزول عن أعلى المراتب حيث قدرت على أن تغير المنكر بيدك الى أوسطها وهو الانكار باللسان الا مع العجز عن ذلك ثم انه لا يسوغ لك العدول عن التغيير للمنكر باللسان وأنت تقدر عليه الى الانكار بالقلب فان لم تستطع تغيير المنكر لا بيدك ولا بلسانك فاعدل الى الانكار بقلبك وهو أضعف الايمان فلذا حذر (( من النقصان )) واشار بذلك الى حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان » رواه مسلم والترمذى وابن ماجه والنسائى ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من رأى منكم منكرا فغيره بيده فقد برىء ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء وذلك أضعف الايمان » وفى صحيح مسلم أيضا من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وفى هذا الباب عدة أحاديث وقد دلت كلها على انكار المنكر بحسب القدرة عليه وان انكاره بالقلب لا بد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الايمان من قلبه • وقد روى عن ابى جحيفة رضى الله عنه قال قال على رضى الله عنه أن أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله • وقال ابن مسعود رضى الله عنه هلك من لم يعرف المعروف وينكر المنكر بقلبه • يشير الى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعرفه هلك وأما الانكار باليد واللسان فانما يجب بحسب الطاقة • وفى سنن أبى داود عن العرس بن عمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ومن غاب عنها ورضيها كان كمن شهدها » وخرج ابن أبى الدنيا نحوه عن أبى هريرة مرفوعا • واعلم ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع كون ذلك واجبا تارة يحمل عليه رجاء الثواب ، وتارة خوف العقاب فى تركه ، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه ، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء انقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته فى الدنيا والآخرة ، وتارة يحمل عليه اجلال الله واعظامه ومحبته وأنه أهل أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وان يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والاموال كما قال بعض السلف وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وان لحمى قرض بالمقاريض ، فمن لحظ ما ذكرناه هان عليه ما يلقاه من الاذى فى الله عز وجل ، قال سفيان الثورى قدس الله روحه لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر الا من كانت فيه خصال ثلاث رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عدل بما يأمر عدل

بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى . وقال الامام أحمد رضى الله عنه : الناس يحتاجون الى مداراة ورفق ، الامر بالمعروف بلا غلظة الا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له . ولاعتبار كون الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر عدلا بما ينهى أشار بقوله

(( ومن نهى عما له قد ارتكب فقد أتى مما بـه يقضى العجب ))

ابدأ بنفسك (( فلو بدا بنفسه فذادهـا عن غيها لكان قد أفادها ))

(( ومن )) أن أى انسان أو الذى (( نهى )) الخلق (( عما )) أى الشىء الذى (( له )) أى لذاك الشىء الذى نهى الناس عنه (( قد ارتكب )) وفعله وخالف قوله عمله من فعل المحظور وترك المأمور (( فقد )) والله (( اتى )) من قاله وحاله (( مما )) أى من العمل الذى (( به )) أى منه (( يقضى )) بانبنائه لما لم يسم فاعله (( العجب )) نائب الفاعل أى يقضى العقلاء وأهل العلم والحزم من مخالفة قوله لعمله العجب ، أى يحكمون ويقطعون بالعجب وهو انكار ما يرد عليك ويخفى سببه ، والمراد انه يعظم عليهم ذلك ويكبر لديهم ان ينهى عن القبيح ويأتيه ويأمر بالحسن ولا يأتيه ، وقد ورد التحذير عن مثل ذلك كما فى حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه ـ أى أمعاؤه ومعنى تندلق أى تخرج ـ فيدور فيها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » رواه البخارى ومسلم . وفى صحيح مسلم عنه رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولـون ما لا يفعلون » وروى نحوه ابن ابى الدنيا من حديث أنس رضى الله عنـه مرفوعا وفيه فقال : الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون . ورواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى . وروى الطبرانى باسناد حسن عن جندب بن عبد الله الازدى

رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه » وروى الاصبهانى عن أنس رضى الله عنه مرفوعا « ان الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه سواء ويكون لسانه مع قلبه سواءولا يخالف قوله عمله ويأمن جاره بوائقه » كان الحسن البصرى رحمه الله اذا خرج الى الناس فكأنه رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها فكانوا اذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لا يعدون الدنيا شيئا ، وكان الامام احمد لا تذكر الدنيا فى مجلسه ولا تذكر عنده ، انما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب قوى الذراعين فيؤلم ضربه فيردع فاما من هو سقيم البدن لا قوة له فماذا ينفع تأديبه بالضرب ؟ والنفوس مجبولةعلى عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به وهذا بمنزلة من يصف له الطبيب دواء لمرض به مثله والطبيب معرض عنه غير ملتفت اليه بل الطبيب احسن حالا من هذا الآمر المخالف لما أمر به لانه قد يقوم عند الطبيب دواء آخر مقام هذا الدواء وقد يرى ان به قوة على ترك التداوى بخلاف الواعظ فان ما يعظ به طريق النجاة لا يقوم غيرها مقامها فلا بد منها ولهذه النفرة قال شعيب عليه السلام لقومه ( وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ) وقال بعض السلف اذا أردت أن يقبل منك الامر والنهى فاذا أمرت بشىء فكن أول الفاعلين له المؤتمرين به واذا نهيت عن شىء فكن أول المنتهين عنه ولهذا قال (( فلو بدا )) الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر قبل أمرهونهيه لغيره (( بنفسه )) متعلق ببدا (( فذادها )) اى منعها وردها (( عن غيها )) متعلق بذادها أى عن ضلالها والغى الضلال والانهماك فى الباطل ومنه حديث الاسراء « لو اخذت الخمر غوت أمتك » أى ضلت (( لكان )) بدايته بارشاد نفسه وردها عما هى فيه من ارتكاب مهاوى الهوى والضلال والغى والوبال (( قد افادها )) النجاة والسلامة والرشد والاستقامة فان الناصح الشفيق والمرشد الرفيق يبدأ فى ارشاده من الامم بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب من ذوى الرحم ولا أهم ولا اقرب اليه من نفسه التى بين جنبيه وقد قال من أفصح فى المقال ونصح لمن كان له قلب أو ألقى

البال وترك الوبال .

يا أيها الرجل المعلم غيـــره　　هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام من الضنا　　كى يشتفى منه وانت سقيم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله　　عار عليك اذا فعلت عظيـــم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها　　فاذا انتهت عنه فانـت حكـيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى　　بالقول منك وينفع التعليـــم

ولما جلس عبد الواحد بن زيد الواعظ اتته امرأة من الصالحـــات فأنشدته :

يا واعظا قام لاحـ[illegible]　　بزجر قوما عن الذنـوب
تنهى وأنت المريب حقـــا　　هذا من المنكر العجيـب
لو كنت أصلحت قبل هـــذا　　عيبك أو تبت من قـريب
كان لما قلت يـ[illegible]ـى　　موقـع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمادى　　وأنت فى النهى كالمـريب

وقـــال آخر :

وغير تقى يأمر الناس بالتقى　　طبيب يداوى الناس وهو سقيم

وجاء رجل الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال أريد ان آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، فقال ان لم تخش ان تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل والا فابدأ بنفسك ثم تلا ( أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ) وقوله تعالى ( لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ) وقوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام ( وما أريد أن أخالفكم الى مـــا أنهاكم عنـــه ) .

## ( تنبيهـــات )

**تنبيهـــات الاول التقصير لايمنع الوجوب**

( الاول ) ما قدمنا من اعتبار كون الآمر بالمعروف والناهى عن المنـكر مستقيم الحال هو عين الكمال والمؤثر أمره ونهيه فى القلوب والذى قاله وحاله ترياق الذنوب فى ظهور الانجاح وادراك الفلاح وأما الوجوب فلا يسقط عن المكلف وان كان بغير تلك الاوصاف بل من غير اهل العدالة والعفاف فعلى مرتكب الذنب النهى عن مثل ما ارتكب لان تركه للمنكر

ونهيه فرضان متميزان ليس لمن يترك احدهما أن يترك الآخر فيجب على متعاطى الكاس ان ينكر على الجلاس لان النهى عن المنكر واجب والانكفاف عن المحرم واجب والاخلال بأحد الواجبين لا يمنع وجوب فعل الآخر ، وقد روى ابن ابى الدنيا باسناد فيه ضعف عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا « مروا الناس بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تتناهوا عنه كله » وقيل للحسن ان فلانا لا يعظ ويقول اخاف ان أقول ما لا أفعل فقال الحسن وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان انه قد ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر • وقال الامام مالك عن ربيعة قال سعيد بن جبير لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر احد بمعروف ولا نهى عن منكر • قال الامام مالك ( وصدق ) ومن ذا الذى ليس فيه شيء !

**الثانى النهى عن التجسس**

( الثانى ) متعلق وجوب الانكار الرؤية للمنكر وتحققه فلو كان مستورا فلم يره ولكن علم به فالمذهب يجب عليه الانكار لتحققه والمنصوص عن الامام أحمد فى أكثر الروايات انه لا يتعرض له ولا يفتش على ما استراب وقد روى عنه انه يكسر المغطى اذا تحققه وهذا المعتمد ، وأما اذا سمع صوت ملهاة ولم يعلم مكانه فلا شيء عليه وأما تسور الجدران على من علم اجتماعهم على منكر فقد أنكره الائمة مثل سفيان الثورى وغيره وهو داخل فى التجسس المنهى عنه ، نعم قال القاضى ابو يعلى فى كتابه الاحكام السلطانية ان كان فى المنكر الذى غلب على ظنه الاستسرار به باخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزنا والقتل جاز التجسس والاقدام على الكشف والبحث حذرا من فوات استدراك انتهاك المحارم وان كان دون ذلك فى الرتبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه •انتهى• وحكمة عدم وجوب التفتيش مع وجود النصوص على التجسس ان المعاصى اذا أخفيت انما تضر من يعملها واذا أعلنت ضرت العامة فأخرج الامام احمد من حديث عدى بن عميرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه فاذا فعلوا

ذلك عذب الله الخاصة والعامة » وخرج الامام أحمد ايضا وابن ماجه من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول : ما منعك اذ رأيت المنكر أن تنكره ؟ فاذا لقن الله عبدا حجته قال يارب رجوتك وفرقت الناس » وأخرجا من حديثه أيضا مرفوعا « لا يحقر احدكم نفسه، قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال : يرى أمرا لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله له يوم القيامة ما منعك ان تقول فى كذا وكذا ؟فيقول : خشية الناس، فيقول : اياى كنت أحق أن تخشى» فهذا محمول على أن المانع له من الانكار مجرد الهيبة دون الخوف المسقط للانكار فان خاف على نفسه السيف او السوط أو الحبس أو القيد أو النفى أو أخذ المال أو نحو ذلك من الاذى أو خاف مثل ذلك على أهله وجيرانه سقط وجوب الانكار وقد نص على ذلك الائمة منهم مالك بن أنس وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وغيرهم. قال الامام أحمد لا يتعرض للسلطان فان سيفه مسلول ، وقال ابن شبرمة : الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد ان يصابر فيه الاثنين ويحرم عليه الفرار منهما ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك . وأما مجرد خوف السب أو سماع الكلام السيء فلا يسقط الانكار ـ نص عليه الامام أحمد ،وان احتمل الاذى وقوى عليه فهو افضل . نص عليه وقال « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » وهذا رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى من حديث ابى سعيد رضى الله عنه مرفوعا ، وخرج ابن ماجه معناه من حديث ابى امامة . وفى مسند البزار عن أمين الامة ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أى الشهداء أكرم على الله ؟ قال « رجل قام الى امام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن منكر فقتله ، وحديث « لا ينبغى للمؤمن ان يذل نفسه » يدل على أنه علم انه لا يطيق الاذى ولا يصبر عليه فلا يتعرض حينئذ للامر والنهى ، وهذا حق وانما الكلام فى من علم من نفسه الصبر كذلك قاله الامام احمد وسفيان والفضيل بن عياض وغيرهم

**الثالث حكم من علم انه لا يقبل منه**

(الثالث) اذا علم انه لايقبل منه فهل يسقط وجوب الامر والنهى ؟حكى

القاضي أبو يعلى عن الامام أحمد رضى الله عنه في ذلك روايتين وصحح القول بوجوبه ، قال الحافظ ابن رجب وهو قول اكثر العلماء • وقد قيل لبعض السلف في هذا فقال تكون معذرة ، وهذا كما اخبر الله عن الذين انكروا على المعتدين في السبت انهم قالوا لمن قال لهم ( اتعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ) وقد ورد مايستدل به على سقوط الامر والنهي عند عدم القبول والانتفاع ففي سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي عن أبي ثعلبة الخشني رضى الله عنه قيل له كيف تقول، في هده الآية ( عليكم أنفسكم ) فقال أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بل ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام » وقد روى معنى هذا من عدة وجوه وقال العلامة ابن حمدان في نهاية المبتدئين : ويجوز الانكار فيما لايرجى زواله وان خاف أذى ، وقيل لا ، وقيل يجب ، ولايجب الانكار فيما فات ومضى الا في العقائد والآراء •

**الرابع بيان المنكر الواجب انكاره**

( الرابع ) الذي يجب انكاره من المنكر هو ماكان مجمعا عليه فأما المختلف فيه فمن علمائنا من قال لايجب انكاره على من فعله مجتهدا فيه أو مقلدا لمجتهد تقليدا سائغا واستثنى القاضي في الاحكام السلطانية ماضعف فيه الخلاف وكان ذريعة الى محظور منفق عليه كنكاح المتعة فانه ذريعة الى الزنا المجمع على تحريمه • وذكر عن ابى اسحاق بن شاقلا أنه ذكر ان المتعة هي الزنا صراحا • وقال ابن بطة لايفسخ نكاح حكم به قاض اذا كان قد تأول فيه الا ان يكون قضى لرجل بعقد متعة ، والمنصوص عن الامام احمد رضى الله عنه الانكار على اللاعب بالشطرنج وتأوله القاضي على من لعب بها بغير اجتهاد أو تقليد سائغ ونظر فيه الحافظ ابن رجب بأن المنصوص عنه أيضا أن يحد شارب النبيذ المختلف فيه واقامة الحد ابلغ مراتب الانكار فدل على انه ينكر كل مختلف فيه ضعف الخلاف فيه لدلالة السنة على تحريمه وان لم يخرج فاعله المتأول من العدالة بذلك والله اعلم • وكذا نص الامام أحمد رضى الله عنه على

الانكار على من لا يتم صلاته ولا يقيم صلبه من الركوع والسجود مع وجود الاختلاف في وجوب ذلك لضعف مثل هذا الاختلاف لمصادمته للنصوص عن صاحب الشريعة والله أعلم ٠

**الخامس مستند الوجوب الشرع**

( الخامس ) وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة ودليله بالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فكقوله تعالى ( ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) وتقدم فى أول الفصل ، وأما السنة فقد ذكرنا منها مايحصل به المقصود ، وأما الاجماع فلان المسلمين كانوا فى الصدر الاول ومن بعدهم يتواصون بذلك ويوبخون تاركه مع القدرة فعلى الناس اعانة الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر ونصره على ذلك ، وما يختص علمه بالعلماء يختص انكاره بهم وبمن يأمرونه به من الولاة والعوام ، ومن التزم مذهبا أنكر عليه مخالفته بلا دليل ظاهر ولاتقليد سائغ أو عذر ظاهر والله تعالى الموفق ٠

---

**الخاتمةفى فوائد**

(( الخاتمة ))

( نسأل الله تعالى حسن الخاتمه )

فى فوائد جليلة وفوائد جزيلة لايسع من خاض فى مثل هذه العلوم الجهل بها وهى قسمان مفردات ومركبات كما قال الامام الموفق ولذا قال :

**مدارك العلوم**

(( مدارك العلوم فى العيان
محصورة فى الحد والبرهان ))
(( وقال قوم عند اصحاب النظر
حس واخبار صحيح والنظر ))

(( مدارك العلوم )) المدارك جمع مدرك من أدرك الشيء بالشيء واستدركه حاول ادراكه به وادرك الشيء احاط به وبلغ وقته وانتهى الى العلم به والاحاطة بحكمه ، والمراد المدرك بالعقول لأنا نشاهد قطعا آثار العقول فى الآراء والحكم والحيل وغيرها متفاوتة وذلك يدل على

تفاوت العقول في نفسها ، والعقول جمع عقل وهو لغة المنع سمي به لمنعه صاحبه من الرذائل والقبائح ولذا لايطلق عليه تعالى العاقل واصطلاحا مايحصل به الميزبين المعلومات ، وعن الامام الشافعي انه قال العقل آلة التميز والادراك • وهو غريزة قاله الامام احمد رضي‌الله عنه وقال‌الحارث المحاسبي ليس مكتسبا بل خلفه الله تعالى يفارق به الانسان البهيمة ويستعد به لقبول العلم وتدبير الصنائع الفكرية فكأنه نور يقذف في القلب كالعلم الضروري ، والصبا ونحوه حجاب له ، قال القاضي وغيره انه غير مكتسب كالضروري ، وقال البربهاري من أصحابنا : ليس العقل بجوهر ولا عرض ولا اكتساب وانما هو فضل من الله تعالى • قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا يقتضي أنه القوة المدركة كما دل عليه كلام الامام أحمد لا الادراك ، وهو بعض العلوم الضرورية عند أصحابنا والاكثر ستعد بها لفهم دقائق العلوم وتدبير الصنائع الفكرية وقاله ابو بكر الباقلاني وابن الصباغ وغيرهما ، فخرجت العلوم الكسبية لأن العاقل يتصف بكونه عاقلا مع انتفاء العلوم النظرية ، وانما قالوا بعض العلوم الضرورية لانه لو كان جميعها لوجب أن يكون الفاقد للعلم بالمدركات غير عاقل لعدم الادراك المعلق عليها ، والمشاهد خلافه ، ومحل العقل القلب عندنا وعند الشافعية والاطباء وله اتصال بالدماغ ، وروى عن الامام أحمد أن محله الدماغ وهو قول أبي حنيفة والطوفي من أصحابنا ، وقيل في الدماغ ان قلنا انه جوهر والا ففي القلب • والصحيح أن العقل يختلف كالمدرك به وقال الامام ابن عقيل من علمائنا والاشاعرة والمعتزلة : العقل لايختلف لانه حجة عامة يرجع اليه الناس‌عند اختلافهم ولو تفاوتت العقول لما كان كذلك • وقال غير واحد العقل عقلان غريزي وتجريبي مكتسب فالعقل الغريزي لايختلف وأما الكسبي فيختلف •وحمل العلامة الطوفي الخلاف على ذلك • قوله (( في العيان )) أي المشاهدة وبادىء النظر لذوي العرفان (( محصورة )) في‌شيئين لاثالث لهما أي محبوسة وممنوعة فيهما ومقصورة عليهما لا تتجاوزهما (( في الحد )) ويأتي الكلام عليه قريبا (( و )) في (( البرهان )) هو الحجة

والدليل وفى الحديث « الصدقة برهان » اى انها حجة لطالب الاجر من أنها قرض يجازى الله به عليه ، وقيل بل هى دليل على صحة ايمـــان صاحبها لطيب نفسه باخراجها وذلك لعلاقة مابين النفس والمال • والبرهان عند أهل الميزان قياس مؤلف من مقدمات يقينية لانتاج يقينيات • واليقين اعتقاد أن الشىء كذا مع اعتقاد أنه لايكون الا كذا مع مطابقتـــه للواقع وامتناع تغيره

(( وقال قوم )) بل مدارك العلم (( عند اصحاب النظر )) الفـــكر والتدقيق والبحث والتحقيق أعنى علماء النظر وهم النظار من المتكلمـــة والمنطقيين وعلماء الاصول ثلاثة احداها (( حس )) أى مايدراك بأحـــد الحواس الخمس وهى جمع حاسة بمعنى القوة الحاسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس فخلق الله تعالى كلا من تلك الحــــواس لادراك أشياء مخصوصة فالسمع للاصوات والذوق للطعوم والشــــم للروائح والبصر للمرئيات واللمس للملموسات وهى القوة المنبثــــة فى جميع البدن يدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوســـة ونحو ذلك عند التماس والاتصال فلا يدرك بواحدة ما يدرك بالحاسة الاخرى والمدرك بشىء منها يقال له محسوس

(( و )) الثانى (( اخبار صحيح )) ثابت رجيح مطابق للواقع فان الخبر كلام يحتمل الصدق والكذب احتمالا متساويا بقطع النظر عن قائلــه وله نسبة خارجة فان طابقته فصادق والا فكاذب ، وهذا الخبر الذى يفيد العلم على نوعين ( أحدهما ) المتواتر الثابت على ألسنة قوم لايتصــور تواطؤهم على الكذب ، ومصداقه وقوع العلم من غير شبهة ، وهو موجب للعــلم الضرورى كالعلم بالملوك الماضية فى الازمنة الخالية والبلدان النائيــة كوجود مكة وبغداد فان من لم يحسن الاكتساب ولاترتيب المقــدمات من النساء والصبيان يدرك ذلك فلو لم يكن العلم بذلك ضروريا لمـــا أحسنوا ذلك ، وأما خبر النصارى بقتل عيسى عليه السلام واليهود بتأبيد دين موسى عليه السلام فتواتره ممنوع لأن مستنده مجرد الوهم والهوى • فان قيل خبر كل واحد لايفيد الا الظن وضم الظن الى الظن لايوجـب

اليقين ، وأيضا جواز كذب كل واحد يوجب جواز كذب المجموع لأنه نفس الآحاد ؟ فالجواب : الهيئة الاجتماعية أوجبت له من القوة ما لم تكن لافراده كقوة الحبل المؤلف من الشعر مع الشعرات. فان قيل الضروريات لا يقع فيها تفاوت ولا اختلاف ونحن نجد العلم بكون الواحد نصف الاثنين أقوى من العلم بوجود اسكندر والمتواتر قد أنكر افادته العلم جماعة من العقلاء كالسمنية والبراهمة . فالجواب : هذا ممنوع بل قد يتفاوت أنواع الضرورى بواسطة التفاوت بالالف والعادة والممارسة والاخطار بالبال وتصور اطراف الاحكام ، وقد يختلف فيه مكابرة وعنادا كالسوفسطائية فى جميع الضروريات كما سننبه عليه قريبا ( النوع الثانى ) من نوعى الخبر المفيد للعلم خبر الرسول المؤيد بالمعجزة الخارقة المقرونة بالتحدى كما مر فيوجب العلم الاستدلالى للقطع بأن من اظهر الله تعالى المعجزة على يده تصديقا له فى دعوى الرسالة لايكون الا صادقا فيما أتى به من الاحكام ، واذا كان صادقا يقع العلم بمضمونها قطعا ، وانما كان استدلاليا لتوقفه على الاستدلال واستحضار أنه خبر من ثبتت رسالته بالمعجزات ، وكل خبر هذا شأنه فهو صادق ومضمونه واقع ، والعلم الثابت بخبر الرسول يشابه العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات والمتواترات فى التيقن والثبات

(( و )) الثالث من مدارك العلم (( النظر )) أي الفكر الذى يطلب به علم أو ظن قال العلامة شهاب الدين أحمد ابن قاضى الجبل من محققى علمائنا : النظر لغة الانتظار والرؤية والرأفة والتفكر ،وعرفا الفكر المطلوب به علم او ظن فينتقل من امور حاصلة ذهنا الى أمور مستحصلة ، وقد يطلق على حركة النفس التى يليها البطن الاوسط من الدماغ المسمى بالدودة أى حركة كانت فى المعقولات وفى المحسوسات تسمى تخيلالا فكرا ، وقال الامام ابن عقيل فى الواضح ، النظر هو الاصل فى تحصيل هذا الامر والطريق اليه وهو اسم مشترك يقع على الرؤية بالبصر كما قال تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) وعلى الانتظار للمنتظر والتوقع له ( فناظرة بم يرجع المرسلون ) وهو ههنا أى فى عرف الاصليين التأمل

والتفكر والاعتبار بمعرفة الحق من الباطل والفصل بين الحجة والشبهة وهو فكرة القلب وتأمله ونظره المطلوب به علم هذه الامور وغلبة الظن لبعضها ، وقد يصيب الناظر فيها وقد يخطىء وكلاهما نظر منه وقد ينظر فى شبهة وفى دليل وقد يصل بنظره الى العلم تارة اذا سلك فيه المسلك الصحيح ورتبه على واجبه ومقتضاه وقد لايصل اليه اذا قصر وغلطوخلط فيه أو نظر فيما هو شبهة وليس بدليل ، وللنظر آلة وغرض فالآلة هو المطلوب من أجل غيره والغرض هو المطلوب من أجله فى نفسه فالغرض كمعرفة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم • انتهى

والحاصل أن اسباب العلم ثلاثة الحواس السليمة والخبر الصادق والعقل ، ووجه الحصر أن السبب ان كان من خارج فالخبر الصادق والا فان كان آلة غير المدرك فالحواس والا فالعقل ـ وان كان المؤثر فى العلوم كلها فى الحقيقة هو الله تعالى لانها بخلقه وايجاده والله أعلم

(( فالحد وهو اصل كل علم
وصف محيط كاشف فافتهم ))
(( وشرطه طرد وعكس وهو ان
أنبا عن الذوات فالتام استبن ))
(( وان يكن بالجنس ثم الخاصة
فذاك رسم فافهم المحاصه ))

( فـ ) اذا عرفت ماذكرناه لك من التمهيد وطلبت تعريف الحد المذكور فـ ( الحد ) فى اللغة المنع ومنه سمى البواب حدادا لانه يمنع من يدخل الدار والحدود حدودا لانها تمنع من العود الى المعصية وسمى التعريف حدا لمنعه الداخل فيه من الخروج عنه والخارج عنه من الدخول فيه ، وقوله (( وهو )) اى الحد (( أصل كل علم )) جملة معترضة بين المبتدأ الذى هو الحد وخبره الذى هو وصف الخ وانما كان اصلا للعلوم لأن من لايحيط به علما لاينتفع بما عنده قال الفخر ابو محمد اسماعيل البغدادى من علمائنا · الحد على الحقيقة أصل كل علم فمن لايحيط به علما لانفع

له بما عنده وقاله غيره وهو صحيح كما فى شرح مختصر التحرير ( ١ ) والحد فى الاصطلاح (( وصف محيط )) بموصوفه ، قال الامام القاضى ابو يعلى من أئمة علمائنا : معنى الحد هو الجامع لجنس مافرقه التفصيل المانع من دخول ماليس من جملته فيه وفى التحرير : المحيط بمعناه أى بمعنى المحدود فكأنه قال حد الشيء الوصف المحيط بمعناه (( كاشف )) بالرفع عطف على محيط الذى هو نعت لوصف أى مميز للمحدود عن غيره ولذا قال الغزالى قيل حد الشيء نفسه وذاته وقيل هو اللفظ المفسر لمعناه على وجه يجمع ويمنع • وقال العلامة ابن حمدان فى نهاية المبتدئين انه قول يكشف حقيقة المحدود • وذكر فيه ثمانية اقوال (( فافتهم )) أمر بالانفعال ( ؟ ) لقبول الفهم بالتفهم ، والفهم ادراك معنى الكلام بسرعة كما فى واضح ابن عقيل ، واستظهروا عدم تقييده بسرعة كما قاله الطوفى فى شرح مختصره وتبعه العلامة ابو بكر الجراعى فى حواشى أصول ابن اللحام ، قال الطوفى لان من سمع كلاما ولم يدرك معناه الا بعد شهر أو أكثر قيل فهم وبذلك يقال الفهم اما بطيء أو سريع فينقسم اليهما ومورد القسمة مشترك بين الاقسام نعم السرعة قيد فى الفهم الجيد • انتهى — وقيل الفهم جودة الذهن من جهة تهيئه لاقتباس مايرد عليه من المطالب والذهن قوة النفس المستعدة لاكتساب الحدود والآراء •

( وشرطه ) أى شرط كون الحد صحيحا ، والشرط فى اللغة العلامة وفى العرف مايعتبر للحكم وهو مايلزم من انتفائه انتفاء الحكم فلا يوجد المشروط مع عدم شرطه ولايلزم من وجود الشرط وجود المشروط ، وهو عقلى ولغوى وشرعى فالعقلى كالحياة للعلم ، واللغوى كقوله ان دخلت الدار فأنت طالق ، والشرعى كالطهارة للصلاة (( طرد )) خبر المبتدأ الذى هو شرطه وهو المانع الذى كلما وجد الحد وجد المحدود (( وعكس )) وهو الجامع الذى كلما وجد المحدود وجد الحد فهذا عكس الاطراد ويلزم من

( ١ ) يراجع ما حققه شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتبه كالرد على المنطقيين ونقض المنطق •

ذلك انه كلما انتفى الحد انتفى المحدود • وقال الجراعى فى الحواشى : المطرد هو الذى اذا وجد الحد وجد المحدود وهو المانع ، قال والمنعكس هو الدى اذا عدم الحد عدم المحدود وهو الجامع ، قال وهـــذا قول الجمهور منهم الغزالى وابن الحاجب وابن مفلح ، قال وعكس القرافى والطوفى فقالا المطرد هو الجامع والمنعكس هو المـــانع ، وذكر ابو على التميمى فى كتاب التذكرة فى أصول الدين أن هذا التعريف للحـــد قول المتكلمين وأما المناطقة فقالوا انه القول الدال على ماهية الشيء وهـــو مايتحصل من جنس التعريف وفصله ، قال ولايحتاج فيه الى ذكر الطـرد والعكس لأن ذلك يتبع الماهية • واعلم ان الحد من حيث هو - تام ، ورسمي ، ولفظي ، ولذا قال (( وهو )) أي الحد (( ان أنبا )) أي دل وكشف (( عن الذوات )) اى ذاتيات المحدود الكلية المركبة كما اذا قيل ماالانسان فيقال حيوان ناطق (( فـ )) هو أي الحد الذى أنبأ عن ذاتيات المحدود الحقيقى (( التام )) وهو الاصل وله حد واحد لأن ذات الشيء لايكون له حدان مثاله حيوان ناطق فانه حد للانسان ، فان قيل جميـــع ذات الشيء عين الشيء والشيء لايفسر نفسه ، فالجواب أن دلالة المحدود من حيث الاجمال ودلالة الحد من حيث التفصيل فليس عينه من كل وجه فصح تعريفه به ولذلك لم يجعل اللفظان مترادفين الا اذا كان الحـــد لفظيا فلذا قال فـ (( استبن )) أى اطلب البيان والكشف عن حقيقة الحد فان هذا هو الحد الحقيقى التام المنبيء عن ذاتيات المحدود • وان كان بفصل قريب فقط من غير ذكر جنس فحد حقيقى ناقص كما اذا قيـــــل ما الانسان ؟ فقلت ناطق • وكذا ان كان بفصل وجنس بعيد كجسم ناطق بالنسبة الى الانسان (( وان يكن )) الحد مركبـــا (( بالجنس )) أى من الجنس القريب (( ثم الخاصة )) مثل ذلك حيوان ضاحك بالنســـبة الى الانسان (( فذاك )) المركب من جنس قريب خاصة نحو الضـــاحك (( رسم )) تام فان الضاحك عرض فى الفعل مفارق لا بالقـــوة ، وسمى خاصة لاختصاصه بحقيقة واحدة بالقوة أو الفعل بالنسبة الى الانسان لأن الضحك بالقوة لازم لماهية الانسان مختص بها وبالفعل مفارق لهـا مختص

بها ، وتعريف الخاصة هى كلية تقال على ماتحت حقيقة واحدة فقـــط قولا عرضيا .

وان كان الحد بها أى الخاصة فقط كقولك الانسان ضاحك سمى رسما ناقصا ، وكذا ان كانت الخاصة مع جنس بعيد كقولك الانسان جسم ضاحك (( فافهم المحاصة )) بضم الميم فحاء مهملة مفتوحة فألف فصاد مهملة مدغمة فى مثلها فهاء تأنيث أى المقاسمة يقال حصص الشيء تحصيصا وحصحص : بان وظهر ، وتحاصوا وحاصوا اقتسموا حصصا كما فى القاموس ، قال والحصة بالكسر النصيب . والمراد افهم ما بين الحد الحقيقى التام كالحيوان الناطق بالنسبة الى الانسان والحقيقى الناقص وله صورتان الاولى أن يكون بفصل قريب فقط كالناطق بالنسبة الى الانسان أو بالفصل مع جنس بعيد كالجسم الناطق بالنسبة الى الانسان أيضا ، وكذا افهم الرسم الحقيقى التام والرسم الناقص على مـا ذكرنا . والجنس كلى مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق فى جـــواب ماهو ؟ كالحيوان بالنسبة الى انواعه نحو الانسان والفرس ، والنوع كلى مقول على كثيرين مختلفين بالعدد دون الحقيقة فى جواب ما هو ؟ كالانســان بالنسبة الى زيد وعمرو ونحوهما من أفراده . والفصل غير مقول فى جواب ما هو بل فى جواب اى شيء هو فى ذاته ؟ وهو الذى يميز الشيء عـما يشاركه فى الجنس كالناطق بالنسبة الى الانسان . والحد اللفظى ما كان بلفظ مرادف أظهر عند السائل من المسؤول عنه كما لو قال قائل مــا الخنريس ؟ فيقال هو الخمر . والله أعلم .

**الادراك بالحس وحـــــآل السوفسطائية**

(( وكل معلـوم بحس وحـجى فنكره جهل قبيح فى الهجـا ))
(( فان يقم بنفسه فجـــــوهر أولا فذاك عــــرض مفتقر ))
(( والجسم ما ألف من جزئـــين فصاعدا فاترك حـديث المين ))

(( وكل معلوم بحس )) من الحواس الخمس الظاهرة التى لا شك فيها ولا آفة تعتريها فانكاره قبيح جدا اذ هو مجرد مكابرة ، قال فى شرح الجواهر وينسب انكار الحواس الى بطليموس وأفلاطون وارســـطو وجالينوس قال ويجب أن يكون مرادهم بذلك أن جزم العقل ليس بمجرد الحس بل بتوسط ضميمة لا أن حكم الحس غير معتد به أصلا والايلزم

انتفاء علومهم المبنية على الاحكام الحسية • واستدل من قال بالانكار بأن الحس كثير الغلط فلا يعتبر ، وبيانه أنه يرى العنبة فى الماء كالاجاصة ، والقطرة النازلة كالخط المستقيم ، ومنها أن الحس حاكم ببياض الثلج وهو مركب من أجزاء شفافة ليس فى الواقع له بياض ، وأن النائم يجزم بما رأى فى النوم جزمه فى اليقظة ، وكذا صاحب البرسام ونحوه ، فيمكن مثل ذلك فى غيرهم ، وذلك كاف فى رفع الثقة ، وأيضا الامثال متواردة أعم من أن تكون جواهر كالاجسام عند النظام او عرضا كالالوان عند متكلمى الاشاعرة ومن وافقهم ، والحس حاكم باستمرارها ،فيقوم الاحتمال فى الكل ولا جزم مع قيام الاحتمال • وجواب شبههم عما أوردوه بأنه غير دال على عدم الوثوق بجزم العقل فى المحسوسات بل فى هذه الصور العقل العقل بمجرد الحس وهو غير منكور فالحاكم فى هذه الصور العقل بتوسط الحس لا الحس فقط ، كذا قيل ، والحق أن انكار الوثوق بالمدرك

بالحواس مكابرة (( و )) كذا ما يدرك بـ (( حجى )) كالى هو العقل (( فنكره )) أى انكاره ورده بعدم الوثوق به (( جهل قبيح )) متناه فى القبح (( فى الهجا )) أى فى الشكل والمثل يقال هذا على هجا هذا أى على شكله اى قبيح فى العادة المستمرة ومردود عند ذوى الهجا المجيدين فى التبحر والكشف عن حقائق الاشياء يقال هجى النبت كرضى هجى انكشف، قال العلامة نجم الدين بن حمدان فى نهاية المبتدئين كل مؤد الى حقيقة ثابتة تعلم عقلا او حسا فانكاره سفسطة • انتهى • والسوفسطائية انكروا كلا من الحسيات والبديهيات فقالوا بعدم الجزم فى كل منهما فأوردوا عليهم جزمهم بالشك فالتزموا عدم الجزم فيه ايضا فقالوا نحن شاكون وشاكون فى أنا شاكون وهؤلاء ثلاث فرق عندية وعنادية ولا أدرية ، فالعندية قالت مذهب قوم حق بالقياس اليهم باطل بالنسبة الى خصومهم ولا حق فى نفس الامر ، والعنادية : ما من قضية بديهية كانت او نظرية الا ولها معارض يساويها فى القوة والقبول ، وأما اللاأدرية وهم أمثلهم فقالوا نحن شاكون وشاكون فى أنا شاكون ، وتمسكوا بأن دليل كل من منكرى الحسيات والبديهيات دال على انتفائهما والنظر متفرع عليهما منتف بانتفائهما

ولا طريق الى الجزم غير الحس والبديهية والنظر فلم يكن للجزم تحقق أسلا • واذا كان الامر كذلك لم يكن للمناظرة معهم فائدة لانها لافادة المجهول وليس عندهم معلوم فتنجر المناظرة الى التزام مذهبهم ، ولذا منع المحققون منها معهم ، ولكن يقال لهم هل ميزتم بين الالم واللذة أو بين مذهبكم وما يناقضه ؟ فان أبوا الا الاصرار أوجعوا ضربا وعذبوا بالنار ليعترفوا أو يهلكوا •وسوفسطا اسم للحكمة المموهة والعلم المزخرف لان سوفا معناه العلم والحكمة واسطا معناه المزخرف والغلط ومنه اشتقت السفسطة كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف اى محب الحكمة •

تنبيهان الاول العلم ضرورى او كسبى

( تنبيهان )

( الاول ) اعلم أن العلم منه ما هو ضرورى ومنه ما هو كسبى ، فالضرورى ما يلزم نفس المخلوق لزوما لا يجد الى الانفكاك عنه سبيلا كالتصديق بأن الكل أعظم من الجزء وأن الواحد نصف الاثنين وان العلم البديهى أخص من الضرورى لان البديهى هو ما يثبته مجرد العقل من غير احتياج الى شىء آخر ويمكن الاحتياج فى الضروريات الى شىء آخر غير العقل كوجدان أو تجربة أو غيرهما • وأما الكسبى فهو مقابل للضرورى وهو النظرى والاستدلالى وهو ما يتضمنه النظر الصحيح وعرفه غير واحد بما يحصل بالذات عقيب النظر ، وفى مختصر التحرير وشرحه: الدال الناصب للدليل وهو لغة المرشد وشرعا ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبرى ، ويدخل فى المطلوب الخبرى ما يفيد القطع والظن ، وهو مذهب أصحابنا وأكثر الفقهاء الاصوليين ، وقيل ان ما أفاد القطع يسمى دليلا وما أفاد الظن يسمى امارة • وقال : ويحصل المطلوب المكتسب بالنظر الصحيح فى الدليل عقبه عادة ، وعلى هذا أكثر العلماء ، لانه قد جرت العادة بأن يفيض على نفس المستدل بعد النظر الصحيح مادة مطلوبه وصورة مطلوبه الذى توجه بالنظر الى تحصيله ، وقيل يحصل عقب النظر ضرورة لانه لا يمكنه تركه • ثم ان الادراك لماهية الشىء بلا حكم عليها بنفى أو اثبات تصور لانه لم يحصل به سوى صورة ذلك الشىء فى الذهن ، وتصور ماهية الشىء مع الحكم عليها بايجاب أو سلب تصديق ، فالتصور

ادراك الحقائق مجردة عن الاحكام ، والتصديق نسبة حكمية بين الحقائق بالايجاب أو السلب ، والعلم الحاصل بالضرورة والكسب هو صفة يميز المتصف بها بين الجواهر والاعراض والواجب والممكن والممتنع تمييزا جازما مطابقا للواقع بحيث لا يحتمل النقيض ، والحق انه يتفاوت كالمعلوم ، وكما يتفاوت الايمان ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : الصواب ان جميع الصفات المشروطة بالحياة تقبل التزايد ، وروى عن الامام احمد رضى الله عنه فى المعرفة الحاصلة فى القلب فى الايمان هل تقبل التزايد والنقص ؟ روايتان ، قال : والصحيح من مذهبنا ومذهب جمهور أهل السنة امكان الزيادة فى جميع ذلك • انتهى •وتقدم وجوب اعتقاد قبول الايمان للزيادة والنقصان ودليل ذلك بالعقل والقرآن والله أعلم •

**الثانى يطلق العلم على أربعة أمور**

( الثانى ) اعلم أن العلم يطلق لغة وعرفا على أربعة أمور ( أحدها ) ما لا يحتمل النقيض كما تقدم ( الثانى ) يطلق ويراد به مجرد الادراك سواء كان جازما أو مع احتمال راجح أو مرجوح أو مساو ( الثالث ) انه يطلق ويراد به التصديق قطعيا كان أو ظنيا ( الرابع ) يطلق ويراد به معنى المعرفة ويراد بها العلم ومنه قوله تعالى ( مما عرفوا من الحق ) أى علموا ، وقد يطلق الظن ويراد به العلم كقوله تعالى ( الذين يظنون انهم ملاقو ربهم ) أى يعلمون ، والمعرفة من حيث انها علم مستحدث او انكشاف من بعد لبس اخص من العلم لشموله غير المستحدث وهو علم الله تعالى والمستحدث وهو علم العباد ، ومن حيث انها يقين وظن اعم من العلم لاختصاصه حقيقة باليقين وتقدم الكلام عليها فى صدر الكتاب والله أعلم •

**الجوهر والعرض وعدة من اصطلاحات العلماء**

ثم ان كل شىء لا يخلو اما ان يقوم بنفسه اولا (( فان يقم )) ذلك الشىء (( بنفسه )) اى بذاته ومعنى قيامه بذاته عند المتكلمين ان يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه لتحيز شىء آخر وعند الفلاسفة معنى قيام الشىء بذاته استغناؤه عن محل يقومه ، فلا يخلو القائم بنفسه من أحد أمرين اما أن يكون مركبا من جزئين فصاعدا وهو الجسم كما يأتى الكلام عليه أو غير مركب فان قام بنفسه وكان غير مركب من جزئين فصاعدا (( فـ )) هو

(( جوهر )) والجوهر هو العين الذى لا يقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا وهو الجزء الذى لا يتجزأ ، وعند الفلاسفة لا وجود للجوهر الفرد اعنى الجزء الذى لا يتجزأ وزعموا ان تركب الجسم انما هو من الهيولى والصورة ، وأقوى الادلة على اثبات الجزء الذى لا يتجزأ عند القائلين به انه لووضع كرة حقيقة على سطح حقيقى لم تماسه الا بجزءغير منقسم اذ لو ماسته بجزئين لكان فيها خط . بالفعل فلم تكن كرة حقيقية . وأشهرها عند محققى المتكلمة وجهان ( الاول ) ان لو كان كل عين منقسما لا الى نهاية لم تكن الخردلة أصغر من الجبل لان كلا منهما غير متناهى الاجزاء والعظم والصغر انما هو بكثرة الاجزاء وقلتها وذلك انما يتصور فى المتناهى ( الثانى ) قالوا ان اجتماع الجسم ليس لذاته والا لما قبل الافتراق فالله تعالى قادر على أن يخلق فيه الافتراق الى الجزء الذى لا يتجزأ لان الجزء الذى تنازعوا فيه ان أمكن افتراقه لزم قدرة الله تعالى عليه دفعا للعجز وان لم يمكن ثبت المدعى الذى هو وجود الجزء الذى لا يتجزأ ، ولضعف هذه المدارك لم يثبته شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه وان كان في اثباته نجاة من كثير من ظلمات الفلاسفة مثل اثبات الهيولى والصورة المؤدى الى قدم العالم ونفى حشر الاجساد وامتناع الخرق والالتئام مما هو معلوم الفساد من دين الاسلام بالضرورة ( ١ ) والله اعلم .

(( أولا )) يقوم بنفسه (( فذاك )) الذى لا يقوم بنفسه بل لا بد أن يكون قائما بغيره تابعا له فى التحيز او مختصا به اختصاص الناعت بالمنعوت فهو (( عرض مفتقر )) الى محل يقومه فوجود العرض فى الموضوع هو أن وجوده فى نفسه هو وجوده فى الموضوع فيمتنع الانتقال عنه فالعرض مفتقر الى محل يقوم به ويحمله ، وقيل هو الموجود فى شىء غير متقوم به لا كجزء منه ولا يصح قوامه دون ما هو منه ، وقيل ما يطرأ على جوهر من كون ولون لا بمعنى انه لا يمكن تعلقه بدون المحل كما قد توهم ذلك بعضهم ، نعم يوجد ذلك فى بعض الاعراض كالابوة مثلا .

(( والجسم ما )) أى شىء أو الذى (( ألف )) أى ركب (( من جزئين

---

( ١ ) قد رد شيخ الاسلام أباطيل الفلاسفة بالحجج الواضحة

فصاعدا )) أى أكثر يعنى ذاهبا الى جهة الصعود والارتفاع عن اثنين فيكون أقل ما يتركب من جزئين ولا حد للكثرة (( فاترك حديث )) أى كلام (( المين )) أى الكذب يعنى الكلام الكذب وأراد بهذا الرد على من زعم انه لا يتركب من أقل من ثلاثة أجزاء لتحقق الابعاد الثلاثة اعنى الطول والعرض والعمق وعلى من زعم انه لا يتركب من أقل من ثمانية اجزاء لتحقق تقاطع الابعاد على زوايا قائمة ، وقيل الجسم ما يقبل الزيادة بالوصف بجوهر الجسيم منه وقد قدمنا الكلام على الجوهر والجسم والعرض عند قولنا فى الباب الاول

وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى ذو العلا

فراجعه ان شئت (١) وانما أعاده هنا تبعا للاصحاب فى الحاقهم أواخر العقائد كلمات يكثر دورانها فى هذا العلم ومن هذا القبيل قوله

(( ومستحيل الذات غير ممكن وضده ما جاز فاسمع زكنى ))
(( والضد والخلاف والنقيض والمثل والغيران مستفيض ))
(( وكل هذا علمه محقق فلم نطل به ولم ننمق ))

(( ومستحيل الذات غير ممكن )) أى المستحيل لذاته غير ممكن ولا مقدور اذ لو تعلقت به القدرة لصار ممكنا لانها لا تتعلق الا بالممكنات كما مر ، وضده أى ضد المستحيل (( ما )) أى الذى ((جاز)) وجوده وعدمه ، والحاصل ان الواجب ما لا يتصور فى العقل عدمه ، والمستحيل ما لا يتصور فى العقل وجوده ، والممكن ما جاز وجوده وعدمه ، يعنى قبل ايجاده • وتقدم الكلام عليه فى الباب الاول (( فاسمع زكنى )) اى علمى وفهمى وتفرسى فى اختصار الكلام مع تمام الاحكام يقال زكن كفرح وازكنه علمه وفهمه وتفرسه وظنه ، او الزكن ظن بمنزلة اليقين عندك او طرف من الظن وازكنه اعلمه وافهمه والازكان ان تزكن شيئا بالظن فيصيب • ثم اشار الى بعض ما ذكره النجم ابن حمدان فى آخر نهاية المبتدئين فقال (( والضد )) يعنى مع ضده فالضدان هما ما امتنع اجتماعهما فى محل واحد فى زمن واحد كالسواد والبياض • والحركة والسكون ، والاجتماع

(١) مع ما تعقب به

والافتراق ، اذ الشيء الواحد لا يكون اسود أبيض في زمن واحد ، ولا يكون ساكنا متحركا في زمن واحد . ويمكن ارتفاع الضدين مع بقاء المحل لا اسود ولا ابيض . قال في نهاية المبتدئين : وقيل الضدان الوصفان الوجوديان اللذان يمتنع اجتماعهما لذاتهما كالسواد والبياض . وقيل كل ذاتين (؟) يتعاقبان على موضع واحد يستحيل اجتماعهما فيه بينهما غاية الخلاف والبعد . انتهى . وهي عبارات متقاربة المعنى في الجملة (( والخلاف )) أي الخلافان يجتمعان ويرتفعان كالحركة والبياض في الجسم الواحد (( والنقيض )) ان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم المضافين الى معين واحد (( والمثل )) ان ما قام احدهما مقام الآخر وسد مسده وعمل عمله، والجواهر متماثلة ، وقيل هما اللذان يشتركان في الصفة اللازمة فهما لا يجتمعان ويرتفعان لتساوي الحقيقة كبياض وبياض ، وأما المتشابهان فهما اللذان يتقاربان اما في الصورة واما في استحقاق المعنى المجوز عليهما او في السبب الذي تعلق به وجودهما ونحو ذلك مما تقع به المشابهة ، والمتشابهان من وجه قد يختلفان من آخر والمثلان لا يختلفان من وجه والمختلفان قد يختلفان من وجه ويشتبهان من وجه آخر (( والغيران )) هما المختلفان وقيل هما الموجودان اللذان يمكن ان يفارق أحدهما الآخر بوجه فالمتفقان يقربان من المثلين وهما في التقارب على العكس من المختلفين وفيهما زيادة على أصح حد المتشابهين لانه قد يكون التفاوت بالوصف كما في المتشابهين وقد يكون التفاوت بالزمان والمكان وليس ذلك في المتشابهين وقد يكون في المتماثلين تفاضل من وجه مثل الحركتين تكون احداهما أشد من الاخرى ، وكذلك يتفاوت السوادان شدة وضعفا ، وكل علم ذلك معلوم عند اهل هذا الفن وعند المناطقة (( مستفيض )) استفاضة ظاهرة لا تخفى على أحد له اعتناء بتحصيل هذه العلوم العقلية .

( تنبيه ) قد يتعذر ارتفاع الخلافين لخصوص حقيقة كونهما خلافين كذات واجب الوجود تعالى وتقدس مع صفاته ، وقد يتعذر افتراقهما ( كالعشرة مع الزوجية خلافان ويستحيل افتراقهما - ١ ) والخمسة مع الفردية والجوهر مع الالوان ونحو هذا وهو كثير لكن لا تنافي بين امكان

(١) من مخ

الافتراق والارتفاع بالنسبة الى الذات وتعذر الارتفاع بالنسبة الى أمر خارجي عنها ، وهذا الذى ذكرناه كله بالنسبة الى ممكن الوجود ، أماالله تعالى وصفاته فلا يقال بامكان رفع شيء منها لتعذر رفعه بسبب وجوب وجوده، وقد قدمنا فى بحث الصفات ما يرشد لهذا .

(( وكل هذا )) المذكور واضعافه مما لم يذكر (( علمه )) **مشهور عند** أرباب الفن (( محقق )) وحيث كان كذلك فلنقتصر على هذا المقدار الذى ذكرناه (( فلم نطل به )) أى بذكره (( ولم ننمق )) من التنميق وهو التحسين والتزيين قال فى القاموس نمق الكتاب كتبه ونمقه تنميقا حسنه وزينه بالكتابة ويقال للشيء المروح : فيه نمقة ـ محركة . اذا المقصود انما هو ذكر أمهات مسائل العقائد السلفية ونظم فرائد الاصول الاثرية وقد ذكرنا منها ما لعله يكفى المبتدى ويشفى المنتهى ويكمد المعتدى وبالله التوفيق ثم حمدنا الله **تعالى عودا على بدء فقلنا**

| | |
|---|---|
| (( والحمد لله على التوفيق | لمنهج الحق على التحقيق )) |
| (( مسلما لمقتضى الحديث | والنص في القديم والحديث )) |
| (( لا أعتنى بغير قول السلف | موافقا أئمتى وسلفى )) |

(( والحمد لله على التوفيق )) وهذا حمد فى مقابلة نعمة التأهيل لهذا الفضل الجزيل والمشرب الصافى من ينبوع التنزيل من غير الحاد ولاتأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ، والتوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة . قال الامام المحقق ابن القيم فى كتابه شرح منازل السائرين : قد اجمع العارفون بالله أن التوفيق ان لا يكلك الله تعالى الى نفسك ، والخذلان ضده وهو أن يخلى بينك وبينها ، فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد فى الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا فيطيع مولاه ويرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه ثم يعصيه ويخالفه ويسخطه ويغفل عنه بخذلانه له ، فهو دائر بين توفيقه وخذلانه فان وفقه فبفضله ورحمته وان خذله فبعدله وحكمته ، وهو سبحانه المحمود فى هذا وهذا له أتم حمد وأكمله ، لم يمنع العبد شيئا هو له وانما منعه ما هو مجرد فضله وعطائه وهو أعلم حيث يضعه وأين يجعله . قال : فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه علم ضرورته وفاقته

الى التوفيق فى كل نفس ولحظة وطرفة عين وان توحيده وايمانهممسك بيد غيره لو تخلى عنه طرفة عين لثل عرشه ولخرت سماء ايمانه على الارض وان المسك له من يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه فدأبه بقلبهولسانه : يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، يا مصرف القلوب صرف قلبى على طاعتك ، ودعواه : يا حى يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا أنت برحمتك أستغيث اصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين ولا الى أحد من خلقك • ثم قال: والتوفيق هو ارادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد بأن يجعله قادرا على فعل ما يرضيه مريدا لهمحبا مؤثرا له على غيره ، ويبغض اليه ما يسخطه ويكرهه وهذا مجرد فعله تعالى والعبد محل له قال تعالى ( ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون • فضلا من الله ونعمة واللهعليم حكيم ) فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل ومن لا يصلح له حكيم يضعه فى مواضعه وعند اهله ولا يمنعه اهله ولا يضعه عند غير اهله • وذكر هذا عند عقيب قوله ( واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ) ثم جاء بحرف الاستدراك فقال ( ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه ) قال وقد فسرت الجبرية وغيرهم التوفيق بأنه خلق الطاعة والخذلان خلق المعصية وبنوا ذلك على أصولهم الفاسدة من انكارالاسباب والحكم وردوا الامر الى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة ، قال وقابلهم القدرية ففسروا التوفيق بالبيان العام والهدى العام والتمكن من الطاعة والاقتدار عليها وتهيئة أسبابها ، قال وهذا حاصل لكل كافرومشرك بلغته الحجة وتمكن من الايمان • وقد قدمنا فى الكلام على القدر ما لعله يكفى ويشفى وبالله التوفيق وقوله (( لمنهج الحق على التحقيق )) متعلق بالتوفيق والمنهج الطريق الواضح كالنهج والمنهاج • والحق هو الحكم المطابق للواقع ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ، ويقابله الباطل ، وأما الصدق فشاع فى الاقوال خاصة، ويقابله الكذب ، وقد يفرق بين الحق والصدق بأن المطابقة تعتبر فى الحق

من جانب الواقع وفى الصدق من جانب الحكم فمعنى صدق الحكم مطابقته الواقع ومعنى حقيته مطابقة الواقع اياه ، والتحقيق ايقاع الاشياء فى محالها وردها الى حقائقها يقال حقق الطريق ركب حاقته وحقق الامر تيقنـــه ، وقوله (( مسلما )) حال من معمول التوفيق أى والحمد لله على توفيــقى لمنهج الحق حال كونى مسلما (( لمقتضى الحديث )) أى لما يقتضيه الحديث الصحيح النبوى (( والنص )) الصريح القرآنى ، وقدم الحديث لمراعــاة القافية ولشدة الاعتناء بالتمسك بالسنة النبوية والاحاديث المرضية كالنص كما هو فى نسخة وهى اولى وأحرى وحينئذ فالنص هو المقدم وســـــواء أدركنا معناه بعقولنا أم لم ندركه ، وهذا هو الحق الواجب على كل مسلم ، يوضحه ان وجوب تصديق كل مسلم بما اخبر به الله ورسوله من صفاته وغيرها ليس موقوفا على أن يقوم دليل عقلى على ذلك فانه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول اذا أخبرنا بشىء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا. ومن لم يقر بما جاءبه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله تعالى عنهم ( وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ) ومن سلك هذا السبيل فهو فى الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية، ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشىء من ذلك او لم يخبر به اذا كان الذى لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله وما لم يخبره به ان علمه بعقله آمن به ، ومن سلك هذا السبيل فوجود الرسول واخباره وعدمهما عنده سواء ، وما يذكر من القرآن والحديث والاجماع لا أثر له عند هــؤلاء وقد صرح بذلك جماعة من أئمة المتكلمة وتقدم هذا فى الباب الاول بعد قولنــــا

فكل ما قد جاء فى الدليل　　　فثابت من غير ما تمثيل

وقوله (( فى القديم والحديث )) يحتمل معنيين كلاهما مراد ( أحدهما ) راجع الى الناظم وهو أن هذا عقيدتى واعتمادى ومبنى عصمتى واعتقادى التسليم والانقياد والمثول والاعتماد على مقتضى النصــوص القـــــرآنية والاحاديث النبوية سواء أدركنا معانيها بعقولنا أو قصرت عن ادراك حقائقها

ألبابنا وآراؤنا وهذا فى أول زمان وجود ادراك فهمى ولم ينفك عن هذا عقد لبى ودليل علمى فقديم زمنى وحديثه على ذلك وهو نهجه القويم وان تباينت المسالك ( الثانى ) أن مبنى علمى وحقيقة حجتى وفهمى وعصمتى وسندى انما هو النص القرآنى والخبر الصحيح النبوى وما أجمع عليه السلف سواء فى ذلك الاحكام المتعلقة بالعبادات ونحوها من المعاملات والانكحة والجنايات والحدود والكفارات أو الاخبار عن البرزخ والمعادوما للعالم من شقوة أو اسعاد هذا وهذا ونحوه مما يتعلق بالحادث والحوادث أو كان مما يتعلق بالقديم الديان من الذات والصفات والقرآن حسبما برهنا على ذلك فى شرحنا هذا على قدر الامكان مما يعلمه الناظر فيه بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة والادلة النافعة والالزامات القامعة (( لا أعتنى )) فى أصل نظم عقيدتى هذه بقول قائل وان جل أمره وشاع ذكره (( بغير قول السلف )) أى لا أعول ولا يهمنى ولا يعنينى فى نظم عقد توحيدى الا قول السلف الصالح والرعيل الاول الفالح وفى نسخه * لا أعتنى الا بقول السلف * ولست فى ذلك منفردا ولا ناهجا نهجا منتقدا بل فى نهجى المذكور وسيرى المشكور حال كونى (( موافقا أئمتى )) من أئمة أهل الاثر (( وسلفى )) فى ذلك من كل همام معتبر قد سبروا الاخبار ودونوا الآثار وعرفوا ما كان عليه النبى المختار وما اقتفاه عليه اصحابه الابرار وأصهاره الاخيار وأنصاره الاطهار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ما تعاقب الليل والنهار وقد قال « ستفترق أمتى الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا فرقة واحدة وهى ما أنا عليه وأصحابى » وتقدم ذلك فى المقدمة

(( ولست فى قولى بذا مقلدا الا النبى المصطفى مبدى الهدى ))
(( صلى عليه الله ما قطر نزل وما تعانى ذكره من الازل ))
(( وما انجلى بهديه الديجور وراقت الاوقات والدهور ))

(( ولست فى قولى بذا )) أى بما أشرت اليه من اقتفاء الائمة والسلف الصالح (( مقلدا )) لهم فى اعتقادى ، وان الذى نحوه بمجرده عمدتى واعتمادى ، من غير نظر فى الدليل وبحث عن الكثير والقليل ، بل نظرت كما نظروا ، وسبرت كما سبروا ، وخضت فى علوم النظر والكلام ،

والحكمة والاحكام ، فرأيتها لا تشفي من سقام ، ولا تروى من أوام ، ولا تهدى من ضلال ، ولا تجدى من نوال ، هذا واللب عاكف على الآثار ، عارف بثمرات الاخبار ، كارف من نشرها ما يزيل نتن الآراء غارف من بحرها ما يطفيء حرارات الاهواء ، مقتبسا من أنوارها ما يقشع ظلمات الافكار الفلسفية ، ملتمسا من اسرارها ما يقمع شبهات الانظار الكلامية ، مقيدا منها بما يزيل الخيالات المعتزلية ، معتمدا منها على ما يغسل الزبالات الرافضية ، فليس لى فى كل سيرى مقلدا ، ولا فى اعتقادى قدوة ومعتمدا (( الا النبى المصطفى )) من سائر العالم المختار من سائر بنى آدم ((مبدى)) اى مظهر ومبين وكاشف (( الهدى )) بالدلائل الواضحة ، ومرشد العالم الى سلوك المسالك الناجحة ، وتقدم الكلام على الهداية ، بما فيه كفاية ، فقد بذلت وسعى فى اقتفاء آثاره ، وانتقاء اخباره ، وسبر أحواله ، ونشر أقواله ، وتهذيب سيرته الشريفة ، وثبوت شريعته المحكمة المنيفة ، فكرعت منها عللا بعد نهل ، وشربت عذبا زلالا صافيا بريا من زبالات الآراء والزلل ، فذاك معتمدى مدى العمر ، لا زيد ولا بكر ، ولا خالد ولا عمرو (( صلى عليه الله )) تقدم الكلام على معنى الصلاة والسلام (( ما قطر نزل )) أى مدة دوام نزول الامطار وتداول الاعصار ، والقطر هو الماء والنزول وكفه من العلو اذا هطل (( و )) صلى الله وسلم عليه (( ما تعانى )) المعتنون (( ذكره من الازل )) فى الاعصار الخالية والاطوار البالية والقرون الفانية والامم الماضية فانه لم يخل زمان من ذكره ولا أوان من التنويه بشرعه ومبعثه ونهيه وأمره الى أن جاء ابان رسالته زمان بعثته وظهور مقالته فظهرت شمس نبوته على سائر كواكب النبوات فانخنست وبهرت رسالته المقالات فانطمست (( و )) صلى الله وسلم عليه (( ما انجلى )) أى تفرق وزال وانكشف (( بهديه )) الناصع ونور شرعه المشرق اللامع (( الديجور )) اى الظلام قال فى القاموس الديجور التراب والظلام والاغبر الضارب الى السواد • أى مدة دوام انجلاء ظلام الشرك وسواد الافك وغبار البدع والابتكار بمنار هديه ونور شرعه الذى ازال كل ظلال وأطفأ كل نار ((و)) ما بهديه صلى الله عليه وسلم (( راقت )) أى صفت قال فى القاموس

الترويق التصفية والراووق المصفاة والريق تردد الماء على وجه الارض من الضحضاح والرائق الخالص و (( الاوقات )) جمع وقت وهو المقدار من الدهر وأكثر ما يستعمل فى الماضى والميقات يطلق على الزمان والمكان المضروب للفعل ، وفى نسخة ما راقت الايام بدل الاوقات جمع يوم والمراد ما خلصت وصفت الاحوال جمع حال الواقعة فى الاوقات والحاصلة فى الايام والساعات والحال كنه الانسان وما هو عليه كالحالة ويراد بالحال الهيئة ومنه تغير من حال الى حال (( و )) ما راقت (( الدهور )) جمع دهر وهو الزمان الطويل والامد الممدود وقد يعد فى الاسماء الحسنى والمراد على حذف مضاف والذى عده فى الاسماء الحسنى نظر الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » والى ظاهر الحديث القدسى - قال الله تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر • قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى وقال الخطابى معناه أنا صاحب الدهر ومدبر الامور التى ينسبونها الى الدهر فمن سب الدهر من أجل هذه الامور عاد بسبه الى ربه الذى هو فاعلها وانما الدهر زمان جعل ظرفا لمواقع الامور ، وكانت عادة الجاهلية انهم اذا أصابهم مكروه أضافوه الدهر فقالوا بؤسا للدهر وتبا للدهر • قال المحققون من نسب سيئا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك • وقد شن الغارة الحافظ ابن الجوزى على من نسب شيئا من ذلك الى الدهر ولو لم يعتقد ظاهره فى عدة مواضع من كتبه منها صيد الخاطر • وغلط القاضى عياض من زعم أن الدهر من أسماء الله تعالى فان الدهر مدة زمان الدنيا وعرفه بعضهم بأنه أمد مفعولات الله فى الدنيا أو فعله لما قبل الموت • وقد تمسك الجهلة من الدهرية والمعطلة بظاهر هذا الحديث واحتجوا به على من لا رسوخ له فى العلم لان الدهر عندهم حركات الفلك وأمد العالم ولا شىء عندهم ولا صانع سواه • وكفى فى الرد عليهم قوله فى بقية الحديث « أنا الدهر أقلب ليله ونهاره » فكيف يقلب الشىء نفسه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا • وقال محمد بن أبى جمرة : لا يخفى أن من سب الصنعة فقد سب

صانعها فمن سب نفس الليل والنهار أقدم على أمر عظيم بغير معنى ، وذكر نحو ما قدمنا من أن ليس للدهر ولا لليل والنهار فعل ولا تأثير فمن سب شيئا من ذلك يؤول من حيث المعنى أنه سب خالق ذلك . انتهى . ملخصا

(( وآله وصحبه أهـــل الوفا معادن التقوى وينبــوع الصفا ))

(( وتابع وتابــع للتـــابع خير الورى حقا بنص الشارع ))

((و)) صلى الله على ((آله)) أي أتباعه على دينه وقيل أقاربه الادنون من بني هاشم وبني المطلب والاول اختيار الامام احمد في مقام الدعاء ، والثاني اختيار الامام الشافعي وقيل آله أهله ، والصواب جواز اضافته الى الضمير خلافا لمن انكر ذلك نعم هو قليل (( وصحبه )) وهم كل من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على الايمان وتقدم الكلام عليهم في أول الكتاب وفي قوله (( أهل الوفا )) اشارة الى أنهم فعلوا ما أمروا ووفوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه من بذل نفوسهم النفيسة وكـــل نفيس في نصرة الدين القويم والتمسك بهديه المستقيم وقوله (( معادن التقوى )) يصح جره على التبعية لما قبله ونصبه بفعل محذوف تقديره أمدح ونحوه ورفعه خبر لمبتدا محذوف تقديره هم ، والمعادن جمع معدن بكسر الدال ، قال الازهري سمي المعدن معدنا لعدون ما أنبته الله فيه أي لاقامته فيه يقال عدن بالمكان يعدن عدونا والمعدن المكان الذي عدن فيه الجوهر من جواهر الارض أي ذلك كان . وأحرى خلق الله تعالى وأجدر باقامة التقوى فيهم وعدونها لديهم بعد أنبياء الله تعالى ورسله أصحاب نبيه المصطفى رضوان الله تعالى عليهم ، والتقوى التحرز بطاعة الله تعالى عن مخالفته وامتثال أمره واجتناب نهيه ، وحقيقتها ان يجعل المرء بينه وبين معاصي الله وقاية تمنعه من انتهاكها والوقوع فيها فلا بد أن يجعل بينها وبينه حاجزا ، وفي سنن الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن يزيد رضي الله عنه (١) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس » وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : التقوى تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حجابا بينه وبين الحرام . وتقدم الكلام عليهـــا

(١) انما رواه عبد الله بن يزيد عن ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس وهما رفعاه

فى صدر الكتاب (( وينبوع الصفا )) معطوف على معادن والينبوع بفتح التحتية وسكون النون وضم الموحدة وبعدها واو ساكنة فعين مهملة عين الماء أو الجدول الكثير الماء كما فى القاموس ، والصفاء ضدالكدر كالصفو والصفوة وصفوة الشيء مثلثة ما صفى منه ومنه صفا الجو اذا لم يكن فيه لطخة غيم ، فالصحابة الكرام ينبوع كل خالص من الكدر نقى من غبار البدع وقذى الفكر فمن ورد موردهم كرع صافيا زلالا ومن زل عن نهجهم شرب أجاجا قذرا وبالا ((و)) على ((تابع)) لهم باحسان (( وتابع للتابع )) على نهج الاستقامة والاتقان وهؤلاء القرون الثلاثة (( خير الورى )) كفتى الخلق أى من هذه الامة وأفضلهم أحق ذلك (( حقا بنص الشارع )) للشرائع يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران بن حصين رضى الله عنهما فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة • رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، وكذا فى حديث أبى هريرة عند مسلم ولفظ حديث أبى هريرة « خير أمتى القرن الذى بعثت فيه » ولهذا المعنى قال :

**ذكر أئمة المذاهب الاربعة**

| | |
|---|---|
| (( ورحمة الله مع الرضوان | والبر والتكريم والاحسان )) |
| (( تهدى مع التبجيل والانعام | منى لمثوى عصمة الاسلام )) |
| (( أئمة الدين هداة الامه | أهل التقى من سائر الائمه )) |
| (( لاسيما احمد والنعمان | ومالك محمد الصنوان )) |

(( ورحمة الله )) تعالى (( مع الرضوان )) من الله تعالى (( والبر )) بالكسر الاحسان والشفقة (( والتكريم )) لهم من فضله العميم وكرمه الكريم (( والاحسان )) اليهم من الله لانهم أحسنوا عملا واخلصوا قولا وفعلا فيجازيهم بالاحسان لقوله تعالى ( هل جزاء الاحسان الا الاحسان )

((تهدى)) بضم المثناة الفوقية على صيغة مالم يسم فاعله أى هذه الامور التى هى الرحمة والرضوان والبر والتكريم والاحسان (( مع التبجيل )) أى التعظيم وفى حديث أنه عليه السلام أتى القبور فقال « السلام عليكم أصبتم خيرا بجيلا » أى واسعا كثيرا من التبجيل يعنى التعظيم كما فى النهاية وقال فى القاموس بجله تبجيلا عظمه (( والانعام )) من الملك المنعم

المهيمن السلام (( منى )) أى بأنى أسأل الله تبارك وتعالى أن يفعل جميع ذلك بمنه وكرمه وطوله وحلمه ((المثوى)) أى منزل ومقام قال فى النهاية : المثوى المنزل من ثوى بالمكان اذا أقام فيه • وفى القاموس • المثوى المنزل وجمعه مثاوى • وهو مجاز لان المراد الثاوين فأطلق المحل وأراد الحال (( عصمة )) أهل (( الاسلام )) من البدع المضلة والآراء المخلة بأهل الزيغ والالحاد والافك والعناد • والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامى والاعتصام الامتساك بالشىء افتعال منه وفى شعر أبى طالب فى حق النبى صلى الله عليه وسلم * ثمال اليتامى عصمة للأرامل * أى يمنعهم من الضياع والحاجة وعلى كل حال انما عصمة هذا الدين بعد الصحابة والتابعين كان بهؤلاء الائمة المجتهدين

ومن ثم قال (( أئمة )) أهل هذا (( الدين )) المتين ونور الله المبين الذى جاء به النبى الامين من عند رب العالمين (( هداة الامة )) أى الدالين الامة على نهج الرسول والكاشفين لهم عن معانى الكتاب المنزل والاحاديث التى عليها المعول والذابين زيغ الزائغين وبدع المبتدعين وضلال المضلين والحاد الملحدين فقد شيدوا مبانيها وسددوا معانيها وأصلوا أصولها وفصلوا فصولها فأصبحت الشريعة بهذا الترتيب مضبوطة وأحكامها بهذا الوصف والتبويب مربوطة فمن رام اختلاس حكم من أحكامها نكص على عقبيه وهو خائب ومن دنا من سماء أحكامها رمته كواكب حرسها بشهاب ثاقب ولست أخص بهذا الوصف والدعاء أحدا دون أحد بل أسأل الله تعالى لهم جميعا لانهم هم (( أهل التقى من سائر )) أى جميع (( الائمة )) من المقتدى بأقوالهم وأفعالهم من كل عالم همام وحبر قمقام ومقدم مقدام كالائمة المتبوعة الآتى ذكرهم

والسفيانين والحمادين واسحاق بن راهويه وأبى ثور ويحيى بن معين وابن أبى ذئب والبخارى ومسلم وعبد الله بن المبارك والليث بن سعد وربيعة ابن أبى عبدالرحمن وعبدالملك بن جريج وداود وغيرهم فانهم وان تباينت أقوالهم واختلفت آراؤهم من جهة الفروع الفقهية فالجميع سلفية أثرية ولهم فى السنة التصانيف النافعة والتآليف الناصعة كابن سعيد الدارمى وأبى بكر بن خزيمة وأشباههم • ثم بعد أن عم جميع الائمة بالدعاء والثناء خص الائمة الاربعة الذين مدار الشريعة الآن على ما أصلوه واحكامها

ضمن ما فصلوه فقال (( لاسيما )) هذه الكلمة مبنية على دخول ما بعدها في ما قبلها بالاولى فكل ما نسب لمن قبلها من الثناء والدعاء فمن بعدها كذلك وأولى بذلك ويجوز فى الاسم الذى بعدها الجر والرفع مطلقا وكذلك النصب أيضا اذا كان نكرة وقد روى بالاوجه الثلاثة قول امرىء القيس * ولا سيما يوم بدارة جلجل * وأرجحها الجر وهو على الاضافة وما زائدة بين المضاف والمضاف اليه مثلها فى :أيمارجلين،والرفع على أنه خبر لمضمر محذوف وما موصولة أو نكرة موصوفة بالجملة والتقدير ولامثل الذى هوأو ولا مثل شىء هو يوم ، وعلى الوجهين فتحة سى اعراب لأنه مضاف.والنصب على التمييز كما يقع التمييز بعد مثل فى مثل ( ولو جئنا بمثله مددا ) وما كافة عن الاضافة وفتحة سى فتحة بناء مثلها فى ، لا رجل ،وأماانتصاب المعرفة نحو ولا سيما زيدا فمنعه الجمهور ،وتشديد سيما ودخول لا عليها ودخول الواو على لا واجب عند قوم حتى قال ثعلب من استعمل لا سيما على خلاف ماجاء فى قوله : ولا سيما يوم - فهو مخطىء - وذكر غيره انها قدتخفف وقد تحذف الواو كقوله :

فه بالعقود وبالايمان لا سيمـــا    عقد وفاء به من أعظم القـــرب

وهى عند الفارسى منصوبة على الحال وعندغيره اسم للا التبرئة واختاره بعضهم

الامام (( احمد )) ابن محمد بن حنبل الشيبانى سيدنا وامامنا وقدوتنـا ومتبوعنا والواسطة بيننا وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الامامالشهير والامة العلم المنير صاحب المسند والتفسير والزهد وغيرها رضى الله عنه وتقدمت ترجمته فى صدر الكتاب والله أعلم (( و )) الامام الاعظم والحبر المعظم أبى حنيفة (( النعمان )) بالجر عطف على ماقبله على المختار الاكثر ويصح الرفع فيهما كما أشرنا أولا على الاشهر وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى امام أهل العراق وفقيههم بالاتفاق وامام أصحاب الرأى قال الحافظ جلال الدين السيوطى فى طبقات الحفاظ قيل انه من أبناء فارس وهو من التابعين فانه رأى أنس بن مالك وأبا الطفيل رضى الله عنهما وروى عن حماد بن أبى سليمان وعطاء وعاصم بن أبى النجود والزهرى وقتادة وخلق،

وعنه ابنه حماد ووكيع وعبد الرزاق وأبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وهما الصاحبان اذا أطلقا عند الحنفية ، قال الامام يحيى بن معين : كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بما لا يحفظ ، وقال الامام عبد الله بن المبارك ما رأيت فى الفقه مثله ، وقال مكى بن ابراهيم كان أعلم أهل زمانه وما رأيت فى الكوفيين أورع منه ، وقال الامام الشافعى الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة ، وسئل يزيد بن هارون أيهما أفقه أبو حنيفة او سفيان ؟ فقال : سفيان أحفظ للحديث وأبو حنيفة أفقه • أكره أبو حنيفة رضى الله عنه على القضاء فأبى أن يكون قاضيا وكان يحيى الليل صلاة ودعاء وتضرعا ولد رضى الله عنه سنة ثمانين ومات سنة مائة وخمسين وقيل سنة احدى وقيل ثلاث وخمسين والاول أصح

((و)) الامام أبى عبد الله ((مالك)) بالجر والتنوين هو الامام الكبير والنجم المنير والعلم الشهير أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث الاصبحى الحميرى المدنى شيخ الائمة وامام دار الهجرة روى عن جماعة من التابعين نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحميد الطويل وغيرهم وعنه الامام الشافعى وخلق جمعهم الخطيب فى مجلد ، قال الامام على بن المدينى : لمالك نحو ألف حديث ، وقال الامام ابن الامام عبد الله بن الامام احمد رضى الله عنه قلت لأبى من أثبت أصحاب الزهرى ؟ قال : مالك أثبت فى كل شىء ، وقال الامام البخارى رضى الله عنه أصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ، وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : اذا جاء الاثر فمالك النجم ، وعند الامام احمد سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أصح الاسانيد (١) قال ابن خلكان أخذ عن الامام مالك الاوزاعى ويحيى بن سعيد وغيرهما ونودى فى المدينة الا لا يفتى الناس الا مالك بن انس وابن أبى ذئب • مات فى المدينة سنة تسع وسبعين ومائة وهو ابن تسعين سنة رضى الله عنه ودفن فى البقيع وكان شديد البياض الى الشقرة طويلا عظيم الهامة اصلع يلبس

(١) كذا فى الاصل والمأثور عن احمد : أصح الطرق الزهرى عن سالم عن أبيه

الثياب العدنية الجياد ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة رحمه الله ورضى عنه

والامام ابى عبد الله ((محمد)) معطوف على من قبله سقط حرف العطف لاقامة الوزن فهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبى الشافعى رضى الله عنه يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف المذكور وقوله (( الصنوان )) أى القرابة للنبى صلى الله عليه وسلم يقال للنخلتين فما زادفى الاصل الواحد كل واحد منهما صنو ويضم وركيتان صنوان متجاورتان أو ينبعان من عين واحدة وفى حديث العباس رضى الله عنه « فان عم الرجل صنوابيه » وفى رواية « العباس صنو ابى » وفى رواية « صنوى » يريد صلى الله عليه وسلم أن أصل العباس وأصلى واحد وفى نسخة بدل الصنوان : المتقان ، من الاتقان لاتقانه للعلوم واحكامه للمنطوق منها والمفهوم فهو امام الامة وقدوة الائمة ولد بغزة هاشم سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة المشرفة وهو ابن سنتين وقيل ولد بعسقلان وقيل باليمن سنة أربع وخمسين وقيل سنة اثنتين كذا فى طبقات الحفاظ للجلال السيوطى وشرح ألفية الحديث للمصنف ، وفى طبقات الحفاظ أيضا ولد ببلاد غزة سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وكان رضى الله عنه جم المفاخر منقطع النظير اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام الصحابة رضى الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر حتى قرأ عليه الاصمعى مع اشتهاره بهذا الشأن اشعار الهذليين - مالم يجتمع فى غيره حتى قال الامام احمد رضى الله عنه : عرفنا ناسخ الحديث ومنسوخه لما جالسنا الشافعى ، وقال عبد الله بن الامام احمد قلت لأبى أى رجل كان الشافعى؟ فانى سمعتك تكثر من الدعاء له ، فقال : يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ، هل لذين من خلف أو عنهما من عوض ؟ كذا فى وفيات الاعيان لابن خلكان • قال السيوطى فى طبقات الحفاظ روى

الشافعي عن عمه محمد بن علي وأبي أسامة وسعيد بن سالم القداح وسفيان ابن عيينة والامام مالك واسماعيل بن علية وابن أبي فديك وخلق ، وعنه ابنه أبو عثمان محمد والامام احمد وأبو ثور وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو طاهر بن السرح وحرملة بن يحيى والحسن بن محمد الزعفراني والربيع بن سليمان الجيزي وأبو الوليد المكي وأبو يعقوب البويطي ويونس ابن عبد الاعلى وخلق كثير • قال ابن عبد الحكم لما حملت أم الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظية فتأوله أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر ثم ينتشر في سائر البلدان • وقال الامام احمد ان الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنة وينفي عن رسول الله الكذب فنظرنا فاذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز وفي رأس المائتين الشافعي رضي الله عنه • قال الشافعي رضي الله عنه حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر • وقال الربيع بن سليمان كان الشافعي يفتي وله خمس عشرة سنة وكان يحيي الليل الى أن مات • وقال أبو ثور كتب عبد الرحمن بن مهدي الى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن ويجمع قبول الاخبار فيه وحجة الاجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة • قال ابن مهدي : ما أصلي صلاة الا وأنا أدعو للشافعي فيها • وقال هرون بن سعيد الايلي لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لغلب لاقتداره على المناظرة • وكان الحميدي يقول حدثنا سيد الفقهاء • توفي رحمه الله ورضي عنه في شهر رجب سنة أربع ومائتين • وقال ابن خلكان أنه توفي آخر يوم من رجب ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى وقبره مشهور يزار ويتبرك به وأجمع العلماء قاطبة على ثقته وامامته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه رضي الله عنه ، وكان الشافعي قد قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها شهرا ثم خرج الى مصر وكان وصوله اليها سنة تسع وتسعين ومائة قاله ابن خلكان والله أعلم • ثم أشار الى أنه يجب على كل واحد

من هذه الملة ممن له عمل وتقوى أن يقلد واحدا من هؤلاء الاربعة على الاصح الاقوى فقال

(( من لازم لكل أرباب العمل تقليد حبر منهم فاسمع تخل )) **التقليد**

((من)) أى الذين هم فهو مبتدا خبره فرض ((لازم)) لا انفكاك عنه ولا مندوحة منه (( لكل )) واحد مكلف من (( أرباب )) أصحاب((العمل)) الصالح والكد الناجح ممن ليس فيه أهلية الاجتهاد المطلق (( تقليد حبر منهم )) أى من الائمة الاربعة المعلومة مذاهبهم المضبوطة أقوالهم المحفوظة رواياتهم المدونة مذاهبهم فى كل مصر وعصر الواصلة بالتواتر بشروطها وأركانها وموانعها واتقانها بحيث لا يتأتى لاحد أن ينسب لمذهب منها ما ليس منه بل آحاد طلبة العلم يرد عليه ويعيبه ويقول هذا ليس فى هذا المذهب حتى انهم يعرفون المشهور من أقوال المذهب والمهجور وان كان الدليل المأثور مع القول المهجور ، والحبر بفتح الحاء المهملة وكسرها وسكون الموحدة لعالم المتقن وكان يقال لابن عباس رضى الله عنهما الحبر والبحر لعلمه وسعته وتسمى سورة المائدة سورة الاحبار لقوله تعالى (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار ) والتقليد لغة وضع الشىء فى العنق محيطا به وذلك الشىء يسمى قلادة وجمعها قلائد ، وعرفا أخذ مذهب الغير مع اعتقاد صحته واتباعه عليه بلا معرفة دليله فالرجوع الى قول النبى صلى الله عليه وسلم والى المفتى والى الاجماع ورجوع القاضى الى العدول ليس بتقليد ولو سمى ذلك تقليدا لساغ ، وفى المقنع المشهور ان أخذه بقول المفتى تقليد وهو أظهر ، وقدمه النجم ابن حمدان فى آداب المفتى ، وقال شيخ الاسلام فى المسودة : والتقليد قبول القول بغير دليل فليس المصير الى الاجماع تقليدا لان الاجماع دليل،ولذلك يقبل قول النبى صلى الله عليه وسلم ولا يقال تقليد بخلاف فتيا الفقيه ، وذكر فى ضمن مسألة التقليد أن الرجوع الى قول الصحابى ليس بتقليد لانه حجة ، وقد قال الامام احمد فى رواية أبى الحارث من قلدالخبر رجوت أن يسلم ان شاء الله تعالى .فأطلق اسم التقليد على من صار الى الخبر وان كان حجة فى نفسه (تنبيه ) انما قال لكل أرباب العمل ليحترز به عن التقليد

في عقائد التوحيد من معرفة الله تعالى ونعوت ذاته وصفاته والرسالة وكذا في أركان الاسلام الخمس ونحوها مما تواتر واشتهر ذكره علماؤنا ونقل الاجماع في ذلك غير واحد منهم أبو الخطاب الكلوذاني وأبو الوفاء بن عقيل لتساوى الناس فيما لا يسوغ فيه اجتهاد ، وتقدم الكلام عليه في آخر الباب الاول مطولا والله أعلم • قال الامام موفق الدين في الروضة :وأما التقليد في الفروع فهو جائز اجماعا ، قال وذهب بعض القدرية الى أن العامة يلزمهم النظر في الدليل ، واستدل لجواز التقليد بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ) وهو عام لتكرره بتكرر الشرط وعلة الامر بالسؤال الجهل ، وأيضا الاجماع فان العوام يقلدون العلماء من غير ابداء مستند من غير نكير ، وأيضا عدم القول بذلك يؤدى الى خراب الدنيا بترك المعاش والصنائع ولا يلزم مثله في التوحيد والرسالة لتيسره وقلته ودليل العقل والنقل ، ولذا قال الامام مالك يجب على العوام تقليد المجتهدين في الاحكام كما يجب على المجتهدين الاجتهاد في أعيان الادلة خلافاللمعتزلة البغدادية فانهم وافقوا القدرية في ايجابهم على العوام الاجتهاد واحتجوا بقوله تعالى ( فاتقوا الله ما استطعتم ) ومن الاستطاعة ترك التقليد ولان العامي متمكن من كثير من وجوه النظر فوجب أن لا يجوز له تركها قياسا على المجتهد ، ولنا أن الخطأ متعين وبلوغ الصواب متعسر بل متعذر في حق العوام اذا انفردوا بمعرفة الاحكام لانهم لا يعرفون الناسخ والمنسوخ ولا المخصص ولا المقيد ولا كثيرا مما يتوقف عليه دلالة الالفاظ ولا يضبطونه ولا يسوغ لهم مخالفته لفرط الغرر فيه فهم لا يستطيعون الوصول اليه وقد توسط أبو على الجبائى أحد أئمة المعتزلة فقال شعائر الاسلام الظاهرة لا تحتاج لنصب الاجتهاد فلا حاجة الى التقليد فيها كالصلوات الخمس وصوم رمضان ونحو ذلك وأما الامور الخفية من المجتهد فيه فيتعين التقليد فيها بالضرورة ولا نزاع في ذلك لان تحصيل الحاصل محال ولا سيما والتقليد انما يفيد الظن وهو دون الضرورة بكثير ومالم ننته الى حد الضرورة يتعين التقليد فيه لحاجة النظر الى آلات مفقودة في العامي

**تنبيهات**
**الاول التزام مذهب معين**

( تنبيهات )

( أحدها ) منع قوم وجوب لزوم مذهب معين قال شيخ الاسلام ابن تيمية فى الفتاوى المصرية : تنازع المتأخرون من أصحاب الامام احمد والامام الشافعى وغيرهما هل على العامى أن يلتزم مذهبا واحدا بعينه من مذاهب الائمة المشهورين بحيث يأخذ بعزائمه ورخصه على قرلين ، قال والمشهور أنه لا يجب كما أنه ليس له أن يقلد فى كل مسألة من يوافق غرضه وليس له أن يقلد فى المسألة الواحدة اذا كان الحق له من لا يقلده اذا كان الحق عليه بل عليه باتفاق الائمة أن يعدل بين نفسه وغيره فى الاقوال فاذا اعتقد وجوب شيء أو تحريمه اعتقد ذلك عليه وعلى من يماثله كشفعة الجوار فليس له ثبوت الشفعة اذا كان هو الطالب وانتفاؤها اذا كان هو المطلوب كما يفعله أهل الهوى متابعة للهوى لا مراعاة للتقوى • وقال فى مواضع أخرى : التمذهب بمذهب بحيث يأخذ برخصه وعزائمه طاعة غير النبى صلى الله عليه وسلم فى كل أمره ونهيه وهو خلاف الاجماع • وتوقف أيضا فى جواز ذلك فضلا عن وجوبه وقال ان خالفه لقوة الدليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدح ذلك فى عدالته بلا نزاع •وقال: بل يجب فى هذه الحال له وأنه نص الامام • وكذا قال القدوري الحنفى : ماظنه أقوى فعليه تقليده فيه وله الافتاء به حاكيا مذهب من قلده •وقال صدر الوزراء عون الدين أبو المظفر ابن هبيرة انه من مكايد الشيطان أن يقيم أوثانا فى المعنى تعبد من دون الله مثل أن يتبين له الحق فيقول هذا ليس بمذهبنا تقليدا لمعظم عنده قد قدمه على الحق • وقال أبو محمد بن حزم أجمعوا على أنه لا يحل للحاكم ولا المفتى تقليد رجل فلا يحكم ولا يفتى الا بقوله • انتهى • والاشهر الآن عليه أن يتمذهب بمذهب ، قال ابن حمدان فى الرعاية : هذا الاشهر فلا يقلد غير أهله • وقال في آداب المفتى : يجتهد في أصح المذاهب فيتعبد ، وقطع الكبار بلزوم التمذهب بمذهب قال الامام النووى : هذا كلام الاصحاب ، والذى يقتضيه الدليل أنه لا يلزمه • انتهى •

**الثانى : اذا لزم فماحكم الانتقال**

( الثانى ) اذا قلنا يلزمه أن يتمذهب بمذهب يجوز له الانتقال عن المذهب الذى تمذهب به وعمل به عند الاكثر فيتخير فى الصورتين واختار

الآمدى منع الانتقال فيما عمل به ، وتقدم كلام شيخ الاسلام أنه اذا خالفه لقوة دليل أو زيادة علم أو تقوى فقد أحسن ولم يقدح فى عدالته بلا نزاع، والحاصل أن للعلماء فى ذلك ثلاثة أقوال الاول امتناع الانتقال عنـــه مطلقا لالتزامه اياه ، الثانى له الانتقال عنه مطلقا والتزام ما لا يلزم غير لازم ، والثالث التفصيل وهو ان كان عمل بمقتضى ذلك المذهب الذى تمذهب به وصلى وصام وزكى ونحو ذلك على حسبه غير ملتفت لغيره لزمه الوقوف عليه وامتنع عليه الانتقال عنه وصوب ذلك بعض العلماء وجزم به غير واحد(١) .

**الثالث : تتبع الرخص**

( الثالث ) يحرم على العامى الذى ليس بمجتهد تتبع الرخص فى التقليد ولو قلنا بجواز الانتقال وهو أنه كلما وجد رخصة فى مذهب عمل بها ولا يعمل بغيرها فى ذلك المذهب ، قال علماؤنا ويفسق بذلك لانه لا يقول باباحة جميع الرخص أحد من علماء المسلمين فان من قال بالرخص فى مذهب لا يقول بالرخصة الاخرى فى غيره . قال الامام ابن عبد البر : لا يجوز للعامى تتبع الرخص اجماعا . وقال الامام احمد رضى الله عنه لو أن رجلا عمل بكل رخصة يعمل بمذهب أهل الكوفة فى النبيذ وأهل المدينة فى السماع وأهل مكة فى المتعة لكان فاسقا . وقال معمر لو أن رجلا أخذ بقول أهل المدينة فى السماع يعنى الغناء واتيان النساء فى أدبارهن وبقول أهل مكة فى المتعة والصرف وبقول أهل الكوفة فى المسكر كان أشر عباد الله تعالى . وقال سليمان التيمى لو أخذت برخصة كل عالـــم أو قال زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله . لكن قال القاضى أبو يعلى بن الفراء امام المذهب بعد ذكر كلام الامام أحمد رضى الله عنه المتقدم آنفا : هذا محمول على أحد الوجهين اما أن يكون من أهل الاجتهاد ولم يؤده اجتهاده الى الرخص فهذا فاسق لأنه ترك ما هو الحكم عنده واتبع الباطل ، او يكون عاميا فأقدم على الرخص من غير تقليد فهذا أيضا فاسق لانه أخل بفرضه وهو التقليد ، قال واما ان كان عاميا وقلد فى ذلك لم يفسق لانه قلد من يسوغ اجتهاده . ونظر فيه الجراعى فى حواشيه على أصول ابن

---

(١) قد ألف فى هذه المسألة عدة رسائل ولابن القيم فى اعلام الموقعين فيها كلام معروف

اللحام • قلت وهو الحق ، وقد نقل جمع محققون انما يجـــوز تقليد المذاهب فى النوازل والانتقال من مذهب الى مذهب فى بعض المسائل بثلاثة شروط ( الاول ) ان لا يجمع بين المذهبين مثلا على صفة تخالف الاجماع كمن تزوج بغير صداق ولا ولى ولا شهود فان هذه الصورة لم يقل بها أحد ، قلت أي تزوج بلا ولى مقلدا لأبى حنيفة وبلا شهود مقلدا لمالك فهذا لم يقل به أحدهما ولا غيرهما وهو ذريعة للزنا فهذا لا نزاع فى رده ( الثانى ) ان يعتقد فيمن يقلده الفضل ولو بوصول خبره اليه ( الثالث ) أن لا يتتبع رخص المذاهب

**الرابع تقليد المفضول**

( الرابع ) للعامى أن يقلد المفضول مع وجود الفاضل من المجتهدين عند أكثر علمائنا منهم القاضى وأبو الخطاب والامام الموفق فى روضته وقاله الحنفية والمالكية وأكثر الشافعية ، وقيل يصح ان اعتقده فاضلا أو مساويا لا ان اعتقده مفضولا لانه ليس من القواعد أن يعدل عن الراجـــح الى المرجوح ، وقال الامام ابن عقيل وابن سريج والقفال والسمعانى يلزمـــه الاجتهاد فيقدم الارجح ، ( وفى ) معناه قول ابى القاسم الخرقى والامام الموفق في المقنع ، وللامام أحمد رضى الله عنه روايتان ، واستدل للاول بأن المفضول من أصحابه صلى الله عليه وسلم ومن السلف كان يفتى معوجود الفاضل مع الاشتهار والتكرار ولم ينكر ذلك أحد فكان اجماعا على جواز استفتائه مع القدرة على استفتاء الافاضل وبظاهر قوله تعالى ( فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ) وأيضا العامى لا يمكنه الترجيح لقصوره ولو كلف بذلك لكان تكليفه بضرب من الاجتهاد وان زيف ابن الحاجب ذلك زاعما أن الترجيح يظهر بالتسامع ورجوع العلماء اليه وغيره لكثرة المستفتين وتقديم العلماء له • انتهى • لكثرة جهات التفضيل كما سبق وايجاد أشياء فى المفضول بعضها ما يفضل الفاضل والله أعلم قوله (( فاسمع تخل )) أى فاسمع نظامى وما أشرت اليه من لزوم كل مكلف لم يبلغ رتبةاستخراج الاحكام من معادنها ولا استنباط الادلة من مكانها التقليد والاقتداء بأحد أئمة الهدى ومصابيح الدجا وقوله تخل أى تظن وتعلم ذلك لان الانسان قبل سماعه يكون خالى الذهن فاذا سمع الكلام وتأمل ما فيه من الاحكام علم أو ظن لزوم ذلك على ذوى الافهام وأصله مثل يقوله الرجل اذا بلغه شىء

من رجل فاتهمه وقيل معناه أنه من يسمع أخبار الناس ومناقبهم ومثالبهم يقع فى نفسه أثر ذلك من خير أو شر ولفظ المثل « من يسمع يخل » أى من يسمع له خير يحدث له ظن فحذف المفعولين اقتصارا لافادة تجدد الفعل أو حدوثه

(( ومن نحا لسبلهم من الورى   ما دارت الافلاك أو نجم سرى ))

((و)) رحمة الله تعالى مع البر والاحسان والعفو والغفران تهدى لـ((من)) أى انسان أو الذى ((نحا)) أى قصد متبعا ((لسبلهم)) ككتب جمع سبيل وهو الطريق الواضح كما أنه خص الائمة الاربعة بعد عموم الائمة دعا لمن اتبعهم أو اتبع واحدا منهم ((من)) سائر ((الورى)) كفتى الخلق (( مادارت)) أى مدة دوران (( الافلاك )) جمع فلك بفتح الفاء واللام مدار النجوم ويجمع أيضا على فلك بضمتين ومن كل شيء مستداره ومعظمه والمراد الاول (( أو نجم سرى )) أى وتهدى لهم ولمتبوعهم الرحمة والرضوان والبر والاحسان والانعام مدة دوام سرى النجوم على الدوام وسرى كهدى سير عامة الليل والنجم الكوكب وجمعه أنجم وأنجام ونجوم ونجم ، والنجم من النبات ما نجم على غير ساق والثريا والوقت المضروب والمراد الاول

(( هدية منى لأرباب السلف   مجانبا للخوض من أهل الخلف))
(( خذها هديت واقتفى نظامى   تفز بما أملت والسلام ))

ولما كان نظم هذه العقيدة بسؤال بعض أصحابنا النجديين وأنها على مانحاه السلف من الاثريين قال عند تمام انجاح السؤال هذه العقيدة الاثرية المفيدة ((هدية)) مهداة وعطية مؤداة ((منى)) بعون الله وتوفيق من لاينبغى الرشد من سواه ((لارباب)) جمع رب بمعنى صاحب طريقة ((السلف)) وعقيدة أهل الاثر ممن درج على الحق وسلف حال كونى ((مجانبا)) فى أصل نظمى لها وتضمينى اياها أقوال السلف وعقائد أهل الآثار ((للخوض)) فى التأويل والتعمق فى صرف آيات التنزيل عن مقتضاها الثابت ومعناها الظاهر المؤيد بالسنة السنية والاحاديث النبوية والاخبار السلفية والآثار الاثرية الى غير محاملها من غير دليل نبوى ولا اذن شرعى مما هو دأب المتنطعين (( من أهل )) مذهب (( الخلف * خذها )) أى هذه العقيدة (( هديت )) بضم

الهاء وكسر الدال المهملة على صيغة مالم يسم فاعله أي هداك الله أيهاالاثري والمتبع في اعتقادي أثري (( واقتفي )) أي اتبع (( نظامي )) في هذهالعقيدة السلفية التي هي بأمهات مسائل عقائد السلف وفية فانك ان فعلت ((تفز)) أي تظفر (( بما )) أي بالذى (( أملت )) من نيل الفلاح ودرك النجاح قال في القاموس الفوز النجاح والظفر • بالخير والامل الرجاء يقال أمله أملا وأمله تأميلا رجاه ((و)) تظفر أيضا بـ ((السلام )) اى الامان من التخليط الجدلي والتخبيط الكلامي وما ينشأ عن ذلك من حزازات الصدورووساويس الافكار وتصعب الامور ، ومعنى السلام لغة الامان ، قال العلماء السلام من أسماء الله تعالى فمعنى السلام عليك اسم الله عليك وسلم الله عليك • وقال العلامة أبو بكر بن أبي داود في التحفة في معنى اسمه تعالى السلامقيل معناه ذو السلامة من كل عيب ونقيصة فيكون من أسماء التنزيه وقيل مالك تسليم العباد من المهالك فيرجع الى القدرة ذو السلام على المؤمنين فيالجنان فيرجع الى الكلام القديم الازلي(١)قال تعالى( سلام قوم من رب حيم ) قال وحظ العبد من هذا الاسم أن يسلم من الغش والحقد والحسد ومن كل رذيلة

وهذا آخر ما قصدت ايراده على منظومتي المسماة بالدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ، وأنا أتوسل اليه تعالى بلسان الافتقار وأتذلل اليه بجنان الذل والاحتقار وأتضرع بجوارح العجز والانكسار وأتشفع بحرمة النبي المختار (٢) وآله الاطهار وأصحابه الاخيار وأصهاره الابرار وسائر المهاجرين والانصار وبجميع الانبياء والمرسلين وبالملائكة المقربينوبالعلماء العاملين وأهل المعرفة والمتقين أن يجعل هذا الشرح خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز لديه في جنات النعيم وأن ينظر الى والى من كتبه وقرأه وأقرأه بعين العناية ، وأن يحفظني وأهل بيتي واخواني من كل ضلالة وغواية ، وأن ينفع به من كتبه وقرأه وفهمه ووعاه انه جواد كريم رؤوف رحيم وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله وصحبه وأمته الغـــــر المحجلين وكافة من دعا لنا بخير يا رب العالمين

---

(١) راجع مبحث القرآن(٢)الذى حققه شيخ الا سلام ابن تيمية وغيره من أئمة السنة المنع من هذا الضرب من التوسل •

## خاتمة الطبع

قد تم بحمد الله تعالى طبع الجزء الثانى من كتاب لوامع الأنوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرر المضية فى عقد الفرقة المرضيـــة كلاهماللشيخ العلامة محمد بن احمد السفارينى وبتمامه تم الكتاب والحمد لله رب العالمين •

# فهرس الجزء الثاني

## فهرس الجزء الثاني من كتاب لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية

صفحة


٣ الباب الرابع فى بعض السمعيات
٣ المراد بها ما طريق العلم به النصوص الشرعية
٣ تفسير الفتنة
٤ معنى البرزخ
٤ القبر واول من سنه
٥ أمور ما بعد الموت ، الامر الاول سؤال منكر ونكير وبيان ذلك
٧ تنبيهات الاول الجمع بين روايتى ملك وملكين
٨ الثاني تسمية الملكين بمنكر ونكير
٩ الثالث اختلفت الروايات فى كيفية السؤال
٩ الرابع من لم يدفن يناله السؤال ونحوه
١٠ الخامس قيل يختص السآال بغير الكافر الصريح وبهذه الامة
١١ السادس قيل أن السؤال يكون بالسريانية ولا دليل عليه
١١ تتمة ، بعض الناس لاننا لهم فتنة القبر
١٢ الامر الثاني عذاب القبر وذكره فى القرآن
١٤ الامر الثالث ضغطة القبر
١٦ سبب الضغطة وهى تنال الانبياء
١٧ فوائد الاولى اول عدل الآخرة تساوى القبور
١٧ الثانية تدفع عقوبة السيئة بأحد عشرة اسباب
١٧ الثالثة بيان سبب عذاب القبر مجملا ومفصلا
١٩ الرابعة أسباب النجاة منه مجملة ومفصلة
٢٠ تنبيهات ، الاول انكار الملاحدة عذاب القبر واحواله
٢١ الرد عليهم بوجوه ، هو ممكن اخبرت به الرسل فوجب الايمان به
٢١ يجب ان لا تحمل النصوص ما لا تحتمله .
٢١ احوال البرزخ والآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا
٢٢ جعل الله أمر الآخرة غيبا ، والحكمة فى ذلك
٢٢ نار القبر مخالفة لنار الدنيا
٢٢ يحدث الله فى الدنيا ما هو اعجب
٢٣ عذاب القبر حق
٢٤ التنبيه الثاني عذاب القبر عل النفس والبدن وقيل غير ذلك
٢٦ التنبيه الثالث عذاب القبر لا يختص بمن يقبر
٢٦ التنبيه الرابع قول ابن حزم لا يحيا الميت فى قبره
٢٧ تعقب ابن القيم
٢٨ للروح خمس تعلقات بالبدن
٢٨ فصل فى الكلام فى الروح والخلاف فى حقيقتها
٣٠ معانى النفس
٣٠ معانى الروح

صفحة

٣١ الفرق بين النفس والروح بالصفات لا بالذات
٣٣ الفهم والذكاء والذهن
٣٣ مسالتان الاولى الروح مخلوقة باجماع الرسل
٣٤ كلام ابن منده فى خلق الروح
٣٤ اقوال المخالفين
٣٥ كلام شيخ الاسلام
٣٥ كلام ابن القيم
٣٥ رد الامام أحمد على الزنادقة والجهمية
٣٦ الاضافة الى الله نوعان
٣٧ المسالة الثانية فى عدم فناء الروح
٣٧ هل تموت عند النفخ فى الصور
٣٨ من المستثنى من الصعق
٤٠ تتمة فى مسائل
٤٠ الاولى الارواح خلقت قبل أم الاجساد ، دلائل تقدم الارواح
٤٠ آية ( واذا اخذ ربك ) وتفسيرها
٤٣ دلائل تاخر الارواح
٤٥ فائدتان الاولى ميثاق عالم الذر اخذ بعرفة
٤٥ الثانية ايداع الميثاق الحجر الاسود
٤٦ المسالة الثانية اين مستقر الارواح فى البرزخ
٤٨ أرواح الشهداء فى حواصل طير خضير
٤٩ لا محذور فى هذا وليس من التناسخ الباطل
٥٠ بطلان التناســـخ
٥٠ وقول من يزعم ان الارواح تعدم
٥١ النظر عى الاقوال المختلفة
٥٤ الجمع بين ما استدل به المختلفون من الادلة الصحيحة
٤٦ للانفس أربع دور
٥٦ المسالة الثالثة هل تتلاقى أرواح الموتى
٥٨ تفسير آية ( الله يتوفى الانفس )
٦٠ الرؤيا ثلاثة انواع والصحيح منها اقسام
٦١ سؤال عمر عليا عن ثلاثة اشياء وجوابه
٦٣ معنى السيد
٦٣ عل يطلق على البشر
٦٤ الاصول الثلاثة التى عليها مداد الخلق والامر والسعادة
٦٥ فصل فى اشراط الساعة
٦٥ النصوص المخبرة باقترابها
٦٦ اشراط الساعة واماراتها ثلاثة اقسام
٦٦ الاولى ما قد مضى وانقضى
٦٨ الثـانية ما ظهر واستمر
٧٠ الثالثة العلامات الكبرى
٧٠ المهدى
٧١ اسمه واسم أبيه

صفحة

٧١ الرد على الامامية
٧٢ لم قيل له المهدى
٧٢ نسبه
٧٣ فوائد فى شان المهدى
٧٣ الاولى حليته وصفته
٧٥ الثانية سيرته
٧٦ الثالثة علامات ظهوره
٧٧ الرابعة بعض ما يسبقه من الفتن
٧٩ خروج السفيانى
٧٩ خروج الابقع والاصهب
٨٠ خروج الاعرج الكندى
٨٠ خروج الحارث والمنصور
٨٠ ذكر شعيب بن صالح
٨١ الفائدة الخامسة فى أحوال المهدى
٨١ بيعته وما يتصل بها
٨٣ مدة ملك المهـــدى
٨٤ تنبيه فى ان المهدى غير عيسى
٨٤ قول الامامية والكيسانية
٨٥ تتمة للمهدى فضل دون فضل الصحابة
٨٦ خاتمة ما قيل ان المهديين ثلاثة
٨٦ العلامة الثانية الدجـــال
٨٦ ما جاء فى صفته
٨٩ قيل انه شيطان لا انسان
٩٠ عظم فتنته
٩١ طول بعض ايامه وكيف الصلاة فيها
٩٢ مع الدجال ما يسميه جنة ونارا ، فهل ذلك تخييل ؟
٩٢ ذكر المؤمن الذى يكذب الدجال وما يجرى له
٩٤ فائدة فى عدد من يسلم من فتنة الدجال
٩٤ العلامة الثالثة نزول عيسى عليه السلام دل عليه الكتاب والسنة والاجماع
٩٥ فوائد تتعلق به الاولى حليته وسيرته
٩٦ خبر لا يزال هذا الامر فى قريش ، وما يشكل عليه
٩٧ الفائدة الثانية وقت نزوله ومحله وما يجرى على يديه
٩٨ الفائدة الثـالثة مقدار مدته ووفاته
٩٩ قتله للدجال
٩٩ تنبيه فى لفظ المسيح وانه يقال لعيسى عليه السلام ويقال للدجال
٠٠ صلاة عيسى بالمسلمين العصر بمسجد دمشق
١٠٢ الجمع بين الروايات
١٠٣ معنى الجدل
١٠٤ تنبيهات الاول فى قتل المسلمين لاتباع الدجال من اليهود
١٠٥ الثانى فى قدر لبث الدجال وكيف النجاة منه
١٠٦ الثالث ينبغى بث الاحاديث المنذرة بالدجال

صفحة

١٠٧ الرابع فى ابن صياد وهل هو الدجال ؟
١٠٩ الخامس قصة تميم الدارى حيث الجساسة
١١٢ السادس اسم الدجال عند اليهود وزعمهم فيه
١١٢ السابع ان عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال يزور المدينة
١١٣ العلامة الرابعة خروج ياجوج وماجوج
١١٣ اشتقاق الاسمين ٠
١١٤ قيل هم من اولاد يافث
١١٤ اثبات وجودهم وخروجهم ، بالكتاب والسنة
١١٥ ما قيل انهم ليسوا من أولاد حواء وما حكى فى صفتهم
١١٦ خروجهم حق
١١٦ قبائلهم ومنها الترك وصفتهم
١١٧ مقدارهم فى جملة الجن والانس
١١٧ تتمة فى سبب خروجهم واهلاكهم
١١٨ سد ذى القرنين وصفته ومكانه وحكايات من ادعى رؤيته
١١٩ حديث حفرهم السد
١١٩ فى الحديث آيات
١٢٠ هلاكهم
١٢٢ العلامة الخامسة هدم الكعبة
١٢٣ من الذى يستخرج كنز الكعبة
١٢٣ كون الحرم آمنا لا ينفى ما صحت به الاخبار
١٢٤ هدم الكعبة فى زمن عيسى أم بعده
١٢٥ فوائد احداها فيما جاء فى خراب المدينة
١٢٦ الثانية خروج القحطانى والجهجاه والهيثم والمقعد
١٢٨ الثالثة حديث حجوا قبل ان لا تحجوا
١٢٨ العلامة السادسة الدخان
١٣١ العلامة السابعة رفع القرآن
١٣٢ العلامة الثامنة طلوع الشمس فى مغربها
١٣٣ ثبوته بالسنة والكتاب
١٣٣ تفصيل حال الناس حين ذلك فى الايمان والعمل
١٣٦ لا ينقطع التكليف خلافا للمعتزلة
١٤٠ تنبيهات الاول فى حال الناس بعد طلوع الشمس من مغربها
١٤١ الثانى ما جاء ان طلوعها من مغربها اول الساعات وما يخالفه والنظر فى ذلك
١٤٢ ترتيب الآيات
١٤٢ الثالث فى طى الدواوين وجفاف الاقلام
١٤٣ العلامة التاسعة دابة الارض
١٤٤ اختلاف المنقول فى محل خروجها وما قيل من تكروه
١٤٦ خروجها ثابت بالكتاب والسنة وصفتها وعملها
١٤٩ فائدة قيل انها الجساسة وقيل انها الثعبان الذى كان ببئر الكعبة
١٤٩ العلامة العاشرة خروج نار من قعر عدن او غيره
١٥١ اختلاف المنقول فى موضع خروجها والجمع بين الاوجه
١٥١ تتمة فى عموم الكفر آخر الزمان

صفحة

١٥٢ الريح التى تقبض بقية المؤمنين وهل هما ريحان ؟
١٥٢ حديث لا تزال طائفة من امتى والجمع بينه وبين الاحاديث الاخرى
١٥٤ تنبيهان الاول ما قيل أن الحشر اربعة
١٥٥ الثانى حشر الناس من المشرق الى المغرب ايوم القيامة ام قبله ؟
١٥٧ فصل فى أمر المعاد
١٦٠ تنبيهان الاول البعث اعادة بعد تفرق ام بعد عدم ؟
١٦٠ الثانى هل تعاد الاعراض ؟
١٦١ النفخ فى الصور ثلاث الاولى نفخة الفزع
١٣٦ الثانية نفخة الصعق وهلاك الخلق
١٦٤ الثالثة نفخة البعث
١٦٧ يحشر الناس عرايا ودفع ما يخالف ذلك
١٦٧ الوقوف للحساب
١٦٨ اهوال الموقف
١٧١ فائدة يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء
١٧٢ معنى محاسبة الله تعالى لعباده
١٧٣ تنبيهات الاول وجه تقديم ذكر الحساب
١٧٣ الثانى كيفيات الحساب
١٧٤ الثالث أول من يحاسب واول ما يحاسب عليه
١٧٥ الرابع اختلف فى المسؤول عنه والمسؤول
١٧٧ فائدة ، يكلم الله المسلمين بغير ترجمان
١٧٧ الخامس فيمن يدخل الجنة بغير حساب
١٨٠ الصحف
١٨٢ فوائد الاولى كيفية اخذ الصحف
١٨٣ الثانية الفرق بين اخذ المسلم العاصي واخذ الكافر
١٨٣ الثالثة اول من يعطى كتابه بيمينه واول من يعطى بشماله
١٨٤ الميزان
١٨٦ تنبيهات الاول الميزان واحد ام متعدد ؟
١٨٧ الثانى العبد يوزن ام صحفه ام العمل ؟
١٨٨ الثالث : هل يوزن الايمان ؟
١٨٨ الرابع الكفة الثقيلة تهبط أم ترتفع
١٨٩ الصراط
١٨٩ هل وراء الصراط صراط آخر ؟
١٩٠ صفة الصراط والمرور عليه
١٩٢ تنبيهات الاول بعضهم يتأول الصراط
١٩٤ الثانى : الصراط مخلوق الآن
١٩٤ الثالث رد ما قيل انه شعرة
١٩٤ الحوض
١٩٥ الحوض قبل الصراط أم بعده ؟
١٩٧ قوم يذادون عن الحوض
٢٠١ تنبيهات الاول مقدار الحوض
٢٠٢ الثانى انكر بعضهم الحوض

صفحة

٢٠٢ الثالث لكل نبى حوض
٢٠٤ الشـــفاعة
٢٠٤ للنبى ص شفاعات
٢٠٧ فوائد الاولى هذه الشفاعة العامة
٢٠٨ الثانية هذه الشفاعة مجمع عليها
٢٠٨ الثالثة حكم السجود فى المحشر
٢٠٩ شفاعة الانبياء وغيرهم
٢١١ الشفاعات الخاصة بالنبى ص
٢١٢ تنبيهات الاول الشفاعة التى تنكرها المعتزلة
٢١٥ الثانى فى الاعمال الموعود عليها الشفاعة
٢١٦ر٢ الثالث فيمن لا تدركهم الشفاعة
٢١٧ الرابع شبهة نفاة الشفاعة وردها
٢١٨ فصل فى الجنة والنار
٢٢٠ تنبيهات الاول فى الجن
٢٢٢ الثـانى فى تكليف الجن
٢٢٣ الثالث فى البعثة الى الجن
٢٢٥ وجنة النعيم للابرار
٢٢٩ خطر النفس الانسانية
٢٣٠ خلود الجنة والنار
٢٣٤ الاقوال فى الخلود فى النار
٢٣٥ تنبيه فى حقيقةالموت وانه سيذبح
٢٣٧ تتمة فى مكان الجنة والنار
٢٤٠ رؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة
٢٤٧ فوائد الاولى تراه سبحانه الابصار فى الآخرة ولا تدركه
٢٤٧ الثانية - يراه الملائكة والنساء
٢٥٠ الثالثة هل رأى محمد ربه ليلة الاسراء ؟
٢٥٦ الباب الخامس فى النبوة
٢٥٨ تنبيهات الاول ارسال الرسل فضل منه تعالى
٢٥٩ الثانى الرسالة ضرورية للعباد
٢٦٣ الثالث وجوب الايمان بجميع الانبياء - وما جاء فى عددهم
٢٦٥ الاوصاف اللازمة للنبوة
٢٦٧ النبوة غير مكتسبة
٢٦٩ خاتم النبيين
٢٧١ فضل الامة
٢٧٣ أول من يدخل الجنة من هذه الامة
٢٧٦ سبب فضل هذه الامة
٢٧٧ فصل فى بعض الخصائص النبوية
٢٧٧ الاولى خاتم النبيين
٢٧٨ الثانية المقام المحمود
٢٧٩ الثالثة عموم بعثته
٢٨٠ الرابعة القران

صفحة

٢٨٠ الخامسة المعراج
٢٨٤ تنبيهات الاول رؤية الله فى الدنيا ممكنة
٢٨٥ الثانى معنى قاب قوسين او ادنى
٢٨٦ الثالث سدرة المنتهى
٢٨٨ الرابع المستوى المسموع منه صريف الاقلام
٢٨٨ الخامس الاسراء والمعراج فى ليلة واحدة
٢٨٩ السادس هل تكررالمعراج ؟
٢٨٩ فصل فى بعض المعجزات
٢٩١ القرآن وانشقاق القمر
٢٩٣ تنبيهات الاول رواة انشقاق القمر
٢٩٣ الثانى رد ما قيل انه دخل فى جيبه الخ
٢٩٣ الثالث آياته ( ص ) انواع
٢٩٤ الرابع من ايات صدقه ( ص ) صورته وهياته
٢٩٨ التفضيل بين الانبياء
٣٠١ رد بعض المزاعم فى فضل الولاية وختمها وحقيقة النبوة
٣٠٣ فصل فيما يجب ويجوز ويستحيل فى حق الانبياء ( ص )
٣٠٥ تنبيه لم يكن صلى الله عليه وسلم على دين قومه قط
٣٠٨ تتمة فى وجوب التادب فى حقه ( ص )
٣١٠ فصل فى الصحابة
٣١١ تفضيل الصديق
٣١٧ عمر الفاروق
٣٢٦ تنبيه خلافة الفاروق تبع لخلافة الصديق
٣٢٨ عثمان ذو النورين
٣٣٤ على ابو السبطين
٣٤٥ تنبيه على احق الناس بالخلافة بعد الثلاثة
٣٥٣ وضعه النحو
٣٥٤ تنبيهات الاول الفضلية الاربعة
٣٥٥ الثانى فى ترتيبهم
٣٥٥ الثالث ذكر بعض الخلاف
٣٥٦ الرابع تلازم المحبة الدينية واعتقاد الافضلية
٣٥٧ باقى العشرة
٣٥٧ طلحة
٣٥٨ الزبير
٣٥٨ سعد
٣٥٩ سعيد
٣٥٩ عبد الرحمن بن عوف
٣٦١ اهل بدر
٣٦٤ تنبيه فى معنى اعملوا ما شئتم
٣٦٦ اهل الشجرة
٣٦٦ اهل احد
٣٧١ تنبيهات الاول فى تلخيص التفضيل

صفحة

٣٧٤ الثانى السابقون قبل فتح الحديبية
٣٧١ الثالث تفضيل نوع على نوع لا يقتضى تفضيل كل فرد
٣٧٣ خديجة وعائشة
٣٧٦ فصل فى فضل الصحابة جملة وحقهم
٣٨١ رجحان قول الصحابى عند الاختلاف
٣٨٥ التحذير من الازراء بفضل الصحابة
٣٨٩ التابعون وافضلهم
٣٩١ اتباع التابعين
٣٩٢ فصل فى كرامات الاولياء
٣٩٢ انواع الخوارق
٣٩٣ حد الكرامة والولى
٣٩٣ تفليس اولياء ابليس
٣٩٦ ثبوت الكرامات فى الجملة
٣٩٦ تنبيهات الاول
٣٩٦ الثانى
٣٩٦ الثالث
٣٩٧ الرابع
٣٩٧ نماذج ممن يدعى او تدعى له الولاية والكرامة كذبا
٣٩٨ فصل فى المفاضلة بين البشر والملائكة
٤٠٠ تنبيهات الاول تفصيل التفضيل والخلاف
٤٠١ الثانى بعض أدلة تفضيل صالحى البشر على الملائكة
٤٠٦ الثالث الجوابعن أدلة المخالفين
٤٠٩ السلامة فى السكوت عن التفضيل
٤٠٩ الرابع فى تكليف الملائكة
٤١٠ الخامس فى سرد وجوه التفضيل
٤٣٣ الثانى النهىعن التجسس
٤٣٤ الثالث حكم من علم انه لا يقبل منه
٤٣٥ الرابع بيان المنكر الواجب انكاره
٤٣٦ الخامس مستندالوجوب الشرع
٤٣٦ الخاتمة فى فوائد
٤٣٦ مدارك العلوم
٤٤٣ الادراك بالحس وحال السوفسطائية
٤٤٥ تنبيهان الاول العلم ضرورى او كسبى
٤٤٦ الثانى يطلق العلم على اربعة امور
٤٤٦ الجوهر والعرض وعدة من اصطلاحات العلماء
٤٥٧ ذكر ائمة المذاهب الاربعة
٤٦٣ التقليد
٤٦٥ تنبيهات الاول التزام مذهب معين
٤٦٥ الثانى : اذا لزم فما حكم الانتقال
٤٦٦ الثالث تتبع الرخص
٤٦٧ الرابع تقليد المفضول